
دار الفراعنة
دار الفراعنة للنشر والتوزيع والترجمة



اسم العمل : صفا

اسم المؤلف : وجدى عبد الهادى

الإخراج الفني والغلاف : إكرام عيد

رقم الإيداع : ٢٠١٩/١٤٣٨٤

الترقيم الدولي : ٩٧٨-٩٧٧-٦٦٦٨-٣٢-٤

المدير العام : عادل التونى

المدير التنفيذي : عزة ابراهيم

٠٢٣٩٧٦٩١٧٦/٠١٠٠٦١٤١٦٤٥

دار الفراعنة للنشر والتوزيع والترجمة .

الإهـداء

إلى من قرأ انتباه، الجزء الأول من أصل الحكاية، أهديه، الجزء الثاني، صفا. والى كل قارئ يقرأ من أجل أن يحيا

وجدي عبد الهادي

الفصل الأول

هَلْ الانتخابات البرلمانية ٢٠١٠ كانت القَشّة التي قسمت ظَهْرَ البَعيرِ؟!

وقتها حَصَد الحزب الوطني ٤٢٤ مقعدًا، وأحزاب المعارضة جميعًا ١٤ مقعدًا فقط، و٦٦ للمستقلين، ليس فيهم من الإخوان؛ وبدأت الوجوه المعهودة من الحزب الوطني تصْدم الطَّلْعةَ، وبدا الجو العام مُحْبطًا للغاية؛ الكل – تقريبًا - اعتقد أن الأمل في الإصلاح قد ضاع؛ وكان العمل على توريث الحكم لنجل الرئيس يُطْلَبُ حثيثًا فراحت وسائل الإعلام - كلاعب وسط مجيد يحول الكرة ليضرب مرمى الخصم- في حديثٍ متواصلٍ عن تَكَهُّناتٍ لتشكيلٍ وزاريٍّ جديدٍ قادمٌ غَيْر حكومة نظيف..

ودافعت الجمهورية المسائي عن نتيجة الجولة الأولى: الوطني حَصَدَ ١٩٥ مقعدًا، ينافس في الإعادة على ٢٥٤ مقعدًا منها ٤٧ مقعدًا بين مرشحيه؛ وطني، ووطني مستقل، ومقعدان للوفد، ومقعدٌ لكل من؛ التجمع، الغَدّ، العدالة، وستة مقاعد للمستقلين. وقالت الجريدة: إلغاء الانتخابات في بِيَلا بعد إحراق الصناديق، أحزاب المعارضة خرجت من الجولة الأولى في محافظات، الصعيد، سيناء، مطروح، ومحافظة الوادي الجديد؛ وملأت

صفحتها الأولى من الجانبين يوم الأربعاء السابق بـ هؤلاء فازوا؛ صُوَرًا؛ وهؤلاء إعادة؛ صُوَرًا..

فأرجعت جريدة المصري اليوم – المعارضة - الكرة إلى مرمى المهاجم: سيدات الوطني يكتسحن دوائر الكُوُتَة؛ غالي لأهالي شبرا: هـ جيب لكم لبن العصفور؛ وأباظة: البرلمان إضافة لخبراتي؛ وقالت صفحتها الأولى: ثورة الخاسرين؛ أنصار مرشح وطني يحرقون مقر الحزب، ومظاهرات ضد التزوير، و٥٠ دعوى لبطلان الانتخابات؛ الإخوان يدخلون الإعادة على ٢٦ مقعدًا، والوفد ينافس على٩ مقاعد، والتجمع على ٦ مقاعدٍ..

ولعِبت على الحِبالِ جريدة الوفد: الوَفْدُ يلجأ لرئيس الجمهورية بملفٍ كاملٍ عن تجاوزات الانتخابات؛ " البدري ": الوطني اعتاد اغتصاب الأغلبية، وموظفو الحكومة أشرفوا على المهزلة، النيابة تستمع لأقوال سائق التاكسي الذي اكتشف واقعة التَّزوير؛ وكتبت تفصيلًا.. بدأت نيابة جنوب الجيزة التحقيق أمس في الشكوى المقدمة من المستشار وليد الشافعي، عضو اللجنة المشرفة على الانتخابات في دائرة البدرشين التي اتهم فيها رئيس مباحث مركز البدرشين بإهانته وسبّه، والامتناع عن تحرير محضرٍ لسيدة ضبطها تزوّر لصالح الحزب الوطني...وقالت الجريدة؛ مرشد الإخوان: نَدْرُسُ الانسحاب من جولة الإعادة، والقرار يصدر اليوم؛ الأمين العام للحزب الوطني الديمقراطي: الوَطَنيُّ لم يعقد صفقات ولم يخدع أحدًا النتائج التي حققها الحزب في الجولة الأولى هي ثمرة جهد سياسي، وحزبي،

وتنظيمي، على مدى خمس سنوات؛ فالحزب يجني ثمار احترامه للشعب، وتبنيه مصالحه، والتعبير عن قضاياه، من خلال سياسات اقتصادية، واجتماعية، استهدفت مصالح المواطنين، وقال: مفاجآت " ويكيليكس" تتوالى؛ مبارك قال للأمريكيين، انسوا الديمقراطية في العراق؛ إسرائيل تعتبر أبو الغيط مشكلة مزعجة، والسفيرة الأمريكية تناقش الضرائب العقارية مع أشرف العربي؛ نائب وزير المالية..

وعقب إعلانه عن النتيجة النهائية للانتخابات؛ زعم المتحدث باسم اللجنة الانتخابية في فجاجة أن اللجنة تقرر رضاها عن مجريات الأمور، وتعلن أن مصلحة الوطن فوق الجميع.

فقال مجاهد لزوجته وهما يتابعانه عبر الشاشة الصغيرة:

- أيُّ مصلحة للوطن فيما زعم هذا؟ وأعْجبُ لرضاه! وقال:

- اضحكي!! أخذونا في التجديد النصفي الأخير لمجلس الشورى كرؤساء لجان، وأمناء، وأعضاء من القوى العاملة؛ فنزلنا في مدرسة ضمت تسع لجان؛ كل لجنة خمسة زملاء، وكانوا أيام السادات - لمعرفتهم عني؛ ولحادثٍ وقع لي - يتجنبون إرسالي للانتخابات، أُرْسِلْت يومها رئيس لجنة في انتخابات مجلس الشعب في محافظة المنوفية، فقعدت ماسكًا على ديني؛ أمنع كُلَّ من يقترب مني - إلا من جاء يدلي بصوته - حتى أذن العصر، ولم يَعُدْ إلا ساعة عن ميعاد انتهاء التصويت وقفل اللجنة؛ فجأة اقْتَحَمَتْ عليَّ الحجرة

بالشماريخ البلد تقريبًا - وكان لهم مرشحٌ وفديٌّ - وأشاروا: هاتوا أبا نظارة، من الصبح خانِقْنا!.. فصحت مهددًا:

- اقتلوني إن شئتم! إذا اقترب من الصندوق أحدٌ أبْطلتُه لكم..

وبذل فرد الأمن نفسه لهم؛ ودفعني أسفل المكتب - وكان صولًا ضخم الجسم - ناشِرًا ذراعيه وساقيه عليَّ، وفوق أوراق الاقتراع يحميني؛ كطائر عملاق يدفع عن فرخه! فلمَّا رأوني أتحدث بجدٍّ؛ نادوا بعضهم: - اتركوه، وإلا أبطل لنا الأصوات!

وساوموني على خمسين صوتًا أعطيتها مرشحهم؛ أبطلتها جميعًا في الفرز؛ وقلت عند القاضي أُمْلي النتيجة:

- ثلاثمائة صوتًا للوفد، وثلاثون للوطني.

فلمحته يضع الثلاثمائة للوطني؛ فغضبت:

- كِدنا نموت؛ وسيادتك تجيء لتقلب النتيجة؟!

فأنبني في رصانةٍ:

- أنا سألتك – أولًا - عن الحزب الوطني.

كان يسجل بقلم رصاص، فانتظرته حتى محاها، ولمّا عُدت للتفكير في الحكاية قلت لنفسي؛ وكنت قد خرجت من عنده:

- يا حمار! فعل الذي فعل في وجودك، فما يمنعه الآن أن يعيد الشأن كما كان؟!

ومن يومها وهم يتجنبون إرسالي في انتخاباتٍ؛ ولا أدري ما حدث حتى يأخذوني عضو لجنة في التجديد النصفي الأخير لانتخابات مجلس الشورى؛ فقمت في زملائي خطيبًا؛ فقاطَعت:

- أنت هـ تقول لي؛ عادتك؛ ولا هـ تشتريها؛ فأغفل تأنيبها يستطرد؛ قلت:
- "إنّ اللهَ يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعَدْل"...

فأجابوني.. وكان الناس لمعرفتهم سَلَفًا بما يحدث لا يأتون للتصويت، مهما ظلت وسائل الإعلام تروّج؛ أن الانتخابات هذه ستكون نزيهةً... فقال لي الزميل رئيس اللجنة؛ وكان أسنَّ مني:

- هذه بطاقات التصويت، اجلس لاستقبال الناخبين.

وقرب الظُّهْرِ مَرَّ بنا المستشار عضو اللجنة العامة، ولم يكن قد جاء إلى اللجنة للإدلاء بصوته إلا سيدة ورجلان من إجمالي ألف ناخب، فأعلمته أمام الجميع:

- قد جئنا؛ ولن نُزوّر صوتًا واحدًا لأحدٍ... قال:

- وهل طُلِبِ منك ذلك؟ ...قلت:

- لا؛ لكن، وماذا لو اقتحموا علينا اللجنة أو هددونا؟

- اتصل بي فورًا.

- أعطني، حضرتك رقم جوّالك؟

فأعطاني الرقم.. ويبدو أن أذان العصر في بلادنا هو التوقيت المفضل للتزوير؛ فقرب الساعة الخامسة بدأ أشخاص من الحزب الوطني يتحسسون اللجان؛ وجاءوا إلى ذي اللّحية، فلم يستطع أحد الحديث عن التَّقفيل معي صراحةً، دخلوا وكانوا ثلاثة فابتدرتهم مشيرًا إلى الصندوق الزجاجي شبه الخالي:

- هذا هو الصندوق الشفاف؛ ترَوْن البطاقات واضحة.

ولم يكن بالصندوق حتى هذه اللحظة سوى خمس بطاقات، هم كُلُّ من استطاع الحزب الوطني أن يحْشِدَه إلى هذه اللجنة، ووقفوا يتلكعون؛ فرددتهم:

- ما دام ليس لكم أصواتٌ عندي هل تفضلتم؟

وأشرت لهم بالخروج؛ فصاح أحدهم:

- أنا فلان؛ عضو الحزب الوطني لأكثر من عشر سنوات؛ أتطردني؟!

فتدخل أحد زملائي فاقتاده إلى الطرقة، فصاح الثاني يهدد:

- لن تخرجوا من هنا.

فحال الزملاء بينه وبيني.

وكان مجاهد حتى هذه الآونة يعتبر الجوال شيئًا مزعجًا؛ يرفض اقتناءه؛ فقال لزميله رئيس اللجنة:

- اتصل بالمستشار..

فجاء على الزعق؛ لِواءُ شرطة بصحبته ضابط في لباس مدني وأمين؛ من قُوْةٌ الأمن.

وكان مجاهد قد عاد فجلس إلى الصندوق؛ فتعمَّد ألا ينهض للحفاوة؛ كعادته.. فجأر الضابط:

- لِمَ تتعمد لنا اللامبالاة؟ لمْ تقم لاستقبالنا، وَتَرُدّ السلام وأنت قاعد؟!! فردَّ في هدوءٍ:

- لأن دين الإسلام ينهى عن ذلك؛ كان النَّبي ينهى أصحابه عن القيام له.. قال:

- سيادة؛ اللواء في عمر أبيك، ومن الاحترام أن تقوم له.

- ليس هذا من مهماتي أنا هنا؛ وأخذ يغضب لتمكين المواطنين من الإدلاء بأصواتهم في أمانة وحرية تامة.

فدخل في هدوء ورصانة ولباسه الأنيق فجأة المستشار عضو اللجنة العامة للانتخابات فلم يشعر به أحد؛ وكما يحدث إذا فَاجَأَ القِطُّ فأرًا؛ تراجع الضابط على الفور، وكان اللواء في زِيّه العسكري مُنتبذًا صدر الحجرة.. فتقهقر الضابط فوقف إلى جواره، وساد الصمت.. فتقدم المستشار فسأل مجاهد:

- ماذا حدث؟

- اقتحم علينا اللجنة عضو من الحزب الوطني معه شخصان لَمْ يجيئوا للإدلاء بأصواتهم، وعندما طالبتهم بمغادرة اللجنة تهجموا عليَّ، وتوعَّدونا أننا لن نخرج من هنا.. فانقلب المستشار إلى أمين الشرطة؛ يسأله:

- أين كنت عندما جاءوا يتهجمون عليهم، ويقتحمون اللجنة؟

- سعادتك؛ عندما سمعت الصوت جئت فورًا، فأخذتهم عن اللجنة، وأخرجتهم من المدرسة.. فردّ مجاهد زعمه:

- أنت لم تخرجهم؛ زملائي هم من أحاطوا بي؛ وأخرجوهم من الحجرة بعد أن تهجموا عليَّ.. فالتفت المستشار إلى مجاهد فنهره:

- اخرس؛ أنت.

- أخْرَس! يعني ماذا أخرس؟! فهرع الزُّملاءُ يهدئونه:

- خلاص يا شيخ؛ سيادة المستشار جاءك عندما طلبته؛ كأن مجيئه تفضلٌ.. وناشدوه:

- يا شيخ؛ دع سيادته يتكلم ..

كان شابًّا لم يتجاوز الثلاثين كثيرًا؛ ومجاهد قد تجاوز الخمسين عامًا؛ يحمل ضمن ما يحمل مؤهلين عاليين؛ بينما الذي زجره؛ ليسانس حقوق، يُدخل كلّيتها بأقل مجموع؛ وكلاهما يعملان لدولة واحدة، خدم فيها مجاهد ثلاثين عامًا، بينما خصمه لا تتجاوز خدمته بضع سنين؛ فوقع في قمة النَّكد**!** حتى عندما رَجَعَ يَتحدَّثُ إليه المستشار في لياقة:

- أعطني ورقة؟

- ما عندي ورق.

فانقلب إلى أمين الشرطة، وتوعدهُ كذلك:

- لِمَ لمْ تقم باحتجازهم، وتحرر لهم محضرًا، وتركتهم يذهبون؟**!** سأحرر لك قضية؛ سأحولك للقضاء. وبينما الكل واجمٌ، عاد سعادته يتحدث في هِمّةٍ سائلًا مجاهدَ أيَّ شيءٍ عنده ليسند عليه؛ كي يكتب تحويلًا لـ أمين الشرطة للقضاء.. وأردف في إعلاء شأنٍ:

- أنت هنا لا سلطان عليك إلا الله وضميرُك؛ لا أحد يستطيع أن يصنع لكم شيئًا؛ ما قيل إنما هو بُقٌ فارغٌ، معك جوالي، اتصل عليّ فورًا آتيك؛ لن يحدث لكم شيءٌ.

فظل مُجاهد حزينًا؛ يجهش بالبكاء لأنه مغلول اليد أن يقتص من هذا الذي زجره كأنه ليس بشيء!! فكم يتعرض المرء للإهانة من مولده حتى مماته لا لشيء، إلا لأنَّه يريد أن يحيى عزيزًا؟! يحْيى كإنسان، فيلْقى من الظُّلم الفادح، والخلل البيّن ما الله به عليم !!..

انتهى التصويت، وأقفلت اللجان وأخرجت الصناديق إلى الطرقات؛ ولأنها شفافة؛ فاجأه محتواها؛ بداخل كل الصناديق بطاقات ليست بالقليلة، إلا صندوقهم الذي ظل شبه فارغ إلا من البطاقات الخمس فازداد همًّا؛ فسألهم تبكيتًا:

- أجاءكم كل هذا العدد؟!

فهزل هازل:

- يا شيخ؛ الحزب الوطني ناجحٌ؛ ناجحٌ؛ من دخلوا عليك؛ دخلوا علينا قبلك؛ فجاريناهم.. ونصحه:

- يا شيخ؛ أتريدنا أن نذهب إلى لجنة الفرز بالصناديق فارغة؟! لو فعلنا لن يستلموها منَّا.. وقال آخر:

- ونحن راعينا العدالة؛ قلنا لمن دخلوا علينا؛ دعونا لهذا الشأن وُحْدانًا، وسترون بأعينكم البطاقات داخل الصندوق.. وأعطينا كل مرشح مائتين صوتًا زائدًا عن حقه، حتى الذي لم يصوت له أحدٌ؛ وكذلك نكون قد حققنا العدالة، وراعينا نسبة الحضور حتى لا يأتوا بنا إلى جولة الإعادة..

فامتلأ هَمًّا؛ فترك الصندوق لرئيس اللجنة وعضوي الأمانة، ونأى بنفسه ناحية.

وبينما الأربعة والأربعين زميلًا يثرثرون في سعادة في انتظار السيارة التي تحمل الصناديق ورئيس كل لجنة وعضوي الأمانة إلى اللجنة العامة للفرز، راحوا يضاحكونه:

- يا شيخ هون عليك.. يا شيخ؛ سعد باشا قال" ما فيش فايده! "

فظل وحيدًا؛ يفكر في جِبلة هؤلاء؟ وفي الأحداث التي مرت ؟.. وكان عليهم أن يسعوا - كل بطريقته - إلى مقر اللجنة العامة للفرز؛ وكانت على بعد ثلاثة كيلو متر قطعها مجاهد راجلًا بعد أن اطمأن أولًا على صلاة المغرب؛ صلاها في جماعة، وفعل ذلك لصلاة العشاء؛ صلاها قبل أن يدخل؛ ساحة كساحة الحشر عجت بالغبار؛ ممتلئةً بشرًا ومَناضِدَ ومَقاعَدَ؛ خمسة آلاف عضو أو يزيدون يريحون ويجيئون في مكان واحدٍ؛ في حوزتهم ألف صندوقٍ؛

وموظفون آخرون لاستلام المظاريف بعد إملاء النتيجة للسادة المستشارين أعضاء اللجنة العامة..

فقد الأمل في العثور على زميليه الأمينين، ورئيس اللجنة، وسط هذا الحشد الحاشد، ليستلم منهم بطاقته الشخصية التي أخذت منه عند استلام المظاريف الخاصة باللجان في اليوم السابق؛ وسُرَّ سرورًا حين عثر بهم:

- كيف الحال؟؟ وابتدرهم.. هل استلمتم البطاقات الشخصية؟ فقالوا:

- ليس قبل تسليم حاوية بطاقات التصويت هناك؛ وأشاروا إلى دائرة تموج بشرًا في الصَّدر؛ إلى جوار المنَصة التي يجلس عليها القضاة لاستلام النتيجة وقالوا:

- عليك يا بطل أداء هذه المهمة وتأتينا بالبطاقات الشخصية والخطابات الموجة لجهة العمل التي تثبت مشاركتنا في هذه الانتخابات؛ لاحتساب اليوم واليوم السابق أجازة.. فسألهم:

- أسلمتم القاضي النتيجة؟

فردّ رئيس اللجنة في نبرة تبكيت:

- نعم؛ ولكن بعد أن أخذنا حقنا في التأنيب!! وصلنا المنصة بطلوع الروح، بعد الوقوف ساعتين في هذا الطابور المديد؛ فوقفت أملي

علـى القاضـي النتيجـة؛ فقلـت.. عـدد الحاضـرين لـلإدلاء بأصـواتهم خمسة أصوات؛ إجمالي الأصوات ٩٩٨ صوتًا.. فأنبني:

- ولِمَ أتعبتم أنفسكم هكذا؟!

فغضب مجاهد:

- وماذا قلت له؟

- طبعًا خرست؛ رئيس اللجنة..

- ولِمَ لمْ تجبه؟! أيريدوننا أن نستخرج الناس من بيوتهم، أم نقوم نحن بالتصويت بدلًا منهم!.. ففاجأه:

- لأن سيادته قال للذي قبلي؛ ما هذا الحضور الطاغي الذي شاهدتموه؟ حضر إليكم ٩٩٩ شخصًا للإدلاء بأصواتهم ولم يتخلف سوى واحدٍ!.. ارجع فانظر ماذا صنع العاقلون من زملائك؟ وائت إليّ عبر هذا الطابور؟

* * *

ليس من الخزي أن تتقدم لخطبة فتاةٍ فَتَرْفُضَك؛ إنّما الخزيّ أن تتقدم لِخِطْبَتها وأنت على علمٍ أنها على علاقة بشخصٍ غيرك..

هذا ما آلمه للغايةِ حين أخبرته الزميلة الرسول:

- كنت عارفةً أنها على علاقة بشاب كانت تريده؛ تقدم لخِطبتها؛ ولأنه كان دون المستوى رُفِضَ.

فقال في ألمٍ شديد:

- ولِمَ لَمْ تخبرينِي؟ واللهِ لو قابلتُها ما عرفتُها؛ وما أردت إلا تطييب الخاطر؛ وأن أُجْريَ خيرًا.. قال

- ظننتك تعرف.. فاستنكر عليها بشدّة:

- سامحك الله؟ أعرف؛ أنَّها على علاقة بشخصٍ وأتقدم لخطبتها ؟!..عمومًا إن رجعت تتصل؛ - وأبى أن يذكر اسم مدام أُمنية - فقولي؛ بلَّغْتُه فلمْ يعلق وكأن الموضوع لا يخصّه؛ واستشعر غاية الحرج فسألها ليَطْمئن:

- هل علم أحدٌ؟.. فضحكت:

- الزوج... وأخذت تُبرر:

- المُهِمَّة كانت صعبة؛ فالموضوع كان مصيره أن يُعْرَفَ وشعرت أني أعمل خطأً، فشاورت الزوج.. قال: بينه وبين زوجته عِشْرَةُ سنين؛ وأعرف أنهما تزوجا عن حب؛ فكيف يفعل ذلك؟! فآسى في نفسه:

- ما أجبن النساء! يبدو أنَّهنَّ جميعًا لا يصلحنَّ لشيء؛ فهذه - أي رسوله - التي حسبتها تَصْبِرُ على السَرّ؛ طارت تحدث به زوجها، والتي يشتاق إليها وظنَّها تَفْهمُه كنفسه، ردها يحمل إليه أَنَفة؛ وطفق يتردَّدَ في نفسه قولها:

- مَنْ؟ منْ؟! الشيخ مجاهد معقولة يفكر هكذا؟!.. فسألتها رسوله:

- وما أقول له إن عاد فسألني؛ أَقُولُ يفكرون؟ قالت:

- لا؛ الأمر منتهٍ طلب في غير محله!!

ورجع يفكر في الأمر؛ وحدث ذلك لمرّات عديدة؛ فرأى القلب الذي كان دومًا مشتاقًا لمدام أُمنية؛ بات اليوم في حَرَجٍ منها؛ وسأل نفسه: وماذا لو قُدّر فرآها؟ أيكون لقاؤهما غاضبًا فيتجاهلها؟ لأن التي ظنَّها تَعْرفُه لا تُعْرفُه؟ أم يبدي بها فرحًا ويجامل؟!

وكان إذا أغضبه شيء تركه ليمرخشية اكتساب أعداء جدد.. فعندما حَمَّلَهُ زملاء اللجنة حاوية بطاقات التصويت، ليقوم بتسليمه للداخلية لإخلاء السبيل؛ صابر حتى وصل إلى دائرة الموت تلك التي يتوسطها موظفو الداخلية الذين يتسلمون حاويات البطاقات الصحيحة؛ والباقية دون استخدام، والبطاقات اللّاغية؛ مَدَّ يده بالحاوية للموظف ليتسلم منه؛ مسّه في يده وصاح في رجاء:

- ها! فعَلت يَده أيَادٍ كثيرة.. وظلَّ حتى اختلفت أضلعه من التضاغط، فَحَدَّثَ شخصًا لصيقًا به:

- وماذا علينا لو لم نُسلّم حاوية التصويت للداخلية يدًا بيدٍ ؟.. قال:

- لن تَحْصُلَ على البطاقات الشخصية لأعضاء اللجنة ولا على الخطابات الموجهة لجهة العمل لاحتساب مدة التصويت أيام عمل؛ فشرع يُحَدّثُ نفسه:

- أما البطاقة فخسارتها قليلة؛ خمسة عشر جنيهًا ثمن استمارة بدل فاقد لإعادة استخراجها، وأما الخطابات المرسلة إلى جهة العمل لاحتساب مدة التصويت أيام عمل فلا حاجة لها ملحة؛ اعتبر اليومين من رصيد الإجازة الاعتيادية أو يومين عارضة؛ وتشجّع فرمى الحاوية داخل دائرة التسليم، فتبعه آخرون.. وانقلب خارجًا يضحك من دائرة الموت تلك!! وجد قميصه الذي عليه من شدة العرق - رغم برودة الجو – يُعْصُر عليه!. لم يبحث عن زملائه، بل غادر سُرادق اللجنة العامة مباشرةً إلى الطريق العام، وركب أوَّلَ سيارة مرت به عائدًا إلى البيت وما يزال يؤنب نفسه:

- من السذاجة الاحتراز الشديد؟ لو فعلت ما فعلت من أول لحظة ما أهدرت كلَّ هذا الوقت، وقال: الذي لا يأبه لكرامة أخيه الإنسان عليه دائرةُ السَّوْء وحده..

واللطيف جدًا - وبعد يومين فقط - جاءتهم البطاقات الشخصية كافة ومعها الخطابات الموجهة إلى جهة العمل تنصص على اعتماد يومي التصويت يومي عملٍ؛ سُلمت للزملاء بمنطقة السنبلاوين؛ فَحُملت للمديرية، فأرسلت لأصحابها؛ ولم يحدث أيُّ مكروه!

- * * *

- لم يختلف شأن جماعة أنصار السنة الدَّعَوِيَّة عن الشأن العام قيد أنُمله؛ إذ ظل القائمون عليها كُلَّما وصل أحدهم إلى كرسي الرئاسة؛

يصبح شيخ المشايخ؛ يخطب في مسجد توحيد الشناوي الجامع؛ يؤمُّ الجماهير، وَيُخفِض من شأن المعارض أو يقْصَيه عن الجدول تمامًا؛ ويمحو اسمه بقسوة؛ ظل هذا هو كارت الإرهاب الذي يشرع في وجه من يختلف مع الرئيس، وأُخرج من الجدول أناس كثيرٌ؛ وأُدخلَ الكثيرُ، وهرولت للفضائيات الدينية طلبًا للشهرة فئة؛ حتى بَدَتْ جُلُّ الوجوه بالجدول لمجاهد جديدة حديثة السَّنِّ؛ خاضعين تمامًا لإرادة الرئيس وتوجيهاته؛ وفي لحظة ضيق شديدة ألمت بصدر مجاهد؛ رفع إليهم هذا التقريع اللاذع..

- من الداعية فلان إلى لجنة الدعوة.. دخلت الجيش عام ١٩٨١م؛ فخدمت فيه مدة عامٍ، والحقُّ يقالُ؛ الترقية عندهم بالأقدميّة مع عدم إغفال عنصر الكفاءة؛ قاموا بترقيتي مرتين - رغم خدمتي القصيرة - فحصلت على رتبة شاويش/// شرائط تملأ العين للياقة البدنية، وإنجاز مشروع تدريبي ناجح؛ وكنت عُنصرًا بمكتب عمليات اللواء الثامن رادارًا أعمل باقتدار، وأول الفرقة الثامنة رادارًا في اللياقة البدنية؛ فلمَّا انتسبت إلى جماعة أنصار السنة سنة٢٠٠٠ عُومِلتُ كداعية مستجد؛ درجة خامسة رغم خدمتي بالأوقاف سبع سنين!. ثم تَرَقَّيْتُ سريعًا على يد فضيلة الشيخ محمود - رحمة الله عليه - ألحقني بمساجد الدرجة الثانية؛ ودون سابق إنذار، أُرْجعتُ إلى الدرجة الرابعة! ورُفِعَ آخرون؛ فبأي ميزانٍ تَزنون لجنة الدعوة؟! بعض الدعاة حديثو السن بعد أن رفعتموهم، وكانوا من قبل

يهتفون متى قابلوني: شَيْخنا الحبيب! الآن أحدهم يعرض عنَّا؛ ما جعلني حيران أتساءل: أتأخذ جماعة أنصار السُّنَّة في الترقية بالأقدمية، أم للإحسان أم لأمر آخر لا نعلمه؟!.. كان لي" بتوحيد طناح" دَرْس ثابت؛ أَدْرُسُ وأُدَرّسُ فقه العبادات، وعلى الرغم من قلة أعداد الحضور، وصعوبة الطريق، بالصبر والمثابرة أخذت تتكون طبقة من عوام الناس تجلس للفقه؛ في آخر محاضرة كنت أشرح معاني الأذكار التي تكون عقب الصلاة؛ فسرُّوا لسحر البيان؛ وطلبوا مني إعادة هذا الدرس على أن يحشُدوا له، وفجأة أقصيت عن المسجد.. فلا أدرِي أكان إقصائي لاختلافي مع فضيلة الشيخ فلان؛ رئيس الجماعة؛ في مسألة من مسائل صلاة الجنازة، أمّ ماذا؟

تقرير شهر.. هجري الموافق ديسمبر ٢٠١٠م

الداعية/ مُجاهدُ منصور.

* * *

الفصل الثاني

مَنْ كان يُصَدّق أن من حكم مصر ثلاثين عامًا يزول هكذا عرشه..

كانت أيامًا مُتتابعة قاطعة؛ بدأت بيوم الغضب إذ خرج من القاهرة – فجأة - ومعظم المحافظات إلى الميادين والشوارع أُلوف المتظاهرين يطالبون برحيل حكومة نظيف؛ كانت المُفاجأة آخذة؛ تَحَوَّلَ يومُ الخامس والعشرين من يناير، يوم عيد الشرطة، يومًا للاحتجاج العام؛ تجمَّع البَعْضُ في شارع جامعة الدول العربية بالمهندسين، وساروا في مجموعات منظمة، متجهين إلى شارع البطل أحمد عبد العزيز في اتجاه الدقي، وصولًا إلى كوبري قصر النيل؛ حاولت قوات الأمن مَنْعهم ففشلت بعد انضمام المئات إليهم، وتزايدت الأعداد وهم يرددون:

بلادي بلادي بلادي لكِ حبي وفؤادي

مصر يا أم البلاد أنت غايتي والمراد

بينما هتف البعض: تونس هي الحل؛ مصر زيّ تونس، يسقط كل فاسد...

كانت الدعوة ليوم الغضب قد بدأت بمبادرة من بعض الحركات الاحتجاجية والقوى السياسية المعارضة بعد ثورة تونس؛ اختار الدَّاعون يَوْمَ عيد الشرطة للتعبير عن غضبهم؛ وكان جهاز أمن الدولة قد أنبأ أن هناك دعوة لمظاهرة مليونية يوم الخامس والعشرين من يناير ٢٠١١م، فاستجاب للدعوة حركة كفاية وشباب ٦ أبريل والاشتراكيون الثوريون؛ وعدد من الأحزاب، وبعد يومين جماعة الإخوان.. وحتى اللحظة كان دور الأمن دورًا حضاريًّا؛ فرجال الشرطة يسيرون أمام وخلف المتظاهرين لِيَتِمَّ الحَدُّ - قدر الإمكان - من انضمام متظاهرين جُدُدٌ، والجنود لا يعرفون ما الموضوع؟! وضباطٌ كِبارٌ يلهثون خلف المتظاهرين يمسكون بأجهزة اللاسلكي آملين في التوقف حتى يرتاحوا فيعودوا إلى منازلهم، ومتظاهرون يهتفون من قلوبهم قبل حناجرهم؛ بينما البعضُ يحمل للجنود باقاتِ وُرُودٍ.

كانت قيادات شرطية تقف على جانب الطريق يشيرون للمتظاهرين بأيديهم الحُرَّة من أجهزة اللاسلكي بسرعة السير وعدم التوقف والعبور؛ توقفت حركة السير تمامًا فوق كوبري قصر النيل، وتمَّ منع السيارات من السير فوق طريق الكورنيش في اتجاهي المعادي وماسبيرو حيث مبنى الإذاعة والتليفزيون؛ وحاول المتظاهرون الوصول إلى جامعة الدول العربية لكن قوات الأمن منعتهم، وكانت قوات الأمن قد أقامت حاجزًا أَمْنيًّا أمام المتحف المصري إلا أن المتظاهرين اخترقوه، وقطعوا طريق شارع التحرير، فأوقفوا حركة السير تمامًا وهم في طريقهم إلى مجمع التحرير.. وهناك، في الساحة المقابلة لِلمُجَمَّعِ، حاصر الآلاف من قوات الأمن، وقوات

مكافحة الشغب، والشرطة المتظاهرين ومنعوهم من النزول إلى الشارع؛ فتَحَوَّل ميدان التحرير في القاهرة إلى ساحة حاشدة للتظاهر تصاعدت فيها هتافات ضد الحكومة، والبطالة، والفساد، وضد الفقر.

تابع مُجاهِدُ المشهد يكتم أنفاسه.. واستفسرت زوجته دَهِشة عمّا يجري وهما يشاهدان التلفاز؟! قال:

- لا أدري؛ سَمِعْتُ من زميل معي في الإدارة أنه ذاهب بعد الخروج من العمل لوقفة احتجاجية يطالبون فيها بالتغيير..

بالفعل كان قد تظاهر في ميدان مشعل بالمنصورة نحو ألفي مواطن ينتمون لحركة ٦ أبريل، والجمعية الوطنية للتغيير، وحركة كفاية، وحَزْبِ النَّاصري، والوفد، وبعض المواطنين، وبعض شباب جماعة الإخوان رافعين لافتات تحمل شعار انتفاضة مصرية وصورًا لوزير الداخلية كتبوا عليها: حَاسِبُوهم... مصر عاوزة الحرية.. يا حرية فينك فينك.. أَمْنِ الدَّولة بيني وبينك؛ وردَّدوا هتافات: باطل، باطل؛ لمجلس الشعب المنتخب، وانتقلت المظاهرة من ميدان مشعل إلى شارع بورسعيد وسط المدينة وردد المتظاهرون نشيد:

بلادي بلادي بلادي   لك حبي وفؤادي

وكلاعب وسط مجيد انتقلت كاميرا التلفاز إلى محافظة السويس؛ ميدان الإسعاف حيّ الأربعين؛ فشاهد مجاهد وزوجته المئات في مظاهرةٍ؛

فظهرت بمداخل الميدان عربات مصفحة تفرض كردونًا حول المظاهرة تمنع التحرك سيرًا بالشوارع لمنع استنفار مواطنين جُدُدٍ؛ ورفع المتظاهرون لافتات تطالب بفَرْضِ الدّيمُقْراطية، وتخفيض الأسعار، والتحذير من تكرار تجربة الشعب التونسي في مصر، والتذكير بمصير حاكم تونس الهارب الآن إلى دولة السعودية..

وانتقلت الكاميرا إلى محافظة الإسماعيلية تجلي للناس تظاهر المئات بميدان الفردوس؛ وسط المدينة، والأجهزة الأمنية التي كثفت من وجودها بالميدان في تشكيلات مختلفة للتأمين، تمنع المظاهرة من الالتحام بالشارع.. استمرت المظاهرة هنا قريبًا من الساعة دون احتكاكٍ بالأمن؛ وكذا في الإسكندرية، وبورسعيد، ومعظم المحافظات.

وفي صعيد مصر ظهرت وَمَضاتٌ احتجاجية غاضبة؛ فاضطرت الشرطة، وقوات الأمن المركزي إلى الاحتفال بعيدها بشكلٍ جديدٍ عَمَّا اعتادته منذ اتَّخَذَت يوم الخامس والعشرين من يناير عيدًا لها؛ أنفقت يومها ولَيْلتها بالعراء؛ كان مشهدًا متكررًا في كل ربوع مصر، في الميادين ذلك الوجود الأمني المكثف منذ الصباح الباكر؛ سيارات أمن مركزي، وعربات مصفحة، وعربات إطفاء.. ظل الأمن سيد الموقف حتى الثالثة بعد الظهر، امتنع عن استخدام القوة لتفريق المتظاهرين؛ ولمَّا بدأ باستخدام خراطيم المياه، وإلقاء القنابل المسيلة للدموع لتفريق المتظاهرين؛ وقعت الاشتباكات..

فقال مجاهد لزوجته، وهما يريان المشاهد عبر برنامج تليفزيوني مسائي شهير متعاطفًا مع الشرطة:

- رسالة هؤلاء وصلت؛ ولم يعد مبررًا لبقائهم في الشوارع..

وانطلقت المذيعة الأشهر في مصر تُجادِلُ ضيفها عن الاستخدام المفرط للقُوَّة:

- يا دكتور! أليس الاعتصام حق يكفله الدستور والقانون؟

- لكن؛ حرية التعبير، وحق التظاهر الذي يكفله الدستور يُنَظّمُهُ القانون، يجب أن تُخْطرُ السلطات بوقتٍ كافٍ عن مكان التظاهر، وتُؤخذُ الموافقات، وتحدد السلطات مكانًا آخرًا للتظاهر بما لا يعيق حركة المرور في الشارع، أو يضر بمصالح الآخرين.

فانطلقت المذيعة من فرط المفاجأة في ضحكتها المجلجلة ذات الرجع الفضي:

- إذًن تختار لهم السلطات أماكن نائية حيث لا يَحِسُّ بهم أحد؛ وتظهر الحياة عادية، وكأنَّ لا وجود مطلقًا لتظاهرةٍ بالشارع.. قال:
- يا أستاذة منى، وسائل الإعلام الآن تلهث وراء كل الأحداث، تصل كاميراتها إلى كل مكان في العالم. فاستنتقطة بسهم عينيها الأخَّاذتين:

- يا دكتور! الشوارع معطلة، معطلة؛ وهؤلاء خرجوا للتعبير عن مصالح الكافة؛ أفلا نحتملهم نُحنُ لبعض الوقت، فنترك الخاص من أجل العام لبعض الوقت لإحداث إصلاحٍ وتغييرٍ؟! قال:
- أكيد الرسالة وصلت للمسئولين؛ فلينتظر هؤلاء بعض الوقت، فيُعْلَمَ كيف تكون الإجابة.. فمضت تستدرجه:
- يا دكتور! هؤلاء المواطنون يتواجدون بهذه الكثرة في جميع الميادين بالمحافظات منذ الصباح الباكر، ولهم مطالب مشروعة؛ بُحَّتْ لها حناجرهم اليوم ومن سابق، وحتى الآن لم يطلّ عليهم مسئول فيجيبهم، أو يَمُدُنا بالمعلومات عَمَّا يحدث فنطَّلع بالأمر! يا دكتور؛ أين رئيس الحكومة؟!
- نعترف أن القرار السياسي بطيء للغاية؛ لابد أن تخرج القيادة السياسية تتحدث إلى هؤلاء؛ تطمئنهم أن الرسالة قد وصلت؛ وأنه ستكون هناك استجابة لتلك المطالب.

كانت مقدمة هذا البرنامج الأشهر في مصر، هي الحَظِيَّةً الأولى لدى مجاهد والأكثرين؛ لحضورها القوي، ولِمَا وهبت من صوتٍ فضّيٍّ رنَّان وملاحة وجه؛ وللغة التي تحاول انتقائها؛ وإشارات لطيفة تُرْسِلُها إلى جمهورها تسترضيهم وتحرّضهم معًا، وكانت تستطيع دائمًا ضبط نفسها؛ تعرف كيف تَقْربُ عش الزنابير وترجع آمنةً، لا تقترب - أبدًا - من شخص " مبارك "؛ تجاهد وُسْعها عدم ذكر اسمه في حواراتها؛ وكان مجاهد يرى: أنها تتجنب ذلك؛ لأنها لو فعلت لن تنفك عن استخدام عبارات التعظيم

والتوقير لمبارك، وأن ذلك - في عقيدتها - يُكسِبُه تشريفًا؛ وهو من بات مزهودًا فيه لدى الجماهير، وهي الحظية الأولى لديهم، فيفقدها ذلك شعبية، ومصداقية؛ بيد أنها كانت لها مصادر تَسْتقي منها ما هو مستخفٍ؛ فقد عرضت في حلقة قريبة جدًا قبل وقوع هذه الأحداث؛ وكأنها تمتلك جهاز استشعار حصيف؛ وكان موضوع الحلقة: "الخطبة الأخيرة لزعماء دارت الدائرة على كثير منهم".. وكأنها تبشر بقرب رحيل مبارك؛ وكان قبل الأمس قد أطلَّ على الناس في عزةٍ شارعًا صفحة وجهه؛ يتابع وزير داخليَّته الذي يزهو بين يديه كطاووسٍ؛ وظل "مبارك" ينظر إلى وزيره في وجومٍ وعُلُوٍ؛ وهو يردد في تؤدة:

- سيدي الرئيس.. وعدد انجازات وزارته خلال العام الماضي؛ غير غافلٍ أن يجددَ لسيادته الولاء، والعهد مستقبلًا، والقيام على أمن العباد والبلاد بالأفضل؛ البلاد التي وقاها الله شر الفتن بفضل قيادة سيادته الرشيدة؛ فَنَعِمَ في زمانه بالأمن والاستقرار كُلُّ مواطن على أرض مصر.. وفي النهاية؛ طلب من الرئيس التفضل بالحديث المرتقب؛ احتفاءً من سيادته بأبنائه من قيادات الشرطة، ورجالاتها؛ ضباطًا كانوا، أو جنودًا؛ يعدون سيادته بذل أقصى الجهد، للاستمرار في حفظ أمن المواطن، وتحقيق المزيد من النجاحات؛ تحدث الوزير بملء فيه وبنظرةٍ جريئةٍ؛ وهتف بعبارة سيدي الرئيس مرارًا.. فعلق مجاهد لزوجته:

- أظن هذا - يعني مبارك -؛ لا يخال عليه هذا النفاق؛ العجيب أنه يجلس كصنم؛ وهذا يُوْهِمُهُ بأنه حاميه اليقظ؛ فليطمئن " وإذا أراد اللهُ بقومٍ سوءًا فلا مَرَدَّ له".. فكان بعد ذلك بيومين فقط يوم الغضب؛ فخرجت الجرائد كلاعب كرة مجيد تبشر بوقع الهدف؛ منها من اتخذت هذا العنوان: إنـــــذار؛ جريدة المصري اليوم واستطردت الجريدة: وجَّه آلاف المواطنين رسالة شديدة اللهجة للحكومة في مظاهرات يوم الغضب التي شهدتها القاهرة، ومعظم المحافظات أمس، وطالبوا برحيل الحكومة..الأحزاب يوم الغضب؛ وعَددت: حزب الوفد، والجبهة يشاركان؛ والتجمع يرفض، والناصري مغلق؛ وقالت: بالأمس ميدان التحرير شهد اشتباكات بين الأمن والمتظاهرين، ومحاولات لتفريقهم بالقنابل المسيلة للدموع، إصابة مواطنين ورجال شرطة في اشتباكات محدودة.. البرادعي لوسائل الإعلام: خروج المصريين إلى الشوارع بداية لعملية تاريخية، وثقافة الخوف تحطمت..

كان المدير السابق للوكالة الدولية للطاقة الذرية؛ بعد انتهاء عمله بها؛ وعودته من النمسا إلى مصر، قد قام بتأسيس " الجمعية الوطنية للتغيير " جَمَعَ لها وُجُوه الأعلام، والشخصيات العامة الشهيرة لمناهضة النظام.. ولمَّا صرح لوسائل الإعلام: لم أشارك في يوم الغضب حتى لا أسرق الأضواء من الشباب، انتقده قيادي إخواني:

- لا أؤيد الدكتور/ البرادعي في عدم مشاركته في مظاهرات ٢٥ يناير؛ وكنت أتمنى وجوده، لأن مشاركته سيكون لها عمق لدى شريحة من

الناس، وكان يمكن أن يعتذر لوسائل الإعلام عن الحديث، ويترك الساحة للشباب إذا كان لا يريد أن يسرق الأضواء؛ وأكد الشَّخْص:

- مشاركة البرادعي كانت ستدفع الشباب للمزيد من الوقفات، والاحتجاجات؛ كما أن له حضورًا دوليًّا، وكان عليه أن يكون وسط الشباب!..

وكان البرادعي قد طالب مبارك بعدم الترشح للانتخابات الرئاسية المقبلة، والسماح بتعديلاتٍ ديمقراطيةٍ، تسمح بإجراء انتخاباتٍ رئاسيةٍ حرةٍ، ورفع قانون الطوارئ، والتوقف عن تشويه صورة الإخوان؛ وأنَّه دون ذلك لن يتمكن النظام القائم من البقاء.. وأردف كلاعب رئيس في تحريك الأحداث:

- القول أن الخَيار الوحيد يَكْمُنُ في القمع في عهد مبارك، أو الفوضى، من قبل المتطرفين الدينيين أمرٌ غير صحيح.

أما صحيفة "الأهرام المسائي" الحكومية فقامت كلاعب وسط ظهير مدافع تصف أحداث الأمس: مظاهرات في حماية الشرطة.. الإخوان يحاولون ركوب موجة مظاهرة الشباب السلمي، ويتصادمون مع الشرطة.. وأسفل صورتين؛ لحشدين من الشباب؛ اعتلى منصات؛ أفرادٌ أحيطت وجوههم بدوائر حمراء كالدوائر التي تكون في السيرك؛ وكَتَبَت الجريدة: قادة تنظيم الإخوان غير الشرعي خلال ركوبهم مظاهرات الشباب بالقاهرة، ويظهر في الصورة داخل الدائرة من اليمين فلان، وفلان؛ إخوان أسيوط؛ وكان الأول قد انتصب ببدنه ناشرًا ذراعيه للسماء مُفَرّجًا بين أصابع يديه،

وقد تَبدت نواجذه منتشيًا كلاعب سيرك محترف، يطالع من فوق رؤوسًا زُرِعَ فيهم زرعًا.. وفلان؛ إخوان الشرقية، وفلان؛ إخوان البحيرة، وفلان؛ أحد أعضاء الإخوان في نقابة المحامين، وفلان.. وذيلّت الجريدة بهذا النبأ: مصرع اثنين من الشرطة، وثلاثة متظاهرين، وإصابة مائة من الأمن بينهم نائب مدير أمن السويس، وأربعين مواطنًا.. أعمال تخريب ضد مبنى الحزب الوطني، وإحراق سيارة شرطة، والداخلية تناشد المتظاهرين عدم الانسياق وراء الشعارات الزائفة..

وشَرُّ البَلِيَّة ما يُضْحك!!..

فأسفل كل ما سبق، بين الإعلانات، في الصفحة الأولى للجريدة، صورتين موردتين لوزيرين في الحكومة، وتصريحٌ لهما.. وزير الكهرباء: ٣، ٨ مليار جنيه تكلفة الربط الكهربائي مع السعودية؛ ووزيرة القوى العاملة بوجهها المُورَّد الممتلئ تستشرف للمستقبل: خمسة آلاف فرصة عمل توفرها القوى العاملة الشهر الحالي؛ وكأنهما بتلك الوعود المألوفة سيطفئان نار غضب يوم الغضب..

كان الأمن قد تمكَّن بخراطيم المياه، وبالقنابل المُسَيّلةُ للدموع، من فض مظاهرة يوم الخامس العشرين من يناير يوم الغضب..

الأحداث في الأيام التالية ظلت في إجمالها مثيرةً للحيرة!.. أُبْتُدئ علانية ظهورُ منشورات مجهولة المصدر توزع على المارة في المحافظات في

الشارع تحمل إليهم رسائل كهذه: إن الشباب الوطني الحر الذي تحرك من أجلكم لرفع الظلم عنكم، ورفع شعار: عَيْش - حرية - عدالة اجتماعية، ليستعيد كرامتكم، وعزتكم، ويعيد لمصرنا الغالية مكانتها بين الأمم، فلا تخشون من هذه الثورة فهي سِلْمِيَّة؛ تحافظ على الممتلكات العامة والخاصة؛ وهي حريصة على انتظام، واستمرار العمل اليومي؛ فليشارك الجميع بعد أداء العمل يومي الأحد، والثلاثاء، الساعة الثانية ظهرًا أمام مبنى المحافظة.. فمر مجاهد بمجموعة تحمل علم مصر، تقف على أحد رصيفي الشارع، فتوقف يسمع.. ثمّ حاورهم:

- رسالتكم وصلت؛ اتركوا فرصة للإصلاح، فإن لم يستجيبوا لكم رجعتم إلى الشارع.. قالوا:

- تُصِرُّ الثورة على رحيل الرئيس؛ لأن برحيله سترحل معه ذيول الفساد، والاستبداد، وسياسات البطش، والمعاناة، والبلطجة.. فَدُهِشَ:

- يرحل؟! أتريدونها فوضى ؟! .. قالوا:

- نحن لم نعد نصدقه؛ ثلاثون سنة، وهو يكذب.. قال:

- أليس قد أعلن أمام الدنيا أنه لن يترشح للرئاسة؛ ولن يقدر على التراجع، وإلا خرج عليه الشعب كله الخائر والثائر..قالوا:

- لن نرضى إلا أن يترك الحكم فورًا، ويفوض سلطاته إلى نائبه.

- فلمَّا رجع إلى البيت - وكانت العلاقة بين بيته، وبيت أخيه قد ساءت -؛ وكانت رغبة أخيه، وزوجته، وأحد بنيه غَلق الحضانة؛ وهو ما لن يطيعهم أبدًا، فأَيْقَظَهُ هَرَجٌ، وصراخ أطفال، وعدو فوق السلالم، وفوق السطح فنهض غضبانًا من نومه، وفي هدوءٍ صعد يفاجئهم؛ فرآه الصبيٌ فانقلب لِواذًا إلى السطح؛ فأدركه والصبية التي كانت تعدو معه لم يجلسا، ولزم الباقون أماكنهم، فتوجه إلى

- فقدا مكانهما بين الجميع فظلا واقفين: اللذين

- - أنْتَ وهي؟ ليس هذا ملعبًا؛ أتُزعجان النَّاسَ من نومهم؟ فَخرسا تمامًا؛ فالْتفتَ، والغضبُ يخنقُه إلى معاشر الجالسين الآن في أدبٍ جمٍّ يؤنبهم:

- - وأنتم؛ أعُلّمتم آداب البيوت حتى تدخلونها؛ لستم مُتْرَبّيين. يا عمِ، شيماء وحسام، هما من كانا يجريان وراء بعضهما فوق السلالم وكنَّا نحن الجالسين.. كذلك تحدثت ابنة أخيه تدفع عن نفسها، فأهْملها؛ لأنه سمع حين استيقظ دبدبات كثيرة، وأصوات على السلم، وفوق السطح، ولحظ حذاء ابن أخيه الذي يرغب في غلق الحضانة أمام الحجرة التي أنشأها أخوه فوق السطح، فأحزنه جدًا أن ابن أخيه لم يخرج إلى الأولاد فينهاهم؛ واعتبر ذلك إقرارًا منه لِمَا فعلوه؛ وآذاه بعد نزوله، سَماعُ صوت زوجة أخيه في المطبخ تحدث ابنها الآخر

وتضحك؛ ثم صعدت هي إلى السطح ورفعت صوتها نبرةً مُسْتَنكفة تسمعه:

- الأستاذ لن يجيء؛ انزلوا.. وكان قد مَرَّ على الموعد المعتاد لحضور المُحَفِّظِ أكثر من ساعة؛ وهي الآن تُحدثُ الأولاد لتصرفهم! وسمع بعد نزول الأولاد قرعًا شديدًا للسلالم من حذاءٍ صغير؛ عَلِمَ عند فتح باب شقة أخيه، وانتهاء القرع، ومن الصك الشديد للباب - يسمعه المار بالشارع - أن ابنة أخيه كانت تهبط السُّلم رفق أمها غَضْبَى.. ليلتها عُوقِب؛ لمْ ينمْ ليلته من عدو البنية فوق رأسه، مع مباركة الأمّ، وإقرار الولد الأكبر، فالسقف وإن كان سقف شقته؛ فهو ذاته قعر شقتهم؛ ولهم فيه كامل الحقّ؛ ولأنه عرف من القضايا الأصولية أن درأ المفاسد مقدم على جلب المصالح، حتى أنهم بنوا على ذلك أن لو تعارض مُباحٌ ومُحَرَّمٌ لَقُدّمَ المحرم.. ولو قلنا في حالتنا هذه (اقتران المفسدة بالمصلحة) وهي هنا المَرَح، استلزم شرع الحكم لها مفسدة مساوية لها، أو راجحة عنها؛ وهي إزْعاج النائم؛ قال يُجادل عن نفسه وهو في قِمّةِ الغضب؛ لمّا ظلت البنية تمرح حتى مطلع الفجر - وكانت المدارس في عطلة نهاية العام - واستطاع تمييز صوت ابن أخيه، وقد ركبه شيطانه، فطفق يلاعب أخته؛ يلعبان الكرة وهما يعلمان أنه يَرْقُدُ أول الليل، ويستيقظ ثلثه الأخير، ليصلي ويقرأ ورده؛ يقيم الليل، إلا أنهما ظلا في عنادهما يلعبان حتى مطلع الفجر؛ فتلك حرية شخصية ما داما يلعبان في

شقتهما؛ فاضْطُّرَ أن ينفق ليلته كلها ساهرًا، فصعد عصر اليوم التالي لابن أخيه؛ وكان لم يزل غضبانًا فحاول كبح غضبه؛ وقال يُبَيّنُ له، ويعاتبه معًا:

- البارحة؛ عندما صعدت لأكلم الأولاد، أكنت موجودًا تَسمَعَهُم وهم يجرون فوق السطح فلم تخرج فتنهاهم؟ فَنَدَّ ابن أخيه مُصرّحًا:

- نعم؛ لكنهم أطفالٌ، لابد لهم من اللعب.. فقال في نفسه:

- الآن تأكد لي؛ فتابع يستنطقه:

- لأجل ذلك ظللت ليلة أمس تجري طُوالَ الليل وراء أختك، وأنت تعلم أن الصوت يصل إلينا عبر السقف، لكنها حرية شخصية؛ فأنتما تجريان في قعر شقتكما؟!

- وصوت أطفال الحضانة أيضًا يصلنا؛ والذين يأتونها في الأجازة للمكتب تزعجنا أصوتـــهم.. قال:

- يَصعد إليك صَوْتُ الأطفال من أسفل البيت إلى الدور الرابع؟! فاستمر ابن أخيه في نبرته الخشنة:

- نعم؛ وكلمنـي، أيمن، ومحمد رمضان، أن الصوت يصلهم آخر الشارع، ويزعجهم، ولا يستطيعون النَّوْمَ.. فبين له ضابطًا غضبه:

- أمَّا الحضانة، فالدراسة فيها صباحًا، من الساعة الثامنة إلى الساعة الواحدة، وهو وقت قيام عامة الناس في أعمالهم، وهو ذاته وقت خروجكم إلى المدارس، والجامعات.. فقاطعه بالنبرة ذاتها:

- لكن ليس كل يوم نذهب إلى الجامعة، هناك أيام نكون فيها في البيت.. فأهمل مقاطعته، وتابع وهو يوشك أن ينْفجر من شدة الغضب:

- والمكتب الذي نعقده في الأجازة في الحضانة لتحفيظ القرآن، لا يبدأ قبل العاشرة، ويُفْرغُ منه مع آذان الظهر... فاستمر ابن أخيه في جداله:

- في الصيف نحب أن ننام إلى الظهر، وصوت الأطفال الذين يأتون في الصيف للمكتب يصل إلينا ويوقظنا، وأسمعهم في نهاية المكتب، وهم يلعبون، ويحدثون ضَوْضاء شديدة.. فلاذ باللين رجاءَ الوفاق:

- إذن، ننهاهم عن لعب نهاية اليوم، ونأمرهم بخفض الصوت؛ وجاهد في منع غضبه للّهجة الجافية لابن أخيه، والشقاق الذي يَقطرُ منها؛ وقبل كان إذا أراد أن يلفت نظرة إلى شيء تلطَّف له:

- ما رأي حضرتك يا عمَّ في التأخرِ عن متابعة الإمام في صلاة الجماعة؟

وكان يفعلها إذا صلى وراء " أبو سريع " ليتمَّ الركن فيطمأن قدر الطاقة فيتأخر عن المتابعة.. وفي كل مرة كان يبتسم للطفل، فيجيبه، ويبين له الوجه الصحيح، والرأي المختار عنده في المسْألة؛ فانقلب اليوم مُشَاقًّا، تؤازره والدته، أو والديه معًا؛ يريدون إبطال الحضانة التي أنشئت بالدور الأرضي من البيت الشّرك، لأنهم لا يجدون فيها مصلحتهم.. قال:

- أعلم أني لم أعد أعجبك؛ وأنّي إن جلست أحدثك إلى الليل لن تستجيب؛ إنما يعجبك المشاهير الذين يلجون الفضائيات؛ اسْتقِ من المورد الذي يعجبك فهذا شأنك.. فقاطعه ثانية:

- أنا لا أشاهد التلفاز، ولا أجري وراء المشاهير.. قال:

- اعلم أن اللهو من الأمور المباحة؛ أمَّا النَّوم فهو من الضروريات الواجبة، التي لا يجوز الاعتداء عليها، ولو بقراءة القرآن، خاصة في الأوقات الثلاثة.."مِنْ قَبْلِ صلاة الفجر وحِينَ تَضَعُون ثيابكم من الظهيرة ومن بَعْدِ صلاة العشاء ثلاثُ عوراتٍ لكم ليس عليكم ولا عليهم جناحٌ بعدهنّ".. فإن أردت لهوًا في تلك الأوقات، التي يكون فيها نوم الناس، فهناك أماكن مخصصة للهو وليس من حقك، ولو كنت في قعر شقتك أن تلهوَ فيها في تلك الأوقات، إن كان الصوت يصل إلى جيرانك، ويذهِبُ النَّومَ عنهم.. فسكتَ ابن أخيه فلم يرد..

فلمَّـا تكـرر تَخلُـفُ المُحَفِّـظِ، وتَكَـرَّرَ لعْـبِ الأطفـال؛ طلـع إلـى السـطح فصرفهم، وتحدث إلى آبائهم أن سطح البيت ليس ملكًا خالصًا لأخيه؛ وأنـه لا يسمح لأطفالهم بالحضور إليه؛ فالأولاد يؤذونه بقرع نعالهم، حين طلوعهم، ونزولهم يقضون الحاجات؛ فيوقظونه من النوم؛ من يرد أن يعلم ولده القرآن، فليأخذهم إلـى بيتـه، أو يُرْجَعْ بهم إلـى المكـان الـذي كـانوا يجلسـون فيـه قبل مجيئهم إلى سطح البيت؛ فصرف الآبـاء أبنـاءهم؛ إلا القليل الـذي لـم يعتدّ لـه المحفظ، فأعلم أنه لن يستطيع الحضور لطفلين؛ فجاء أخوه بشيخٍ كبيرٍ، وابن عَمٍّ لهما فأحاطوا به؛ بينما هو في المسجد في مجلس إخوانه يوم الجمعة عقب صلاة العصر؛ وقعد أخوه بين يديه، وقال مستهلًا حديثه:

- أُشْهِدُ اللهَ أني أحبك في الله.

فكـان غريبًـا مـن أخٍ أن يجـيء لـيعلم أخـاه بـين يَـدَيِ النـاس بـأمْرٍ مُسَـلمٍ بـه؛ فخفض وجهه معتصمًا بالصمت والحلم، وترك أخاه يحكـي، مانعًـا نفسـه مـن الغضب، وإن آسى أن أخاه أراد بحضوره المفاجئ برفقة هذين؛ ليشهدهما أن الذي يجلس للناس يعلمهم القرآن الآن، هو ذاته الذي يصرف أطفالًا، ويمنعهم من الحضور إلى سطح البيت لِتَعَلُمِ القرآن، هم يأتون علـى أنفسـهم؛ يحتملون منه إنشاء الحضانة في بيت هم فيه شركاء، وعلـى الـرغم مـن أنَّـه لم يُؤْخَذْ رأيهم فـي الشـأن لـم يشتكوا؛ رغم أن أصوات أطفال الحضـانة طـوال العـام الدراسي تزعج أبنـاءه؛ وتشوّش عليهم دراستهم؛ خاصـة زمـن الامتحانـات،

والتحصيل الذي يرتكز عليه جهد العام الدراسي كله.. فتكلم لمّا فرغ أخوه، وإن ضَيَّعَ عليهم الدرس بحضوره المفاجئ ومن معه؛ قال:

- أشكر لمن جاء معك سعيًا لإصلاح ذات البين؛ لكن كيف يأتي للقضاء في شأن من هو قاضيهم في كل شأن؟! أمَّا موضوع الحضانة؛ ففيه مصلحة لأطفال الناس في هذه القرية الخالية من المدارس، ولو كان في الحضانة ولدٌ لك ما طلبت مني إغلاقها.. قال:
- أولادي أحملهم إلى مدارسهم بالمنصورة؛ وشكا لي بعض من يستحْيا منك من الإزعاج.. فَعَنَّفه:
- هم يسْتَحُيون منّي؛ وأنت لا تستحي، تريد أن تغلق الحضانة؟! فتدخل ابن عمه فأنبه كذلك:
- ما استحق العيش؛ من نظر في خاصة نفسه، وخاصة أولاده؛ ولا شيء غيرهما.. وبين مجاهد للحضور؛ أن الحضانة تبدأ في وقت خروج الناس لأعمالهم وتنقضي قبل عودتهم، والمكتب كذلك؛ والأطفال لا يصعدون سُلَّمًا إلى الدور الرابع، ولا يهبطون.. وسأل أخاه:
- ألم يكن مجلس الأطفال في منزل البنات في شقة الوالدة في الدور الأرضي، فما جاء بهم ليصعدوا إلى الدور الرابع إلى السطح؟ وتابع؛ استقدمتموهم إلى السطح عنادًا؟!.. فخرج أخوه عن صمته:

- لا؛ البنت هي من رفضت الذهاب إلى هناك؛ وحاولنا معها كثيرًا، لكنها أصرت أن يأتي الأطفال إليها فوق سطح البيت، وإلا قعدت عن المكتب.. فاستطرد مجاهد:

- إن كان أولادك لا يطيعونك؛ فتلك مصيبة؛ أمَّا أن يجروا إرادتهم عليك فالمصيبة أعظم؛ وأنتم في النهاية تريدون غلق الحضانة رغم علمك، وعلم زوجتك بمشكلة الزوجة عندي، وأن إقامتها كان حلًا للمشكلة؟ ونحن لم نختر المكان بل اختاره بنات أختك.

- وقتها؛ رضينا لأنّ بنات أختك كنَّ يعملن بها؛ ولم يَعُدْن يَعْملن اليوم فيها.. قال:

- تعمل زوجة أخيك، وثلاث من المؤهلات العليا من بنات القرية، وعاملة، وطبيب، وفي ذلك نفع؛ في الظروف السيئة، وحالة البطالة التي تسود البلاد، وأمر اضطررنا إليه نحن كما تعلم؛ أمَّا مكان المكتب الذي كنت تعقده لابنتك؛ فَظَلَّت تذهب إليه لعدة أعوام، ولم تمانع لحضورهم الوالدة؛ فصاح ابن عمه؛ وافد الإصلاح؛ وكان في عمر أخيه:

- لكني أمانع من قيام المكتب عند الحاجة؛ أنا جارٌ لها، ويمنعني الصوت النوم بعد العصر بعد قدومي من العمل، ولا أوافق على هذا الرجوع، فابحثا لكما عن حلٍ آخر! فعلم مجاهد الآن لِما جاء أخوه بابن عمه هذا؛ وتلطف أحد شهود الدرس:

- يا شيخنا؛ فضيلتك لا يأتي الناس من ورائك إلا الخير، موضوع تأخر المُحَفظِ ولعب الأولاد، ممكن أن يعالج بعدم صعودهم إلى السطح إلا برفقة المحفظ، وانتظارهم بالشارع، فإذا جاء صعدوا معه.. فصمت.. فاعتبروا الصمت رضا؛ وفرحوا بالنتيجة.. وقال الشيخ الكبير:

- كذا المركب تسير؛ طالما احتمل بعضكما بعضًا.. وأردف الأخ المتحدث في رضا مجاهد يحرض أخاه على الرجوع لشهود الدرس:

- يا أستاذ فلان، عُد إلى درس شيخنا؛ نأتيه نحن من مسافاتٍ بعيدةٍ، وكنت وأبناؤك تشهدونه معنا إلى ما شاء الله، واستفدنا معًا من هذا المجلس كثيرًا.. فاعتذر أخوه؛ بأنه مستمر في الحفظ مع نفسه كلما سَنَحَ له الوقت؛ فعتب مجاهد على الأخ بنظرة أسى؛ وكان يعلم أن أخاه لن يعود مَهْما اشتد في إلحاحه؛ فالنساء تقتلهُنَّ الغيرة! وقالت النظرة:

- دعه يا شيخ سعيد؛ أتتسوله لنا؟!

* * *

" ولله العزةُ جميعًا "

من كان يُصدّقُ أن وزارة الداخلية؛ المؤسسة الأضخم في مصر تختفي كفَصّ ملح؛ وذاب! من الميدان بعدما ظل الأمْنُ سَيّدُ الموقف أيام الخامس والعشرين، والسادس والعشرين، والسابع والعشرين من يناير؛ ويوم الثامن

والعشرين عقب صلاة الجمعة انطلقت من المساجد، والشوارع، والحواري مئات المظاهرات في جميع أنحاء مصر.. وما من أحد؛ إلا الله يعرف أين ستنتهي؟!

فمن مسجد " مصطفى محمود " في القاهرة؛ خرجت مظاهرة تضم نحو مائة ألف متظاهر في طريقها إلى ميدان التحرير، وفشلت قوات الأمن الضخمة التي أحاطت بالمسجد في الوقوف أمامها، ورغم محاولة الدولة بإغلاقها شبكات المحمول، والإنترنت، وخدمات البلاك بيري إعادة الشأن للوراء؛ فأثار ذلك مزيدًا من الغضب، وانطلقت أضخم مظاهرة احتجاجية شهدتها مصر في تاريخها الحديث؛ تقهقر ضباط، وجنود الأمن المركزي إلى الوراء جماعات أمام هذا الطوفان بعد محاولة صَدٍّ فاشلة، فاضطروا إلى خلع ملابسهم الرسمية، وذابوا في حشود المتظاهرين؛ كفص ملح؛ وذاب!!

وفي الإسكندرية، رفض عدد كبير من ضباط الشرطة تنفيذ الأوامر بإطلاق الغاز المسيل للدموع على المتظاهرين؛ وفي الجيزة كان نحو من ثمانين سيارة أمن مركزي، ومصفحة قد حاصرت مسجد الاستقامة منذ الصباح الباكر استعدادًا لمواجهة المظاهرة التي يقودها "البرادعي" ومنعته من الخروج من المسجد؛ وكان قد طالب "الرئيس" بالاستجابة لمطالب الجماهير؛ وإجراء تغييرات فورية؛ وأنه مستعد لقيادة مرحلة انتقالية في مصر..

وهرولت الأحداث؛ فبعد انصراف النساء؛ هَرعَ إلى مجاهد من إدارتين متجاورتين ثلاثة من الزملاء، بينهم "مخيول"، وزميل في الحزب الوطني

مُنهزمًا، فسعى الزميلان في إثْرِهِ يطاردانه؛ وكان قد احْتد نقاشهم بسبب خطاب الرئيس فلاذ منهم إليه:

- احْكُمْ أنت يا شيخ مجاهد..السيد الرئيس أعلن في بيانه للشعب عن تشكيل وزارة جديدة، بتكليفات محددة، وعن مزيد من الديمقراطية، والحريات، ومحاصرة البطالة؛ فأصبح الناس لا يعجبهم شيئًا!.. فَهتف الزملاء في نفس واحد:
- الشعب يريد إسقاط النظام.. وطالبوه بحَلّ مجلس الشعب المزَوَّر، ومجلس الشورى.. فعاونهما مخْيول بمزيد من الطلبات:
- وإجراء تعديلات دستورية فورية تتيح لكل من شاء أن يترشح لرئاسة الجمهورية.. فلاذ عضو الحزب الوطني بمجاهد:
- أخبرنا أنت يا شيخ.. كيف يطالبان بحل مجلس الشعب، ومجلس الشورى؟! وفي ذات الوقت يطالبان بإجراء تعديلات دستورية؟ لن يتأتى ذلك والمجلسين مُنحلين! فمن يصدق على التعديلات الدستورية؟! هذا تعنت.. فعَدَّلوا من طلباتهم؛ وكأن الحل، والعقد بات بأيدي هؤلاء النفر الثلاثة:
- يِحلّ مجلس الشعب والشورى، ويعلن أنه لن يرشح نفسه لرئاسة الجمهورية، لا هو ولا ابْنه، ويتخلى عن رئاسة الحزب الوطني.. فقال عضو الحزب المنهزم:
- السيد الرئيس عنيد، ويرفض التهديد، وقال: هناك مخطط لزعزعة الاستقرار، والانقضاض على الشرعية.. وتابع يلوذ بمجاهد:

- أخبرنا يا شيخ؟ أي فوضى أحدثوها؟ نهب وحرق؛ وهو ما حَذَّر منه السيد الرئيس؛ بادرت الشرطة إلى حمايتهم قبل أن تتحول التظاهرات لأعمال شغب تهدد النظام العام، وتعيق الحياة اليومية.. السيد الرئيس أعلن: أن خيطًا رفيعًا بين الحرية، والفوضى؛ وحذر من مما يحيط بنا من أمثلة انزلقت بالشعوب إلى الفوضى؛ فلا ديمقراطية حققت، ولا استقرار حفظت.. واستبسل في استنصاره:

- يا شيخ، المتظاهرون حرقوا مقار الحزب الوطني في عدد من المحافظات، بخلاف مجمع المحاكم بالقاهرة.. ففاجأه مجاهد:

- وأنتم، أين كنتم أعضاء الحزب الوطني عندما فُعِلَ بمقار حزبكم ذلك؟! قلتم إنكم ثلاثة مليون عضو، بخلاف عائلاتكم؟؟

- يا شيخ، لو خرجنا لوقعت مذبحة.. ونشط لمَّا رأى منه إنصاتًا؛ ألم يرفعوا منذ البداية لافتات سلمية، سلمية؛ فلمَّا غابت الشرطة بان قصدهم؛ أخذوا في إشعال الحرائق والتخريب؛ كانت دعواهم، عيش، حرية، عدالة اجتماعية، كرامة إنسانية؛ فظهرت الصورة جلية؛ نهب، وفوضى، وحرائق، ومخطط لزعزعة الاستقرار، والانقضاض على الشرعية!.. السيد الرئيس بحكم مسئولياته لن يتهاون في اتخاذ قرارات تحفظ لكل مصري، ومصرية أمنهم؛ وسيدافع عن أمن مصر، واستقرار البلاد.. فردّه لتمسحه بالرئيس:

- أنتم، شِلَّة منتفعين؛ لما ذهبت مصالحكم ذهبتم مستخفين!.. فأنبأ العضو في انكسارٍ:

- يا شيخ؛ جاري الإعداد لمظاهرات حاشدة في جميع المحافظات لتأييد السيد الرئيس.

تلك الآونة نضح كلٌّ إناءٍ بما فيه؛ فمن مبشرٍ كالأهرام المسائي الأسبوعي، الجريدة الحكومية: إقالة حكومة نظيف.. ارتياح بالشارع بعد سيطرة الجيش؛ وأسفل عنوان المؤامرة، كتب رئيس التحرير: البيان الذي وجهه أمس الرئيس حسني مبارك إلى الأمة، وضع الكثير من النقاط على الحروف؛ أسقط أوراق التوت عن عورات المخربين، والمحرضين؛ وخلع الأقنعة عن الوجوه المشوهة للمدَّعيين، والمزايدين، والمنتفعين، والذين في قلوبهم مَرَضٌ وغَرَضٌ؛ ولأن الرئيس يؤمن بالرأي، والرأي الآخر؛ فقد شددت تعليماته للحكومة على إتاحة الفرصة أمام المتظاهرين للتعبير عن آرائهم ومطالبهم، إلا أن البعض استغل ذلك، وحاول ركوب الموجة، والمتاجرة بشعارات المظاهرات..

أمَّا جريدة الدُّستور المعارضة، فبشرت يوم التاسع والعشرين من يناير: التغيير قااادم.. قااادم..مصر كسرت حاجزًا للخوف.. وإعلان حظر التجوال.. معارك بالرصاص الحَيّ في شوارع السويس، وإحراق ٧٠ سيارة شرطة..

سقوط أول شهيد في جمعة الغضب بميدان عبد المنعم رياض.. فودافون: السلطات الأمنية أجبرتنا على وقف خدمات المحمول..أنباء عن تهريب ١٠٠ مليار جنيهٍ لـ ١٠ رجال أعمال بارزين في الحزب الوطني٠٠ فلان للدستور: لابد من إصدار قرار رئاسي فوري بتغيير الدستور، وتحقيق جميع مطالب الديمقراطية؛ لم يعد هناك وقت..

وتحولت المسيرة السلمية التي كان قد دعا إليها عدد من المدونين على مواقع الفيس بوك يوم جمعة الغضب، إلى حالة من الفوضى بعد انسحاب الشرطة، وقيام عناصر خارجة على القانون بالسطو، والهجوم على بعض البنوك، والشركات، والمحلات المختلفة؛ وسرقوا ما فيها من أموال وبضائع؛ فجاء قرارُ الحاكم العسكري:

- نظرًا لما شهِدته بعض المحافظات من أعمال الشَّغْبِ، والخروج على القانون، وما شهدته من أعمال النهب، والتدمير، والحرق، والاعتداء على الممتلكات العامة والخاصة، بما في ذلك بعض البنوك، والفنادق؛ أصدر الحاكم العسكري قرارًا بحظر التجول بمحافظات القاهرة الكبرى، والإسكندرية، والسويس من الساعة السادسة مساءً حتى الساعة السابعة صباحًا؛ ابتداءً من الجُمُعَة الثامن والعشرين من يناير، ولحين إشعارٍ آخر...

وبالليل؛ عندما رجع مجاهد فجلس إلى التلفاز؛ تحدث أحد المواطنين مع مراسل القناة الأولى:

- هذا وقت تكاتف المصريين؛ ينبغي لكل مصري أن يساهم بأي مصلحة لهذا الوطن.. وقال يصف المشهد بعد اختفاء الشرطة من الميدان:
- - بسم الله؛ ما شاء الله؛ الشعب المصري شعب أصيل، في كل شارع تجد اللجان الشعبية المعاونة، نحن هنا نعقد لجنتين؛ نتناوب السهر لحراسة الشارع، نفتش كل دخيل أو مشتبه فيه يريد أن يخترق الحواجز التي أقمناها بالشارع، ومن يضبط على الفور نسلمه للجيش؛ سلاحنا المعاون هو الشّوم، وأمام كل عمارة يَحْرسُ آخرون حتى الصباح معهم أيضًا الشّوم، وبعض الأسلحة الشخصية المرخصة؛ في كل الشوارع تجد الشباب الأشاوس واقفين؛ ناس تنام وناس مستيقظة، البلد هذه بلدنا، مصر بلدٌ عظيم، ليست بلدًا لأحدٍ غيرنا، وهذه سحابة تمر.. فسأله المراسل يضرب بالكرة محيط المتظاهرين:
- ألا ترى أن هناك يدٌ خفية تعبث في أمن هذا البلد؟ وإلا كيف تفسر هذا الاعتداء على الأقسام، واقتحام بعض السجون في آن واحد، وإطلاق سراح المساجين، وإشعال النار في كثير من سيارات الشرطة؟!
- أقول إن هناك مؤامرة على هذا البلد، وأقول لهؤلاء المخرّبين من أبناء هذا الوطن أنتم تحْرِقون مال الناس ومال الشعب.

وانتقلت الكاميرا تصف محلات للملابس الجاهزة خالية تمامًا من الزبائن، ثمَّ انتقلت إلى بائع فاكهة لا يجد من يشتري منه فقام على بضاعته بإعادةَ صفّها لتظهر للرائي في شكلٍ جديد، فاقترب المراسل يتحدث إليه، فقال دون أن يرفع عينيه عن بضاعته التي يشفق عليها:

- خلـي البرادعـي يفـرح والإخـوان! فأقبـل إلـى الكـاميرا بـائع متجـول ليقسم:

- عليّ الطـلاق مـا كسبت جنيـه واحد مـن ثلاثـة أيـام.. فعلـق المراسل للتلفاز:

- المظـاهرات وقفت حـال محـلات وسـط البلد وشبرا.. وعـادت الكـاميرا إلى المذيعة، فاتصل على الهواء نقيب شرطة لم يفصح عن اسمه:

- عاوزين نُعَرّف سيادة الرّيّس ما تم من خيانـة!.. جاءتنـا أوامـر مـن القيادات بأن نجلس في بيوتنا لحين ما يبعثوا لنا، فلم يتصـل بنـا أحدٌ؛ ونحن جالسون في بيوتنـا حتـى الآن؛ وأريد أن يعْرفَ الـرَّيّس مـا تـم من تزوير في الانتخابات.. كنَّا في الصباح مع المأمور، أقسمنا علـى المصحف؛ بأنه لا تزوير.. ومشى الأمر تمامًا حتى الساعة الخامسة، فأعطانـا المـأمور تعليمـات بـالتزوير؛ وقـال: لا أريـد مشـاكل! جـاءه تليفون..

بأن موظفي الدولة في مشهد مرتبك تمامًـا؛ كلٌ يرتجل عملـه ارتجـالًا؛ هـذا إن كـان الشـخص لا يـزال يعمـل، وبـأن بـطء المسئولين فـي اتخـاذ القـرار.. وغضـب مجاهـد، وزوجتـه لاستمرار المظـاهرات، والاعتصـام بعد خطاب مبارك؛ وحال الانفلات الأمني الرهيب الذي ساد البلاد؛ وكانا لا يكادان يتفقان فـي رأيٍ حـول مبـارك خاصـة؛ يـراه مجاهـد شخصًـا بـلا

رؤيـة؛ يقطـر قطـرًا مـا وجـد عليـه سـلفيه عبـد الناصـر والسـادات، وزاد الأخير إفسادًا؛ أن أصبح في زمانه الكلّ عينيه مفتوحتين لمصلحته فقط، والناس يشبه بعضهم بعضًا في التسلّق والنفاق، وكـأن شـعبًا بأكملـه سُلِبَ فـي لحظـةٍ مـن الـزمن كُـلّ المزيـات!.. وبـات مبـارك قـدوة سـيئة بسـعيه توريث أحد أبنائه الحكم، فقال مجاهد لزوجته وهما يتبعان المشهد:

- أحسبه وعى الدرس؛ بتعيينه عمر سليمان نائبًا لـه؛ وأعتقد أن الله أراد لمصر أخفَّ الضررين؛ فلو أبـى أن يتـرك السلطة إلا أن يعهد بها لولده لكانـت مـذابح، ولخـرج عليـه الشـعب كلـه، وكـان وزوجتـه وولـداه أوَّلَ الهـالكين.. فراحـت تفكـر لأول مـرة وتَعتبِرُ لحديثـه، - وكانـت تـدافع عـن مبارك على خط مستقيم! -.

وشرّ البَلِيَّةِ ما يضْحِكُ!! ففي هذه اللحظة كان يجري علـى شاشـة التلفـاز عرض مجموعة مـن الخـارجين علـى القـانون بحـوزتهم سـرقات ضُـبِطوا بهـا؛ كـان جميعُهم جـاثمين، أذرعهم للـوراء، قيـدتهم الشـرطة العسكرية، فأبوا أن يتحدثوا إلى المراسل، وحاول بعضهم أخذ وجهه ناحيـة متحاشـيًا الكاميرا، والبعض نكَّس رأسه، وظل معتادو الجريمة بملامحهم الصـارمة ينظـرون فـي جـرأة وصـمت، إلا شخصًـا تَفَطّـر بالبكـاء، مـا أن اقتـرب المراسل منه حتى انفرط يحكي بالدمع حكايته كذلك:

- كنــت واقفًــا، فــرأيتهم دخلــوا شــالوا وجَـرُوا؛ فـدخلت شـلتُ وجريـت وراءهم، فسأله المراسل:

- ألا تعرف أن هذه سرقة، وأنها أموال ناس؟! فأسرع في نبرةِ صدقٍ، وهو يبكي مستعطفًا بشدة:

- أول مرة والله، وتحروا عنّي.. وطالع في وجه المراسل في رجاء كأنَّه قاضيه الذي إليه إطلاق سراحه.. ففاضت بالدمع عينا مجاهد، وقال يُحدث زوجته:

- لو كنت قاضيه لأطلقت سراحه؛ هذه بَقِيّة من فَطرٌة سليمة..

ويوم الحادي والثلاثين من يناير، بدا أن خطورة المظاهرات قد اختفت، فبدأ ظهور مشكلة أخرى؛ طوابير تَكَدَّست في الصباح أمام المخابز، وبدا الناس في غاية الصعوبة، ولابد من عمل جميع المخابز في كل الأوقات حتى لا تتعرض البلاد لمشكلة؛ وحتى يتم التشكيل الوزاري الجديد، كان قد تم إقالة وزراء لسوء أدائهم، أو لعدم قبول الشارع لهم، فَأقيل بعض من كان يؤدي واجبه بكفاءة أبرزهم؛ وزير الصناعة والتجارة الخارجية "رشيد"، وأُبقيَ على وزراء غير مرغوب فيهم كوزيرة القوى العاملة، ووزير البترول "سامح فهمي"؛ فقال رئيس منظمة حقوق الإنسان لمذيعة البرنامج المسائي الأشهر في حوارها معه:

- عندما أعلن الرئيس عن تعيين نائب رئيس الجمهورية، قابل المتظاهرون الخبر بالتصفيق، والتهليل، والفرح؛ وقالت قناة الجزيرة في نفس الوقت؛

أن الخبر قوبل بالتوبيخ! وقالت تلك القناة: يا ليته ما طلع، ولا تكلم.. ونادوا برحيل مبارك.. فسألته المذيعة؛ فصدق عليها:

- نعم؛ لا بد من وضع آلية للتغيير.. فطاردته:
- أسال كيف ؟.. قال:

(١) حل البرلمان.. فابتسمت تحثه: هي؟ قال:

(٢) تشكيل حكومة إنقاذ وطني.. وحول انسحاب أجهزة الأمن دون التفاوض مع القوات المسلحة أجاب:

- أغلب من حرق مقارّ الحزب الوطني، كانوا من البلطجية الذين كانوا يستخدموهم في الانتخابات، لأنه لا أحد يعرف مكان الأشياء التي سُرِقَتْ إلا إذا كان قد دخل المكان من قبل.. وتداخل صحفي بجريدة الوفد حاضرًا اللقاء:

- عاوزين منافسته!.. وبشأن هروب المساجين من السجون أجاب:

- أنا قاعد في البيت، وسلاحي جاهز، وبجانبي٢٠٠ طلقة، متوقع أن يدخل عليّ بلطجي، أو مجرم في أي وقت.. وأجاب الضيف مقدمة البرنامج في سؤالها عن الفساد:

- في التشكيل الوزاري الجديد قال الرئيس: أطالب بالمحاربة، والمواجهة بكل القوة، والقسوة للفساد بجميع أنواعه على كل المستويات أيًّا كانت.. وأردف:

- السنة القادمة لأكاديمية الشرطة ستكون أقل هيبة، لأن هيبة الشرطة قَلّتْ، لم يعد لهم الهيبة والعظمة.. بعض الضباط يقول: نحن من يتعب؛ نقف دوريات، ونتعرض للخطر، ويقف يومنا بثلاثين جنيهًا، أما مساعدو وزير الداخلية فيأخذون٢٠٠٠٠٠ جنيهًا شهريًّا.. وفي سؤالها حول تغيير النظام أجاب د" فندي" على لمْزها للنظام:

- تغيير النظام يعني؛ تغيير المنظومة ككل، وليس شخصًا معينًا؛ إن لم نصل إلى درجة احترامنا لأنفسنا لن يحترمنا أحدٌ.. فطاردته:

- وللخروج من هذه الأزمة؟ فاستطرد:

- تحقيق مطالب المتظاهرين، والتخلي عن شَخْصنَةِ المشهد، ودراسة الفجوة بين المطالب والمواقف؛ ولابد من الفصل بين الوزير المهنة، والفرْعنة؛ الناس تطالب بتغيير الرئيس لأنه بعيد، لا تطالب بتغيير رئيس مجلس إدارة؛ إنما للصبر حدود.. أمَّه نعيـمة؟ نعمين، هو رئيسنا فين؟! قُولُوا له! قولُوا له! قولوا له الحقيقة أبو عيون جريئة.. الضيف يترنَّم بمقطع أغنية تندرًا على مبارك؛ فانفجرت المذيعة في ضحكتها المجللة، وصوتها الفضي الأخّاذ تُدهشُها المفاجأة لنجاحها في استدراج الضيف وولوجه حيث أرادت..

وعلَّمت التجربة مجاهد أنّه لو كان مُستقبلًا من أمره ما اسْتَدبر، ما أطلع امْرأة ما على نقطة ضعفٍ له أبدًا؛ فالمرأة إنْ ركبت لن تنزل؛ والذنب حينئذ

ذنبُه.. فابنة أخيه؛ حبيبة أمّها فاطمة؛ الأنثى على ذكرين لمّا عَنَّفها والأولاد الذين يحضرون معها درس القرآن على الضوضاء، مكثت في عنادٍ تضرب برِجْلها الأرضَ كلما صعدت السُّلَّمَ أو نزلت؛ ولأن نَعْلَها خَشَبٌ يفرقع بِشَكل مُزعج جدًا.. اتصل بالتليفون على بيت أخيه:

- السلام عليكم يا أم فلان؛ أنا فلان، ابعثي لي فاطمة.

- فاطمة نائمة؛ زوجة أخيه بنبرة مُستنكفة؛ فَغَضِبَ:
- أنا سامِعُ البُنَيَّةَ تتحدث معك! تمنعين بُنية من عَمّها؟!
- يعني، أنا بَكْذِبْ، يا حاج فلان ؟!.. وَتَرْكًا للجَدَلِ؛ قال:
- عمومًا، عندما تصحو البنية قولي لها: عَمُّك يَطْلُبكِ؛ وأنا قاعد في البيت لن أخرج؛ فقالت:
- بصراحة يا حاج فلان، فاطمة تخاف منك، لَوْ قُلْتُ لها؛ لن تنزل.
- لأجل هذا أطلبها للتفاهم، متى صَحَتْ قولي لها: عَمُكِ يريد التحدث معك.. فنادت ابْنَها الأكبر، فأعْطَتُه سماعة التليفون:
- خُذْ كلم عَمَّكَ.. فأعاد طلبه على ابن أخيه:
- عندما تصحو فاطمة ابعثها لي، قُل لها؛ عمك يريد التحدث معكِ.. فأجاب الشاب في أدبٍ جمٍّ:
- حاضر يا عم..عندما تستيقظ، أُرْسُلُهَا لحضرتك.

فظل في مرقده، وكان قد استيقظ على قَرعِ البنية الشديد لِسُلَّمِ البيت وهي تهبط، فراح يقرأ؛ يُفرّجُ عن نفسه ويهدّئ من غضبه، وأذنه على الباب؛

فسَمِعَ قرعًا لطيفًا للباب لم يسمعْ قَبْلَهُ خشخشة نعلٍ، فهبَّ مُشفقًا، وحَزَرَها البنية، وأنها في شِدة خوفٍ، فسأل في رفق:

- مَنْ؟

- فاطِمةُ يا عم.. فأسرع بفتح الباب؛ وكان قد حرص على أن يحمل في يده الكتاب الذي كان يقرأه، ليشعرها أنه في شغْلٍ فتطمئن ولا تَرْهَب.

دخلت البُنَيَّة مُنْكَمِشَةٌ إلى النّصفِ تمشي على أطراف أصابعها فَرَاعَهُ ذلك، فأخذها تحت جَناحِهِ، وسار بها، وأسرع يحدثها ليذْهِبَ عنها الرَّوْعَ:

- ماذا يا فاطمة؟ أنا عمُّكُ الذي يُحِبُّكِ كأبِيك تمامًا وابتسم، بل أظنَّني أُحِبُّكِ أكْثرَ منه، أتصدقين؟! أنا لا أُرِيدُكِ إلا في أحسن صورة يحبها الله، ويراكِ الناس عليها.. وقال:

- أنا طلَبْتُكِ لنتحدثَ معًا؛ أعرف مِنْكِ أولًا ما الذي يغضبك مني؟ وأُعَرّفُكِ بالذي يَجْعَلُني آخذ على خاطري منك؟ فأجابت في براءةٍ:

- وهل أحدٌ يغضب من عمه؟! الولد حسام والبنت شيماء، هُما من كانا يجريان على السُّلم، فقُلتُ لهما هـ أقُولُ للأستاذ.. فلم يسمعاني وظلا

يجْريان وراء بعضهم بعضًا على السُّلمِ؛ قالت كذلك.. فقال يشير لها إلى مضجعه:

- أرأَيْتِ كيف ينام عمك؟! على الأرض منفردًا في حجرةٍ بعيدة عن الأصوات، أضعُ زوج من الوسائد فوق أذني، أتعلمين لِمَ؟! لأن لو جاءني صوت من الشارع، أو تقلَّب جنبي إنسان؛ ولو كان امرأة عمك لَصَحَوْت؛ عُمُّكِ نومه خفيف جدًا يا فاطمة، هكذا خلقني الله فماذا أصنع؟! أرجع من العمل فأحتاج أن أنام وَلَوْ ساعة حتى أستطيع أن أُعي ما أقول، وأفهمُ ما أقرأ.. تعلمينَ، يوما الاثنين والثلاثاء عندي درس؛ أسبوع وأسبوع، ويوم الأربعاء من كل أسبوع؛ درسي لجدتك الحاجة، وعَمَّاتك، ونساء مِنَ الجارات؛ أنا أجلس إلى الناس أكلمهم، والناس لا ترحم؛ لابد أن أَزِنَ كُلَّ كلمة وأفْهمْ، وهذا يحتاج إلى نومٍ، ومِزاجٍ رائقٍ وهدوءِ أعصابٍ، انظري إلى حال عمك!.. وأخبرها بأسىً:

- أتعلمين أني كنت نائمًا، فأيقظني قَرع نعلك؟! أنا أعلم أنّكِ تحاولين السير بهدوء؛ ولكنَّا نعْجبُ لهؤلاء الصُّنَّاع! يصنعون أحذية نعلها خشبًا فتحدث ضوضاءَ شديدةً؛ وليست هذه النعال الخشبية مؤذية للآخرين فقط! بل لصاحبتَه التي تسير فيه، لأنه نعلٌ عالٍ صَلْد يؤذي القَدَمَ والظهر معًا؛ فأجابت في براءة:

- أَبيه أحمد - أخوها الأكبر - قال لي..النعل العالِي يؤذي الظهر.. قال:

- لأجل هذا بحثت في السوق عن نعلٍ غير مزعجٍ؛ انظري؟.. - واستخرج نعلًا جديدًا - اشتريته من يومين بخمسة وعشرين جنيهًا ولم ألبسه بعد، حَرِصْتُ أن يكون ليّنًا؛ جلدًا كي لا يفرقع؛ فيحدث ضوضاءً تفزع الناس؛ ولولا درس الغْدِ لنزلت معك الآن لأشتري لك حذاءً مثله، بدلًا من هذا الخشب الذي تلبسين؛ مَهْمَا مَشَيْتِ بهدوء أحدثَ فرقعة، فآذيتِ عَمّكِ وهو ينام، لكن أعط النقود هذه أباكِ؛ أكيد يعلم مقاسك جيدًا، ليشتري لكِ حذاءً جلدًا كعبه ليس عالٍ؛ أمَّا هذه؛ خمسة جُنيهاتْ فهي لكِ، فأنا منذ زمنٍ لَمْ ألقكِ، ولَمْ أعطكِ شيئًا؛ ومد يده إليها بالنقود، فاسْتَحْيَتْ:

- عندنا نقود، والله يا عم.

- يا فاطمة، نُقُودُ عُمّكِ نقودكِ؛ وعَمُكِ كأبيكِ؛ ثم إنّي من تسبب في الخسارة، وأطلب منكِ أن لا تلبسي هذا النعل السيئ؛ فعندنا في الشريعة؛ من تسبب في شيءٍ، جاز أن يُنسبَ ذلك الشيء إليه؛ فهذه النقود حقك؛ خذي، خذي.. فأجابت:

- جزآك الله خيرًا يا عمّ؛ وأخذتها، فأردف في رحابةِ صدرٍ:

- إذا أغضبك عَمُّكِ في شيءٍ، تعالي فحديثه؛ فإن وجد لك حقٍ أعطاكيه، واسترضاكِ..

هنا فُتح باب الشقة ودخلت زوجته؛ فأقبلت فوقفت في فتحته باب الحجرة تَرْمُقه، وتنظر إلى البنية دون كلمةٍ؛ فاستدرك، وابتسم في كياسةٍ؛ وقال يحرضها على التحية:

- سلمي على فاطمة.. فقالت في نبرةٍ معوجةٍ تبكّته:

- سلمي على فاطمة؟! وتابعت تذكّر البنية بذنبها تمط المدّ مطًّا:

- سلاماات يا ست فاااطمة ؟!.. وسألت في شكٍ عما يحدث في غيبتها؟!.. فاستدرك للبُنية يلطّفُ:

- على فكرة؛ امرأة عمك تحبك؛ وإن كانت آخذة على خاطرها منكِ بسبب الموضوع الذي تحدثنا فيه؛ ولو فعلت معكِ شيئًا ليس لها فيه حق تعالي آخذ لك الحق منها؛ وإن كان لها الحق أخذناه منك.

هنا رنَّ جرس التليفون.. وهاتفه ابن أخيه، يسأله عن حال البنية معه، وَيُعْلِمُ أن عندها الآن درسًا؛ فأجابه:

- فاطمةٌ عَسَلٌ؛ عرفت أن عمها يُحِبُها، وعالجنا ذلك الخوف وتفاهَمنا معًا، وهي الآن صاعدة إليك..

وغادرت البنية؛ فغبرت له الزوجة سحنتها.. فقال:

- تصلح شأنًا، فتعْوجُ شؤونًا؟!.. وسألها:

- ما لك؟؟

لم تُجب؛ فاسترضاها، فقَصَّ تفصيلَ ما حدث في غيابها؛ فكشفت عن سبب غضبها المفاجئ:

- كيف تسوّي بيني وبين عيّلة؟ أيّ شرع هذا الذي يُؤاخذُ فيه الصغير الكبير، ويعاقبه؟!

- يا شيخة؛ أنا قلت ما قلتا استدراكًا لفعلكِ، دَخْلْتِ فلم تكلمي البنية وهي ضيفتنا، فعالجت الموقف حتى لا تحمل في صدرها منكِ.

- بل يجب أن تؤنَّب لما شغالة علينا نازلة تَدِبُ وطالعة تدب؛ ولا أحدَ يقول لها عيبًا.

- طلبتها فحضرت، وعالجت معها الموضوع.. قالت:

- وتفتكر ها تستجيب؟!..قال:

- ما على الرَّسُولِ إلا البلاغُ.

وبعد يومين؛ لمَّا مرّ بأمّه، وكان راجعًا من المسجد فخضعَ يُسلّم عليها، وكانت جالسةً أمام الدكان، فاستخرجت في تَحَسُّب شيئًا مدت يدها إليه به؛ فمد يده وأخذه مهموما؛ كانت طَيَّةَ النقود؛ الخمسة والعشرين جنيهًا

التي أعطاها البنية منذ يومين، فتغير وجهه؛ وصلته فحوى الرسالة إلا إنه لم يعقّب؛ فتحدثت أمّه تلطُّف للموضوع:

- أعطاهاني أخوك، وقال: الخمسة جنيه التي أعطيتها مصروفًا لفاطمة تركها لها، وأعطاني باقي النقود لأعطيها لك؛ فأخذه وانصرف يغضب في نفسه؛ ولما دخل الشارع لمح ابن أخيه الأكبر داخلًا البيت فناداه، وقال في حَزْمٍ؛ وأعطاه النقود:

- إذا أعطيت البنيةَ، أو أعطيتكم شيئًا؛ فلا يُرد عليّ؛ وبَيَّنَ.. ليس معنى أن أخصكم بشيءٍ أن الوالدين عاجزان عن النفقة عليكم؛ أنا من طلب من البنية أن تطرح عنها ذاك النعل الخشبي؛ وَشَرْعًا؛ من تسبب في شيءٍ، جاز أن يُنسب ذلك الشيء إليه.. فَتَقَبَّلَ ابْنُ أخيه منه النقود قبولًا حسنًا.. وقال في أدبٍ جمٍّ:

- جزآكم الله خيرًا يا عَمُّ.. فقال وقد ذهب غضَبُهُ:

- وجزآك..

* * *

و"ما رَمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ وَلكنَّ اللهَ رَمَى"..

مُبارك يتنحَّى عن الحكم بهذه السهولة؟!.. اجتاحت الدهشة، والفرحة العارمة، وصيحات عدم التصديق المتظاهرين؛ تاريخ لا ينسى يوم الحادي عشر من فبراير ٢٠١١م أُخِذَ مجاهد أخذًا، وكان من القاعدين عن التظاهر في البيوت؛ من حزب الكنبة، وهمّ السواد الأعظم حينها؛ وتساءل أيفرح؟! أم يحزن؟! وكان للحزن أقرب؛ إشفاقًا من المجهول، لمْ تعدم مصر رئيسًا سِنين طويلة!.. وتابعَ اللواء/عمر سليمان؛ يعلن من مقر رئاسة الجمهورية بيانًا أذاعه التلفزيون المصري على الهواء مِرارًا:

بسم الله الرحمن الرحيم؛ أيها المواطنون، في هذه الظروف العصيبة التي تمر بها البلاد؛ قَرَّرَ الرئيس محمد حسني مبارك، تخليه عن منصب رئيس الجمهورية، وكلف المجلس الأعلى للقوات المسلحة؛ إدارة شئون البلاد، واللهُ المُوفِقُ والمستعان.

تلي نائب الرئيس هذا الكتاب القصير واقفًا عند مقاطعه، متابعًا بنَظرةِ شُموخٍ وصرامة، إلا أن النَّبرة كان ملؤها الحزن العميق، ففاضت من الفرحة والدهشة معًا عينا مقدمة البرنامج المسائي الأشهر لانفراج الأزمة العصيبة التي عصفت بالبلاد، ومجيء الفرج كهذا سريعًا!.. وتحدثت مفطورة تبكي، وهي التي شاهدها مجاهد - بالأمس القريب - غاضبة عندما أعلن الرئيس أنه يرفض الإذعان

لمطلب المحتجين، وبعض القوى السياسية، بالرحيل عن الحكم؛ وأنه لم يكن ينتوي الترشح للانتخابات المقبلة، ولم يكن في يومٍ من الأيام طالب سلطة، وأنَّه تفانى في خدمة مصر خلال فترات الحرب والسلام، ويشعر بالفخر بإنجازاته على مر السنين في خدمة مصر وشعبها، وأنَّه سيعمل لفترة الشهور القليلة المتبقية من ولايته، على الحفاظ على الاستقرار، ذلك تمهيدًا لنقلٍ سَلِسٍ للسلطة: "هذا عهدي إلى الشعب خلال ما تبقى من ولايتي كي أختتمها بما يرضي الله، والوطن، وأبناءه".. وخطته؛ أنه يدعو البرلمان بغرفتيه قريبًا لمناقشة إصلاحات عميقة على الدستور، تشمل مادتي ٧٦؛ ٧٧ بما يتيح توسيع قاعدة الترشح لزعماء أحزاب المعارضة، والمستقلين؛ وإنه فضّل مخاطبة الشعب، بعد أن رفضت القوى السياسية والمعارضة عرضًا للحوار، وأن مصر بلاده، وهي المكان الذي عاش فيه، وقاتل، ودافع عن أراضيه، وسيادته، ومصالح أبنائه، وأنه سيموت على أرضه..

جاء الخطاب ليضيف غموضًا يحيط بتسلسل الأحداث وتلاحقها، فماذا بشأن مشروع التوريث؟ فهل تعهده بعدم الترشيح ينسحب على نَجْلِه؟... وكان التلفزيون المصري الرسمي قد أعلن عن الخطاب قبل ساعتين من إذاعته، فجعل أنظار العالم في حالةِ ترقبٍ وتَكَهُّنٍ لما يمكن أن يحتويه، خصوصًا بين جموع المتظاهرين في ساحة التحرير، الذين تفرقوا إلى أماكن مختلفة لمشاهدة الخطاب،

وبدا أن البعض يعتقد بأن الخطاب سيكون حول التنحي؛ وحين جاء الخطاب مُتَوقعًا ومنطقيًّا لدى مجاهد، ومتابعي الأحداث، ممن يعرفون شخص مبارك، قام المعتصمون في ميداني التحرير في القاهرة، والشهداء في الإسكندرية برفضه والهتاف بسقوط مبارك؛ فقالت هذه المذيعة عينها لضيفها تعجب من التمسك بالسلطة حتى الرمق الأخير!:

- أسَمِعْت يومًا عن وزيرٍ تركها إلا أن يُقالَ؟!

- ربما حدث من وزيرٍ سابق "عصام شرف"؛ وزير النقل والمواصلات في إحدى الوزارات السابقة. فجعلت تُشكّكُ:

- الناس تسأل عن الضمان للوفاء بهذا التعهد؛ فقد يتم الالتفاف عليه ونفاجأ بما كان يحدث في العهود السالفة؛ يخرج علينا من حيث لا نحتسب من يطالبه بالبقاء؟ - تشير لما حدث عندما تنحى عبد الناصر فخرجت الجماهير هادرة تعيده للسلطة -.

- حالة عبد الناصر حالة مختلفةً؛ الرجل كانت له شخْصية طاغية على الجماهير.

- الناس تقول: طوال ثلاثين سنة ونحن نسمع وُعُودًا، ولم تَعُدْ تُصَدّقُ، ويريدون ضمانًا.

- يا أستاذة مُنى الميادين والشوارع لا تزال مفتوحة؛ والذي خرج من القُمْقُمْ لن يعود.. أجابت:

- الناس تخشى العَوْدَ إلى الخنوع، والإحباط سريعًا ما يدْرِكها فقد لا تستطيع تجميع هذه الحشود ثانية؛ ألا تعتقد أن القرار السياسي بطيء، دائمًا تأتي الاستجابة للمطالب متأخرةً؟ وبعد ضغط؟! خرجت المظاهرات في ٢٥ يناير، فلم يأتِ خطاب الرئيس إلا يوم ٢٩ ليحل الحكومة، وَيَعِدُ بحل المشكلات بعد جمعة الغضب؛ وبعد مضي ثلاثين سنة من التساؤل عن سبب عدم تعيين الرئيس نائبًا له، يأتي اليوم ليعين نائبًا؟ فتستمر المظاهرات في التحرير رافضين تعيين نائب للرئيس؛ ودائمًا نعجز عن الحصول على المعلومة، أو إجابة شافية، ويختفي المسئول في الوقت الذي يكون خروجه لحديث الناس واجبًا؟ فأجاب الضيف:

- نعترف؛ بأن هناك بطئًا، وارتباكًا عند متخذ القرار السياسي؛ لذلك سقف المطالب في تزايد.. عَيَّنَ مبارك "عمر سليمان" نائبًا له، فخرجت هتافات في ميدان التحرير تقول: لا مبارك ولا سُلَيْمان؛ كُلّ هذا كان زمان.. وتابع يؤكد:

- حَسْبَما الدستور، لا يمكن لنائب الرئيس حَلُّ مجلس الشعب، أو حَلُّ الوزارة، أو طَلَبُ تعديل الدستور؛ هذا من سلطات الرئيس. وأعتقد أن الرافضين للخطاب لا يَدْرُونَ عن ذلك، لذلك هم ثائرون..

فقامت في اليوم التالي العديد من المظاهرات الشعبية تؤيد خطاب الرئيس في عددٍ كبيرٍ من المدن المصرية، كما تَمَّ عودة خدمة الانترنت في جميع أنحاء البلاد؛ بعد توقف دام خمسة أيامٍ، وكان الاعتصام الذي يقيمه مناهضو الرئيس في ميدان التحرير قد دخل يومه الرابع عشر؛ ومنع المعْتصِمُون الجيش المصري من فتح أهم مُجمع حكومي في التحرير، رافضين عودة الحياة الطبيعية إلى هذا الشريان الحيوي في قلب القاهرة، مُصرّين على إبقاء الضغط على السلطات بالتوازي مع الحوار الذي أُطْلِقَ بين الحكومة، وبين عدد من الشخصيات وممثلي أحزاب المعارضة؛ وخرج بعض المعتصمين من ميدان التحرير، وأقاموا حاجَزَيْنِ بَشَرِيْين على طرفي مدخل المجمع؛ مانعين الموظفين من الدخول إليه، ووقف عشرات الموظفين وراء الأسلاك الشائكة للجيش بانتظار تطور الوضع ومعرفة ما إذا كانوا سيتمكنون من الدخول؟

كان مبارك قد اجتمع بالحكومة الجديدة؛ حضر الاجتماع نائبه "عمر سليمان"، والدكتور "أحمد شفيق" رئيس الوزراء الجديد، ورئيس مجلس الشعب، ورئيس مجلس الشورى، ووزير الدفاع والإنتاج الحربي المشير.

وتلاحقت الأحداث؛ فرضخت السلطات المصرية في اليوم التالي لإرادة الشباب، وأطلقت سراح الناشط "وائل غنيم" الذي اختفى على أيدي قوات الأمن قبل اثني عشر يومًا، فأسرعت مقدمة البرنامج الأشهر باستضافته

عندها، ليكون أول ظهور له على الهواء من خلال برنامجها المسائي، فجلس يقص تجربته.. ويعود لوائل غنيم تأسيس صفحة على موقع " فيس بوك"؛ "كلنا خالد سعيد" التي لعبت دورًا مهما في إثارة الاحتجاجات التي اندلعت في الخامس والعشرين من يناير الشهر الماضي؛ فأكد في كلمة وجهها إلى المتظاهرين في التحرير:

- لن نتنازل عن مطلبنا في زوال النظام، ولن نستسلم.

على الرغم من إشادته أنه لم يتعرض لسوء معاملة من الأجهزة الأمنية، إلا أنه ظل فترة اعتقاله مَعْصُوبَ العينين، مُتَّعَرّضًا للاستجواب؛ لمحاولة معرفة الجهة التي وراءه، ويعمل لحسابها؟.. كانت زوجته أمريكية، ويعمل مصممًا لبرامج الكمبيوتر في دولة الإمارات، يمتلك فيلا بها؛ وفي إشارةٍ من المذيعة إلى المتظاهرين الذين قُتلوا أجاب:

- لست بطلًا؛ الأبطال هم الذين استشهدوا؛ الأبطال هم فلانٌ، وفلانٌ، وفلانٌ، وفلانٌ؛ وانفطر في بكاء متواصل لينهض فجأةً.. وحاولت المذيعة استبقائه دون جدوى؛ فتركها على الهواء في حيص بيص؛ وخَلَّفَ البرنامج، ومقدمته، وهرول خارجًا..

كانت وسائل الإعلام الخاصة كلاعب مجيد محرك للأحداث؛ قد رَوَّجَت أن مبارك سيعلن تنحيه عن السلطة نهائيًّا في خطاب يتلوه مساء العاشر من فبراير؛ وبعد انتظار حَذِر من الشعب المصري، وملايين من الشعوب

العربية؛ خرج مبارك ليعلن تمسكه بالسلطة حتى نهاية ولايته الحالية، مع تفويض صلاحيات الرئاسة لنائبه، وكان الخطاب الذي ألقاه في العاشرة والنصف قد تضمن:

الأخوة المواطنون، الأبناء شباب مصر وشبّاتها، أقول لكم قبل كل شيءٍ؛ إن دماء شهدائكم، وجرحاكم لن تضيع هدرًا؛ وأؤكد أنني لن أتهاون في معاقبة المتسببين بها - موقعة الجمل - بأقصى ما تقرره أحكام القانون من عقوبات رادعة؛ أقول لكم: إن استجابتي لصوتكم، ومطالبكم هو التزام لا رجعة فيه، وإنني عازم كل العزم، على الوفاء بما تعهدت به، بكل الجدية والصدق.. إن هذا الالتزام ينطلق من اقتناع أكيد بصدق ونقاء نواياكم، وأن مطالبكم مطالب عادلة، ومشروعة؛ فالأخطاء واردة في كل نظام سياسي في أي دولة، لكن المهم هو الاعتراف بها، وتصحيحها في أسرع وقت ممكن، ومحاسبة مرتكبيها؛ وأقول لكم: إنني كرئيس للجمهورية لا أجد حرجًا، أو غضاضة أبدًا في الاستماع لشباب بلادي، والتجاوب معه؛ لكن الحرج كل الحرج، والعيب كل العيب - وهو ما لمْ ولنْ أقبله أبدًا - أن أستمع لإملاءات أجنبية تأتي من الخارج أيّمَا كان مصدرها وذرائعها - يعني مطالبة وزيرة الخارجية الأمريكية له بالتنحي الفوري- الأبناء شباب مصر، الأخوة المواطنون؛ لقد أعلنت بعبارات لا تحتمل التأويل عدم ترشحي للانتخابات الرئاسية المقبلة مكتفيًا بما قدمته من عطاءٍ للوطن لأكثر من ٦٠ عامًا في الحرب والسلام؛ أعلنت تمسكي بذلك، وأعلنت تمسكًا مُماثلًا، وبذات القدر، بالمضي في النهوض بمسؤوليتي في حماية الدستور، ومصالح الشعب حتى

يتم تسليم السلطة والمسؤولية لمن يختاره الناخبون في شهر سبتمبر المقبل؛، في انتخابات حرة ونزيهة؛ ذلك هو القَسَمُ الذي أَقْسَمْتُه أمام الله والوطن، وسوف أحافظ عليه حتى نبلغ بمصر، وشعبها بر الأمان؛ لقد طرحت رؤية محددة للخروج من الأزمة الراهنة، ولتحقيق ما دعا إليه الشباب والمواطنون، بما يحترم الشرعية الدستورية، ولا يقوضها، وعلى نحوٍ يحقق استقرار مجتمعنا، ومطالب أبنائه؛ ويطرح في ذات الوقت إطارًا مُتَفَقًا عليه، للانتقال السلمي للسلطة، من خلال حوار مسئول بين كافة قوى المجتمع... تسهر على ضمان تنفيذه قواتنا المسلحة الباسلة؛ لقد بدأنا بالفعل حوارًا وطنيًا بناءً، يضم شباب مصر الذين قادوا الدعوة إلى التغيير، وكافة القوى السياسية... هذا الحوار قد تلاقى حول تشكيل لجنة دستورية تتولى التعديلات المطلوبة في الدستور، وما تقتضيه من تعديلات تشريعية، كما تتلاقى حول تشكيل لجنة للمتابعة تتولى متابعة التنفيذ... وإنني تجاوبًا مع ما تضمنه تقرير اللجنة من مقترحات، ومقتضى الصلاحية المخولة لرئيس الجمهورية وفقًا للمادة ١٨٩ من الدستور، فقد تقدمت اليوم بطلب تعديل ست مواد دستورية هي المواد ٧٦ و٧٧ و٨٨ و٩٣ و١٨٩ فضلًا على إلغاء المادة ١٧٩من الدستور..وتستهدف هذه المواد ذات الأولوية؛ تيسير شروط الترشح لرئاسة الجمهورية؛ تحقيقًا لتداول السلطة، وتعزيز ضوابط الإشراف على الانتخابات....إن مصر تجتاز أوقات صعبة لا يصح أن نسمح باستمرارها؛ فيزداد ما ألحقته بنا وباقتصادنا من أضرار وخسائر يومًا بعد يوم، وينتهي بمصر إلى أوضاع، يصبح معها الشباب الذين دعوا إلى التغيير أول المتضررين؛ وأثقُ أن الأغلبية الكاسحة

من أبناء الشعب يعرفون من هو حسني مبارك، وَيَحِزُ في نفسي ما ألاقيه اليوم من بعض بني وطني...واقتناعًا منّي بأن مصر تجتاز لحظة فارقة تفرض علينا جميعًا تَغْليب المصلحة العليا للوطن، وأن نضع مصر أولًا فوق كل اعتبار آخر؛ فقد رأيتُ تفويض نائب رئيس الجمهورية في اختصاصات رئيس الجمهورية على النحو الذي يحدده الدستور.. وأقول من جديد: أنني عشت من أجل هذا الوطن، حافظًا لمسؤوليته وأمانته، وستظل مصر هي الباقية فوق الأشخاص وفوق الجميع.

وكانت مراسلة أمريكية شهيرة قد طلبت مقابلته بعد إشاعة أشيعت عن هروبه وأسرته إلى دولة عربية، وهو الآن مقيمًا بها فأذيع من قصر الرئاسة على الهواء اللقاء تكذيبًا للادعاء.. قالت المذيعة الأمريكية:
- ألم تسمع الشتائم والسباب من بعض المتظاهرين؟

- مصلحة البلد، وأمنها عندي أهم من ذلك.

- إلى أي بلد تذهب بعد انقضاء فترة الحكم؟

- سأظل في بلدي، ولن أتركها، وسأموت على أرضها.

كان مجاهد قد تحول عن تلك الفضائية الخاصة؛ عندما قامت مقدمة البرنامج الأشهر تستدرك على الخطاب تحرّض ضيفها؛ فانتقدها وقال لزوجته:

- هـذه تظـل تبحـث عـن الإثـارة، تـوقظُ الفتنـةً.. وذهـب لفضـائية أخـرى، وبرنامج إخباري يقدمه زوج من المذيعين أحدهما عنصر نسائي، والآخر صحفي سـابق، كانـت المذيعـة مراسـلة سـابقة لرئاسـة الجمهوريـة لعـدة سنوات، تتبع مبارك أينما حل؛ تبعث رسائلها للتلفزيون المصري قبل أن يُعَيَّنَ متحدثًا رسميًا باسم رئاسة الجمهورية؛ فقامت والصحفي بتقديم هذا البرنـامج الإخبـاري، فوجـد مجاهـد فـي ضـيافاتهما - ولأول مـرة فـي التلفزيون المصـري الرسـمي - داعيـة المنصـورة الشـهير، وكـان ممنوعًـا من دخوله، وكـان مبـارك قد أعلن في مناسبة؛ أنـه لـن يمكن للسلفية أن تسود الـبلاد، وإذ بالمشـهد يرتبك؛ ليلـة الإعداد لمليونيـة التحـدي، لحمل الرئيس على التنحي .. فاستضـاف مُقدما البرنـامج هذا الداعيـة ليبعـث إلـى شباب ميدان التحرير برسالة تهدئة عاجلة فسألته المذيعة:

- فضيلتك نزلت إلـى الميدان، وحاولـت محادثـة الشباب فتم الاعتـداء علـى فضيلتك؟

- لـم يـتم الاعتـداءُ علـيَّ؛ ولكـن هـذا الشـباب الرائـع الـذي قـام بهـذه الثـورة البيضـاء المجيـدة، الـذين علمـوا العـالم أجمـع كيـف تكـون الثـورة بيضـاء سلمية، بينهم مـن قـرر ألا يسـتجيب لنـداء العقـل؛ وأخشـى مـا أخشـاه أن تزحف هذه الحشود الغفيرة إلى القصـر الجمهـوري، فيتحـول المشـهد إلـى مذبحـة، ويقـع الاشـتباك مـع قـوات الحـرس الجمهـوري التـي تـؤمن قصـر الرئاسة، وتسيل الدماء الطاهرة الزكية؛ فقال مجاهد لزوجته:

- بل ذهب للميدان فَشُتِمَ، وتعرض لمحاولة اعتداء لسابق مقاله عن تظاهر الشباب يوم الخامس والعشرين؛ أنهم قلة قليلة يريدون حرق الوطن؛ وخروجًا على الحاكم المسلم، والشريعة تأمر بطاعة ولي الأمر في العسر واليسر، ولا تُجيز الخروج عليه ولو كان ظالمًا، إلا في حالة واحدة، أن يكفَر. وَبدلًا من أن يثبت؛ ركب الموجة؛ ويعتبر بكلامه هذا مُحَرّضًا على الخروج على الحاكم المسلم.

- فضيلة الشيخ حسَّان، ماذا تحب أن تبعث لهؤلاء الشباب؟ خاصة وقد اسْتُجِيبَ لكثير من مطالبهم، وهم يصرون على رحيل الرئيس، والآن، وتعريض البلاد لمزيد من الفوضى؟

- يا أستاذة هناء أطالب الرئيس أولًا؛ بعدم العناد، والتخلي عن هذا الصلف، والتواضع، والاعتراف بالأخطاء، والنزول للحديث المباشر مع هؤلاء الشباب؛ وتأكيده للوعود التي قطع؛ وأقول للشباب إياكم، وهذه المذبحة، فلن يكون هناك كاسب وخاسر، بل سيكون الكل خاسرًا، وستقود الناس إلى مزيد من الأحقاد وستشعل نار الفتنة؛ هكذا نكون نحن بأيدينا قد قمنا بتنفيذ المخطط الأمريكي الصهيوني، الذي يستهدف إلى تقسيم المنطقة العربية؛ فمشروع الشرق الأوسط الكبير الذي تم إعداده منذ سنوات لا يخفى على عاقل، فلا نمنحهم فرصة تطبيقه على أرض الواقع؛ وتمزيق كيانات كل دولة إلى دويلات صغيرة لمصلحة العدو الصهيوني؛ إن مصر غالية على أبنائها، تنتظر منهم التكاتف ونبذ التناحر.

فتلاحقت الأحداث؛ وتوجه متظاهرون إلى مقر رئاسة الجمهورية من أماكن متفرقة، وقرروا الاعتصام أمامها.. فاقترح مُقدما البرنامج على فتاة من المتظاهرات استضافاها بعد الداعية؛ عمل برنامج؛ يكون معها فيه تِسْعَةٌ من الشباب من جميع الأطياف، وعمل حوار معهم بحضور كبار المسئولين لسماع مطالبهم والحوار معهم، وقال المذيع على عُجالة للفتاة في نهاية الحوار:

- وماذا أنتم فاعلون في غدٍ ؟.. قالت:

- الشباب غدًا نازلين ميدان التحرير للتعبير عن مطالبهم بشكل سلمي؛ سنحافظ على بلدنا، وسنمنع أي فرد يريد التخريب، ونحن من يتصدى له.

واتصل البرنامج بفتاة من الميدان فقالت:

- لي عتاب أوجهه لسيادة الرئيس؛ كان عارف بثورة ٢٥يناير، لِمَ لم يقم بتغيير جاد، وإجراءات لإرضاء الشباب ومنع ما حدث؟ الأحزاب والبرادعي حبوا يستغلوا ثورة الشباب السلمية، على سبيل المثال؛ جاء البرادعي يوم ٣٠ يناير للمتظاهرين خمس دقائق، وانصرف لأنه لم يتحمل الغاز، وما نحن قاعدون فيه منذ عدة أيّام! هناك قافزون على المشهد؛ هناك تصميم من المتظاهرين على رحيل الرئيس غدًا؛ فضرب "سيد علي" كفًّا بكفٍ لا يدري ما يفعل!.. واتصلت دكتورة بالبرنامج:

- أقترح للتواصل مع الشباب الموجودين في المظاهرة - وهم شباب تلقائي - طيارة هليوكوبتر عليها قوات مسلحة تدنو من الأفراد عليها لافتة: الشباب الواعي برجاء الانصراف؛ هناك مندسون لتخريب البلد.. فاتصل آخر:

- لا بد أن نتعلم حركات الاتزان في الشخصية.. يستطيع واحد أن يدخل وسط الدهماء ليحرك مليونًا، ولكن لا تستطيع مطلقًا أن تسيطر عليهم؛ دائمًا الحروب في الأمم تبدأ بطلقة.. فجاءت للبرنامج رسالة مُفادُها:

- لا بد أن نمنع حظر التجوال ليمتد طوال اليوم؛ رسالة للزعيم: لا يمكن أن ينكر رصيد هذا الرجل أحد؛ الصُّورةُ لم تصل إليه حقيقيةً؛ القبطان آخر واحد ينزل من المركب؛ ربنا يمنحه الصحة، والقدرة على مقاومة هذه الأهوال؛ جهاز الشرطة عمل مؤسسي ضخم، فيه خيانة، إذا نزل الفارس عن جواده لا ينبغي أن أبارزه. اخْتَلَطَ كُلُّ شيءٍ اختلاط هذه الأحاديث؛ وقُدّرت أعداد المتظاهرين الذين توجهوا ناحية القصر الرئاسي بثلاثة آلاف شخصٍ، كما حاصر عشرات الآلاف مبنى التلفزيون القريب من ميدان التحرير، الذي تتولى حراسته قوات من الحرس الجمهوري؛ وكان المجلس الأعلى للقوات المسلحة قد أعلن بالأمس البيان الثاني:

نظرًا للتطورات المتلاحقة للأحداث الجارية، والتي يتحدد فيها مصير البلاد، وفي إطار المتابعة المستمرة للأحداث الداخلية والخارجية، وما تقرر من تفويض للسيد نائب رئيس الجمهورية من اختصاصات، وإيمانًا من

مسئولينا الوطنية بحفظ واستقرار الوطن وسلامته؛ قرر المجلس الأعلى للقوات المسلحة ضمان تنفيذ الإجراءات الآتية..

أولاً: إنهاء حالة الطوارئ فور انتهاء الظروف الحالية، الفصل في الطعون الانتخابية، وما يلي بشأنها من إجراء التعديلات التشريعية اللازمة، وإجراء انتخابات رئاسية حرة ونزيهة، في ضوء ما تقرر من تعديلات دستورية.

ثانيًا: تلتزم القوات المسلحة برعاية مطالب الشعب المشروعة، والسعي لتحقيقها من خلال متابعة تنفيذ هذه الإجراءات في التوقيتات المحددة بكل دقة وحزم، حتى يتم الانتقال السلمي للسلطة، وصولًا للمجتمع الديمقراطي الحر، الذي يتطلع إليه أبناء الشعب.

ثالثاً: تؤكد القوات المسلحة على عدم الملاحقة الأمنية للشرفاء، الذين رفضوا الفساد، وطالبوا بالإصلاح؛ وتحذر من المساس بأمن الوطن والمواطنين؛ كما تؤكد على ضرورة انتظام العمل بمرافق الدولة، وعودة الحياة الطبيعية حفاظًا على مصالح وممتلكات شعبنا العظيم.. حمى الله الوطن والمواطنين.

وكان رئيس مجلس الشعب قد خرج في تصريحٍ له لقناة العربية الإخبارية:

- إن من يطالبون الرئيس مبارك بالتنحي، لا يدركون أن الرئيس إذا تنحى الآن سيتم انتخاب رئيس جديد وفقًا للمادة ٧٦ القديمة، بالإضافة للمادة ٨٨ والتي لا يوجد بها إشراف قضائي. ونبَّه؛ التعديل الدستوري سيضمن انتقال السلطة بطريقة أفضل لصالح الشعب، والمادة ٧٦ من الدستور المصري، التي تحدد شروط انتخاب رئيس الجمهورية الشباب غير راض عنها؛ التعديل الدستوري سيغيرها، وسييسر اختيار رئيس الجمهورية، وتابع؛ إن التعديل الدستوري سيحقق الإشراف القضائي وبالتالي؛ فإن بقاء الرئيس حتى نهاية مدته، أصبح شرطًا حتى يتم التعديل الدستوري، ولتحقيق آمال الشارع في تعديل الدستور.

فَسُئل عن الضامن لتحقيق هذه التغييرات؛ والشباب لا يثق كثيرًا في هذه الوعود؟.. فأجاب:

- إن المجلس الأعلى للقوات المسلحة، هو الضامن الرئيسي لتحقيق هذه التغييرات.

وحول ما يتعلق بالتوقيت فيما يخص النظر في الطعون، وإقرار التعديلات الدستورية؛ أفاض رئيس مجلس الشعب كفقيه دستوري، وكأستاذ جامعي سابق مرموق:

- التعديل الدستوري سيبدأ مجلس الشعب النظر فيه من الأسبوع القادم، ويستغرق كحد أدنى شهرين ونصف طبقًا للدستور؛ وفي خلال هذه الفترة

عندما تـأتي الطعون الانتخابيـة للمجلـس، سيصـحح عضـوية أعضـائه؛ المحكمة الدستورية العليا في ١٩ مايو عام ٢٠٠٠ أكدت أن كافة قرارات مجلس الشعب قبل أن يُقْضَى ببطلانه تعتبر صحيحة قانونيًّا.

فقال مجاهد لزوجته المرابطة إلى جواره للأحداث مثل الملايين يحدثها عن الانفلات الأمني والفوضى:

-مواطنة أعطاها الكمسري في القطار تذكرة بـ ٧ جنيه؛ فأعطته خمسة فقط؛ وقالت:

- والله ما أنا دافعة إلا كذا، وتابع مهمومًا؛ وفي أتوبيس للنقل العام؛ مجموعة من الشباب ركبوا ونزلوا، ولم يدفعوا الأجرة، فضحك الركاب، لأن الكمسري لمْ يقل لهم ادفعوا؛ وتركهم نزلوا !! ..

* * *

الفصل الثالث

سبحان الذي لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام !!..

رأت الحاجة أمُّ مجاهد ابنها مَهْمومًا؛ وكانت تحرص على القُعود أمام الدكان لتراه في طريق ذهابه وعودته من المسجد، فتوقف يقبّل يدها؛ وذكر لها أن زَوْجة أخيه قرَّرت غلق الحضانة بمنطق سِيب وأنا اسيب؛ إذا حان وقت نومه أخذت تدقُّ، وكان يريدها ألا تطّلع على ما تَصْنعُ زوجة أخيه، فأمرته في جدٍّ كذلك:

- لا تقلْ لها كفّ.

- وكيف أنام يا حاجة؟ إذا لم يأتها صوتنا، وشعرت أننا ننام قامت تَدُقُّ، وتظل ابنتها تَجري فوق رؤوسنا فوق السقف؟ فأكدت كذلك:

- تتعب إن تدق؛ عندها يمكنك أن تنام.

فقابله قريب لهما، فسألَه عمّا بينه وبين أخيه؟

- ليس بيننا شَيْءٌ؛ نتقابل، فيسلم عليّ، وأنا أرد عليه السلام.. قال:

- لكنَّا لم نتعود منكم ذلك! وضحك، وعَلِمَ منه أنَّ أمَّهُ من حدثته، وأنها قلقة بشأن العلاقة بينه وبين أخيه فصرح للسائل:

- إن طلبتني للجلوس لن أمانع، لكن رجاءً ألا تذكر أني حدثتك في شيء.

فرغم عزّة نفس مجاهد كان مُبغضًا للشّقاقَ؛ ولأنَّه يخشى أن يعنّف أخاه الأصغر، تجَنَّبَ الحديث المباشر معه، وكان مشفقًا على والدته كذلك؛ فمَهْما بلغ الأمر؛ لن يبلغ حد التشاجر؛ بل يظل هو الأخ الأكبر الذي يعطف أبدًا؛ الحريص ألا يخسره أخوه؛ ولأجلها؛ أسرع بدفع الحديث في هذا الاتجاه؛ ويُحَرّضُ عليه، وكان يفكر جَدّيًا في تأجير شقته، والبحث عن سكنٍ.. فقالت زوجته على طريقة كيد النساء:

- سأنقل الحضانة إلى هنا إلى الدور الثاني، ونترك الدور الأرضي مُغْلقًا لا ينتفع به نحن ولا هم. قال:

- لَسنا في حربٍ! إذا كانوا لا يطيقونها بالدور الأول؛ أيطيقونها إذا صَعَّدتّ بها هنا؟ فزأرت:

- أليس حقنا؛ ولتَعْلمَ زوجته كيف يكون الإزعاج، وما نحن فيه من جراء طلوع ونزول الأولاد الذين يأتون للمكتب؟ وابتسمت؛ سيكون وقع أقدام أطفال الحضانة على السلالم، كقطيع أغَنامٍ؛ وأتبعت تحذّر:

- لن نحقق لهم مرادهم؛ ولا تطلب مني أنت ذلك؛ لن أغلق الحضانة مهما حصل..

وجلس وأخوه في حضرة بعض الأقاربِ؛ فقَصَّ عليهم كيف نشأت الحضانة، وكيف أن بنات أخته هُنَّ من سعين في الشأن علاجًا لمشكلة زوجته مع الفراغ، وليَعْملن فيها، وأن الحضانة تخدم قرية ليست فيها مدارس، وأنه وأخاه هذا شريكان في الأجر.. فأسرع في الردّ:

- بنات أختك لم يعدن يعملن بها، والشريعة تقول: لا ضرر ولا ضرار.

فالتفت إليه وهو يحاولُ كبح نفسه من الغضب:

- فما هو الضرر التي تحدثه لكم الحضانة التي تبدأ صباحًا في الثامنة، وتنتهي١٢ ظُهْرًا قبل رجوعك وزوجتك من العمل، وقبل رجوع أولادك من الجامعة والمدارس؟! فقال:

- أحيانًا نرجع من المدرسة قبل الظهر، فلا نتمكن من أن ننام؛ ورجع ينشد أن بعض الجيران اشتكي من ارتفاع الصوت، وليس في كل يوم أبناؤه يذهبون إلى الجامعة؛ بل يسهرون إلى الفجر، وينامون إلى الظهر ويزعجهم الصوت!

فبدأ مجاهد يغضب فقرأه.. "مِن قَبْلِ صلاةِ الفجْرِ وحينَ تضعون ثيابكم مّنَ الظهيرةِ ومن بعد صلاة العشاءِ ثلاثُ عوراتٍ لَّكم".. هذه أوقات الراحة

إن كنت تريد شرعًا؟ وأعجب من مكتب يُعقد فوق السطح أمام غرفة وَلَديْكَ بالدور الرابع فلا نرى لكم شكوى من ارتفاع الصوت؟ أتعلم لِمَ؟! لأن ابنتك تجلس بين الأولاد؛ أما صوت أطفال الحضانة فهو يصعد إلى الدور الرابع فيزعجكم لأنه ليس لك بينهم أبناء! ثُمَّ من هؤلاء الجيران الذين يشكون، ولِمَ لمْ يأتوا فيكلموني؟ فأي شيءٍ تريد؟ قال:

- "وإن عاقبتكم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به".. ورجع يُنشد أن فلانًا، وفلانًا كلموه في شأن إزعاج الحضانة لهم؛ وهم يَسْتحيون منك.. فأنبه مجاهد بشدة:
- هم الغرباء ويسْتَحْيون منّي، أما أنت، وزوجَتكَ، وولدك فلا تستحون؛ تريدون غلق الحضانة، نحن نصبر على هبوط الأولاد من الدور الرابع وصعودهم؛ فأبيت أنت وزوجتك وولدك إلا أن تعاقبونا، فتظل زوجتك تضرب بعفشها السقف تمنعنا النومَ، حتى عزمنا الرحيل وترك البيت لكم.

فدافع أخوه في هيئة المتشاجر:

- نحن نخاف الله، ولا يمكن أن تفعل زوجتي ذلك، بل نحن من يبحث عن سكنٍ لنا من يوم ما أنشئت الحضانة.. فتدَخَّل الأقارب ليغلقوا هذا السجال:

- ونحن لن نسمح برحيلكم، وتابعوا؛ وماذا لو علمت الوالدة أن الخلاف وصل بينكم إلى حد ترككم البيت؟! فأسرع أخوه:

- نحن على استعداد للعودة بالمكتب إلى منزل الوالدة مادام صعود الأولاد ونزولهم على السلالم يؤذيكم - والمعنى؛ مُقابِلُ غلق الحضانة - فصمت لم يُجبْه؛ وأجاب الحاضرون عنه:

- موضوع الحضانة خط أحمر؛ ويتوجب علينا أن نبحث عن حل آخر.. فعرجَ أخوه إلى موضوع النقود التي أعطاها للبنية، وشاهده ويده تمتد إلى جيبه تتأهب لاستخراجها فنفد صبره:

- هات؛ أعترف أني قد أخطأت.. فترك أخوه استخراجها؛ وتحدث له الحضور:

- بل أنت كعم للبنية لك الحق أن تعطيها وأن تعاقبها؛ وأثنوا على الطريقة التي عالج بها الموضوع مع البنية، وأقرَّه أخوه بذلك وأعلم أنَّه لم يخْبَرُ بما حَدَّثَ به البنية؟

وهدأت النفوس، وبدأ يلوح في الأفق الوفاق.. قال الحضور:

- نرى أن المشكلة ليست بين الشيخ؛ والأستاذ؛ المشكلة بين فلانة وفلانة - يعنون زوجتيهما - وأنه يتوجب عليهما أن يجلسانهما معًا، ويسعوا بالصلح بينهما..فبادر مجاهد:

- ليس لدي أدنى مانع؛ وما تفرضوه على زوجتي أنا كفيل بإلزامها به، ولن أكون حاضرًا معكم؛ اطلبوا زوجتي متى شئتم أرسلها لكم.

فكان هذا النقاش بين السلفتين في حضرة أخيه وهؤلاء الأقارب:

- عمي مات؛ ورأتني في الجِنازة؛ فمَرّتْ ولمْ تُعزني فيه.. فردت زوجته:

- الحي أبقى من الميت! كيف أُعزّيكِ ونحن نبحث عن مكانٍ لنترك البيت ممَّا تفعلينه بنا؛ تجعليننا لا ننام؟

- الحال من بعضه؛ فنحن منذ أُنْشِئت الحضانة، ونحن نبحث عن مكان ننتقل إليه والأولاد.. فقالت زوجته كذلك:

- ونحن، منذ خمس عشرة سنة خَلت نتحمل هَوَسَ الدروس، والمكتب الذي كنتم تعقدونه لأبنائكم في هذه الشقة عندما كانت الحاّة بها ولم نشتكِ يومًا.

فضحك الحضور وتركاهما تتعاتبان٠٠ ثُمَّ توجهت إليهم زوجة أخيه بهذا الكلام:

- هي تعاملني كأني طفلة عندها في الحضانة: ألا تريدين الانضباط يافلانة؟ وإلا؛ ستضربني مثل العيال! فضحك الحضور:

- سبحان الله؛ تهرج معك؛ وهل صحيح أنها تضربك.. فقالت زوجته:

- يا جماعة، سبب الكلام..قابلتني وكانت مكَشّرة، وأخذت وجهها جانبًا؛ فاستوقفتها:

- تعالي هنا؛ آه يا ابنتي؟! على طول آخذة في وجهك، قاعدين في الحضانة فتمري علينا فلا تلتفتي؟ ولا سلام؟ ولا كلام؟

- والتفت لِمَ؟!

فقام أحد الحضور فقدم مشروب الكركديه إلى زوجته يُهَدئهُما، فاستوقفه الآخر:

- لا، بل فلانة من تقدم لسلفتها الكركديه؛ لأن الكُلَّ جلوسٌ بالدور الرابع فوق السطح أمام غرفة أبنائها.. فتابع يَحُثُها: اعزمي على سلفتك؟ هي عندك والمفروض أن تناوليها أنت المشروب؟ وقالوا:

- عمومًا؛ نحن لا نرى بينكما مشكلة؛ وأنتما وان كنتما سلفتان، فجارتان أقرب لبعضكما من أهليكما. فقالت زوج أخيه:

- وأين الحاج فلان؟! – تعنيه - لِمَ لَمْ يطلع معكم؟ وهو كل ما يحصل حاجة يروح للحاجة يشتكي لها؛ ليُغضبها منَّا؟!

- دع الحاج فلانًا جانبًا؛ نحن من طلبنا منه ذلك.. وقالوا:

- نقرأ الفاتحة على الصفا.. وقالوا لزوجته:

- وأنت يا فلانة، اشربي الكركديه؟ فضحكت:

- طبعًا أشربه؛ ولِمِ لا؟! وقالت لسلفتها تسترضيها؛ وكان الجميع قد نزلوا، وانحنت سلفتها على أشيائها تجمعها، فربطت على ظهرها لتلتفت إليها:

- أحمل معك شيئًا؟

- لا..

وبعد يومين؛ عادت ريمة لعادتها القديمة؛ مرت عليهما، وهما جلوس في الحضانة، فلم تلتفت، ولم تتكلم، وأخذت وجهها جانبًا.. فقال لزوجته:

- اثبتي على ما اتفقتم عليه مع الرجال.. وقال يسترضيها:

- يا ست أميرة بناقص هذا الكلام؟ فابتسمت ترضى٠٠

وبعد ثلاثة أيامٍ من تنحّي مبارك؛ قامت وسائل الإعلام الحكومية بوجهٍ منافق؛ تستشرف للمستقل: أهلًا بالديمقراطية.

الجيش: سنحقق أكثر مما يأمل الشعب. انتخاب برلمان نزيه، ورئيس جديد خلال ستة أشهر؛ المجلس الأعلى، يدير شؤون البلاد حتى أغسطس، أو انتهاء الانتخابات البرلمانية والرئاسية؛ قواتنا

المسلحة تحدد ٦ أسس لمشروعية نظام الحكم الجديد.. حرية الإنسان المصري، سيادة القانون، تدعيم المساواة، تعددية حزبية، عدالة اجتماعية، اجتثاث جذور الفساد.

د/ شفيق؛ رئيس الوزراء: إعادة كل سنتيمتر من الأراضي الزراعية المسلوبة.

مصدر عسكري: ندعو إلى تغليب مصلحة الوطن على المطالب الفئوية.

وقالت جرائد المعارضة كلاعب مهاجم أحرز أهم الأهداف: الجيش ينتصر للشعب.. حل مجلس الشعب والشورى، وتعطيل العمل بالدستور.. مليونية جديدة الجمعة القادمة للاحتفال بالثورة..التفاصيل: المشير طنطاوي؛ رئيس المجلس العسكري، يتولى تَمْثِيله أمام كل الجهات في الداخل والخارج، ثورات صغرى تجتاح مصر، بريطانيا تشترط الحصول على طلب رسمي لتجميد أرصدة مبارك، الأموال العامة تبدأ تحقيقاتها حول ثروة الرئيس السابق.

وصنداي تايمز.. مبارك تمسك بالسلطة ١٨ يومًا لتأمين ممتلكاته؛ والسلطات البريطانية تتحرى عن ثروته.. النيابة العامة تستمع لأقوال العادلي؛ وزير الداخلية للمرة الخامسة.. والأموال العامة تستدعي نظيفًا؛ رئيس الوزراء السابق؛ وعز؛ أمين عام تنظيم

الحزب الوطني، يقاضي الدستور؛ ويطالب بتطبيق خمس مواد من قانون العقوبات، ومجلس الشعب يرفع عنه الحصانة لبدء محاكمته.. فرجع الشارع ينقسم؛ فمن شباب يهتفون: مصر تريد إخلاء الميدان؛ فقامت وحدات من الجيش والشرطة بإخلاء ميدان التحرير من المتظاهرين، وإعادة حركة السير والمرور به، بعد أكثر من أسبوعين على اندلاع الثورة؛ وقامت مجموعة من الشباب بالمرور والدوران حوله وترديد هتافات: اللي يحب مصر يطلع من الميدان، وانخرطت مجموعات أخرى في مهاجمة المتظاهرين، والسخرية منهم، ومطالبتهم بالعودة إلى منازلهم؛ فرفض آخرون ما وصفوه؛ بالأسلوب الأمْني المؤامراتي الرديء، ورفضت طائفة مغادرة الميدان نهائيًّا حتى يتم الاستجابة لمطالب الثورة التي صدرت في بيانٍ عن جماهيرها أمس أهمها.. إلغاء قانون الطوارئ..الإفراج عن المعتقلين السياسيين..إلغاء جهاز أمن الدولة.. وحل مجلس الشعب والمحليات.....

فاتفق القطاع الكبير من المتظاهرين على الرحيل، والعودة كل جمعة في مسيرات مليونية لمتابعة مطالب الثورة، والتأكيد على تنفيذها؛ فسهَّلت الثورة للمارد الأكبر الخروج من القُمْقُمْ.. مظاهرات للمدرسين المتعاقدين بالأزهر للمطالبة بالحق في التثبيت، ونام على القطبان عمال عربات النَّوم بالسكك الحديدية، واعتصم عمال شركة بترو تريد، مظاهرات بـ١٨بنكًا؛ ورؤساء البنوك يهددون بالاستقالة،

مظاهرات رجال الشرطة أمام وزارتهم مطالبين بمحاكمة "العادلي" وزيادة الأجور؛ فاستقبل وزير الداخلية وفدًا منهم، ولبي طلباتهم، ووعد بتحسين الأجور

وقامت إضرابات بشركة كهرباء جنوب القاهرة للمطالبة بتعيين أبناء العاملين؛ والعاملون بوزارة الثقافة يطالبون برحيل ذيول فاروق حسني؛ وزير الثقافة السابق، والعاملون بجامعة المنصورة يواصلون اعتصامهم لليوم الثاني لعدم تثبيتهم وصرف الحوافز، والمئات من العاملين بمشروع النقل الجماعي يطلبون ضمهم لوزارة المالية، وإضرابات، واعتصامات في قطاعات البترول، والغاز، والحديد والصلب، والمخابز، والبريد؛ آلاف أمام مبنى محافظة القاهرة للمطالبة بشقق سكنية، مظاهرات لعمال السّكَة الحديد، وصَحَفِيّ الجمهورية والوطني اليوم، العاملون بوزارة التعليم بالجيزة يدخلون في اعتصام مفتوح من غد لأجلٍ غير مسمى، العاملون بهيئة الثروة المعدنية يطلبون المساواة بالبترول، اعتصم ألف عامل بسكر الحوامدية، الموظفون بالتموين يطالبون بزيادة الحد الأدنى للأجور إلى ١٢٠٠ جنيه، ثلاثة آلاف موظف بهيئة قضايا الدولة يطالبون بمساواتهم بالعاملين بوزارة العدل، عمال الدولية للفحم يطلبون زيادة الأجور وحصة في الأرباح، ثورة عمال في عدد من المصالح الحكومية بالإسماعيلية للمطالبة بتحسين الأجور، وبجامعة المنيا يحطّمون مبنى الإدارة المركزية ويقتحمون مكتب رئيس الجامعة،

وقفات احتجاجية تحت الأمطار تعطل المرور بالإسكندرية، اعتصام مفتوح للبحارة بالبحر الأحمر أمام مبنى التفتيش البحري بالغردقة يطالبون بإقالة مدير التفتيش البحري الحالي، وقفات لـ١٢٠٠ عامل في شوارع أسوان!! وقفة احتجاجية للعاملين ببنك التنمية الزراعية بقنا، ووقفات احتجاجية بالقليوبية بسبب إلقاء طلبات التوظيف على الأرض! ..

فبدا أنه لم يبقَ في مصر أحدٌ إلا ترك عمله وخرج للتظاهر، أو الاعتصام لنيل قطاف الثورة؛ فخرج د."شفيق" يُحَدّثُ.. أن اهتمام حكومته في اللحظة الراهنة ينصب على مطلبين أساسيين هما؛ إعادة الأمن للبلاد، واستئناف الحياة الطبيعية؛ وقال للمطالبين العَجِلِين: كل أمور الدولة في خريطة أمامي، أعمل على تيسيرها وفقًا للأولويات، وحذَّر رئيس مجلس الوزراء من استمرار الاحتجاجات والاعتصام لتأثيرهما السلبي على الاقتصاد المصري؛ وقال: خسائرنا من توقف العمل تقدر بملايين الدولارات يوميًّا، أدعو شباب التحرير للعودة إلى العمل، الحكومة تنظر للحركة الشبابية في ميدان التحرير بشكل إيجابي وأنها قصة نجاح؛ فرجع مثل هذه العبارة كخاتم شعار يوثق به كل متحدث حديثه، زلفى إلى الشباب!!

فقال مجاهد لزوجته:

- كنت أعتقد أن الناس ودعت النفاقَ؛ أرجو ألا نكون قد ارتكسنا فيه إلى الأبد!.. يا ليْت مُبارك قام حتى نهاية ولايته؛ فلئن عدمت مصر طوال ثلاثين عامًا نائبًا واحدًا لـ مبارك، فقد اسْتُخْلِفِ برحيله المفاجئ ثمانون مليون نائبٍ له!...

كُلُّ شخصٍ كبير نفسه!. سائقو المكروباص بالمنصورة نظموا إضرابا انتهى برفع الأجرة من خمسة وعشرين قرشًا إلى خمسين قرشًا، فرضخ الناس؛ ولم يكتفِ سائق منهم برفع الأجرة إلى الضعف، إذ فوجئ مجموعة من الركاب به؛ وهو يعمل على خط "سندوب - طلخا " يقف عند مفرق الدّراسات، ونادى على السادة الجالسين الذاهبين إلى" طلخا " ليستقلوا ميكروباصًا آخر:

- يا جماعةُ الخيرِ آخرنا هنا؛ وانحرف بمقدمة الميكروباص إلى طريق كلية البنات للدراسات الإسلامية، ثمَّ لم يلبث أن قال لمساعده في ضيق حين لم ينزل أحدٌ:

-ألست قد ناديت يا ابني على الدراسات؟! سأله كذلك؛ فأجاب المساعد:

- نعم يا اسطى.. فأردف يحدثه مؤنبًا القاعدين كذلك:

- فما بال هؤلاء لم ينزلوا ؟؟.. فتحدث أحد الركاب يوجهه:

-خطك؛ سندوب- طلخا يا اسْطىَ ؟

- أنا هُنا من يقول: أُركّب لأين؟ وارجع لأين؟! السائق؛ تفضلوا انزلوا.

ليفْرِطَهُم ويأتي بحِمْلٍ جديدٍ فخط " سندوب – طلخا " يتطلب منه مواصلة السير إلى ضعف مسافة الدراسات؛ ولمّا لم ينزل أحد وبقي كل راكب في مقعده؛ رجع بمقدمة السيارة، وواصل طريقه، ولكيلا يعبر بهم البحر ويذهب إلى طلخا؛ وينقلب بحملٍ جديدٍ عائدًا لـ سندوب، عاد فتوقف عند مبنى المحافظة، يستكمل الركاب، وقال مُحذرًا:

- يا جماعة الخير؛ آخرنا الكوبري؛ لن أدخل طلخا؛ لن أذهب إلى الموقف الجديد.. فصمت الركاب ولم يجبه أحد؛ ولمّا توقف عند الكوبري ينادي:

- يا جماعة الخير؛ آخرنا هنا؛ لن أعبر الكوبري.. فرجع الركاب ينظر بعضهم إلى بعض، وهَمَّ البعض بالنزول، فرفعت عجوز صوتها في انزعاجٍ تستفسر كذلك:

- يا بني؛ ألست ذاهبًا إلى الموقف الجديد؟!. فأجابها في شكيمةٍ شَخْصٌ قويٌّ، وأهاب بالركاب:

- لا أحد ينزل؛ اقعدي يا حاجة، وأمر كل من هو ذاهب إلى الموقف الجديد أن يقعد في مكانه.. فلم يجد السائق أمام هذه اللهجة الصارمة المألوفة جيدًا لديه إلا أن يستأنف سيره عابرًا بهم البحر إلى طلخا؛

ثم إلى الموقف الجديد.. وأردفت الزوجة تنظر إلى مجاهد مسرورةً وكانت ضمن الرُّكاب:

- عرفت؛ من لهجته القوية أنه ضابط شرطة في ثيابٍ مدني، لم يصبر على المهزلة، ولم يرَ أن يعلن عن شخصه لِمَا تشهده البلاد من حملات تحريض ضدهم؛ وختمت:

- غاب القط، إلعب يا فار؟

مشى السائق يدخن، ورغم أني لم أعبر معهم، ونزلت الكوبري؛ محطة وسط المدينة إلا أني وجدتُني أدعو لهم في نفسي: رُوُح ربنا يحميك.

وبعد هذا الحادث بيومين؛ صبح يوم الجمعة؛ بينما هو ذاهب لأداء الخطبة شاهد قطة نائمة إلى جوار سيارته ٢٧ فيورى - التي حمد الله أنها صغيرة وقديمة لا مَطْمع فيها، فهي تَبِيت بالشارع - شاهد قطة ترفع رأسها وتخفضه في ضعف شديدٍ، وصبيان ينخسونها في غباء كي تنهض، وهي لا تقدِرُ أن تنهض، فوقع فيهم:

- يا أولاد الكلب؛ تجمَّعون على قُطّةٍ تموت تضربونها؟ ماذا فعلت فيكم؟! فانطلقوا راهبين، فأردف في إثرهم:

- ألم يعلمكم أهليكم أن اللعب بالحيوان وضربه حرام؟! فقالت أُمُّه:

- من البارحة، وهي على ذي الحال! أكلت سَمًّا؛ فناشدها:

- بالله يا حاجة؛ حاولي أن تقدمي لها شيئًا.. قالت:-

- ترفض الطعام؛ قدمت لها البارحة لبنًا طازجًا فلم تمسه؟ لكن طالما بقيت إلى اليوم لن تموت، وأنبأت: قلت لفلان - فلاح يزرع الحقل المقابل - لا تضع في الأرض سَمًّا؛ والطير الذي ينزل الحقل خذه، القطط هي من ستأكل السَّمّ، وتموت وذنبها في رقبتك، إلا أنه لا يسمعْ..

فَخلَفَ القطة في مكانها وركب سيارته، وذهب مهمومًا فهذه هي النهاية لكل حيٍ؟؟ وازداد صدره ضيقًا بالأحداث؛ وقال في نفسه: كيف سيواجه الناس وهو بهذه الحال؟ راغبٌ تمامًا عن الكلام، ولا حمية تدفعه إلى التواصل؟ فالكل ذهب راكبًا الموجة وينبغي له أن يسبح ضد التيار؛ وكان دعاة أنصار السُّنة قد انقسموا فئتين مختلفتين؛ وكان من الفئة التي ترى: أنه لا يجب الخروج على الحاكم الظالم إلا أن يكفر والحجة قول النبي: "إنَّكم سَتَرَونَ بعدي أَثَرةً، فاصبروا حتى تلقوني"، فأُمِرَ عند وقوع الظلم من الحاكم، ووقوع استئثاره للحظ الدنيوي بالصبر؛ وسبب عدم انعزاله بظلمه وتحريم الخروج عليه لما يترتب على ذلك من الفِتَنِ وإراقة الدماء وفسادِ ذاتِ البَيْنِ.. وتذاكر الخطبة في نفسه، وعند مساكن المجزر، لمَّا مال بالسيارة عن الطريق السريع إلى موضع للنّفاية، ليضع مخلفات

البيت التي حملها معه؛ شاهد مشهدًا مُثيرًا؛ كَلبًا تراوده أنثاه؛ تقف أمامه، تعرض نفسها عليه عرضًا!! فعلم أن الحياة لا تقف، ففي ذات اللحظة التي تخضع قطة لسكرات الموت، تجد الرغبة هنا مشتعلة في حياةٍ؛ وتردد في أذنيه قَوْلَةَ أمه في شأن القطة: من البارحة وهي تعاني، وطالما أنها بقيت إلى اليوم فستنهض؛ فراوده الأمل من أجلها..

ثّمّ إنه لم يستح، وهو ساجدٌ - يصلي بالناس بعد الخطبة - أن يدعو للقطة بالشفاء.. ولمّا همَّ بالانصراف؛ قام إليه نفرٌ يحيطون به في حفاوة، مُعلنين ارتياحهم لمَا قاله؛ فقد أرهقهم تفرق الآراء بعد زوال مبارك، فاستخرجهم بما خطبهم من الحيرة قال:

"إنَّما الإمامُ جُنّةٌ يُقاتل من ورائه ويُتَقى به؛ فإن أمر بتقوى الله- عز وجل- وَعَدلَ؛ كان له بذلك أجرٌ؛ وإن يأمر بغيره كان عليه منه".. وعرض لأسباب الأحداث وحذر من تكرارها: "واتَّقُوا فِتْنَةً لا تصبنَّ الذين ظلموا منكم خاصةً واعلموا أن الله شديدُ العقاب".. والمعنى ما ذكره الطبري عن ابن عباس: أمر الله المؤمنين ألا يُقرّوا المنكر بين أظهرهم فَيَعُمهمُ العذابُ، وله شاهد من حديث عند أحمدٍ؛ فعن عَدّي بن عُمَيْرة سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول " إنّ الله لا يعذبُ العامةَ بعمل الخاصةِ حتى يروْا المنكر بين ظهرانيهم، وهم قادرون على أن ينكروه، فإذا فعلوا ذلك عذب الله العامَّة والخاصَّةَ".. وقال في شجاعة:

لقد أطل علينا شيخ الأزهر بعد تنحي الرئيس السابق؛ فقال: كنا نَتحدث فلم يُسْمَعْ لنا، ونقول له: طالما فضيلتكم كنت ناصحًا لـ "مبارك" فلم يُسْمَعْ لك؛ لِمَ لمْ تترك له منصبك؟ وبمثله تحدث فضيلة المفتي: أفتيت بعدم جواز التوريث، ولكن لم يكن يسمح لفتوانا أن تظهر، ونقول لفضيلته، ولفضيلة شيخ الأزهر: ألم يكن بقاؤكما في منصبيكما إقرارًا منكما، وكان الواجب - إعلاء للأمانة - اعتذاركما إلى مبارك عنهما، وإعلامه سبب الاعتذار فتكونا في الناس قدوة؛ أم هو الحرص على المنصب؟! وأخبر أن الفتنة في الدنيا سُنَّة من سنن الله، وتكون فيما يُدفع إليه الإنسان من شدة ورخاء، قال تعالى.. "ونَبْلُوَكم بالشر والخير فتنة".. كالقتل، والعذاب، والمال، والرئاسة؛ وحذر الله كثيرًا من فتنة الأولاد، قال تعالى لخليله إبراهيم: "إني جاعلك للناس إمامًا قال: ومن ذريتي قال: لا ينال عهدي الظالمين"... "ونادى نوحٌ ربَّهُ فقال رب إنَّ ابني من أهلي، وإنَّ وعدَك الحقُّ، وأنت أحكم الحاكمين قال يا نوح إنه ليس من أهلك؛ إنه عملٌ غيرُ صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظُك أن تكون من الجاهلين قال رب إنّي أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم، وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين"... ونادانا من بعدهم: "يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوًا لكم فاحذروهم"... وقد يُظن، أن الإسلام يدعو إلى الاستكانة، لأنني ذَكَّرْتُ بقوله - صلى الله عليه وسلم- : "من كره من أميره شيئًا فليصبر، فإنه من خرج من السُّلطانِ مات ميتةً جاهليةً".. ونبين: لقد حَصَرَ الإسلام خيرية هذه الأمة في الأمر

بـالمعروف النهـي عـن المنكـر" كنـتم خيـر أمـةٍ أخرجـت للنـاس تـأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بـالله " وقـال رسـوله - صـلى الله عليه وسلم – لأصحابه: إنَّكم سَتَرَوْنَ بعدي أَثَرَةً وأمورًا تُنْكِرونـها.. قـالوا فما تأمرنا يا رسول الله؟ قـال: أدُّوا إليهم حقهم وسَلوا الله حقكم؛ وسـألوه بصريح العبارة: يا رسـول الله إن كـان علينـا أمـراءٌ يأخذون بـالحق الذي علينا، ويمنعونا الحق الذي لنا أنقاتلهم ؟ قال: لا، عليهم مَّا حُمّلوا، وعليكم مـا حُمّلـتم، وأخبـرهم بالـذي سيكون بعـده: "أتـاني جبريـل فقـال إن أمّتَـك مُفْتَتِنةٌ من بعدك ! فقلت من أَيْن ؟ قـال من قِبَلِ أُمَرائهم وقُرّائهم؛ يمنـع الأمراء الحقوق، فيطلبون حقوقهم فيفتنـون، ويتبـع القـراء هـؤلاء الأمـراء فيفتنون. قلت فكيف يسلم من يسلم منهم؟ قال: بالكف والصبر؛ إن أُعْطُـوا الذي لهم أخذوه، وإن مُنِعُوه تركوه". وأجمـع الفقهـاء علـى وجـوب طـاعـة السلطان المُتغلب، والجهاد معه، وأن طاعتـه خيرٌ من الخـروج عليـه لمَّـا فـي ذلـك مـن حقـن الـدماء، وتسكين الـدَّهماء، وحجتهم هـذا الخبـر؛ روى البخـاري عـن جُنـادة بـن أميـةَ قـال دخلنـا علـى عُبـادةَ، وهـو مـريضٌ فقلنـا أَصْلَحكَ اللهُ؛ حَدّث بحديثٍ ينفعك الله به سمعته من النبيّ - صـلى الله عليه وسلم - قال دعانا النبي - صلى الله عليه وسلم – فبايعنـاه، فقال فيمـا أخذَ علينا؛ أن بايعْنـا علـى السمع والطاعـة فـي منشطنا، ومَكْرَهِنـا، وعُسْـرِنـا، ويُسْرِنـا وأَثَرة علينـا، وأن لا ننـازع الأمـر أهلـه؛ إلا أن تـروْا كُفْـرًا بواحًـا عندكم فيه من الله بُرْهانٌ.. وتساءل: هل الإسـلام يـدعو إلـى قبـول الظلـم؟ وأن مـا عرضـت لـه يتعـارض مـع قولـه تعـالى: "إن الله لا يُغَيّرُ مـا بقـومٍ

حتى يغيروا ما بأنفسهم"، وأن الخروج في الخامس والعشرين من يناير كان خطأ، وأن الإسلام لا يقدم حلولًا لمشاكلنا المعاصرة؟! أقُولُ: اسمع لهذا الحديث، فعنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: "على المَرْءِ المُسْلِمِ السّمْعُ والطاعة فيما أحبَّ وكَرِه إلا أن يُؤْمَرَ بمعصية، فإن أُمِرَ بمعصية فلا سمع ولا طاعة". وإليكم هذه الحادثة؛ بعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جيشًا وأمَّر عليهم رجلًا؛ فَأَوْقَدَ نارًا، وقال ادخلوها، فأراد ناسٌ أن يدخلوها، وقال الآخرون، إنا قد فررنا منها؛ فَذُكِرَ ذلك لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال للذين أرادوا أن يدخلوها: لو دخلتموها لم تزالوا فيها إلى يوم القيامة؛ وقال للآخرين قولًا حسنًا وقال: لا طاعة في معصية الله، إنّما الطاعةُ في المعروف.. أما سبيل الإصلاح الذي رسم الشارع الحكيم في موضوع مبارك، ولمن هم دون مبارك، كمدير إدارة، ووكيل وزارة، أو وزير، أو رئيس وزارة، فهذا الحديث لـ عُبادَةَ بنِ الصامت: بايعنا رسول الله على السمع والطاعة؛ في العسر واليسر؛ والمنشط والمكره؛ وعلى أثرة علينا؛ وعلى أن لا ننازع الأمر أهله؛ وعلى أن نقول بالحق أينما كنا؛ ولا نخاف في الله لومة لائم؛ قال النووي معناه..نأمر بالمعروف، وننهى عن المنكر، في كل زمان ومكان، الكبار والصغار ولا نداهن فيه أحدًا، ولا نخافه، وأجمع العلماء أنَّه فرض كفاية فمن خاف على نفسه، أو ماله، أو على غيره سقط الإنكار بيده وبلسانه، ووجب عليه كراهيته بقلبه؛ أي لا يُرْكَنُ إلى ظالم كي لا يُقَرَّه على ظلمه.. وعرج لتظاهر شباب ٢٥ يناير وقولهم: عيش، حرية، كرامة إنسانية،

عدالة اجتماعية، هذا أمر محمود؛ فأعظم الجهاد كلمة حق عند سلطانٍ جائر، فهلا كان لهم قائد يجمعهم على كلمة سواءٍ؟ كما نلومهم على قولهم: ارحل لـ مبارك بعد أن استجاب لهم وأقر بخطئه؛ قال: إن استجابتي لصوتكم ومطالبكم هو التزام لا رجعة فيه، وإنني عازم كل العزم على الوفاء بما تعهدت به بكل الجدية والصدق.. وأعلن بعبارات لا تحتمل التأويل عدم ترشحه للانتخابات الرئاسية المقبلة، وبالمضي في النهوض بمسؤوليته في حماية الدستور، ومصالح الناس حتى يتم تسليم السلطة والمسؤولية لمن يختاره الناخبون في شهر سبتمبر المقبل.. فابتسم أحد الذين أحاطوا به، وقال له قبل أن ينصرف:

- لو سمعك مبارك، وكان لا يزال في السلطة لعينك شيخًا للأزهر، فقال بأسىً:

- والله يا أخي، ما كنت يومًا راضيًا عن أداء مبارك في العشر سنوات الأخيرة؛ ولا من رجالاته.

وكان قد اطلع بجريدة الأهرام التي خرجت تُصفق في حفاوة بهذا العنوان الرئيس: فرحة شعبية واسعة بقرار حبس مبارك ونجليه؛ نظيف، ووزراؤه التفوا حول جمال وعلاء داخل سجن طرة، وسألوا عن صحة الوالد.. استئناف التحقيقات مع الرئيس السابق فور تحسن صحته؛ وقالت الجريدة الحكومية: الشعب والجيش يزرعون الأشجار في ميدان التحرير.

أما جريدة المصري اليوم؛ التي طالما لعبت دور المهاجم فحنت: مبارك مصدوم نفسيًّا، ويمتنع عن الطعام، ويتهم الداخلية بالكذب.. الرئيس السابق للنيابة: قررت ترك السلطة في اليوم الرابع للمظاهرات، ولست مسئولًا عن قتل المتظاهرين.. تفاصيل الليلة الأولى لجمال وعلاء في السجن.. جمال فقد جزءًا من وَزْنِه، وعَلاءٌ مُتَمَاسِكٌ؛ والفقي يدعوهما لإفطار مع الوزراء المحبوسين..

وعاد بالسيارة إلى موقفها فلحظ أن القطة التي كانت تحتضر عند ذهابه غير موجودة، وكانت المفاجأة مُبهجةً حين سأل أمَّه فأكدت له:

- نعم قامت، فكانت فرحته فرحتين، فرحة بأنَّ القطة عُوفيت، وفَرحة بأن دعوته فيها قد أُجِيبت!!

كان انفلات الموظفين أيضًا قد بلغ مداه؛ يأتي أحدهم من بيته على راحته، وينصرف على راحته؛ لا يصنعُ شيئًا سوى الجَدَل.. وكان يخاطب إدارته إذا رأوا المنصرفين قبل الميعاد:

- ها قد عادت إليكم مصر، ما يمنعكم الآن من الالتزام؟!
- يا شيخ، لم يبق غَيْرُنا؛ الناس كلهم مشوا؟
- الساعة لم تأتِ الواحدة بعد.. يا مدام افرحي أنك تعملين فتأْكُلين الحلال .. فترجع مدام ماجدة لرشدها:

- يا شيخ؛ أنا لم أقم عن كرسيّ منذ الصباح، انظر، كَم هي ملفات الشركات؟

كانت مسئولة الصادر والوارد هذه كمضيق بين جبلين، يمر من عندها كُلُّ شيءٍ؛ طلبيات إلحاق العمالة المصرية للعمل بالخارج، والتعاقدات، والمكاتبات الواردة للإدارة، والصادرة منها، ونتائج الحَمَلات على الشركات التي تقوم بها الإدارة، والإعلانات، وخطوط السير، والإجازات، فلا تُوهَمُ في شيءٍ أبدًا؛ بل تفصل بينها ببراعة ربة بيت مَجيدة تجلس إلى طيرها فتعرف الحاضر، والغائب، والمستقيم من غيره. وكانت شركات إلحاق العمالة في نطاق المحافظة؛ قد فاقت المائة بعد أن كانت خمس شركات، فكل من وجد فضل مال، قام فأنشأ شركة إلحاق عمالة طلبًا للعائد السهل السريع.. وفي لحظة الحوار دخل الحجرة فرد من إدارة شئون المناطق؛ ليضع القفل؛ أمامه على المكتب، ويبتسم على استحياءٍ لانصرافه قبل الميعاد، وكان العامل المكلف بالمكان؛ كالعادة، قد انصرف من العاشرة، يعمل نجارًا بجوار الوظيفة، فيترك الغلق للمتأخر؛ أمَّا الفتح فهو له؛ وأحيانًا يقوم به أيضًا مجاهد.. فتصعبت على حالها مسئولة الصادر والوارد:

- يا عيني علينا، القفل دائمًا من نصيبيا؟ واشتدت تعاتب مجاهد:
- يا شيخ كُلّ يوم القَفل من نصيبنا؟! فضج الجميع بالضحك؛ فانتبهت؛ فصاحت فيهم:

- حاشاه، هو يدري مدى احترامي لشخصه الغالي، والقفل يوضع على باب الشقة بعد غلقه زيادة في الأمان.

فنظر بامتنانٍ إلى زميليه المتعاقبين على الغلق، يمكث أحدهما إلى الثانية والنصف لغلق المكان، أما هو فكان يهرول راجعًا يوم الأربعاء في رواح النساء ليُعِدَ لدرس الأربعاء، والأحد لدرس المسجد، وباقي أيام الأسبوع تقريبًا يخرج في حملات على الشركات يفتش ويتابع الأداء؛ وكان زميله في الإدارة الذي أطلق على نفسه في ٢٥ يناير أنه ليبراليًّا؛ يقول له:

- يا مولانا لا أراك إلا مهرولًا، دائما ليس عندك وقت؟!

- يا أستاذ ماهر مخيول؛ لو تركنا متابعة الشركات؛ ما وُفّينا بطلبيه واحدة مما يرد إليهم من الخارج.. ودائمًا كان يعثر على المخالفات، فيقول لأصحاب تلك الشركات:

- كنتم تقولون بفساد النظام، فقامت ثورة؛ فما يمنعكم من الالتزام الآن؟! ودائما الإجابة حاضرة:

- يا شيخ، سقط رأس النظام فقط.

- "يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم"، وهل يمنعكم النظام من الاستقامة، أم أنكم ألفتم الفساد، ورضيتم أن تقتاتوا الحرام؛ بتهربكم من الضرائب حق الدولة؟ أليست مصر بلدكم؟! فيصيحون:

- مصر بلد النظام.

وبسبب انفلات الشارع؛ كان المشاركون في الحملات يخشون الخروج معه:

- يا شيخ خف يدك؛ الناس اجترؤوا كثيرًا، ولن نجد من يدافع عنَّا؟

- نحن لا نظلم أحدًا؛ نحن نطبق على المخالف القانون..

ولأن الباشا الكبير؛ انتهى حاله إلى استعمال سيارة المديرية على الوجه المخالف كسابقيه؛ يذهب به السائق في نهاية الأسبوع إلى بيته في محافظته، وفي بداية الأسبوع التالي يسافر بالسيارة فيعود به، ولو كان هناك تصريح رسمي للسيارة بهذه المهمة لأعْطِيَ السائق؛ ليقدمه إلى فرد الرقابة الإدارية إذا ما اعترض طريقة، ورغم أن جميع أجهزة الدولة باتت في حالة نيامٍ تام إلا أن السائق تعنَّت؛ فحَدَّثَ الباشا الكبير عن تخوفه، فحدث بينهما مشادّة، فتصيد له.. ترك السائق حتى صعدا ديوان المديرية العام، فقام باستدعائه إلى حجرة مكتبه، ليأخذ في استجوابه في حضرة الوكيل:

- البارحة؛ أنت شربت سيجارة في الاستراحة؟ الباشا الكبير من فوق كرسي رئاسته وهو آخذٌ يروح به يمنه ويسرة. فردّ السائق في ثبات:

- حَصَلَ.

- ورميت عقب السيجارة في عين الحمام؟

- حَصَلَ.

- أنا كبّيت ستين جردل ماء في عين الحمام ولم يمش العُقُبُ، وظل طافيًا بعين الحمام.. فتندر السائق دَهشًا:

- يا سَلامْ؟!

- ليس عندك دمًا، أنت بارد، مدير المديرية؛ فاستطرد السائق:

- وهل أنا كنت في جامع؟!

- لا، ولكنّي مُفَضَلٌ عليك.

- وَلِمَ؟! هل سيادتك جئت من قُدّام وجئنا نحن من الوراء ؟؟؛ ما كُلُنا أولاد تسعة، نقبض من خزينة واحدة؛ وإذا كنت سيادتك مُفضلًا فبالذّوق والأدب.

- أنا الباشا الكبير؛ أعطي الأوامر وأحكم هنا، لا أحد ثانٍ معي.. وواصل يتصيد للسائق: أنت، من أعطاك التعليمات لتأتي بعيش المديرية في سيارة أُوبـامـا؟؟ فلم يفطن السائق للمعنى؛ فسأل:

- مَنْ أوباما؟!

- أنا أوباما؛ كلامي هنا يمشي على الجميع.. فتحدث السائق في برودٍ؛ وكان لازال يفكر في كلمة أُوباما:

- أنا أعرف أن أوباما يهودي، وأنت موحِدٌ بالله.. فَبُهِت مدير المديرية؛ إذ لم يفكر في هذه من قبل؛ فخفض رأسه هنيهة، ثم نكص على عَقِبيه؛ ولم يعثر إلا على هذه العبارة:

- أنا أقول لك أنا أوباما مُفَضّلٌ عليك.

وحتى اللحظة كان وكيل المديرية حاضرًا غائبًا؛ أخذته المفاجأة من هذا الحوار الجريء للسائق؛ فجعل يسمع ويشاهد فقط؛ فالتفت مدير المديرية فزعًا يخاطبه:

- السائق لا يزال يرد عليّ! هات لي محمد عبد الرازق؟ فجيء بمفتش التحقيق هرولة، فقال له مدير المديرية:

- استخرج لهذا السائق قرارًا بخصم ثلاثة أيام من الراتب لتحدثه مع رئيسه بأسلوب غير لائق.. فتدخل السائق:

- أنت آخرك ١٥ يومًا، خذها كلها مرة واحدة حتى نقدر أن نتفاهم مع بعض.. فانتفض الباشا الكبير عن كرسيه فجذب السائق ليقعده عليه:

- أنت الآن تقدر أن تجلس فوق هذا الكرسي تدير شئون المديرية مكاني.. فبالغ السائق في التعدي:

- عندما يكون هذا الكرسي نظيفًا أستطيع أن أجلس عليه، فُدُفِعَ من الحضور إلى الخارج دفعًا، فالتفت يخبر وهم يخرجوه:

- هذه هي الفلول التي لم تمر عليها – بعد - ثورة ٢٥ يناير !٠ وكان مدير الشئون الإدارية قد أُحْضِرَ أيضًا، فالتفت إليه مدير المديرية ليأمره:

- أريد سائقًا آخر.

- تمامٌ يا باشا.. فأتبع للمحقق بخصوص السائق؛ وقد هدأت ثورته شيئًا ما:

- أَرْفِقْ به يا محمد يا عبد الرازق؟ أعطه ثلاثة أيام جزاءً فقط؟ هذا جاهل.

* * *

الفصل الرابــع

بَعْدَ الانتخابات البرلمانية، رجعت مدام أمنية تتصل، فقام للسعادة قلب مجاهد، وكانت الزوجة هي من ردّت عليها:

- وعليكم السلام، أهلًا يا مدام أمنية، كيف الحال؟ وكيف حال الزوج وحال البنات؟ وسألتها: ألا تأتوا إلى المنصورة فتمروا علينا.. قالت:

- وأنتم ألا تأتوا إلى القاهرة أبدًا؟ لا؛ أنتم نسيتمونا؟ اتصلت عدة مراتٍ في أوقاتٍ مختلفةٍ فلم أُحَصّلْ أحدًا. فَسُرَّ قلب مجاهد، وكان يسمع طرف الحديث، واستمر يدق، وقال في نفسه: هذه رسالة اعتذار إليك؟..وخطر له رَدُّها العنيف:

- لا، الأمر منتهٍ، طلبٌ في غير مَحله..حين طلب خِطْبَة ابنتها؛ وقالت للزميلة الرسول:

- أنا لا أدري ما الذي جعله يفكر كذلك؟!

كان ردّها لا ينفك يحضره آلاف المرات؛ ليلًا ونهارًا؛ واشتم منه حينها رائحة فكرٍ كريهة تنبئ عن عقيدتهم فيه؛ فقال لنفسه: هؤلاء مهما

يكن بينك وبينهم مودة فليست عندهم المرتجى. وآلمته العبارة جدًا، وفي كل مرة كانت تحضره كان يَخْلُصُ لنفس النتيجة! وعندما كان الشوق يطلبها؛ كان يأخذ بجماع ردها القاسي فيصدم به قلبه؛ وجَهَدَ لإخفاء غضبه، واعتصم بالهدوء، وتجنب الإلماحَ للموضوع من قريبٍ أو من بعيدٍ؛ وصرف ذهنه عنه كأنّ لم يقع في عالم الواقع أبدًا، وابتسم يسألها:

- انتخبتِ مَن للبرلمان؟ فضحكت:
- الكتلة.

فَدُهِشَ إذ الكُتْلَةُ مجموعة من الأحزاب الليبرالية بها زعيم من النصارى! فاسترجع يومًا كان قد سأل فيه عن طبيعة عمل ابنتها "عالية " وعمَّا إذا كانت تعمل مدرسةً؟ فأخبرت أن بنتاها لا يحبون العمل في الحكومة؛ بل تعمل في القطاع الخاص في مشروع للاستيراد والتصدير يمتلكه نصارى؛ وأكدت؛ غير أنها لا تدع مصحفها يغيب عن حقيبة يدها؛ ولم ترَ من القوم أي غضاضة عندما كانت تستخرجه فتقرأ فيه.. فأعاد عليها:

- انتخبت الكتلة؟! قالت:

- نعم، لأن فيهم د/ محمد غنيم وأنا أثق في اختيار هذا العالم الكبير.

- أنا انتخبت حَزْبَ النَّور؛ السَّلَفي..قالت:

- هؤلاء ناسٌ مُتَشَدّدون.

- مصيرهم إلى التَّعلم طالما دخلوا في السياسة، وردَّ؛ يتركون تشددهم سريعًا.. فعرجت تلمّح للموضوع لمَّا عرج يسألها عن الزوج والبنات مُجاملةً، فأنبأت مسرورة:

- عالية تزوجت، وسافرت مع زوجها الإمارات، فهلَّلَ يدقق العبارة؛ يقتطع الكلمات اقتطاعًا:
- واللهِ أُسْعِدنا؛ ولو دُعينا لحضرنا نهنئ.. فأوْغَلَتْ تَوَدُّ اعتذارًا:
- أثناؤها كان هناك كلامًا يجري عليها.

فزادت الطين بِلْة؛ وتأكد له ظنه الذي ظنَّ؛ فزهد - في هذه اللحظة - في الأم والابنة جميعًا، فأنف في نفسه: عذْرٌ أقْبَحُ من ذنب.. فأغفلها، واستمر يؤكد لسماحته؛ أنه لو دُعيا - أي والزوجة - لحضرا العُرْس..وأردف:

- أَسْعَدَنا هذا الخبر كثيرًا؛ اعتبرهنَّ بناتي.
- أنا متأكدة من هذا.. وقالت في مغزى:
- خلاص، كَبِرْنَا! ورغم استدعاءها الضحك؛ كانت النبرة تأسى:.. "والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحًا"..، فأراد أن يبين أن الشأن على خلاف ما تعتقد تمامًا؛ وأنه ما اختار عليها غيرها، فقط أعياه البحث عن حلٍ لتلك المُعضلة: كيف يستقيم له رؤيتها، أو مجرد محادثتها؛ وقد بات لا يطيق الجوى؟! وفكر كثيرًا في السبل؟.. واتفق الآن أن أمَّه، وأمَّ زوجته كانتا عنده؛ تجلسان جميعًا بنفس الحجرة على نفس السرير الذي يجلس عليه؛ فطالت المكالمة؛ وبدا منهما الإنصات للحديث ولمح تساؤل:

ما اهتمامه هذا الكبير بامرأة ليست من أهلـه؟ أهـي بالنسبة إليـه أكثـر مـن زميلة؟ والمرأة تنْسَمُ رائحة الأحاسيس مهما بلغ بها السنُّ كما تَنسمُ رائحة طبيخها يَشِيطُ ! فحاول إنهاء المكالمة؛ فبعث بسلامه إلى الزوج أولًا في رسالة مقصودة، وثنّى بالبنات؛ دون أن يقدر على بيان الحقيقة؛ وبقي هذا الشأن خَفِيٌ عنها؛ وجَاهَدَ جهادًا كبيرًا كي لا يفسد عليها عيشها.

وكان الهَرْجُ والمَرْجُ قد عصف بالبلاد عصفًا شديدًا بعد ذهاب رؤوس نظام مبارك إلى السجن، وفرار منْ فَرَّ منهم إلى الخارج؛. وكان رأيَ العين مبارك الذي ظل يحكم مصر ثلاثين عامًا ونجليه، في جلسات المحاكمة وراء القضبان بملابس السجن قد جرّأ الناس نحو المسئولين كثيرًا، وباتت الأيدي مُرتعشة جدًا؛ وأَثَّرَ الميدان في اتخاذ القرار؛ وأصبح المسئولون يخشون أن يخطئوا - ولو عن غير قصدٍ - فيكون مصيرهم مصير مبارك وهؤلاء؛ وراء القضبان.. وزاد في فَشوى رعب المسئولين وسائل الإعلام، والحوارات الدائرة؛ وقالت الجرائد كلاعب أساسي تزكي هذا الرعب، حتى الحكومية منها، وكان العنوان الرئيس لإحداها في الثاني والعشرين من أبريل ٢٠١١: معاينة مستشفى سجن طرة لاستقبال مبارك.. الرئيس السابق يطلب من المجلس العسكري البقاء في شرم الشيخ؛ مبارك يبكي، ويعاني من اختناقٍ وشعورٍ بالملـــــل..

وثناءُ، وزوجها ياسر من ضحايا هذا الرعب.. لقد اضطرت لقمة العَيْش ياسر إلى السفر إلى " السعودية " وحاول استقدام زوجته ثناءَ وَلَوْ زيارة؛ ثلاثة

شهور، ولأنه يعمل بإحدى المهن الدنيا "عامل مِعْمار"، وقوانين الدولة تمنع الاستقدام إلا أن يكون الزوج من أصحاب المؤهلات العُلْيا، سعى ياسر كثيرًا حتى اشترى لزوجته تأشيرة دخول تحت مسمى وظيفي " خياطة نسائية "، ولأن هذه الوظيفة من الوظائف المحظور سفر النساء المصريات عليها إلا أن يكون الزوج هناك، أو قريب من الدرجة الأولى، بالإضافة إلى الحصول على موافقة المستشار العمالي المصري المتواجد بتلك الدولة على التعاقد؛ على الرغم من معرفة جميع المسئولين أن المرأة في هذه الحالة لا تكون مسافرة للعمل بل لمرافقة الزوج؛ ولمشكلة حدثت قبل الثورة لنساء مصريات سافرن عاملات منزليات، فتناولت وسائل الإعلام المشكلة؛ ونفخت فيما يتعرض له الشعب المصري من الإهانة في الداخل والخارج من أجل لقمة العيش، تحت سمع وبصر الحكومة التي لا تصنع شيئًا سوى الكذب.. فأصدرت الوزيرة عائشة عبد الهادي قرارًا بحظرِ سفر النساء من أرباب مهن؛ عاملة منزلية، كوافيرة، خياطة نسائية، وما في حكمهن.. وتحت ضغط البطالة، ومطالبات أعضاء من مجلسيّ الشعب، والشورى رجعت الوزيرة ففتحت الباب لسفرهن بشرط، استدعاء المواطنة؛ لتأخذ عليها الوزيرة إقرارًا صريحًا زيادة في الاحتياط لنفسها، بعد سؤال المواطنة عن سبب سفرها الحقيقي ليتأكد لمعاليها حسن سير المواطنة وسلوكها؛ لتقوم بالتوقيع بالموافقة على الفيزا لا على العقد، لمرافقة الزوج..وقامت ثورة يناير، وأقيلت حكومة نظيف، وبقيت الوزيرة ضمن التشكيل الوزاري الجديد فأسرعت دون تريث بغلق بابًا قد يأتيها منه الريح؛ حظرت سفر النساء بتاتًا من أرباب تلك المهن

زلفى للثّوار؛ فأصاب القرار ثناء وزوجها ياسر في مقتل؛ فتقدمت إلى مجاهد بالمشكلة؛ فأملاها طلبًا، تتقدم به إلى الوزيرة؛

بسم الله الرحمن الرحيم

معالي السيدة/عائشة عبد الهادي؛ وزيرة القوى العاملة والهجرة.

تحية طيبة، وبعد.

مقدمه لسيادتكم ثناء فهيم فريد معوض؛ موظفة بمستشفى المنصورة الجامعي، ألتمس الموافقة على سفري لزوجي/ ياسر عبد العزيز توفيق؛ عامل معمار بدولة السعودية منذ ثلاث سنوات مضت، وحاولت منذ سفره السفر له، عمرة، أو زيارة، أو استقدامًا إلا أنه لم يتيسر لي ذلك.

ثم وفقه الله أن يرسل لي تأشيرة؛ خياطة نسائي لمَشْغَل صاحبته السيدة/ وضحة عبد الله العجمي؛ مرفق لسيادتكم الأوراق الدالة على ذلك.. تأشيرة لي من مَشْغَلِ خياطة نسائي، لصاحبته السيدة...

١- صورة رخصة الإقامة الخاصة بزوجي هناك.

٢- أصل موافقة وزارة العدل السعودية لزوجي على سفري.

٣- وثيقة عقد الزواج.

٤- جواز السفر الخاص بي.

ألتمس من معاليكم الموافقة على سفري لزوجي ليستقر شملنا، ولأنني تعبت وملأ اليأس قلبي التجأت لله ثم لمعاليكِ حتى تزيلي الدموع من أعين ملأها الحزن.

وفقك الله لفعل الخير، وثبت قدميك وأيدكِ بنصره.

وتفضلوا بقبول وافر الاحترام.

تحريرًا في ١٣/ ٢/ ٢٠١١م

مقدمه لسيادتكـــــــم

ثناء فهيم فريد معو

الموظفة بمستشفى المنصورة الجامعي

وسافرت لمقابلة الأستاذ/ رمضان عثمان؛ مدير عام الإدارة العامة للتشغيل والتمثيل الخارجي بالوزارة كما فطَّنها مجاهد: أنها جاءت بأوراق محققة للشروط حين لجأتُ أوَّل مرة للإدارة في الدقهلية فَطَلبَ مني أ/ مجاهد. يحرضها على نفسه، طبقًا للقرار الوزاري القديم.. وقال:

- آسى للنقود الكثيرة - سبعة عشر ألف ريالٍ سعوديّ - التي أنفقها زوجك في شراء هذه التأشيرة؛ لقد أصبح الباب اليوم مغلّقا.. فقالت والدموع تترقرق في عينيها:

- وهل يستجيب لي الأستاذ رمضان؟

- ليس لنا أن نيأس؛ اذهبي فقولي له ذلك: برجاء يا أستاذ رمضان عرض أوراقي هذه على معالي الوزيرة؟ وبكت:

- زوجي شقيَ حتى حصل على هذه الأوراق، ودفع فيها مبالغ كبيرة سَلَفَهَا من أيدي الناس.

- مرفوضة؛ قال رمضان دون أن ينظر لأيّها؛ فتركته وذهبت من فورها - كما فطَّنها مجاهد إلى مكتب معالي الوزيرة:

- أنا صاحبة حق، أنجزت كل ما طُلِبَ مني حين كان الباب مفتوحًا.. فزجرتها سكرتيرة معالي الوزيرة:

- ليست عندنا نساء تسافر خارج البلاد. تذهبون لأعمالٍ غير شريفة.. ولأن ثناء شرحت لسكرتيرة الوزير؛ أن زوجها هناك منذ ثلاث سنوات؛ وأنها مسافرة له؛ جأرت تبكي:

- حسبي الله ونعم الوكيل.. وتركتها وذهبت لـ د. جمال سرور؛ الرئيس الأعلى لـ رمضان؛ كُلُّه بِتَحْرِيضِ مجاهد؛ ولمَّا لم تصل مع طاقم مكتبه إلى شيء، ومنعت من مقابلته عادت لمناشدة رمضان في ضراعة:

- بالله عليك يا أستاذ رمضان.. فصاح:

- ارحمينا..

فظلت المسكينة تسافر يوميًّا من قريتها إلى المنصورة، ومن المنصورة إلى القاهرة إلى وزارة القوى العاملة من ٢٠١١/٢/١٣ حتى ٢٠١١/٣/١م؛ تاريخ استقالة حكومة شفيق؛ من الخامسة صباحًا؛ لا تترك الوزارة إلا عصرًا، تذرف الدموع، والنقود، والضراعات الكثيرة لمقابلة الوزيرة؛ والسفر قطعة من العذاب. حتى أُتت حكومة عصام شرف نزولًا على رغبة الثوار؛ ولحقت الوزيرة بأركان النظام السابق، وخَلَّفَت الباب مُغلقًا، وجيء بـ د."البرادعي" وزيرًا، فقررت ثناء أن تصنع ما قاله لها مجاهد:

- اعتصمي بباب مكتبه؛ إياك أن تبرحيه، صيحي، ناوشي حتى تلاقيه.. فقابلت من شباب الثورة من وجدها تبكي:

- اذهبي إلى مكتب د.شرف.. فسألته:

- كيف؟ أنا هنا وحدي، ولا أعرف كيف الطريق إلى هناك؟ فوصفه لها.. وقال:

- خذي رقم.. أ/ أحمد أبو زيد - صحفي - بإذن الله سوف يحل مشكلتك.. فاتصلت بالصحفي؛ فقال لها:

- خليكي قاعدة، اوعي تتعتعي؛ الوزير عندك؛ فهرعت إلى الباب فوجدته؛ فلهجت:

- أنا ثناء؛ كلم حضرتك عنّي فلان؛ أريد أن توقع لي، سيادتك، على التأشيرة.. ودخل فدخلت وراءه؛ فقال لمدير مكتبه:

- خذ منها الورق يا مجدي؛ سنتصل بك.. فلمَّا أبطأ الوزير رجعت إلى مجاهد تبكي؛ فقواها؛ فرجعت تناوش رغم معارضة الحرس ونادت تصيح.. فأُدْخِلَتْ للوزير؛ قال:

- كل واحدة زوجها هناك أوافق عليه، لكن ائتني بعقد العمل الخاص بزوجك؛ فرجعت وملؤها السعادة تشكر لله، وللشيخ مجاهد خاصة؛ لكل من ساعدها.

وجاءت بعقد عمل الزوج، وسافرت إلى مدير مكتب معالي الوزير، فوجدت الكلام قد تغير تمامًا؛ وأن سفر الزوجة لزوجها قرار، لم يُصْدره الوزير بعد، ومطلوبٌ منها توقيع المستشار العمالي المصري بالرياض على عقدها هي.. فرجعت الدَّمْع ملء عينيها تشكو إلى مجاهد:

- لم أعد أستطيع كلام زوجي في شيء.. آخر مرة اتصلت كان غضبانًا؛ ورفض أن يكلمني.. قال:

- ابعثي له برسالة على الموبايل؛ قولي لـه الشيخ مجاهد – بنفسه - يريد أن يكلمك.. فقال يضاحكه ويؤكد له:

- أبشر يا ياسر؛ موضوع سفر الزوجة وافق عليه الوزير- فقط - مطلوب موافقة المستشار العمالي على العقد، وهذا آخر المطالب.. فاشتكى:

- رُحْتُ له ورفض، وفي كل مرة يسيء معاملتي، وبيني وبينه أكثر مائة كيلو، وفي كل مرة أترك العمل حتى غضب عليّ رب العمل السعودي، وهددني.. فقال مجاهد وهو يحادثه من خلال موبايل ثناء:

- اذهب هذه المرة، فقط؛ وكلمني من عنده، قُل: فلانٌ؛ مدير عام الاستخدام الداخلي بالدقهلية يريد محادثة سعادتك..فاشتكى المستشار العمالي:

- لم يصلني أيٌّ شيء من الوزارة؛ أتريدني أن أوقع على العقد بالموافقة، فأذهب أنا فيها؟ لا أستطيع الاعتماد على قرار بُعثَ إليك حتى يبعثَ إلىّ.. فاتصل بـ رمضان عثمان؛ فأجاب:

- أُقسم بالله يا شيخ مجاهد، أن القرار الوزاري الجديد بالسماح بالسفر أرسلناه منذ يومين، وهو الآن في الطريق إليه.. وتالله؛ لكم قد كانت فرحة جميع أسرة إدارة الاستخدام الخارجي بثناء حيث حصلت على تأشيرة الدخول على جوازها واعْتِمادُ سفرها بهيجة!! وقال مجاهد يوصي لها ويضحك سعيدًا:

- أخيرًا يا ياسر أبشر؛ اعتمدت للزوجة أوراق سفرها وهي آتيتُك.

- اطلب سيادتك أيَّ حاجة آتيك من عندي، والفضل لك.

- فقط؛ أوصيك بثناء خيرًا؛ لقد صنعت ما لم يصنعه الرجال حتى تجيء إليك؛ كلمت الصحافة؛ أتت مكتب رئيس الوزراء؛ قامت على باب وزيرين، واعتصمت حتى استخرجت قرارًا جديدًا، ونحن جميعًا هنا نحبها؛ قمحية قوية بنت نكتة ودودا؛ سريعةٌ دَمْعُتُها وضحكتها؛ والألطف أنها تجيد ببراعة إذهاب غَضبك عنك يا ياسر، أدعو لكما: اللهم بارك لياسر في ثناء، وبارك له فيها...

* * *

وآهٍ من كل قلبٍ قاسٍ؛ لا تنفعه صلاةٌ، ولا صيامٌ.. وليس لله حاجة أن يدع المرء طعامه ولا شرابه؛ انتهى شأن خصم مجاهد؛ بلغ رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية أن الأخ انحرف عن المنهج القويم؛ خَلا إلى امرأة في شقة يعالجها بالقرآن مُخالفًا أهداف الجماعة مجانبة البدع، ومحدثات الأمور، بالإضافة إلى هدفها الرئيس؛ الدعوة إلى التوحيد الخالص، وأخذ الدين من نبعيه الصافيين القرآن والسنة الصحيحة. وتَقَدَّمَ مجاهد ليتسلم الجَدْوَلَ من الرئيس؛ وكان فضيلته قد نَوَّه في الاجتماع أن البعض قد رُفع من الجدول؛ ولعدم التجريح وسترًا للخُلة لن أذكر اسم الأخ إتباعًا لسنته - صلى الله عليه وسلم - ما بالُ أقوامٍ يفعلون كذا.. واستطرد فضيلته: آسف لفعل الأخ؛ نزل على السُّلَمِ لمّا علم برفعه من الجدول يشتم العبد لله، واعْتدَّ لنفسه؛ أنه انتسب إلى الجماعة من قبل أن ندخلها، وأن فضيلة الشيخ محمود - رحمة الله عليه -

لو كان حيًّا ما قَدِمَ على رفعه من الجدول، حتى يقدم عليها هذا؛ وأشار إلى نفسه، وأسرّ إلى مجاهد وهو يُسَلِّمُهُ نسخته من الجدول: أتدري يا شيخ مجاهد عمن كنت أتحدث؟ عن فلان، وذكر اسم الأخ صريحًا، فاندفع هو تحت وطأة الهمّ، وسوء أدب الأخ معه أن يخبره:

- لا تدري يا دكتور أيمن ما يقوم به هذا الأخ في القرية تجاهي؟ يستخدمه فرد من الإخوان ليفسد علينا دعوتنا.

فرجع من اجتماع الدعاة غضبانًا يلوم نفسه: قد زال خطر هذا، وما عاد يفد إلى المسجد لشهود الجماعة؟ ما كان ينبغي أن تحدث به هذا؛ يعني رئيس الجماعة.. كان الأخ قد ظل حينًا؛ كحارس الرّمّة يجلس في هيئة ذليلة، تلقاء القبلة؛ ينتظر الإقامة، ومن جانبه كان إذا رآه استبقها ووقف يواجه الناس، طالعه في مبغضة شديدة قبل أن يستدير للإمامة، فإذا أخطأ في القراءة أسرع يصوّبه فضيحة؛ أنه تقدم على من هو أقرأ منه؛ وعندما كانت تختلف عليه آية، ويحتاج إلى مدد كان يسكت فلا يعينه لاعتدائه وكِبْره، ولأن الإمامة هَمٌّ ثقيل تركه يفرغ كل ما في جعبته من آية، مواطن مُعيَّنة من الكتاب مضى يتعقبه فيها، ليعلمه أنه مهما قرأ فهو عارف جيد بالموضع الذي يقرأ منه لعلَّه ينتهي، ثمَّ انتهى شأنه إلى الفرار بحادثة تطول؛ وقع فيه بسببها أحد المصلين وهدده:

- إن عدت إلى القبلة سيكون مني كذا وكذا.. فحرَّض فرد الإخوان عينه أبا سريع ليقوم مقامه، وأخذ يُرَاضي له الناس وَيَذُبُ عنه، لكنَّ مصيبة أبي سريع

أنه يسرق في الصلاة، ويلحن في القراءة، وإذا أخطأ في ركعة لا يدري كيف يصلحها؛ وكان "سامي" الشاب الذي تحمل شأن الأذان والإقامة؛ لا يقيم الصلاة إلا إذا حضر هو، فسعى فرد الإخوان لانتزاع المفاتيح من سامي عقب هذا الحادث.. أبطأ هو؛ وتَلَفَتَ الناس؛ فاضطر سامي للإقامة، لكن من مكبر الصوت الموضوع في القبلة لقراءة الإمام؛ ليحول بين أبي سريع وبين دخولها، ليصل هو بالناس، ولما التفت ليواجه الناس، ويصفهم، أبصره يقف، وكان قد حضر أثناء الإقامة؛ فاستَحْيا سامي فقام بيده يطلبه للإمامة، وراح يتأخر؛ فهرول أبو سريع داخلًا القبلة، فثَبُتَ سامي مكانه، فوقف أبو سريع إلى جواره.. وانتهى الحال إلى وجود إمامين في القبلة.. وانْتظَرَ الناس أن يتأخر أحدهما للآخر، وأخذ البعض في التذمر، وَتصاعدت الهمهمة!! فالناس تريد في النهاية أن تفرغ من الصلاة؛ لكن كيف لهما إمامان؟ وأشفق هو من الموقف فطلب سامي، وهو يعلم أنه يُطيعه:

- تعال يا شيخ سامي؟ وأخذ بيده إلى الصف.. وتوجه إلى أبي سريع كذلك؛ وكذا يكون قد ساوى بين الخصمين.. وناداه:

- تعالى يا شيخ يحيى؟ وأومأ لأبي سريع أن يدخل إلى الصف فاستنكف:

- أنا أكبر منك سنًا، وتسمَّر مكانه.. فسأله:

- أمقتنعٌ أنت أم صدقت نفسك؟!.. فلم يجب بل ظلَّ كصنم؛ فتركه ودخل هو إلى الصف؛ وما ظنٌّ أن هذا يجعله طرفًا في النزاع، وأخذ البعض يبتسم،

فخلّفه، ودخل الصف مخذولًا؛ وما أن فُرِغَ من الصلاة، حتى وقع الناس بعضهم في بعض؛ هذا من شيعته وهذا من عدوه، وتصايحوا، ووقع التدافع بالأيدي؛ ثم كان على رواد المسجد أن يشهدوا هذا الصراع كل يوم؛ يأخذ سامي في الإقامة من مكبر الصوت الذي في القبلة للإمام، فيهرول أبو سريع واقفًا إلى جواره في القبلة!! وكان الماضي إلى المسجد لابد أن يُرَوّضَ نفسه على الصبر؛ فأبو سريع يُبيت لكل صلاة؛ وسامي عازم أن يصرفه عن دخول القبلة؛ وأبو سريع لن يتركها أبدًا، فاضطر سامي أن يأمر غيره بالإقامة ليسبق إلى القبلة، فينهض أبو سريع قبل أن يأخذ المقيم في الإقامة يسرع إلى القبلة؛ فيتناول السجادة التي وضعت للإمام فينفضها في الهواء مرة أو مرتين، ينتظر الإقامة فَيُتْرك في القبلة ينتظر، والناس لا تصنع شيئًا سوى الضحك؛ فاضطر أن يتخلف حتى يفرغ المقيم من الإقامة، عندها يتأكد أن القبلة شُغلت، فاقتاد أحد المصلين سامي لثنيه عن هذا الدفاع المستميت:

- أنت تدافع عن الشيخ مجاهد، وهو ليس من أهلك.. قال الرجل:

- وكان يعمل جزّارًا، أنا أدافع عن الحق.. قال:

- عن أي حقٍ تدافع؟! دَع الإمامة شاء؟ فغلبه الشاب كذلك:

- أرأيت إن حدث حادث لأمّ ولدك، أو لإحدى بناتك، من كنت تذهب فتسْتَفْتِهِ فلان أم فلان؟

- أذهب إلى الشيخ مجاهد.

- ولِمَ تذهب إليه ولَمْ تذهب إلى فلان ؟! قال:

- لأني أعلم أن الشيخ مجاهد أعرف.

- تعني؛ دارس؛ وهو حافظ للقرآن جميعه عن ظهر قلب، ومستقيم؛ لذا تذهب إليه؛ ولذا هو أحق بالإمامة؛ بل يجب أن يعامل منَّا جميعًا باحترامٍ؛ أمَّا فلان، فيلحن في القراءة، ويسرق في الصلاة، وضحك؛ ويصافح النساء، ويخرج إلى المسجد يصلي بالناس، ويوم الخميس يخرج إلى المقابر يقرؤه الناس القرآن؛ يعني صاحب بدعة؟ فعَيَّ عن صرفه عن مآزرة مجاهد..

وبعد ٢٥ يناير باتت لغة الإقصاء ظاهرة؛ فكل من انتسب إلى النظام السابق نُعتَ؛ " فِلٌ " وَسُعِيَ في إقصائه عن الحياة العامة مَهْما كان الشخص مُجيدًا، ولو لم تكن له جريرة إلا أنّه لم يكن مناوئًا للنظام السابق، وزكّى هذا الشعور لدى العامة، الكلمات المتداولة بين النخبة التي قعدت تتحدث لوسائل الإعلام عن ثروات وطن منهوبة، وأموال ضخمة مُهَرَّبة؛ وحيثما ولّى المرء سمع دندنة لشائعة، وملأت الشائعات الناس غِلًا؛ وجرت المغالاة؛ فإن أراد المصدر تصحيح نبأ كَذبٍ؛ تلقّاه الناس في شكٍ، وعاد الحديث عن الشائعة كأنها حقيقة؛ ولو تحدَّث شخص عن مزيَةٍ للنظام السابق؛ كالأمن، أو النمو الاقتصادي، أو الاحتياطي النقدي، وجد هجومًا شديدًا، وراحت النّخبة تنتقل من قناة إلى قناة، ومن برنامج إلى برنامج حتى حُفظوا؛ كما حُفِظَ وجوه النظام السابق؛ وتداول الصوت العالي، بل الشتم، والقذف، وَرَفضِ الآخر المخالف في الرأي..

هذا؛ وإن وقع النظام السابق في إقصاء فيصلًا واحدًا فجُعِلَ محذورًا لأنه طالبٌ للحكم، فطول فترة حكم مبارك أشربت القلوب نوعًا من الاستبداد حتى النُّخبة جميعهم خرجوا من تحت عباءة مبارك؛ بل تداول الفكر النمطيً، ونسيت النخبة أنها عانت من الإقصاء؛ وأنه لغة عنيفة لا ينبغي تداولها؛ ظهر هذا جليًّا في اختيار اللجنة التأسيسية لوضع الدستور الجديد؛ ففي البرنامج التليفزيوني المسائي العاشرة تحدَّث أحد النواب المستقلين إلى الإعلامية الشهيرة؛ أن قرار انسحابه من الجمعية التأسيسية المكلفة بوضع الدستور لم يكن سهلًا أبدًا، وبني على أسس موضوعية، لأن نسبة تمثيل الإسلاميين باللجنة تجاوزت ٦٠ في المئة وليس ٤٨ في المئة كما قالت جماعة الإخوان وأكد " حمزاوي؛" أستاذ للعلوم السياسية، أنّه تم انتخابه كنائب مستقل، فلا يوجد لديه ما يسمي بالالتزام الحزبي، لذا قَرَّرَ الانسحاب من الجمعية التأسيسية، بسبب غياب معايير الكفاءة لصالح الولاء الحزبي بالمعنى الضيق، وتَغْيُّبَ أهل الخبرة، فضلا على غياب التمثيل المتوازن في الجمعية، وأن الجمعية لابد أن تعكس خليطًا واسعًا من الانتماءات حتى يخرج دُستورٌ محْترمٌ، يليق بالمجتمع، ويعبر عنه؛ وأنه عندما يتم انتخاب طالب من جامعة المنصورة ليمثل طلاب مصر نكتشف أنه منتمٍ لجماعة الإخوان المسلمين!..
وأن نسبة ال ٤٨ في المئة التي أعلن الإسلاميون أنها تمثلهم ليست صحيحة لأنها تتجاوز ٥٥ في المئة وحين نتحدث عن المنتمين تنظيمًا لمشروع الإسلام السياسي سنجد النسبة تجاوزت ٦٠ في المئة

فعقد رئيس المجلس الأعلى للقوات المسلحة؛ المشير طنطاوي لقاءً مع رؤساء ثمانية عشر حزبًا ونائبين من أعضاء البرلمان، لمناقشة التطورات على الساحة السياسية؛ وسعى لحثهم على التّوصُّل إلى اتفاق فيما بينهم حول الجمعية التأسيسية للدستور في ضوء الجدل القائم حول الموضوع.

في ذات الوقت قررت محكمة القضاء الإداري بمجلس الدولة حجز دعوي الطعن على" التأسيسية" للنطق بالحكم بجلسة العاشر من إبريل المقبل، واستمعت المحكمة لمرافعات مقيمي الدعاوي الذين طالبوا بإصدار حكم بإلغاء تشكيل الجمعية التأسيسية للدستور، وبطلانها استنادًا إلى أنها لا تعبّر عن جميع أطياف المجتمع؛ ومخالفتها للقواعد، والأعراف الصحيحة لوضع الدساتير.

وقال د."عصفور" واحد من النفر الأربع الذي أقام دعاوي الطعون: إن تشكيل اللجنة يشوبه عورًا؛ فاللجنة لا يتواجد فيها أي عميد لكلية الحقوق، رغم وجود سبع عشرة كلية حقوق في مصر، وأنه لم يتم اختيار أي من أساتذة القانون الدستوري في عضوية اللجنة التأسيسية.

وقال نقيب المحامين: أن أعضاء مجلس الشعب، وكلاء من الشعب، وأنه لا يجوز للوكيل اختيار نفسه، وإنما عليه أن يُرَشّحَ وَيُنْتَخَبَ من الآخرين..

متاهة وقع فيها الشعب المصري، لا يدري متى ينتهي هذا الجدل القائم؛ فالكل يصيح؟ والبرامج التليفزيونية حامية الوطيس؛ وشهدت قاعة المحكمة

فوضى عارمة بدأت بمشادة بين شخص وصف المحامي مقيم الدعوى بأنه من الفلول، فاعتدى أنصار الأخير على الشخص، واحتدت المناقشات، وحدثت فوضى فاضطر القاضي إلى رفع الجلسة؛ واحتشد عشرات المواطنين أمام المحكمة رافعين يافطات: الدستور مش أغلبية..هذه وثيقة مصرية..

وقال قيادي في حركة "كفاية": في حالة رفض محكمة القضاء الإداري للطعن المقدم فإن البديل سيكون تشكيل لجنة من مائة عضو يقومون بوضع دستور موازٍ للبلاد، والاختيار النهائي للشعب.

وقال طبيب المسالك الشهير" غنيم " القيادي في حزب المصري الديمقراطي الاجتماعي: أن التجربة أثبتت أن الميدان هو وسيلة تحقيق المصريين لغاياتهم، وأنه في حالة رفض الطعن فإن القوي السياسية ستنظم المليونيات حتى يتراجع مدعو الأغلبية..

فاستشرف الناس الصحف كلاعب أساسي على الساحة في اليوم التالي؛ جريدة الوفد: مصير تأسيسية الدستور١٠ أبريل؛ الفوضى تسيطر على جلسة طعون تأسيسية الدستور.. المحكمة تشهد اشتباكات.. وزير القوى العاملة من بين رافعي الدعاوي.. تقارير حقوقية تؤكد: تشكيل التأسيسية انحراف بالتشريع يهدد بسقوط الدستور.

ولخَصت المباراة صحيفة المصري اليوم: التأسيسية تتعثر، والعسكري يتدخل لإخماد الفتنة.. الانسحابات تتوالي من الجمعية، ومسيرات إلى البرلمان اليوم لرفضها، والقضاء يحسم مصيرها١٠ أبريل ٢٠١٢م..

أمّا الأهرام الحكومية فجرت مستأنسة كالعادة: المشير يبحث مع قادة الأحزاب احتواء أزمة الدستور.. التأسيسية تجتمع اليوم.. والحكم في الطعون في العاشر من أبريل..

كان سباق الرئاسة قد بدأ بالأمس؛ ففي شوارع القاهرة في موكبٍ ضخمٍ؛ ضَمَّ عشرات الآلاف من أنصاره توجه المرشح الإسلامي حازم صلاح إلى اللجنة العليا للانتخابات الرئاسية بمصر الجديدة لتقديم أوراق ترشيحه؛ انطلقت المسيرة عقب صلاة الجمعة من أمام مسجد " أسد بن الفرات " بالدقي، مستخدمة السيارات الملاكي، وسيارات ، بالإضافة إلى عشرة أتوبيسات حملت توكيلات المواطنين؛ قيل أنها تجاوزت ١٦٠ ألف توكيلًا، وتوكيلات ثمانية وخمسين نائبًا من مجلسي الشعب والشورى؛ وغطت " بوسترات أبو إسماعيل " السيارات التي حوت مكبرات صوت أذاعت أناشيد دينية، وأغاني مؤيدة للمرشح السلفي؛ كان مشهده بين أنصاره أقرب إلى ملكٍ متوج منه إلى مرشح تجرى عليه - متى قُبِلَت توكيلاته - احتمالات الخسارة والفوز! ورفض أنصاره تولي قوات الشرطة تأمين دخول الصناديق الحاوية للتوكيلات إلى مقر اللجنة، وأصروا على تأمين دخولها من جانب الحملة فقط، وأقاموا للصناديق سلاسل بشرية أمام المقر.

وفي مدينة العيَّاط – أيضًا - عقب صلاة الجمعة، في مؤتمرٍ جماهيريّ عقده د.العَوَّا؛ ذو المرجعية الإسلامية - كما أحب أن يُطْلَقَ على نفسه - هاجم فيه المستشار "عبد المعز" عضو اللجنة العليا للانتخابات، وأشار إلى قلقه من وجوده في اللجنة، وأنه يطلب منه التنحي ليرفع الحرج عن أعضائها؛ وأنه لن يثق في قراراتها مادام تواجده؛ بسبب تدخله في قضية سفر الأمريكيين المتهمين في قضية التمويل الأجنبي، وحذر من أن هناك حملة شرسة موجهة نحو الإسلام، وذلك يعود إلى قوته؛ وطمأن الحاضرين أن الإسلام لم يزل قويًّا رغم الهجوم الذي يُوجه إليه من أعدائه، وقال: أما عن الهجوم الذي يقوم به البعض عليَّ في الفضائيات، والدعاية المضادة التي تروج ضدي في هذه الفترة فأني أحيل أمر هؤلاء إلى الله، ولن أُسيء إليهم.

وأعلن المستشار" البسطويسي" المرشح الليبرالي؛ أنه سيتوجه غدًا الأحد إلى مقر اللجنة العليا لتقديم أوراقه كمرشحٍ لحزب التجمع، بعد أن استكمل جميع الأوراق المطلوبة، وأشاد بالتجربة التونسية في وضع الدستور بعد الثورة، وعن حالة الوعي السياسي، حيث نأى الحزب الإسلامي الحاكم النهضة بنفسه عن الاستحواذ بالنصيب الأكبر من جمعية وضع الدستور، وكان ساعيًا لأن يشارك أكبر قدر ممكن من الطوائف والشرائح في وضعه.. وقال: كنت أتمنى أن يكون الإخوان المسلمون في مصر على هذه الدرجة نفسها من الوعي السياسي.

وفـي حـوارٍ لحمـدين صـباحي بجريـدة الأهـرام؛ رفـض تـورط الجـيش فـي السياسـة، وأرسـل مرشـح قـوى الثـورة الناصـري إلـى الشـعب هـذه الرسـائل القصـيرة السـريعة: مصـر أقـوي مـن البرلمـان والأحـزاب، ولـن تصـبح دولـة دينيـة.. كنـت أتمنـى تشـكيل اللجنـة التأسيسـية بالكامـل مـن خـارج البرلمـان.. الرئيس المقبل صناعة مصرية خالصة، ولا مجال لتدخل خـارجي.. لابـد مـن تطهير مؤسسـات الدولـة باستئصـال رمـوز النظـام السـابق.. نحـن بحاجـة إلـى رئيسٍ ينقل الثورة من الميادين إلى الدواوين.. يجب رفع الحصار عن غزة، وقطع الغاز عن إسرائيل.

أمَّا الفريق أحمد شفيق؛ قائد السلاح الجوي؛ وزير الطيران المدني في النظام السابق؛ وآخر رئيس وزراء في عهد مبارك، فجاءت كلمته من داخل كنيسـة القديسة؛ رفقـة أثنـاء زيارتـه لقريـة؛ سـنباط بمحافظـة الغربيـة - أيضًـا - عقـب صلاة الجمعة؛ قال: عَمِلْتُ لمدة خمسين سنة في العمل العام، وأعرف مـا يهمّ المواطن المصري، خاصة الفلاح، لأن مصر قدمت الدليل للعالم في الزراعة التي عانت من الإهمال لسنوات طويلة فـي هذا القطـاع، علينـا أن نعمل علـى تعويض الفلاح؛ معربًـا عـن تفاؤلـه لزيارتـه داريـن للعبـادة فـي آنٍ واحد همـا الكنيسـة والمسجد، وتـابع؛ هذه بشارة..سـأكون خادمًـا للجميـع، متعهدًا بـأداء الواجب مائة في المائة في حالة فوزي في الانتخابات وتولي المهمة.

وقال عمرو موسي؛ وزير الخارجية الأسبق؛ مرشح حزب الوفد: أفضّل أن تكون مدة الرئاسة أربع سنوات فقط، وأنها فترة ستكون كافية لوضع البلاد

على الطريق الصحيح نحو التقدم والبناء، وقال؛ الساحة السياسية المصرية تشهد حاليًا بعض التوتر والقلق على خلفية تشكيل اللجنة التأسيسية لإعداد الدستور، ولكننا قادرين على تخطي وعبور هذه المرحلة، وسيتم إجراء الانتخابات الرئاسية في موعدها، وستكون حرة وشفافة.

وبعد اجتماعٍ مُغْلقٍ مُطَوَّل من صباح أمس، لم تستقر جماعة الإخوان المسلمين على تسمية مرشحها للرئاسة بعد اعتذار خيرت الشاطر؛ النائب الأول للمرشد، وأجلت الجماعة اتخاذ قرارها إلى الثلاثاء المقبل، وفرضت كردونًا أمنيًّا من شبابها أمام مبنى المقر العام لها بالمقطم؛ واستاء مراسلو الإعلام من أسلوب التعامل إذ وقفوا لساعات طويلة أمام مبنى المقر دون اهتمام بهم؛ وأكد المرشد العام: الجماعة لن ترشح أحد أعضائها إلا إذا استشعرت بتهديد على مصر، وأظهرت شاشة التلفاز رجلًا كبير السن حضر من أسيوط إلى مقر الجماعة؛ ظل جالسًا، مُعلنًا أنه يحمل رسالة ويريد مقابلة قادة الجماعة، وبأعلى صوته أخذ يردد مطالبًا الجماعة بتنفيذ وعودها بتطبيق الشريعة، وإصلاح البلاد، وعدم ممارساتها لما كان يفعله الحزب الوطني المنحل.

* * *

وبعد الأخذ والرد، أخذت مفاتيح المسجد من نصير مجاهد الشاب سامي؛ وأعطيت لشخص، قِيلَ إنه مُحايد؛ ليس له من الأمر شيء إلا الأذان والإقامة؛ يترك التقدم للإمامة لمن شاء، فأنشأ عدُو مجاهد

الألد وخليل أبي سريع يتحايل لصاحبه؛ يقعد للمتعهد الجديد يتوددُ إليه حتى أذِنَ له في الأذان والإقامة، فأخذ يسْرعُ في الإقامة إذا حضر صاحبه، ويبطئ إذا حضر مجاهد، وحرَّض شخصًا آخرًا أن يتقدم للإمامة إذا تخلف صاحبه وكان مجاهد حاضرًا، ولأن مجاهد لا يخطو إلى القبلة إلا أن يفرغ المقيم من الإقامة، وجميعهم - عدا أبي سريع - يحجمون عن التقدم في حضوره، فقام ينفخ في شخص المتعهد نصف المتعلم:

- ما رأيك يا أستاذ فلان، لو كان من أمر المسجد كذا وذا؟ - يكسبه الثقة - ثمَّ أوعز إليه بالتقدم؛ لأن الناس تكره إمامة ممجاه، وجرّأه على دخول القبلة حتى وقعت هذه الواقعة.. تخلف كُل الأئمة؛ بما فيهم الشخص المُوعز إليه، فأبصر خليل أبي سريع سامي قادمًا من محل الوضوء؛ ولأنه تَعجلَ الإقامة، ولم يجد من يحرضه لها، أَسرَعَ بنفسه إلى القبلة كي يصلي بالناس، ولأنه من العوام استنكر عليه سامي وقال يحدث الناس:
- كيف يجترأ هذا الشخص أن يصلي بكم؟!

فسمع الشخص هذا التقريع الشديد، فترك القبلة وكان قد همَّ بالدّخول في الصلاة؛ فخلفها؛ ليلتفت إلى سامي محذرًا: - اسكت يا ولد.. فأبصر سامي مجاهد مأمومًا يقف في الصف فاستطرد:

- لن أسكت، كيف تتجرأ أن تصلي بالناس في حضرة هذا الرجل؛ - وكان مجاهد قد حضر أثناء الإقامة وللهفة الشخص حين شاهد سامي قادمًا، لم

يلتفت فيرى - ترك القبلة وترك الصلاة ومشى إلى سامي ليصدمه؛ وكان ظاهر البأس رغم تقدمه في السن؛ يعمل سائق نقل متوسط قبل خروجه معاشًا مبكرًا، وشجعه على الإقدام علمه بخصمه المسالم الذي لا يجيد سوى الكلام، وأنه يعاني الغضروف، ولحظه التعس أبصر بالمشهد أخٌ لسامي كان أثناء خدمته بالجيش مجند في الأمن المركزي قويًّا فاقتحم للمعتدي فجذبه من خناقه جذبة شديدة، ودمدم:

- أنت رجل سافل، هذه المشاكل أنت سببها، الأبعد ابن الكلب سأقتلك.. وأخذ يرفعه من خناقه يدنيه من رأسه لينطحه بينما الآخر مذعورًا يجذب نفسه للوراء نازلًا بمؤخرته إلى الأرض.. فأسرعوا يخلصونه من يده:

- سيبه يا فلان؟ الرجل كأبيك! فدَمْدَم:

- سأقتله، هذا أس البلاء.. فتكاثروا كي يستخرجوه من يده؛ فتحدث لهم:

- هو لا يدع أن يحرض صاحبه الذي يلحن في القراءة، ويسرق في الصلاة ليسبق إلى الإمامة ليفسد علينا الصلاة.. وكان هذا الأخ لديه بقية من فقهٍ تعلمه؛ فأردف:

- أإذا لم يجد من يحرضه يجري إليها هو؛ والشيخ مجاهد حاضرًا ؟!.. فأقسم الرجل لأخي مجاهد وكان شاهدًا للواقعة؛ فمضي بالشخص جانبًا يعاتبه فاعتذر إليه:

- والله ما رأيت أخاك؛ والله لو رأيته ما كنت متقدمًا.

* * *

الفصل الخامس

قديمًا قالوا: منْ خافَ سَلِمَ..

فمنذ حوالي عشرين عامًا، والنقاشات، والدراسات لا تكاد تهدأ، أو تنقطع حول موضوع نكبة الديناصور الذي سيطر على مسرح الحياة الأرضية حينًا من الدهر - قيل قبل ما يزيد على مئة وأربعين مليون سنة - وكيفية اختفائه من مسرح الحياة في نهاية الحقبة الطباشيرية قبل ٦٥ مليون سنة، فالنظرية السائدة.. أن جُرمًا سماويًّا بحجم عشرة كيلو مترات اصطدم بالأرض في المكسيك، وأحدث انفجارًا هائلًا تعادل قوته التدميرية عشرة آلاف مليون قنبلة ذرية انشطارية كالتي ألقيت على هيروشيما، وتسبب في دمار بيئي كارثي للأرض قضى على الديناصور، وعلى ثلاثة أرباع الحياة السائدة آنذاك، تموت الحيوانات الكبيرة، وتنجو بعض الحيوانات الصغيرة في مخابئها؛ ويَتفِقُ العلماء أن انقراض الديناصور، لم يكن لسبب واحد، وإنما هو خلاصة تدمير البيئة الذي تسبب به اصطدام النيزك، وسيناريو الاصطدام - كما جاء في مجلة آسترونومى عدد نيسان ١٩٩٦ لليوم الذي مات فيه الديناصور..

ساعات قبل الحدث..تنظر إلى السماء فترى شيئًا غريبًا، وبعد ساعة من ذلك يصبح هذا الشيء أكثر سطوعًا ولمعانًا فتأخذ في التساؤل: هل هو مُسْتَعِرٌ، أم مُذَنَبٌ، أم سَفينةُ فضاء جاءتنا من حضارة كونية عاقلة غير

أرضية ؟ ولأنك لست ديناصورًا فإنك تفهم الرسالة؛ أن نيزكًا في الطريق للاصطدام مع الأرض، الوقت ساعة الصفر..

وبعد حوالي ثلاث ساعات يخترق النَّيْزَكُ الغلافَ الجوي الأرضي مُحدثًا فيه نَفَقًا، نتيجة الصدمة الموجية أو الموجة الصدمية، ثم يشتعل على شكل كرة نارية يضاهى سطوعها شمسًا ثانية، تضرب هذه الكرة النارية الأرض بعد عشر ثوانٍ من دخول النيزك غلاف الأرض الجوى..

اللحظات الأولى بعد الاصطدام..ترتفع أمواج المياه إلى مئة متر، حيث شواطئ خليج المكسيك، على شكل إعصار مائي هائل، يغرق بطوفانه السهول الساحلية، على عمق آلاف الأميال.. اصطدام النيزك يحدث انفجارًا مُرَوِّعًا ذا قوة تدميرية، تعادل عشر آلاف مليون قنبلة ذرية كالتي ألقيت على هيروشيما، ويندفع الغاز والغبار المنصهر من موقع الانفجار ممزوجًا بمواد النيزك بما مقداره (ثلاثة إلى أربعة أضعاف كتلة النيزك) مُنطلقًا إلى الفضاء بسرعات كافية للهروب من جاذبية الأرض، بينما تعود المواد الغبارية لدخول الغلاف الجوى وتسقط بعيدًا عن موقع الاصطدام على شكل كرات نارية تشوى الكائنات الحية..

تُسَخِّنُ الطاقة الحرارية المتحررة جو الأرض حتى تصل درجة حرارته درجات حرارة فرن المطبخ، فَتُشْوَىَ الحيوانات البرية على اليابسة، وتشتعل الغابات بالحرائق، وتتحول السماء من لونها الأزرق الشفاف إلى قطعة حمراء لامعة؛ كما يقول العالمان تون وزانلى: الاصطدام جعل العلماء

يطرحون أسئلة: إذا كان حَدَثٌ نادِرٌ مثل هذا باستطاعته أن يغير بعمق مجرى الحياة على الأرض، فهل يتكرر هذا الحدث مرة أخرى؟ ومتى؟ وما العمل؟ هل نترك مسيرة تطور الحياة على الأرض تأخذ مجراها الطبيعي الخاص به، أم أننا نستطيع أن نعمل ما لم يستطعه الديناصور؟ فما بإمكان أيٍّ من الحيوانات الضخمة، أو حتى الديناصورات أن تهرب من الحر بعد احتراق الرئتين وتفحم الجلد، وتشوى الديناصورات في غضون ساعات من الاصطدام، وتواجه أصناف الديناصورات مصيرها من الزوال، ومع ذلك لم تستسلم كُلُّ الحيوانات لنيران يوم النهاية؛ لهذا لم تنتهِ الحياة على الأرض.. كيف يعقل حدوث ذلك؟؟

قيل بعد عشر ساعات على الاصطدام الكبير للكُوَيْكب بالأرض، أُطْلِقَ العنان للدَّمار، والموجات المُحطّمة، والهزات الأرضية، وموجات السونامى الخارق حتى آلاف الكيلومترات، في هذه اللحظة يَجِدُ العلماء في مختبر النيران في"سان أنطونيو" في ولاية تكساس، الدلائل على احتمال نجاة بعض مظاهر الحياة في ظل درجات حرارة تكفى للتحنيط، فبعد مرور خمس عشرة ثانية على بدء تفجر الحرارة، يزيد معدل الحرارة من حرارة سطح الأرض إلى ثمانمائة وخمسة عشر درجة مئوية، أما داخل أحد الأحجار التجريبية على عمق اثني عشر سنتيمتر من سطح الأرض فقد ارتفعت الحرارة إلى إحدى وأربعين درجة مئوية فقط، فيما على عمق خمسة وعشرين سنتيمتر فقد بلغت الحرارة خمس وثلاثين درجة مئوية، وفيما هاتان درجتان يمكن تحملهما، فهل نجت بعض الأجناس بهذه الطريق

أي عبر دفن أنفسها تحت الأرض. يبدو أن نتائج الاختبار..تدعم فكرة أن النباتات والحيوانات التي بإمكانها أن تلجأ تحت الأرض، أو التي كانت تعيش سلفًا تحت الأرض هي التي تمكنت من النجاة؛ أي أنَّ منْ خافَ سَلِمَ، فالكائنات التي كانت تشعر دائمًا بالخوف، وأنها لا تحيى وحدها احتالت فنجت، أما الديناصور الذي أعجبته قوتُهُ، وقد سيطر فَحَييَ كأنَّه في الكون وحده، لم ينتبْه خوف ممن قد يظهر عليه فجأة ويكون أقوى منه، فهلك لأنه لم يفكر في مثل هذه اللحظة، وبقى الأضعف منه..

وفيما كان الصراع على السلطة في مصر بين قوتين؛ ظلت إحداهما دائمًا تسيطر، وتطمئن أنها الأقوى والأبقى، ظلت الأخرى تبتكر سبلًا تجعلها تكسب وُدَّ الآخرين لأنها تشعر بالخوف؛ هاتان القوتان هما جماعة الإخوان، والحزب الوطني الحاكم الذي بلغ به الإحْساسُ بمظاهر القوة والسيطرة عقب الانتخابات البرلمانية ٢٠١٠ أن مبارك اسْتَخفَ بإرادة المحتجين، وقوى المعارضة التي أخذت في إنشاء برلمان موازٍ لبرلمانه المعتمد فصرح " خليهم يِتْسلوا " وكانت الفكرة التي ساست النفوس أن تغيير الحال من المحال، وكان مجاهد إذا استشرف للمستقبل، يقول لزوجه مُتَنَدّرًا، وهو ينظر لمبارك - ذي الثمانين عامًا في مناسبةٍ ما، يمشى في ثبات مطوحًا ذراعيه يمْنةً ويسرةً في نشاط وصحة، مُتصدّرًا جميع مرافقيه المهرولين للحاقه -؛ فيعلق مجاهد لزوجه:

- يبدو أن هذا لن يذهب قبل أن يزورنا القبور!

بينما جماعة الأخوان في إحساسها بالضعف والخوف تَجِدُّ في استمالة الجماهير بأنها مظلومة؛ ما عُوقِبُوا بما عوقبوا به إلا من أجل الإسلام وتطبيق الشريعة، وأن الإسلام هو الحل، ولا نهضة لمصر - بل ولا للعالم - إلا بتطبيق الشريعة..

وسُجنَ مبارك ونجليه وطاقم حكمه، وصدر قرار بحل الحزب الوطني، وانفردت جماعة الإخوان بالساحة، وبأسرع ما كان يُتَخيَّلُ نسيت، أعجبتها قوتها التنظيمية وقدرتها على الحشد، فقدّرت أن معارضيها ما هم إلا زبدًا كزبد البحر يذهب جفاء؛ صرح بذلك مرشد الجماعة العام..

وفى استعراض للقوة صرح؛ عضو الهيئة البرلمانية لـ حزب الحرية والعدالة - الذراع السياسي للجماعة - كما تحب أن تروج لنفسها؛ إذا سئلت أجماعة دعوية؟! أم حزب سياسي لا شأن له بالدين؟! صرح العضو: جماعة الإخوان المسلمين لن تدفع بمرشح رئاسي من داخلها في حال تجاوب المجلس العسكري بإقالة الحكومة الحالية، وتكليفها بتشكيل حكومة جديدة مكتملة الصلاحية..

وبالأمس؛ عقد مجلس شورى الجماعة اجتماعًا مفاجئًا لحسم ملف الانتخابات، والبحث في إمكان الدفع بمرشح رئاسي، وسط تعتيم إعلامي، وتَجاهُلُ ما يمكن أن يحدثه ذلك من فقدان الثقة بالجماعة التي سبقت وأعلنت عدم ترشيح أحد من أعضائها.

وبـالأمس؛ تلقـت وزارة الخارجيـة خطابًـا رسـميًّا مـن اللجنـة العليـا لانتخابات الرئاسة تطلب فيه ضم اسم؛ أبو إسماعيل لقائمـة المرشحين؛ تقوم الخارجيـة بالاستعلام مـن السفارات والبعثـات الدبلوماسية بالخـارج عمَّـا إذا كانوا هم وزوجاتهم ووالدهم مِمَّن يحملون جنسيات أجنبية، فيتم إقصـائهم مـن الترشيح..

وفـي سـباق الرئاسـة انطلقـت المشـاحنات والشـائعات؛ فكـاد أن يقـع تشـابك بالأيـدي بـين بعـض المـواطنين المعترضـين علـى التسـجيل مـن جانـب كاميرات التليفزيون مع شخص يعمل " فَرَّانًا " جـاء يشـتهي السُّلْطَةَ! فـأرادت مذيعة إحدى القنوات التسجيل معه؛ فقام المواطنون يمنعونها من ذلك، وانضم للمعترضـين بعـض الصـحفيين غِيرَةً علـى هيبـة الدولـة، ومحاولـة الاستخفاف بأعلى منصب فيها، وإظهار عينة مضحكة مُحزنة لمن يرى نفسه يصلح أن يكون رئيسًا لـ مصر..

وأنشـأ المرشـحون للرئاسـة كُلٌّ يسـوق لنفسـه، لا ينسـى أن ينـال مـن خصم احتمل أن يكون هو الـرئيس فـ عمرو موسـى يوجـه رسـالة قويـة عبـر مـوقعي التواصـل الاجتمـاعي فـيس بـوك وتـوتير إلـى إسـرائيل علـى طريقـة وزراء الخارجية: الرسالة واضحة إلى إسرائيل؛ جواز المرور إلـى المنطقـة هـو التخلـي عـن سياسـة التّعَنُّـت، والاسـتيطان، والاحـتلال، وقيـام الدولـة الفلسطينية ذات السيادة؛ وفي ذات الوقت كانت ملصقات تلصق بالليل تحمل صورة له ولأحمد شفيق مقرونتين بصورة بئيسة لـ مبارك، مُهرا بخط يحمل

إشارة ممنوع المرور، وهاتين العبارتين: أمسك فلول..لا تصوت لِرَجُلَيّ المخلوع..

وقال أيمن نور بعد قرار العفو عنه في قضيته، وإعلانه الترشح للرئاسة: أنتظر دعم الإخوان المسلمين والمسيحيين، لن أتسامح في حق البلاد، وأفكر في تعيين ثلاثة نواب للرئيس؛ وتحدث رئيس حزب غد الثورة في حوارٍ له؛ أنه بعد شموله بقرار العفو يتقدم يوم الجمعة المقبل ٦ إبريل للترشح لمنصب الرئيس، وأن قرار العفو كان متوقعًا بعد الثورة، وأنه لم يفكر في أن يكون نائبًا لأي من المرشحين، بل خطط في حال الفوز بلقب الرئيس أن يختار ثلاثة نواب، ورفض سحب الثقة من حكومة الجنزورى على الرغم من رفضه لبيانها الأخير، وقال عن مسألة العفو عن مبارك: هذا الأمر بيد الله والقضاء ولن أتدخل فيه.

وفى مسقط رأسه بالمحلة الكبرى قال المرشح أبو العز الحريري: الرئيس المقبل ليس أمامه إلا أن ينحاز للشعب لأن الثورة ما زالت مستمرة ولا يمكن لأحد أن ينال منها؛ وطالب الإخوان والسلفيين بعدم احتكار الحديث باسم الإسلام، والتوقف عن استخدام الشعارات الدينية لأغراض سياسية، وأن ثمَّة مؤامرة كبرى على الشعب المصري من قبل المجلس العسكري، والإخوان المسلمين، والسلفيين منذ ثورة يناير وحتى الآن.

وتحدث أبو الفتوح في جولته بقنا: أتعهد أن أكون خادمًا للشعب المصري، وأن الشريعة الإسلامية تقدم العدل والحرية والكرامة، ولا تقوم

على التربص والإجبار كما كانت تفعل الدولة البوليسية التي تحكمنا، وأن إهمال محافظات الصعيد كان مُتَعَمدًا لإفقارها وتركيعها، وتنمية الصعيد يجب أن تكون على رأس الأولويات.

وحذر أصغر المرشحين سنًا..خالد على؛ من استمرار الصراع الحالي بين طرفي السلطة في مصر، ومحاولة كل منهم الاستقواء على الآخر والانفراد بالسلطة، وأن الصراع السياسي القائم بين المجلس العسكري وحكومة الدكتور الجنزورى من جانب، وبين التيار الإسلامي من جانب آخر سيدفع البلاد إلى احتمالين؛ الأول انقلاب عسكري وتكرار سيناريو عام ١٩٥٤م أو الاستماع إلى صوت العقل، وقال؛ على جماعة الإخوان الفصل بين العمل الدعوي والعمل السياسي، وأن هذا الخلط يهدف إلى التأثير على الناس أن ينتخبوا جماعة دعوية وليست جماعة سياسية.

وقال "أحمد شفيق" في حوار له: ليس على رأسي بطحة، والكلام عن رفض المرشح ذي الخلفية العسكرية مرفوض.

- كيف ترى الوضع السياسي الحالي في مصر، خاصة فيما يتعلق بأزمة الجمعية التأسيسية للدستور، وما تقييمك للمرحلة بشكل عام؟

- الظروف غير طبيعية على الإطلاق، وهناك احتقان، وهذا طبيعي بعد الثورات إلى أن تهدأ الأمور، ويمكن القول إن هذا التوتر والاحتقان استمر لفترات طويلة بعد الثورة وبالتالي خسارتنا كبيرة، الطاقات والموقف

الاقتصادي ليس في أحسن الأحوال، أعتقد أننا وصلنا إلى حافة الهاوية خاصة عندما اقتربنا من احتياطيات النقد الأجنبي وخلافه، نحن شعب من يده إلى فمه! أما فيما يتعلق بالجمعية التأسيسية لصياغة الدستور، كان لي رأى مُبكِرًا عندما أثير الجدل حول النسبة والتناسب بين أعضاء تلك اللجنة، سواء من داخل البرلمان أو من خارجه لتشكيل لجنة المائة، كنت معترضًا بشكل مطلق، وأنه يجب أن لا تكون هناك علاقة إطلاقًا بين اللجنة التأسيسية لصياغة الدستور وبين المجالس النيابية أو البرلمان، وأنه ليس من المنطق أن الدستور وهو يمثل الأب لكل النظم أن يضعه برلمان، بينما المفترض والطبيعي أن الدستور وهو الذي ينصص على تشكيل مجلس الشعب وتنظيمه ومهامه.؛عندما كنت رئيسًا للوزراء كان رأيي عدم تشكيل البرلمان أولًا. وطالبت أن يأتي الدستور أولًا، والأمثل أن يأتي بعد الدستور رئيس الدولة، ثم تعطى الفرصة لتشكيل مجلس الشعب بعد تشكيل الكتل الحزبية عن تجربة وممارسة، والآن مجلس الشعب بعد تشكيله يريد طلبات غريبة! كيف له أن يقترب من لجنة الدستور؟ وكيف لأعضائه أن يضعوا تشريعاتٍ ونصوصًا وإجراءات تنظم طبيعة العلاقة بين المجلس والدستور والسلطات، هذا غير منطقي وغير معقول.. الأغلبية اليوم تشكل المزاج العام لمدة خمس سنوات، الناس رأت لمدة خمس سنوات يكون الأغلبية عندهم إسلاميين، ومعنى ذلك أن خمس سنوات+ يوم لن يكونوا موجودين.. إنه لا يوجد شيء مؤقت يخطط لشيء دائم، المؤقت لا يرسم المستقبل للدائم، والعكس هو الصحيح.

- هل نستطيع القول بأننا في مرحلة ارتباك أو صراعات بين أطراف عديدة؟

- بالطبع، نحن نعيش في مرحلة ارتباك وتوتر ناتج عن خبرة ضعيفة جدًا، فهناك شخصيات نقدرها ونحترمها، وجدوا أنفسهم في مواقع مرموقة، ولكنهم يفتقدون الممارسة أو حتى الخبرة التراكمية التي تؤهلهم لهذا الواقع، هذا الارتباك والتوتر الحادث بعد الثورة جعلنا في الوضع المرتبك الحالي؛ سياسيًّا، واقتصاديًّا، وأمنيًّا.

- ما رأيك في تزايد حدة مطالب الإخوان في الفترة الأخيرة؟ ولماذا ارتفع سقفها؟ وهل هذا له علاقة بممارسة ضغوط لتقديم مرشح معين؟

- إذا كان الغرض تمرير أو تسهيل الطريق إلى مرشح معين، فقد تم ذلك بإجراء تشوبه نقص خبرة لأن العملية ليست فرض إرادة.

- كيف سيؤثر الدفع بمرشح رئاسي سواء من داخل الجماعة أو مدعوم من الجماعة على موقفك في الانتخابات؟

- لا أضع هذه النقطة في اعتباري على الإطلاق.

- هل أنت مع إقالة حكومة الجنزورى؟

- الدولة ما زال يرأسها المجلس العسكري، وهو الذي يكلف رئيس الوزراء، ونحن لا نعلم حتى الآن ما هو نظام الحكم الذي سيتم الاستقرار عليه في الدستور الجديد هل هو برلماني، أم رئاسي، أم مختلط؟ فليس هناك دستور

يحدد هذا النظام الآن، فلماذا نجادل الآن؟ إقالة الحكومة حق للمجلس العسكري، وهو الذي يقرر ذلك٠٠

- بعض الآراء؛ خاصة حزب الحرية والعدالة والإخوان المسلمين يفضلون أن يكون المرشح الرئاسي المقبل ليس ذو خلفية عسكرية؛ فما رأيك؟ فاستفز:

- هذا كلام غريب ومرفوض؛ لأنه لا يوجد أحد يمتلك رفاهية أن يختار من له حق الترشيح، فهناك دستور يحكمنا، وليس من حق الإخوان - ولهم كل الاحترام - أو غيرهم أن يتحدثوا في هذا الموضوع، عليهم أن ينظروا إلى الدولة، فكيف يجرؤ أحد على الحديث عن مهنة من بين أشرف المهن تلتزم بالجدية والأمانة وهي السبب في راحة للكثيرين؟ يجب أن نفكر بعقلانية، وإلا سيأتي من يقول بمنع الطبيب والمهندس أو أي مهنة من الترشيح للرئاسة.

- هل تعتقد أن المجلس العسكري صادق في تسليم السلطة، وملتزم بالجدول الزمني الذي أعلنه؟

- مائة في المائة، وأنا واثق من ذلك، والأيام ستثبت، والباقي بضعة أيام.

- ما تعليقك لما أثير حول موقعة الجمل التي يراها البعض نقطة ضعف أحمد شفيق؟

- لا يوجد شيء مشين أو أخجل منه في سجل أحمد شفيق أو أي شيء اسمه معركة الجمل؛ عندما حدث ما حدث في ميدان التحرير قمت باستدعاء أحد

المستشارين الأفاضل من ذوى الخبرات المعروفة، وكلفته بمباشرة التحقيق بأسرع ما يمكن، ولم أكن استطيع أن أفعل أكثر من ذلك إظهارًا للحقيقة، لقد دخلت مكتبي بالوزارة يومًا واحدًا، وبعد أقل من ٢٤ ساعة حدث ما أطلق عليه موقعة الجمل، فدعونا نترك التحقيق للمحكمة ولننتظر قرار المحكمة ليسرى على الجميع، فأنا الذي قدمت المسئولين الذي أشار إليهم المحقق للمحكمة

- منذ أيامٍ نُشر تقرير صدر عن وكيل أول الجهاز المركزي للمحاسبات أكد أن إجراءات وزارة الطيران كانت سليمة خلال فترة وزارتك، وأن جميع الإجراءات كانت تخضع لإشراف البنك الدولي، فما هو تعليقك؟

- لا تعليق لعل المغرضين أو المجتهدين يتعلمون حكمة الهدوء والتريث، بدلًا من الخطأ في حق الآخرين، وإن وجدوا خطأ واحدًا عليهم أن يتكلموا؛ قالوا أنى أعطيت أراضى لـ .. فلان. وفلان، وفلان بمنطقة المطار، أعتقد أن من يتحدث بذلك يتحدث عن جهلٍ وسوء نية، وأن تقرير الجهاز المركزي للمحاسبات يؤيد ذلك.

- هل تشعر أن ارتباطك بنظام مبارك بطحة على رأسك؟

- إطلاقا، إنها بطحة على رأس من يثير هذا الموضوع، أريد حديثًا بالحجة، فأنا اسمي أحمد شفيق، وأحاسب على اسمي، ولن أحاسب على أنني من نظام مبارك، أو جمال عبد الناصر، أو السادات، فماذا فعل أحمد شفيق، وما

اقترفت يداه على مدى خمسين عامًا؟ ومن يريد أن ينازعني الحجة فليتفضل ويقول ماذا قدم لمصر، وماذا قدمت أنا لمصر؟

- وما رأيك في إسقاط العقوبات عن المرشح د/ أيمن نور؟

- هذه سعة صدر من الدولة واستيعاب لأبنائها، وسأرسل له تهنئة.

* * *

هَلْ من المؤكد أن مبارك لو عاد للحكم لن يتصرف بنفس الطريقة التي تصرف بها قبل ٢٥ يناير؛ وأن هذا تاريخ فاصل كل ما قبله يختلف عما بعده؟! وَهب أن عبد الناصر عاد للحياة، ألن يتعامل بمنطق الستينات، وسيستشير غَيرَه؟ وأن السادات لو عاد للحياة لن يعود لِمَا نُهى عنه؟ وهل لو وصل عمر سليمان للحكم لن يستخدم أساليب سبقه مبارك؟

كان الظاهر أن مصر تتغير ويتغير فكر أبنائها؛ بيد أن في عمق الأزمة السياسية الطاحنة، بدا أن الكل يمسك بخناق الكُلّ ويهزه هزًا شديدًا بحثًا عن مخرج لما وصلت إليه البلاد، فهذا أديب مصري مشهور، في حوار له حول أحلام ومخاوف المستقبل، يتحدث أن الثورة تعرضت من أول يوم لمؤامرة، وعمر سليمان لن يفوز بالرئاسة، العسكري لنْ يدعمَ مرشحًا مرفوضًا من الشارع، وتشكيل اللجنة التأسيسية للدستور يصيبني بالرعب علي مدنية الدولة، وإذا لم نستقل عن النفوذ الغربي، والوَهَّابي لن تتحقق أهداف ثورة

٢٥ يناير، أنا منحاز للجيش، والمجلس العسكري أخطاؤه فادحة وعطل طويلًا أهداف الثورة.

- ما رأيك في حكومة الجنزوري؟

- قيل عند توليه رئاسة الوزراء أنه يتمتع بصلاحيات رئيس الجمهورية، فلو كان هذا، فليتعرف أنه فشل في إدارة الدولة، وإن لم يكن صحيحًا، فقد أخطأ بعدم مصارحة الشعب بالحقيقة.

- ما رؤيتك للمشهد السياسي الحالي؟

- أعتقد أن كل الناس بما فيهم أنا، لا نفهم أي شيء مما يدور حولنا؛ فالمسرح أقرب إلى مسرح اللامعقول. شخصيات تتحرك لا نعلم لماذا؟! وتقول كلامًا لا نعرف معناه، الحقائق على ما يبدو محجوبة؛ أنا شخصيًّا لا أعرف طبيعة العلاقة بين الإخوان والمجلس العسكري؛ هل هي متوترة وبها مشاكل كما هو واضح على السطح؟ أم أن هناك تفاهمات أخري لا نعلم عنها شيئًا؟ على الجانب الآخر نحن نجد أنفسنا أمام عدد من القرارات المتضاربة الصادرة عن جماعة الإخوان المسلمين؛ فهناك تصريحات تؤكد أن ترشيح خيرت الشاطر جاء لِلَيّ ذراع المجلس العسكري، فهل هذا صحيح؟ أم أنهم كانوا مبيتين النية لترشيح الشاطر، وانتظروا فقط اللحظة المناسبة؟!

- هل تعتقد أن الارتباك هذا مقصود، أم هو نتيجة لارتباك المجلس العسكري وقلة الخبرة؟

- مقصود بكل تأكيد، وليس الآن فقط؛ إنَّما منذ أن قامت الثورة؛ فإرباك الناس، وإخفاء المعلومات عنهم مقصود.

- من صاحب المصلحة في حجب المعلومات؟

- المجلس العسكري والإخوان؛ فهما لا يقولان سوى نصف الحقيقة ويخفيان نصفها الأخر..فمثلًا عمر سليمان ترددت أقاويل أنه يرشح نفسه، ثم نفى، ثم عادت الأنباء، ثم نفى، ثم عاد ليعلن نيته في الترشح، ثم ترشح؛ فما الذي تفهمه من ذلك ؟! كذلك قبل إعلان خيرت الشاطر ترشح نفسه ظل ينفي هو والإخوان نيتهم في ذلك، وبعد تَسَرُّبِ الأنباء أعلنوا ترشحه..نحن أمام إخفاء للمعلومات من الطرفين..

وفي الميدان تظاهر المئات في وقفة احتجاجية أمام محكمة القضاء الإداري حين نظرها الدعاوي المرفوعة بشأن تشكيل الجمعية التأسيسية للدستور، وردد المتظاهرون هتافات: بالهنا والشفا يا "كتاتني" لا إخوان ولا سلفية؛ مصر هتبقي مدنية٠٠ وشهد الرصيف المقابل لمجلس الدولة الذي تقاسمه المئات من حزبي المصريين الأحرار، والاشتراكي، وحركة ٦ ابريل، بمشاركه أنصار أبي إسماعيل مظاهرات بالتوازي مع نظر قضايا إلغاء الجمعية التأسيسية للدستور، وأحقية حازم أبي إسماعيل وخيرت الشاطر في الترشح، ورفع أنصار أبي إسماعيل أعلامًا مصرية، وأخرى سوداء ورددوا: قادم، قادم يا إسلام، رغم أنف الأمريكان. ووصف أبو إسماعيل وزارة الخارجية المصرية بأنها ناقله للكفر، لأنها نقلت المستندات المقدمة من

الولايات المتحدة الأمريكية إلي اللجنة العليا للانتخابات الرئاسية..وقال خلال مرافعته أمام المحكمة:

- فوجئت ببعض الأمور المريبة، منها سرعة رد الولايات المتحدة الأمريكية في أربعة أيام فقط، مما يوحي أنها معلومة مجهزة سلفًا، وأن الأوراق المُقَدَّمة من الولايات المتحدة الأمريكية تتناقض مع بعضها البعض حيث تقول أن السيدة والداتي حصلت علي الجنسية الأمريكية في نفس اليوم الذي تقدمت فيه لطلب الحصول عليها، وهذا أمر مستحيل، كما أن بعض الأوراق يذكر اسم والدتي ثلاثيًّا، والآخر يذكر اسم والداتي رباعيًّا..

وصدر الحكم؛ وأوقفت محكمة القضاء الإداري قرار رئيس مجلس الشعب، وقبول الطعن المقدم لها الذي اعتبر اختيار نصف أعضاء التأسيسية من نواب البرلمان قرارًا إداريًّا خاطئًا يشوبه انحراف في استخدام السلطة؛ فأطلقت عدد من السيدات المتظاهرات الزغاريد، واعتبرت القوي السياسية - غير الإسلامية - والبدو، والنوبيين، والكنيسة القبطية الحكم حكمًا تاريخيًّا.. وقال وائل غنيم:

- الحكم يمنع استئثار جماعة أو حزب بالدستور.

وفي محافظة السويس قال عضو الأمانة العامة للجمعية الوطنية للتغير:

- انتصر القضاء لإرادة الشعب، ورفض فِكرة هَيمنة طائفة على كتابة الدستور.

وخرجـت إلــى البرلمــان مسـيرات احتفاليــة قادتهــا حركــة ٦ أبريــل، والمصريون الأحرار، وَرُفِعت لافتة تقول: الدستور حقنا؛ ها نكتبه كلنا.. لا إخوان ولا سلفية؛ مصر هاتبقى مدنية.. تحت القُبَّة نواب نايمين؛ ومش لاقيين لتر لبنزين..

كـذا انتقلـت السياسـة والقـرارات الكبـرى لمسـار الثـورة المصـرية مـن الشارع والنخبة إلـى سـاحات القضـاء.. فمجلسا الشعب والشورى مصيرهما الآن معلـق فـي حكـم المحكمـة الدسـتورية العليـا التـي تنظـر دعـوي بطـلان القوانين التي انتُخبا وفقًا لها؛ أمـا دستور البلاد الجديد المقرر صياغته وفق توافق وطني فقد انهار تشكيل جمعيته التأسيسية بحكم من القضاء الإداري.

وعلـي الفـور انطلقـت التعليقـات القارصـة..القضـاء: زواج الإخـوان مـن التأسيسية باطل جريدة اليوم السابع.

ونادي منادٍ شهير من الحزب الوطني المنحل في حوار له:

- أقـول للأغلبيـة البرلمانيـة الإسـلامية اتعظـوا ممـا حـدث للحـزب الـوطني المنحل؛ فلول، فلول؛ وصـف ألصقه البعض برجـال السياسـة قبـل ثـورة ينــاير، هـل هـذا التصـور يعيـق عـودة مجموعـة كبيـرة مـن السياسـيين المصريين المعتدلين للساحة من جديد مثل الدكتور محمد عبد اللاه؟ فقال عبد اللاه:

- أريد أن أنقل للجيل الحالي خلاصة خبرتي من تعاملاتي واحتكاكي بمجتمعات دولية، وكذلك تجربتي الطويلة كرئيس لِلَجْنة العلاقات الخارجية بالبرلمان لأكثر من ٢٠عامًا وهي، أن أخطر ما يهدد أي مجتمع هو أن تسود العمل العام مبادئ خاطئة يستخدمها البعض شماعة لإلقاء مشاكلهم عليها؛ يبررون لجوءهم إلى تلك الأحكام العامة الخاطئة لبسط سيطرتهم المنفردة؛ وهذا تكرار لأخطاء الماضي الذي كان يعتمد الإقصاء والتخوين للانفراد بالسلطة.
- كيف تعامل النظام السابق مع رموز المجتمع من كبار المثقفين، وأساتذة الجامعات، ورموز الحياة العامة؟
- لا نستطيع أن نتعامل مع نظام مبارك كـ كتلة واحدة خلال ٣٠ عامًا، فهي مقسمة لمراحل قد عاصرتها منذ عملي مع الرئيس السادات؛ فبداية عصر مبارك كانت مبشرة؛ الإفراج عن معتقلي سبتمبر ١٩٨٢ واستقبالهم في القصر الجمهوري، ثم المؤتمر الاقتصادي، وعودة مصر إلي العالم العربي، وتحسين الأجواء إقليميًّا، والمحافظة علي معاهدة السلام، مع استعادة طابا، والاهتمام بالصناعة الوطنية، ودعمها، وشعار صنع في مصر، وتشجيع المنتج المصري استمر حتى مع حرب الخليج الأولي والثانية، ثم إسقاط ديون مصر والدَّعم العالمي؛ وهنا نقطة التحول التي شعر بها الرئيس السابق بعد تلك النجاحات، وزيادة الشعور بالذات وتَضَخُّمها وتصاعد الأنا، والاهتمام الزائد بالسياسة الخارجية علي حساب الداخل، وبدأت الحلقة تضيق حوله وارتفعت تدريجيًّا مؤشرات

الانعزال عن المستشارين؛ وفوجئنا بتطبيق سياسات متناقضة لِمَا دعا إليه مبارك في بداياته، وتجلي ذلك مع تولي وزارة د/ عاطف عبيد في توجه اقتصادي مغاير تمامًا بدأ عام ١٩٩٩م ، ومنذ عام٢٠٠٠ بدأ مبارك يركز علي القضايا الخارجية. وتَضَخُّم الذات لدرجه أن المقربين من الرئيس كانوا ينصحوننا عند مقابلته ألا نتحدث عن موضوعات معينه تثير غضبه، فهناك محظورات لا يجب أن نتحدث فيها؛ يعني: قل؛ ولا تقل.

وشاهد مجاهد مجلس الشعب وهو يضع كرة جديدة في ملعب المجلس العسكري؛ بصفة الأخير يتولي صلاحيات رئيس الدولة، كُرَةُ مَشْروع يهدف إلى استبعاد اثنين محددين من المرشحين من خوض انتخابات الرئاسة؛ وقال صاحب الاقتراح القانوني:

- "أحمد شفيق"، و"عمر سليمان" ارتبطا بنظام مبارك؛ فوافقت اللجنة التشريعية بمجلس الشعب من حيث المبدأ على مشروع قانون بشأن إدخال تعديلات على قانون الغدر يقضي بحرمان الفلول، أو من تولي منصب نائب الرئيس، أو رئيس الوزراء؛ ذلك لمن عمل خلال السنوات الخمس السابقة على تنحي الرئيس السابق.

وشاهد مجاهد المواجهات بين نواب المجلس عرضت على الفضائيات؛ فمن مؤيد للقانون دَافعٌ لانجازه بشدة يُحذر أن النظام السابق يحاول الآن سرقة الثورة، ويجب منع من تقدم منهم لانتخابات الرئاسة، وبين رافضٌ

لهذا القانون لأن تطبيقه يشعل حرباًا أهلية، وأعمالَ فوضى من جانب أنصار المرشح ومعاونيهم، وأن مَنْعَ أشخاص بعينهم من الترشح دون صدور أحكام قضائية بحرمانهم من حقوقهم الدستورية يعرض القانون للطعن بعدم الدستورية، ما يقود إلي بطلان الانتخابات الرئاسية بعد قيامها؛ وصاح العضو:

- السيد رئيس المجلس، أنا غاضب من مثل هذه القوانين المفصلة سلفًا، أنا ساخط.

وأسرع ليلاحق مشهد آخر يجري على الفضائيات؛ توعد أنصار حازم بجامعة القاهرة المشير والمجلس العسكري في مسيرة داخل الحرم الجامعي، ورفعوا لافتات.. يا مشير طِير طِير؛ مش ها نسمح بالتزوير، لو فيها تزوير، إعدام يا مشير.. وردد الطلاب المتظاهرون والطالبات هتافات: يا بيجاتو يا بيجاتو؛ فين إثباتك يا لَّا هاته؟.. عهد مبارك ولى وراح، من اللي جاي ؟ حازم صلاح.. يا مشير قل لعنان؛ مش هنسكت زي زمان.. يا مشير صبرك صبرك؛ بكره حازم يحفر قبرك؛ فتحدث إليهم:

- قاتلكم الله.. محمد رسول الله "والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم".. فأخذت زوجته مع المشهد تسأل وتتحدث معًا؛ فأمرها بالإنصات.. ثم قال يسمعها:

- ليس المؤمن بالطَّعانِ، ولا اللعَّانِ، ولا الفاحش، ولا البذيء.. فأجابتْ في غيظٍ لما اضطرها إليه من الإنصات:

- الملتحون نفَّروا الناس من الدين.. وقالت تهدد:

- أنا أفكر في عدم الذهاب للمسجد للدرس بسبب من يتكلمون اليوم باسم الدين، فارتد إليها غَضَبُهُ.

- ألا تفهمين؟! هؤلاء أدعياء وقرأها آية:" كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر"..كيف التوقف عن تعليمك الدّينَ للنساءَ؛ أتنهزمين عن دعوتك بسبب هؤلاء ؟!

- المتحدثون باسم الدين اليوم نفروا الناس منه.. فأنَّبها:

- رغم طول الفترة التي ظللتِ تُعَلِّمِينَ الدين أشعر أنك لَمْ تَعْلَّمِيه؟

- كفاية أنت!...وأمام صمته على لمزها له وصبره عليها جعلت تستفسر:

- أنا لم أعدُ أفهمْ شيئًا! ألم يتحدثوا أن أُمَّ حازم تحمل الجنسية الأمريكية؟ فكيف يتقدم بأوراقه ترشيحه للجنة؟! وأنصاره المُلتحون، والمنتقبات ألا يعلمون ذلك، فكيف يهددون وهم يعلمون كَذِبَه؟؟

وذكر أحد المتحدثين للتليفزيون دليلًا آخرًا على حصول والدة أبي إسماعيل للجنسية الأمريكية:

- المستندات التي أرسلتها وزارة الخارجية المصرية إلى اللجنة العليا للانتخابات التي تلقتها من الخارجية الأمريكية أكدت أن السيدة نوال عبد العزيز نور؛ والدة حازم شاركت في انتخابات الرئاسة الأمريكية الأخيرة التي نجح فيها أوباما، وأدلت بصوتها في هذه الانتخابات كمواطنة أمريكية.. ولأن حازم قال لمراسل الفضائية: وزارة الداخلية مارست نوعًا من العربدة القانونية لعدم تقديمها ما يؤكد عدم حصول والداتي على أية جنسية أخري غير الجنسية المصرية، وزارة الداخلية ادَّعت كذبًا أن والداتي تحمل جوازَ سفرٍ أمريكيّ، وجواز السفر ليس دليلًا على حصولها على الجنسية الأمريكية، هذا مُسَلَّمٌ به قانونًا؛ كما أن المحررات والأوراق المقدمة من الولايات المتحدة الأمريكية ليست مُحررات رسمية، ولا يمكن الاعتداد بها لأن من قام بكتابتها موظف أجنبي وَلِيس مصريًّا.. فواصلت الزوجة تستفسر:

- أليس قد تأكد أن أُمَّه تحمل الجنسية الأمريكية؟ فأجاب مُقْتَصدًا:

- لا أدري، فرجعت تَلْمِزه:

- إن لمْ تدرِ أنت فمنْ ذا الذي يدرِي! أنت لا يخفى عنك شيء.. وجعلت تسأل:

- هل يمكن للمحكمة أن تحكم بغير الحق؟ وهل يقع من لجنة الإشراف على الانتخابات التزوير؟ قال:

- المحكمة تحكم بما يقدم لها؛ ما أنا على يقين منه؛ لو كان هؤلاء الإسلاميين مخلصين لاختاروا من بينهم واحدًا، وكذا الليبراليون؛ وما تنازعوا، وكانوا الأقرب للفوز - على الأقل لجولة الإعادة - مع مرشح الجماعة صاحبة التنظيم التي تقاتل للحكم.

- تقصد أن الإخوان سيفوزون بالرئاسة؟ تبقى مُصيبة ؟.. فبدا أنه يفكر جديًّا في الأمر؛ وأمست الناس حيارى؛ يبيتون في شأن ويصبحون في شأن، لا تكاد الأحداث ترسو بهم إلى شاطئٍ، أو يظهروا على حقيقة المُستقبل.

وكانت محكمة القضاء الإداري بمجلس الدولة قد قررت تأجيل النظر في قضية جنسية والدة حازم أبو إسماعيل إلي الحادي عشر من أبريل ٢٠١٢م، لتقديم باقي طلبات المدعي العام، فرفع المتظاهرون من أنصاره أعلامًا سوداء مكتوبًا عليها: لا إله إلا الله؛ مُحَمَّدٌ رسول الله.. ارفع كل رايات النصر؛ حازم جاي رئيس لمصر.. أمريكا يا ملعونة؛ مش عاوزين منك معونة.

وفي الثاني من يونيو وصفت جريدة صَوْتِ الأمَّةِ ما آلت إليه الانتخابات الرئاسية: الشعبُ يختار بين النَّارِ؛ مرسي العيَّاط إخواني، والعار؛ أحمد

شفيق، النظام السابق، وأسفل هذا العنوان صورة للمتنافسين في يد كل منهم مُسدسٌ يُصَوّبُه نحو خصمه.

أما جريدة الدستور فصاحت: بلاغٌ؛ انتبه أيها الشعب، الإخوان قادمون قادمون، يرقصون فرحًا بالأحكام، الإخوان يلعبون بكارت الأحكام للاستيلاء على السلطة، وحكم البلاد في جولة الإعادة.. الإخوان فتحوا السجون والمعتقلات لنشر الفوضى في البلاد، والانقضاض على الحكم؛ وأعلى صورة نِصْفٌ لمبارك بين القضبان هذه العبارة: مبارك في طرة بالبذلة الزرقاء يرفض مغادرة الطائرة، ويَنْهَمِرُ في البكاء، وينزع الأجهزة الطبية، وجمال وعلاء: مش هنسيبك.. الدستور ترصد لحظات الفرح والدموع من الأكاديمية إلى طرة.. شفيق: محاكمة مبارك تثبت أنه لا أحد فوق المحاسبة، كذلك كانت البلاد تموج بالأحداث!... وعلى الفور اشتعلت على الفيس بوك حرب النكات لهذه النهاية التعيسة المُحَيّرة؛ فأسفل صورة لـ مرسي وشفيق.. الحل الوحيد للأزمة اللي إحنا فيها: شفيق يِتْقَتَل، ومرسي يِلْبِسْ القضية.!.. رسالة للي مش عاوز شفيق: مصر هي أُمك؛ وأُمك كثير تعمل أكل مبتحبوش؛ اطفح وأنت ساكت وانتخب أحمد شفيق؛ وبعدين نار شفيق ولاجنَّة الإخوان.. لماذا مرسي؟ عشان عجلة الإنتاج نامت، وعاو زين نحط لها استبن.. لماذا مرسي؟ هيكون أول رئيس تسأله: رشحت نفسك ليه؟ يقولك، همَّ اللي قالولي..لماذا مرسي؟ هيبقى أول رئيس لو غلط نقدر تستدعي ولي أمره... ثورة تونس البقاء للأصلح.. ثورة ليبيا البقاء للأقوى.. ثورة مصر

البقاء لله. حال الشعب المصري في الإعادة: لا أنا مش جاي أحط صوتي، أنا جاي بس أحط صباعي. س: تفسر بأيه الأصوات الكثير اللي صوتت لشفيق؟ الشعب شال نظام وحطه ثاني ليه؟ ج: كان ينظف مكانه. عندما يصل مرسي إلى كرسي الرئاسة أول قرار جمهوري: قررت أنا محمد مرسي رئيس الجمهورية التخلي عن مهام منصب رئيس الجمهورية وتكليف مكتب الإرشاد القيام بإدارة شئون البلاد. فاضل لمرسي برنمجانين تليفزيونين يظهر فيهم؛ والإخوان نفسهم مش هاينتخبوه..

كان يوم الانتخابات الأولية يومًا مشهودًا؛ ذهب المصريون إلى الصناديق لاختيار حاكمهم لأول مرة بإرادتهم الحرة دون تزوير؛ وصفقت كالعادة جريدة الأخبار الحكومية تستشرف المستقبل في اليوم التالي للاقتراع " حققنا الحلم " أمام الإقبال الكبير على التصويت؛ وقالت: تجمع الشيوخ، والشباب، والرجال، والنساء؛ المسلمون، والأقباط حول صندوق انتخاب الرئيس الذي تحلم به مصر.

كانت الطوابير ممدودة، ساعد القادر غير القادر حتى يدلي بصوته، وَمُدَّ التصويت إلى التاسعة؛ فقالت جريدة الوفد الحزبية: طوابير الحرية بطول الجمهورية؛ لأول مرة يخرج الشعب المصري إلى صناديق الاقتراع ليختار رئيسه من بين ثلاثة عشر مرشحًا، الفرحةُ لا تقول كبيرة بل غامرة..

وشَهَرَ أشهر المرشحين للرئاسة؛ أبو الفتوح؛ طرفَ بنانهُ المغموس في الحبر الفسفوري بعد ما أدلى بصوته متوجهًا للناس بهذه العبارة: الشعب

يختار خادمه.. لن أكون رئيساً إمّعة.. أحمد شفيق: لولا الشهداء ما وصلنا لهذا اليوم..حمدين صباحي: لن نسمح بإفساد الانتخابات؛ عمرو موسى: الشعب سيحمي الصناديق، مرسي العيَّاط؛ أترف المرشحين البسطويسي توجه منذ الثامنة صباحًا إلى اللجنة الانتخابية بمدرسة طابا الإعدادية، بمدينة نصر، ودخل في حوارات مع الناخبين الذين اصطفوا طوابير ممدودة رافضًا العروض التي قدمها له البعض للتقدم للأمام، وكوب الينسون لم يفارق يده فترة وقوفه في الطابور؛ يستعيد به صوته الذي ظهر عليه الإنهاك الشديد ولم يخف قلقه من تفتت أصوات الناخبين: كنت أتمنى أن يكون هناك مرشح واحد للثورة.. فسأل مُجاهدُ زَوْجتَه:

- لِـمَ انتخبتِ د. العوا؟

- اقتنعت بكلامه، وبرنامجه، وخلفيته الدينية، ولأنه غير منتمٍ للجماعات، ولا للأحزاب الذين دمَّروا البلد.. أجاب: فرصته ضعيفة جدا؛ أنتِ تقريبًا أهدرتِ صوتك؛ أعترف أنه أعف لسانًا ورجل فكر؛ مبارك لم يكن شتّامًا، ولا لعانًا، لكنه لم يكن أبدًا رجل فكر؛ ضَيَّعه ولده، والتقليد الأعمى لسلفيه عبد الناصر والسادات. فأنبته حينها أيضًا:

- يعني أنت فلحت باختيارك لحمدين؟ تركت عمرو موسى أمين عام الجامعة العربية، ووزير خارجية مصر السابق، وأبو الفتوح الإخواني المنشق؟ فذكر في حق الأخير:

- أرأيت لو خلطي الدقيق بالماء وعجنتيه جيدًا؛ أكانت تختلف قطعة اقتطعتها من أوله، عن قطعة من آخره، أو من أعلاه، أو من أسفله؟ الإخوان عجينة واحدة، ولو زعم هذا أنه مختلف بانشقاقه عن الجماعة. ألم تسمعي مرشدهم السابق يقول: طظ في مصر؛ ومقالة هذا أبو الفتوح للمذيعة الشهيرة لمَّا ذكرت له قيام الجماعة بفصله لمَّا استقل بقراره معلنًا ترشحه لانتخابات الرئاسة على خلاف رغبة نظام الجماعة قال: من ذا الذي يستطيع أن يفصلني والجامعة عشت من أجلها، وهي فكر، واعتقاد يسري في دمي؛ ثمَّ هو بذيء اللسان، يسوقه كغيره من الإخوان رغبة الانتقام؛ مبارك لم يعد له حول ولا قوة، وحُوكم، وهذا لا يفتأ يدعوه بالمخلوع؛ من لا يستطيع ضبط لسانه لن يكون حاكمًا عادلًا أبدًا، الناس بعد أحداث يناير قامت فيهم رغبةَ الانتقام، وروَّجت له هذه الجماعة، أنا معكِ؛ د. العَوّا هو المرشح الإسلامي الأصلح، ولولا أن فرصته ضعيفة لانتخبته..

- فَرِحْتَ تنتخب حمدين الذي يعلن بمناسبة، وغير مناسبة أنه ليبرالي.

- لا؛ انتخبته لأنه لديه رؤية، قدم نفسه بأن إدارة البلاد تكون بروح الفريق؛ منصب رئيس الجمهورية كأي منصب، له مهام يحددها الدستور، أيًّا كان القادم إسلامي أو ليبرالي، وإن كنت ألومه وغيره أنهم لم يبينوا للناس معنى ليبرالي، وترك الخصوم يستغلون جهل الناس، وحبهم للدين أن

مثلهم كافر، أو ملحد، أو ضد الدين؛ ولم أختر عمرو موسى رغم خبرته كرجل دولة لكبر سنه، وباتت الناس تكره من انتسب إلى النظام السابق.

كان الشاطر، وأبو إسماعيل قد صبّا جم غضبهما على المجلس العسكري؛ اتهم الشاطر الجيش بعدم الرغبة في تسليم السلطة، وتوعد بالنزول إلى الشارع حماية للثورة؛ ولجأ أنصار الثاني إلى ميدان التحرير للاعتصام حتى مليونية بعد غد، الجمعة التي تحشد لها التيارات الإسلامية للمطالبة بتسليم السلطة، وإلغاء المادة ٢٨ من قانون الانتخابات الرئاسية، وإعلان رفضهم ترشح رموز النظام السابق؛ عمرو موسى، وأحمد شفيق؛ وصرح الشاطر أن رفض المجلس العسكري إقالة حكومة الجنزوري، وتدخله في الانتخابات، يوضحان أنه لا يريد تسليم السلطة، وأن الإخوان غدًا الجمعة نازلون إلى ميدان التحرير، لأن الثورة لم تكتمل وهي الآن في خطر، وسيكون عنوان الجمعة؛ جمعة تسليم السلطة، ونَفى انقلاب الإخوان على المجلس العسكري، لأن الأخير هو من انقلب عليهم، وأن الجماعة رأت عدم تصديق " العسكري" على قانون عزل الفلول، هو محاولة لإعادة نظام مبارك؛ وواصل أنصار" أبو إسماعيل " اعتصامهم أمام اللجنة العليا للانتخابات، وأطلقوا الهتافات ضد المجلس العسكري، غاضبين من قرار استبعاد مرشحهم، وتوجه عدد كبير منهم إلى ميدان التحرير للاعتصام استعدادًا للمليونية..

وبعد نحو خمسة عشر شهرًا من سقوط مبارك، وسلسلة المواقع الدموية، بدءًا من ماسبيرو، والبالون، ومحمد محمود، ومجلس الوزراء؛ شهدت منطقتا العباسية، ومحيط وزارة الدفاع موقعة جديدة تحت اسم " الكماشة ".. احتشد ميدانا التحرير والعباسية بآلاف المطالبين بإسقاط حكم العسكر؛ فتكفلت الشمس الساخنة بإصابة متظاهري التحرير، وتكفلت قوات الشرطة العسكرية بتفريق المعتصمين أمام وزارة الدفاع؛ وعلى الرغم من التَّوّحُّدِ ضد المجلس العسكري، فإن الغايات كانت متباينة؛ فأتوبيسات الإخوان جيء بها إلى التحرير في الصباح الباكر من عدد من المحافظات، وسلفيون معتصمون أمام وزارة الدفاع يطالبون بإسقاط المادة ٢٨ من الإعلان الدستوري في إطار مساندتهم لمرشحهم المستبعد " حازم"، والحركات الثورية ٦ أبريل، وشباب من أجل العدالة والحرية، وائتلاف اتحاد شباب الثورة تدعو لإسقاط حكم العسكر وتسليم السلطة لمجلس رئاسي مدني.

وأعلن حزب النور، وحزب الأصالة، والطرق الصوفية مقاطعتها للتظاهر.. وفجأة تحول ميدان العباسية إلى ساحة معارك؛ وتراشق بين قوات الدفاع المدني المحيطة بالوزارة وآلاف المعتصمين بالقنابل المسيلة للدموع، والحجارة، والطوب بعد محاولة أحد المعتصمين من الجمعة قبل الماضية اجتياز الأسلاك الشائكة المحيطة بالوزارة؛ وكانت الكماشة.. نفذتها الشرطة العسكرية المكلفة بحماية وزارة الدفاع، وفضت بها اعتصام " حازمون " محيط وزارة الدفاع؛ وأغلقت الطريق أمام المعتصمين، وتكفل عدد كبير - بلطجية حسبما صرّح أنصار

حازم أو أهالي العباسية؛ حسبما صرح المصدر العسكري - أنهم من ساعدوا قوات المنطقة المركزية العسكرية في تمشيط الميدان بإغلاق طريق الرجوع، ووقفوا لتصيد المعتصمين المسلحين، فراح ضحيتها إحدى عشر شخصًا، فَحَمَّل التابعون لحزب الحرية والعدالة، المجلس العسكري المسئولية عن أحداث العباسية، لأنه لم يُقِل الحكومة، ولم يحمِ المتظاهرين المعتصمين من البلطجيين والخارجين على القانون، واصفًا موقف المجلس العسكري بالمخزي، مناشدًا المتظاهرين بالتراجع والعودة للتحرير.. فشن الشيخ سلامة بالسويس هجومًا حادًّا على جماعة الإخوان، بعد صلاة الجمعة، بثه التلفاز:

- الإخوان كعادتهم دائمًا، يقولون ما لا يفعلون، ويخادعون أنفسهم، ويغررون بالشعب تحت اسم الإسلام. الجماعة عقدت صفقات مع المجلس العسكري ظهرت نتائجها في خروج خيرت الشاطر من السجن، ولقائه بمسئولين أمريكان لتسوية ملف الرئاسة، وضمان عدم المساس باتفاقية كامب ديفيد، أو أفراد المجلس العسكري.. وقال؛ دعوة الإخوان منذ ثمانين عامًا لم تخدم مصر ولا شعبها؛ الشعب لم يختارهم في الانتخابات الماضية؛ إنما اختار الإسلام، مصر ملك للجميع، وليست سلعة تباع وتشترى.. فلعبت جريدة الأخبار توانٍ؛ تصف الأحداث ببرود.. المشير طنطاوي يتدخل لإنهاء الأزمة بين البرلمان والحكومة واللجنة الرئاسية.. اللجنة الرئاسية تستأنف عملها اليوم، وانتخابات المغتربة غدًا.. تعديل وزاري محدود؛ علمت الأخبار أن د/ الجنزوري

سوف يلتقي اليوم بالمرشحين لتولي الحقائب الوزارية وهم، وذكرت من بينهم؛ مدير مديرية القوى العاملة بالقاهرة؛ فبهت مجاهد:

- يانهار أبيض؟! عاكسًا البشرى لأنه مَنهيٌ عن سَبِّ الدّهر؛ أهذا وزيرًا للقوى العاملة؟! وقال لزوجته؛ ألا تعرفينه؟؟ هذا الذي أرسلت فيه للوزيرة مذكرة تدينه؛ وكانت المذكرات تحجز فلا تعرض بسببه، إلى أن سلمت الوزيرة ملفًا يدًا بيد مرتين؛ صدرته في كل مرة بمذكرة ضد هذا، ومشاكل نشاط إلحاق العمالة، ومقترحات علاجها.. فلم يصلنِي منها ردٌّ ولا من وزيرين خلفاها؟ ناقصًا أرسل بنسخة من الملف إلى هذا نفسه! قالت:

- ليقوم بفصلك. وضحكت؛ قال

- كان هذا يقدم للوزيرة بمعالي الدكتورة!! يا الله! لما آلت إليه أحوال البلاد؛ هذا يعلم أن عمر هذه الوزارة شهران حين تنتهي انتخابات الرئاسة، ويأتي الرئيس الجديد بوزارة جديدة، ولا يأبه لخروجه بعد أقل من شهرين مُقالًا؟! فقالت شقاوة:

- سيكون أول إنجاز له هو فصْلك؛ وضحكت. فأسرع يؤكد:

- ليست على رأسي بطحة، أمثال هذا يتجنبون الصدام كي يظل في السلطة.

كان سباق الجولة الأولى قد بلغ ذروته..

- أحمد شفيق: شائعات استبعادي من سباق الرئاسة هدفها هو التأثير على تصويت المصريين بالخارج الذي يبدأ غدًا، مستمر في طريقي، ولن ترهبني حملات الهجوم..

- عمْرُو موسى في لقاء مع قطاع السياحة على طريقة وزير الخارجية: من حق مرشحي التيار الإسلامي أن يسعوا إلى الحكم وأن يطبقوا الخلافة، لكن يجب على الشعب أن يقرر ما إذا كان يريد الحكم الديني، أو الحداثة والمدنية في الحكم؛ رافضاً طرح فكرة تكفير أي من مرشحي الرئاسة من غير الإسلاميين لأن كل المرشحين مسلمون في الأساس

د."سليم العَوَّا" في البحيرة وسرقة محتويات سيارة مدير حملته؛ واستياء في اتحاد الصناعات من تصرفات مرسي بعد تأخره عن الحضور لأكثر من ساعة مما جعل الحاضرين في حالة غليان، وقام بعضهم بالتعبير عن غضبة ثم انصرف، فاضطر خيرت الشاطر إلى عرض مشروع نهضة مصر، وشرح جوانبه في كافة المجالات، وتقدم باعتذار إلى رجال الصناعة لارتباط د. مرسي بلقاء تلفزيوني؛ ففوجئ الجميع بحضوره قبل انتهاء المؤتمر بساعة: مشروع النهضة مشروع متكامل؛ لم أعتمد فقط على رجال الإخوان وحزب الحرية والعدالة، بل هناك علماء ومتخصصون في كافة المجالات للنهوض بمصر ..

أبو الفتوح: مستمرون رغم القرار الذي أصدره القضاء الإداري بوقف الانتخابات الرئاسية، وإحالة قانون العزل إلى المحكمة الدستورية.

ودعوة بلا ضيوف حال مليونية المرشح المستبعد أبو إسماعيل؛ دعا أنصاره للاحتشاد غدًا في ميدان التحرير لتفجير مفاجأة على حد وصفه؛ فقررت القوى السياسية على اختلاف توجهاتها مقاطعة الدعوة تمسكًا بسلمية المرحلة الانتقالية بعد تداعيات اعتصام وزارة الدفاع.. وأكدت الحركات الثورية عدم نيتها مشاركة " أبو إسماعيل وأنصاره " الذي تبرأ من دماء أولاده الذين سقطوا قتلى ومعتقلين في أحداث العباسية.. فعقب مجاهد لزوجته:

- أعجب من مواصلة هذا الحديث باسم الشريعة، وتحكيم شرع الله!
- أعلن المستشار وكيل اللجنة العامة للانتخابات عن المستندات التي تثبت حمل والدته الجنسية الأمريكية، فتبرأت الدعوة السلفية منه وطالبته بالاستتابة؛ وبات آمنًا في بيته، وراح ضحية تحريضه ١١ شخصًا، فيعود الآن فيواصل خداع أتباعه ؟!٠ فقالت الزوجة:

- - أليس لهؤلاء عقل؟! ألم يقرؤوا ما نشر بالجرائد، وقالته اللجنة العليا للانتخابات. قال:

- - هؤلاء لا يقرءون؛ يخضعون لمشايخهم؛ ويزعم لهم هذا أن اللجنة تكذب؛ قالت:

- - وكيف يصدقونه ؟! قال:

- - الكلُّ يقول ولا أحدٌ يتلقى القول فيفكر فيه؛ وحُبُّ الشيء يُعْمِي ويُصِمُّ.. فعادت لتتهمه:

- الملتحون شوهوا الدين بكذبهم؛ فردها هذه المرة في لطفٍ:

- من كذب فعليه كَذِبُه، ليس كل الملتحين كاذبين.. فردّت:

- أرني صادقهم؟ قال:

- أنا؛ وابتسم.. قالت:

- .. "لا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى".. فسألها:

- أجربت على كذِبًا؟؟

- بُكْرة ينكشف المستور.

- إذًا، تعامليني على أني صادق حتى ينكشف المستور؟

- أتهزأ؟!

- لا أهزأ؛ لكني أعلم أني صادق.. فصاحت:

- هـ نرجع ثانٍ لنفس الموضوع. فسكت، لأنهما بعد ذلك سيلجان إلى المحذور..

* * *

الفصل السادس

ما دامت هناك جولة إعادة، الإخوان سينامون للناس في البيوت.. قالت امرأة لمجاهد حين سألها من تختار؛ شفيق أم مرسي؛ فكلاهما الأسوأ بامتياز؟! والإجابة التي كان يُحْصَلُ عليها من كل متفلسف حين يحرّضه على التصويت لـ شفيق؛ أخف الضررين؛ فيجيب الأخ:

- تصويتي لمرشح الإخوان اضطرارًا؛ على طريقة أكل الميتة؛ وأمّا إذا كان الأخ سمَّاعًا لما يُبَثُّ من أكاذيب، مُنْقَادًا:

- صعود شفيق هزيمة للثورة، وإعادة لإنتاج نظام مبارك، مَثل شفيق الأعلى..ويقضي الشخص كذلك: بين شفيق والثورة والثُّوار بحور دم؛ الخلاف مع شفيق خلافًا جنائيًّا.. فقال للشخص وهو يحاوره:

- يا أخي اتَّقِ الله؛ هذه التُّهم، لِمَ لم تظهر إلا عندما ظهر أحمد شفيق منافسًا للإخوان؟! لو كان هناك دليلًا لقُدّمَ للنائب العام؛ فيلجأ الشخص إلى التشكيك:

- النائب العام الذي عينه مبارك؟! النائب العام الذي تتحدث عنه هو من أحال مبارك للمحاكمة، وقرر نقله من مستشفى شرم الشيخ إلى سجن طرة، والنائب العام لا يعينه مبارك بل يُخْتَارُ من بين ثلاثة يرشحهم المجلس الأعلى للقضاء يختار الرئيس أحدهم، فردَّ:

- المحكمة الدستورية التي حَلَّت البرلمان المنتخب من الشعب؟! منذ متى كان القضاء المصري مستقلًا؟

- يا أخي اتق الله؛ القضاء هو من أعطى التيار الإسلامي أغلبية في البرلمان المنحل، وهو من أوصل الإخوان إلى جولة الإعادة.. ومضى يُبَيِّنُ له:

- يا أخي، الإخوان كذَّابون؛ قالوا لن ننافس إلا على أربعين في المائة من مقاعد البرلمان؛ فنافسوا عليها جميعًا، وقالوا لن نتقدم بمرشحٍ للرئاسة، فتقدموا بمرشحين واحد أساسي والثاني استبن؛ هم يمكرون.. وقال في حَزنٍ: يا أخي تكلفة الإخوان على مصر ستكون ثقيلة؛ لو صعدوا للحكم لن يتركوه إلا بثورة شعب؛ ألم تسمع لمرسي لمّا سُئِلَ في حالة فوز الفريق شفيق هل تبارك له؟ قال كمن اطلع الغيب:

- هذا مستحيل؛ الشعب لا يمكن أن يفعل ذلك أبدًا، لا يمكن أبدًا إعادة إنتاج نظام المخلوع الذي استبد بالحكم أكثر من ثلاثين عامًا، النظام الفاسد الذي قتل الثُّوّار، ونهب ثروات البلاد وَعَذَّبَ، ولم يُجب؛ ولمّا سئل أحمد شفيق قال في رحابة صدر: على الإطلاق؛ لا غضاضة، نعم سأكون أول من يتصل ويبارك له، هذه هي الديمقراطية؛ لابد من فائز.. فأظهر الأخ عبد الناصر استمساكًا شديدًا برأيه، واتخذ داعية المنصورة الشهير مثلًا له:

- الشيخ محمد حسان، ومشايخ السلفية يدعون لانتخاب د/ محمد مرسي لأنه سيطبق الشريعة؛ واستشعر استغلالًا تامًّا للأخ؛ وكان عاملًا فنيًّا في مصنع الغزل؛ فأسف لسيره في الاتجاه المعاكس:

- يا أخي، من ذكرت - وأبى أن يعيد ذكر اسم الداعية - في الأيام الأُوَلِ لأحداث يناير صاح نفرٌ قليل من المسلمين والنصارى يسعون لحرق مصر؛ ثم ركب الموجة، وأفتى بجواز الخروج على الحاكم المسلم. وأتبع يؤنب الشخص: يا أخي أعجب أنكم تقولون بثقتي ومحبتي، ثم تهرولون وراء المشاهير لا لشيء إلا لأنهم يظهرون في الفضائيات، أنا لازلت رغم كل شيء أقول: صدق رسول الله؛ "الإمام جنَّة، يُقاتل من ورائه ويُتَقى به؛ فإن أمر بتقوى الله عز وجل وعدل كان له بذلك أجرٌ، وإن يأمُرْ بغيره كان عليه منه"، و"على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وَكَرِه إلا أن يُؤمر بعصية، فإن أُمِرَ بمعصية فلا سمع ولا طاعة"؛ يا أخي؛ مصر لحقها الأذى، ولم يزل يلحق بها بالخروج على مبارك الذي أعلن أنه لن يرشح نفسه، فقط يكمل مُدته - ستة أشهر- ويسلم البلاد لسلطة منتخبة حفاظًا على السلامة، فأخذ المتظاهرون العزّةُ بالإثم، وهذه هي النتيجة.. فضحك الأخ، وردد ما ردّدَ إبّان ذلك:

- وهل تصدق مبارك الذي ظل يكذبنا ثلاثين عامًا، ويحكم بغير ما أنزل الله؛ يرخص لمحلات بيع الخمور في شارع الهرم، ويسمح بشواطئ

للعـــــــراة فـــــــي شـــــــرم، والغردقـــــــة، وذهـــــــب.

فغضب بشدة:

- يا أخي اتق الله.. منذ ثلاثين عامًا، ومبارك يكذب؟! أحققت ذلك؟ ولا أعتقد أن هناك ترخيص يصدر في مصر تحت مسمى محلات بيع الخمور، ربما يكون هناك ترخيص لدور ملاهٍ، أو مقاهٍ؛ وأنا لا أظن أن في مصر شواطئ للعراة، ثمّ هل أحل مبارك الخمر أو أجبرك على الذهاب إلى تلك المناطق؟ هذا إن وجدت، بل أشك، وإن كانت؛ ألم نُؤمَرْ ألا ننازع الأمر أهله؟ وأن نقول بالحق أينما كنا، ولا نخاف في الله لومة لائمٍ؟

- في السابق من قالها عُذِبَ..أجاب الأخ؛ فردَّ مجاهد:

- سلعة الله غالية وقرأه٠٠" أمْ حسبْتم أن تدخلوا الجنّة ولمَّا يعْلمِ اللهُ الذين جاهدوا منكم ويعْلمَ الصابرين".. هؤلاء المتخمون شهرة أخذوا من الدين ما حقق لهم نكاح النساء مثنى وثلاث ورباع، وما لذَّ وطاب من الطعام والشراب، وتطاول البنيان، والسيارات الفارِهة، والشهرة، والفخر بكثرة الأتباع؛ يا أخي والله ما كان شفيق المرتجى؛ إلا أنه رجلٌ واحدٌ، إن أساء سهل خلعه، ولن يعيد النظام السابق، إلا أن يكون معجبًا بمصير مبارك، وهو رجل دولة؛ أنجز عندما كان وزيرًا للطيران المدني وَطَوَّرَه، وكان قائد سلاح الطيران فترة سبع سنين، ولا يبقى لهذا المنصب هذه المدة إلا من كان كفئًا، ومصر أمنيًّا انهارت، لو لم يتمكن مدة رئاسته - الأربع

سنوات – إلا أن يعيد الأمن كما وعد، لكان ذلك في رأيي إنجازًا، نختار بعدها من نحب؛ تعلم أني في الجولة الأولى اخترت حمدين؟ أما الإخوان فمصر ليست أُولى أولوياتهم، ألم تسمع لمرشدهم عاكف قوله: طُظ في مصر.. فخفض الأخ رأسه استحياءً، وواصل استمساكه:

- لو طبق د/محمد مرسي شرع الله كما وعد لكان كفاية لأن انتخبه رئيسًا.

ومن فوق منابر مساجد السويس التي انطلقت منها الشرارة الأولى لأحداث يناير، كان مجاهد قد شاهد عبر شاشة التلفاز احتفال مشايخ السلفية بنتيجة انتخابات الرئاسة؛ ودخول المرشح الإخواني جولة الإعادة؛ توافد على المحافظة الدُّعاة الأشهر على الساحة لإلقاء خطبة الجمعة، ورحبوا جميعًا بحصول د. محمد مرسي على المركز الأول وأكد أحدهم؛ أن الانتصار في انتخابات الرئاسة يعادل الانتصار في غزوات المسلمين، قيلت العبارة من فوق منبر مسجد الاستقامة الأشهر في السويس.

وفي مسجد الحرمين في منطقة الموشي صاح آخر: نتائج الانتخابات مرحلة جديدة، لدولة إسلامية جديدة عبر الشعب المصري عن حبه للدين الإسلامي باختيار د. محمد مرسي لتطهير البلاد من الفسق والفجور.

وفي مسجد الحسين في منطقة الأمل جأر ثالث: الصناديق قالت كلمتها، وعلت كلمة الله على كلمة البشر، وليمت الحاقدون بغيظهم؛ نعمل

بجد خلال الأيام القادمة لإعادة إعمار العالم الإسلامي الذي سيبدأ إعماره من مصر بعد أن يتولى مرسي الخلافة.. واحتفلت بالنتيجة جماعة الإخوان وأنصارها في شوارع السويس، ورددوا الأناشيد والأغاني الدينية عبر مكبرات مثبتة بسيارات جابت الشوارع، وانطلقت تكبيرات من بعض المساجد؛ بيد أن من مفاجئات الجولة الأولى في السويس حصول؛ البرادعي على خمسة أصوات؛ حرر بعض المواطنون خانات زائدة في استمارة إبداء الرأي: أرشح البرادعي، مع عبارة:أرشح الشهداء؛ وحصل أبو إسماعيل - المستبعد من السباق - على صوت واحد، ولم يكن ذلك الأعجب بل تحرير البعض لعبارات: لا يصْلح أحد، كلُّهم متسلقون مع شطب المرشحين جميعًا؛ ليتم جمعها ضمن الأصوات الباطلة..

وتحت شعار؛ لا اخترناه ولا شفناه، نجح أزاي سبحان الله؟! أعلنت عددٌ من الحركات مليونية في ميدان التحرير في الأول من يونيو، حركة كفاية، ٦أبريل، الاشتراكيون الثوريون، الجماعة الإسلامية، حزب الوسط، حزب الغد، وجماعة الإخوان - مشاركة جزئية - لانشغالها بجولة الإعادة؛ أعلن كُل هؤلاء " لن نرضى بشفيق رئيسًا لمصر"، وشعارات عديدة، واعتبروه إعادة لإنتاج نظام مبارك؛ وعقدت الجبهة الديمقراطية، وشباب ٦ أبريل، وشباب من أجل العدالة والحرية، وشباب الثورة العربية، والطليعة الناصرية، والعرب الوحدويون الناصريون، والاشتراكيون الثوريون، وحركة نضال القومية الطلابية، ومعهم حازمون، وشباب من الإخوان؛

عقدوا اجتماعًا لبحث إمكانية الاعتصام في ميدان التحرير، حتى يتم استبعاد شفيق من سباق الرئاسة، والدفع بمرشح الثورة؛ حمدين صباحي بدلًا منه.. أما الحركات السياسية جميعها فسلمت بالنتائج وانشغلت بالأهم؛ ضرورة تشكيل لجنة تأسيسية للدستور طبقًا لقرار المحكمة من خارج البرلمان، مع العمل على صياغة دستور متوازن يعبر عن طوائف الشعب، ووضع مادة في الدستور القادم تحفظ صلاحيات المجلس الرئاسي المدني لضمان عدم إقالته في أي وقت؛ يتولى مع الرئيس الجديد إدارة شؤون البلاد للعبور بها إلى بر الأمان، مع إلغاء المادة ٢٨ من نص الإعلان الدستوري، والنظر في الطعون الموجهة للجنة العليا للانتخابات من قبل جميع المرشحين

وكانت المناظرة التي عقدتها مذيعة برنامج العاشرة الأشهر بين" عمرو موسى وأبو الفتوح " قد تحولت من عرض للبرامج، والأفكار، ومحاولة كسب أرضٍ جديدة إلى خناقة لكشف عورات الآخر؛ ولأن الشعب المصري يكره السَّبَّ، والقذف، والمشاجرات، والتراشق بالألفاظ؛ كان الرابح من تلك المناظرة "أحمد شفيق " و" حمدين " وظهرت محاولة أبي الفتوح استرضاء جميع التيارات، واللعب على جميع الأوتار؛ فتارة يؤكد أنَّه سلفي، وتارة يميل للإخوان، ثم يعود مسرعًا إلى صفوف الثوار؛ والقاعدة تقول: إذا حاولت استرضاء الجميع لن تكسب أحدًا.

وذهب " حمدين " للعب على هموم المواطن؛ وذهب أحمد شفيق أبعد من ذلك؛ يقدم الحلول لها، وَمَثَّلَ حصولِه على نسبةٍ مرتفعةٍ جدًا من

الأصوات مفاجأة للجميع، وبدا أن نسبة كبيرة من المصريين يرونه الشخص القادر على إعادة الأمن والاستقرار للبلاد على الرغم من حصول مرشح الإخوان على أعلى نسبة من الأصوات.

وفيما كان محمد مرسي يتابع التطورات من مكتب المرشد العام، كانت المفاجأة خسارته محافظتي الشرقية والقليوبية؛ ذهبتا لـ شفيق رغم أنهما من معاقل الإخوان، واختارت الإسكندرية، وكفر الشيخ حمدين صباحي رغم الحشد السلفي لأبي الفتوح؛ فكانت هذه التعليقات ختام الجولة الأولى: إحباط وذهول في حملة موسى؛ حمدين صباحي النسر الذي فاجأ الجميع أو الحصان الأسود؛ أبو الفتوح فارس الرهان الخاسر؛ مصر بين الشيخ والجنرال: هزيمة مرسي بالتقسيط، وفوز شفيق بالتنقيط..

ففكر مجاهد: هل صوَّت المصريون في هذه الانتخابات بقلوبهم؛ فمنحوها لمن تعاطفوا معهم ضد الإهانات التي تعرضوا لها منذ بدء التصويت؟ فَكل حذاء صُوّبَ إلى أحمد شفيق جذب معه آلاف الأصوات التي لم تقبل أهانته، وكل هجوم على حمدين لكونه ناصريًّا، انقلب دَعايةً تجر إليه الأصوات جرًّا، وكل تصريح من قيادات الإخوان عن كثرتهم وثقتهم في فوز مرشحهم من الجولة الأولى، كان بمثابة استفزاز للمصريين فاضطروهم إلى جولة الإعادة.

* * *

من الإعلاميين من سوّق في جولة الإعادة بالهمز واللمز ضد شفيق، ولولا الحياء لوضع للمشاهدين صورة لـ مرسي وراء ظهره؛ أما من عزم على اختيار شفيق فكان " كأنما خَرَّ من السماء فَتَخْطَفُهُ الطير أو تهوي به الرَيحُ في مكانٍ سَحِيقٍ".. يُسِرُّ بعزمه إيثارًا للسلامة إلا مجاهد فحاجَّ فيه مُحاجَة ظاهرةً، وحَمَل أُمّه وزَوْجَه، وأمَّها، وأخواتَه البنات؛ وبنات الأخوات، وبنات عمّه، والجارات اللاتي يشهدن درس الأربعاء وُثوقًا برأيه؛ حملهنَّ في سيارته ال ٢٧ فيورى على دُفْعات، فشاهده فرد من الإخوان أمام مقر لجنة البنات فصاح:

- الله يعينك يا شيخ مجاهد!.. فلم يأبه له؛ وانتظر أُمَّه، وأخواته داخل السيارة حتى أدلين بأصواتهن لشفيق وأعادهنَّ إلى القرية.

كان تواجد الإخوان ونسائهم أمام اللجان كخلايا الزنابير؛ يسرعون في الدفع للتصويت لمرسي حتى آخر لحظةٍ، فاقترب مُجاهدُ من أخيه يرى اتجاهه، وكانت علاقة البيتين ليست بالسعيدة بسبب موضوع الحضانة؛ فصدمه الرّدُّ:

- أنا لم يؤثرْ عليَّ أحدٌ؛ هذه حرية شخصيه.. فاستفزه من أخيه الأصغر إبداء الجفاء، والذهاب إلى الطريق المعاكس؛ لمرشح الإخوان؛ فَوقع في تأنيبه:

- مِثْلُكَ مَثل فلان ..

- جزآك الله خيرًا.. خضع أخوه في انكسارٍ، فانصرف عنه؛ وكان الذي مَثَّلَ له به ابنَ عَمٍّ لهما، أسماه ابنُ أمّه: الشيخ تايوان لخفته؛ استحوذ عليه بعد أحداث يناير فرد الإخوان فجعله حليفهم؛ وكان لمجاهد الفضل في تعليمه ما تعلم من الدين بشهادة هذا الشخص نفسه؛ فظل مندفعًا يردد: الإسلام هو الحل، وتطبيق الشريعة؛ وإذا أريد إطلاق شائعةً في القرية؛ حدَّثه فرد الإخوان؛ فينطلق " تايوان" يذْريها كأنَّما رآها رأي عينٍ، حتى حدث بينه وبين فرد من الحزب الوطني حادثة؛ فاستوقفه - بينما هو خارج من المسجد - يحكمه في ربيبه:

- ينفع يا شيخ مجاهد أن ابن عمك فلان ينقل عنّي لفلان كلامًا لم أقله، ليوقع بيننا العداوة ؟.. فسأله عمّا قاله.

- قال إني قلت أن زوجته قامت في المسجد يوم الجمعة تكلم النساء عن حقيبة دجاج، ومواد تموينية؛ لشراء الأصوات في انتخابات الإعادة لـ د/محمد مرسي.. فصادف ذلك مرور ابنُ عمّه وربيبه فسأله:

- أأنت قلت لفلان أن الأخ عوض قال: أن زوجته كانت تحدث النساء في المسجد عن حقيبة طعام تشتري الأصوات في جولة الإعادة لمرسي؟ فصَرَّحَ في لجاجة:

- حَصَلَ؛ وقال؛ وقلت: سأنقل للأخ فلان ما قلته عن زوجته للمواجهة.. فكذَّبَه عوض:

- لم يحصل.. فوقع أيضًا في تأنيبه:

- حتى لو سلمنا أنه حصل؛ فهذه نميمة وقرأه " هَمّازٍ مَّشّاءٍ بِنَمِيمٍ " فاسْتُنفِرَ ربيبه في الدين، فجهر بعبارة اسْتِصغارٍ ما كان يفعلها أبدًا في حقه لولا لزومه فرد الإخوان، والإنصات لإرجافه:

- وأنت أيضًا!.. وأشاح بيده نحوه غضبان فشتمه:

- أنت قليل الأدب.. وحدث من مرؤوسه "..مخيول" الخلية النائمة، شيئًا شبيهًا بذلك، سأله الزميل الذي كان يُصنف نفسه قبل أحداث يناير ليبراليًّا، فانقلب إخوانًا:

- يا مولانا، تختار مَن لجولة الإعادة؛ د/ محمد مرسي، أم الفِلّ؛ شفيق؟ فردَّ في عناية:

- أختار د/أحمد شفيق.

- تختار تلميذ مبارك يا مولانا؟!.. فمثَّل له كذلك:

- أخبرني، لو أن إنسانًا يغرق فوجد شيئًا فأمسك به؛ أأمسك به لاعتقاده أنه ينجيه؟

- نعم يا مولانا؛ الواحد يمسك لو بقشة.. فتابع يُقرّره:

- فلمَّا وقعت أحداث يناير اختار مبارك لرئاسة الوزراء من؟.. وأجاب نفسه لمَّا صمت الزميل:

- اختار مبارك أحمد شفيق ينقذ به نفسه؛ لعلمه أنه رجل دولة؛ له تاريخ في الإنجاز.. فعارضه الزميل:

- بل اختاره لأنه من نظامه السابق؛ نظام كذب، ونهب ثروات البلاد، وخدعنا ثلاثين عامًا، واندفع كـ خرَّارة؛ اختار من يداه ملطختان بالدم؛ المسئول الأول عن موقعة الجمل.

- " ولا تقْفُ ما ليس لك به علم ".. كان أحمد شفيق وزيرًا للطيران، فشَهِدَ هذا القطاع إنجازًا، ولم يكن عضوًا في الحزب الوطني؛ أمَّا أن يديه ملطختان بالدم في موقعة الجمل كما تزعم لأنها وقعت عندما كان رئيسًا للوزراء فقال الرجل على الهواء؛ أنه من أحال الواقعة للنائب العام للتحقيق؛ ثم هو رجل واحد، خطره على الدولة أقل من خطر إخوانك، إن أساء سهل خلعه، لكنَّ هؤلاء يحتاج خلعهم إلى ثورة؛ وجدَّ كمقاتل:

- الفارق بين شفيق ومرسي، أن شفيق يمثل نفسه حتى ولو كان له مؤيدون؛ أمَّا صاحبك فهو واحد في تنظيم كُلٌّ له دوره فيه؛ عندما يصل لكُرْسيّ الرئاسة سيتركه للمرشد، ولو أقسم أيمانًا مُغلظة أنه الحاكم، وأنتم جماعة سُعارها للحكم فاشِيًّا، لا تؤمنون بديمقراطية، هي عندكم سلم، متى صعدتموه رميتم به كي لا يصعده غيركم؛ صرحتم أن لو فاز أحمد

شفيق، أو عمرو موسى تنزلون إلى الشارع؛ وكأن الديمقراطية أن تكون النتيجة دائمًا لصالحكم.. فقال مخيول:

- أعجب لمثلك! تهاجم التيار الإسلامي، وتحب المخلوع مبارك، وتدافع عن نظامه الفاسد، وتدعو لاختيار تلميذه، ليخرجه من السجن ويعيد نظامه، وتعدّى، أنت لا تزن بميزان عدل، أنت كارهٌ لكل ما هو إخوانيّ.

- وأنت لا ضمير لك، تَتَقَوَّل عليَّ في وجهي؟ بالأمس القريب - قبل يناير- كنت تعلن أنك ليبرالي، واليوم تروج للإخوان، وتدافع عنهم أكثر من دفاعهم عن أنفسهم، أنت خلية من خلاياهم النائمة..فضحك مخيول وعاد لاتزانه:

- شرف - لا أدعيه - يا مولانا، أنا لست إخوانًا.. فقالت زميلة بالإدارة ترجوهما:

- صوتكما؟ المارة ينظرون إلينا من الشارع يحسبوننا نتشاجر.. فأنهى جدله وابتسم:

- " الآن حصحص الحق".. هذا إخوانُ، هم يعلمونهم الكذب بالقسم تقية للكتمان..

وعصر اليوم الثاني للتصويت لحق بـ" صفوت" أخ يجلس معه لدرس الجمعة فحثه على الذهاب للإدلاء بصوته؛ انتخب في الجولة الأولى د" العَوَّا" فاعتذر:

- قد لا أذهب، فدُهِش له؛ ولِمَ؟ فذكر صفوت أن أوامر صدرت إليهم من جهة عمله؛ المصرية للاتصالات -المملوكة لنجيب سويرس - بالتصويت لـ/..شفيق، دون إقناعهم بالأسباب، فأجابه بأسىً؛ وجعل يحرضه على الذهاب للتصويت:

- يا أخي، هؤلاء لا يفهمون أن مجرد صدور أوامر بشيءٍ دون إقناعٍ يدفع نحو الاتجاه المعاكس! فأكد الأخ اعتذاره:

- فضيلة الشيخ، شفيق فكر قديم، والمرء دومًا يتطلع للجديد، فلنجرب هؤلاء مرةً، ونعطيهم الفرصة؟ أعتقد أنهم ليسوا كالنظام السابق.. فثار في نبرةٍ مؤثرةٍ:

- يا أخي، هؤلاء ليس لهم همٌّ إلا مصلحة الجماعة، لو ركبوا لن ينزلوا أبدًا.. نعم شفيق لم يكن المرتجى، لكن فاتورة هؤلاء باهظة، أؤكد لك؛ سيفعلون بمعارضيهم أكثر مما فعل النظام السابق آمنين من الخوف للتنظيم، أما شفيق فرجل واحد يَسْهُل خلعه إن أساء؛ في الجولة الأولى عندما انتخبت أنت د/ سليم العوا، من التيار الإسلامي لم ألمْك لأنه لا ينتمي لتنظيمٍ، وذَكَّرْتُك أنَّ فرصته ضعيفة، رغم أنه أحسنهم أخلاقًا، لكن

في مجتمع يكثر فيه الجهل، تحتاج فيه إلى ترويجٍ، ومتابعةٍ، وإلحاحٍ شديدٍ، وهو ما لم يملكه الرجل، فكانت النتيجة كما توقعت، ضعيفة.. فقال الأخ بعد كل هذا الإلحاح:

- ربنا يسهل، لكن لا أعد فضيلتك، فقد أنحو نحو المقاطعة؛ فإن لم أذهب للإدلاء بصوتي ألتمس عند حضرتك العذر.. فصمت حزينًا، لأن لا معنى للمقاطعة إلا الصبَّ في صالح الجماعة التي تسعى للسلطة مسعورة، لا تترك نصف فرصة؛ بل تُلِح لها إلحاحًا..

وبعد فترةِ ترقُّبٍ حبس فيها المصريون أنفاسهم منذ انتهاء التصويت؛ يومي السادس عشر، والسابع عشر من يونيو، ولمدة أسبوعٍ، حَسمت لجنة الانتخابات الجدل الطويل، وأعلنت في مؤتمرٍ صحفيٍّ من مقر الهيئة العامة للاستعلامات نتيجة انتخابات جولة الإعادة.. ومرت البارحة على مجاهد عصيبة؛ لمّا خرج أنصار مرسي للاحتفال بفوزه قبل إعلان النتيجة، وسبق مرسي بليل فعقد مؤتمرًا صحفيًّا يحدد فيه برنامجه كـ حاكم مصر القادم؛ الأمر الذي استفزَّ الكثيرين.. ووسط الاحتفالات الصاخبة من جماعة الإخوان، وكثير من المتظاهرين تسربت أخبار من اللجنة العليا تُدَعّمُ هذا التوجه؛ تؤكد فوز/ محمد مرسي؛ فخرجت حملة.."شفيق" تقول ببطلان هذا الزعم؛ وتؤكد أن رئيسها هو رئيس مصر القادم، والنتائج الحقيقية معهم، وأن الإخوان يريدون سرقة الرئاسة

بنظام وضع اليد. ومن داخل اللجنة، أيضًا تسربت أنباءٌ عن نجاح أحمد شفيق؛ وَدَعَّمَ ذلك علْمُ الكثيرين نهوض القوات المسلحة، وحالة الاستنفار، وشائعات فرض حظر التجوال يوم إعلان النتيجة، وتأمين المنشآت الحيوية، وصدور بيان عسكري يهدد الخارجين عن السلوك القويم.. فأيقن الكثيرون أن هذا موجَّهٌ للإخوان، لعلم الجميع برفضهم لأي قرار سوى قرار فوز مرشحهم .. مرسي، وسرت إشاعة تشير إلى عزم الإخوان القيام بردِ فعلٍ مدمرٍ ..

وليلة إعلان النتيجة؛ رغم ثقة أنصار/ مرسي بفوزه؛ وقيامه بتشكيل الحكومة الجديدة، إلا أن ما نمى إلى علم البعض منهم أن الطعون المقدمة ستنال من مرشحهم كثيرًا، وتمنح شفيق فارقًا في الأصوات، وأن الأخير أيضًا بدأ بتشكيل وزارته؛ فبات الكل يرجف.. وزاد من نار الخوف عند الإخوان تأكد الرجاء عند أتباع شفيق من منح بعض العاملين في القطاع الخاص إجازات خاصة، وخروج الناس مبكرين من أعمالهم، فخلت الشوارع من كل شيءٍ تقريبًا قبل إعلان النتيجة..

وإلى قاعة الهيئة العامة للاستعلامات حيث المؤتمر الصحفي المنتظر اتجهت جميع الأنظار؛ ولدى الحضور بالقاعة من هول المشهد الأمني الشعور أنهم في سكنةٍ عسكريةٍ.. وتأخر موعد إعلان النتيجة خمس وأربعون دقيقة، وأصاب اللواء مدير أمن الهيئة الحاضرين بارتباكٍ شديدٍ أثناء حديثه عن تنظيم المكان؛ عندما اختتم مشددًا:

- أثناء الخروج، سنلتزم جميعًا طريقة معينة؛ سنخرج من مصاعد؛ هذه ترتيبات أمنية، وربنا يستر. وانصرف ليدخل بعده مسئولٌ آخر ليقوم بالتنظيم، وكان هذا عصبيًّا متوترًا، لم يعرف أحد سببًا لعصبيته، ولا المقصود بقولة اللواء مدير أمن الهيئة .. ربنا يستر؟..

وعندما أخذ المستشار رئيس اللجنة العليا للانتخابات في انطلاقه في تمجيد دور اللجنة التي كان شعارها الأمانة والحيادية؛ خرجت تلميحاته، وكلماته تشير إلى تجاوزات الإخوان في حقهم؛ فاستشعر الحاضرون أن في انتظار الإخوان مكيدة..قال:

- بدأت اللجنة عملها في منتصف فبراير الماضي، معاهِدة ربها ألا تخشى سواه، ولا ترجو إلا رضاه، وأن اللجنة واجهت منذ اللحظة الأولى حربًا شعواء، وحملات تخوين، وتشكيك شنتها قوى سياسية ترمي اللجنة إفكًا وبهتانًا بكل نقيصة لإضفاء أجواء تشكيك وارتباك على المشهد، لتكون اللجنة دائمًا في موقفِ المدافع عن نفسها.. وأن ما قِيلَ كان حملاتٌ ممنهجة لخلق مناخ كاذب يوحي بالتزوير إذا لم يتحقق لهم الفوز، وأن اللجنة تلقّت ٤٥٦ طعنًا من المرشحين اهتمت بطعنين..الأول: يتعلق بتزوير أوراق الاقتراع بالتأشير عليها لمرشح بعينه - محمد مرسي- بإحدى المطابع الأميرية، وتسرب أعداد كبيرة منها؛ زعم البعض أنها قاربت المليون، والثاني؛ مَنْعَ المسيحيين من الوصول للجان الاقتراع خاصة في المنيا؛ ومبعث اهتمام اللجنة أن ثبوت الطعنين، أو أحدهما كفيل بإلقاء ظلال كثيفة من الشك على

الانتخابـات؛ يـؤثر تـأثيرًا بالغًـا علـى الإرادة الشـعبية، بمـا ينـذر بـبطلان الانتخابات، وقد طلبت اللجنة كافة المعلومات المتعلقة بـالأمرين من الجهات الأمنيـة ولـم يصـل إلينـا سـوى تحريـات جهـة واحـدة، ولـم يَمُدنا البـاقون بأيـة معلومات.

واختتم المستشار" سلطان" سيناريو مولد الرئيس الجديد عندما أسقط شـفيق أولًا، وكان الحاضرون في انتظار المفاجأة بعد الحديث عن الطعون؛ يراقبون كلمة الفصل التي بدأها بقوله:

- الأصوات التي يحق لها التصويت ٥٠ ٨٥٩ ٤٩٧ صوتًا الحاضرون ٣٦٧ ٤٢٠ ٢٦ صوتًا بنسبة ٥٨,١٥ في المئـة إجمالي الأصـوات الصـحيحة ٥١١ ٥٧٧ ٢٥ صـوتًا؛ الباطلـة ٢٥٢٨٤٣ صـوتًا؛ وبـدأ بـرقم شـفيق ٣٨٠ ٣٤٧ ١٢صوتًا، فاحْتُبِسَتْ الأنفاس بنسبة ٨٧، ٤٨في المئة ليدرك الجميع أن محمد مرسي هو الرئيس؛ حصل علـى ١٣١، ٢٣٠، ١٣ صـوتًا بنسبة٧٣ ،٥١ فـي المئـة فانطلقت الصَّيحات.. فثـار الأمـين العـام للجنـة؛ بيجـاتو؛ وهـدد بإلغـاء المؤتمر، ولـم يكـن أحدٌ فـي حاجـة للمزيـد فوجـه "سـلطان" الشـكر لزملائـه، والتهنئة للدكتور/ محمد مرسـي العيَّاط؛ رئيس الجمهوريـة المنتخب، وغـادر المكـان، وانصـرف الحاضـرون؛ فبهـت مجاهـد، وأخـذت زوجتـه تسـأل عـن نزاهة هذه اللجنة؟! بينما هو صامتٌ إلى أن سمعته يتحدث:

- مصـيبة! أعتقـد أن هـذه اللجنـة أَرْهَبهـا الإخـوان، وتهديـداتهم وخـال عليهـا فضحت بشفيق، هي لم تحقق طعونًا.. كان وزوجته والملايين المحتشدين أمام

التلفاز ينتظرون النتيجة؛ يرجون الفوز لشفيق، حتى وقعت على حد قول ما قاله مصيبة! لـ فوز محمد مرسي؛ فتفكهت الزوجة وهو مهموم:

- أول قرار سيتخذه مرسي هو عزلك من إدارة إلحاق العمالة، أو وقفك عن العمل، أو فصلك من الوظيفة. فثار كأنما الأمر قد وقع:

- أنا لا أعمل بعزبة أبيهم، أنا فائق في عملي؛ أنجزت في مجال إلحاق العمالة ما لم ينجزه غيري، ومعروف بهذا في المديرية وفي الوزارة جميعًا فقالت تحذّره:

- وهل هذا يهمهم؟ انتبه، لن تجد من يدافع عنك، فلا تعمل كبطل، والتزم بالتعليمات فقد يلفقون لك مصيبةٌ.

- أنا لست وزيرًا؛ لست إلا مديرَ إدارة؛ فضحكت:

- وهل سيتركونك مديرًا؟؟ قال:

- لا يستطيعون لي شيئًا؛ لست أعمل بعزبة أبيهم! ...

وهَلَّلت صحف الخامس العشرين من يونيو جميعًا إلا صحيفة روز اليوسف: مرسي يبدأ اليوم مشاورات تشكيل الفريق الرئاسي، ويؤكد في أول بيانٍ للأمُّة، الثورة مستمرة، وسنحقق معًا أهدافها، نحمل رسالة سلام للعالم

أجمـــع، وملتزمـــون بالاتفاقـــات والمعاهـــدات الدوليـــة؛ الجمهوريـــة المسائي٠٠وحمل مرسي الأمانة، مرسي يتعهد بأن يكون خادمًا للشعب؛ و"عاكف" يبكي فرحًا وأنصار شفيق يهتفون ضد العسكر.. سيناريوهات الصدام بين الرئيس المنتخب والمجلس العسكري. المنسق العام للجمعية الوطنية للتغيير: أخطر التحديات التي يواجهها الرئيس هي إلغاء الإعلان الدستوري المكمل الذي قيد به المجلس العسكري البلاد، وإلغاء قرار وزير العدل الخاص بالضبطية القضائية للعسكريين، وضرورة إعادة تشكيل الجمعية التأسيسية من جميع أطياف القوى الوطنية من أجل كتابة دستور حر، وأن المطالب السابقة إن لم تتحقق فإن الصدام قادم لا محالة مع المجلس العسكري بعد أن انتقلت الشرعية إلى رئيس منتخب طبقًا لإرادة الشعب؛ الشاطر: مطالب الإخوان؛ إلغاء حل البرلمان، وعدم المساس بالتأسيسية وسلطات الرئيس؛ البرادعي يتوسط بين العسكري والإخوان، ويرفض تولي أي منصب؛ البورصة تستقبل مرسي بتعويض ٥، ٧ مليار من خسائرها؛ جريدة الوطن المستقلة٠٠ مرسي رئيسًا لمصر؛ وشفيق يهنيء مرسي؛ قال الفريق أحمد شفيق المرشح الخاسر في انتخابات الرئاسة: السيد الدكتور محمد مرسي رئيس جمهورية مصر العربية، يطيب لي أن أقدم خالص التهنئة لفوزكم بانتخابات رئاسة الجمهورية، متمنيًا لكم التوفيق في المهمة الصعبة التي كلفكم بها شعب مصر العظيم؛ أزمة في اليوم الأول؛ ياسر علي رئيس حملة مرسي المتحدث الرسمي باسم الرئيس الجديد: د/ محمد مرسي مُصرٌ على أداء القسم أمام مجلس الشعب المنتخب بإرادة شعبية موجهًا

الدعوة لكافة القوى، والأطياف الوطنية بفتح حوارٍ لحل الأزمة الحالية المتمثلة في الإعلان الدستوري المكمل، وحل البرلمان، والضبطية العسكرية، صحيفة الأخبار الحكومية.

أما روز اليوسف فتشاءمت في حدة في كاريكاتير ساخر يُبَيَّنُ فرحة أحد الأشخاص؛ ناشرًا ذراعيه في الهواء يصيح: هاااايٌّ شفيق خسر. وإذ تذكر أن الفائز هو إخواني، خفض يديه في حسرة: أهيئ، أهيئ. بس مرسي كسب؟ وناحت الجريدة: جمهورية مصر الإخوانية أحد انتصارات الثورة.. بديع يؤم مكتب الإرشاد بركعتي شكر.. أول تهنئة بالفوز من السفيرة الأمريكية.. الحرس الجمهوري يتولى حراسة مرسي.. مجهولون يطلقون الرصاص على فيلا شفيق في التجمع الخامس.. فسألت الزوجة مجاهد:

- هل مكنَّ الله للإخوان؟! يرددون منذ الأمس.. "وَعَدَ اللهُ الذِينَ آمنُوا مِنكُمْ وعَمِلوا الصَّالحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهمْ في الأرْضِ".. فاستنكر عليها:

- الوعد بنفوذ الكلمة والتصرف في الأرض لمن قام بالإيمان والعمل الصالح، واشترط له الإخلاص، وأنا أعجب لِمَ تعجبين له! لكن الكُلَّ سينال جزاءه بما فيهم الثُّوار؛ فعلت بهم العزة ونشوة النصر الأفاعيل. لو تريثوا فأعدوا أحدهم لتسلم السلطة من مبارك عند نهاية ولايته لكان خيرًا للجميع، وتابع كالحالم يقص عليها من نبأ مبارك:

- أذكر من خطابه بعد توليه السلطة بعد مقتل السادات: إذا رأيتم الظالم فلم تأخذوا على يديه، يوشك الله أن يعمكم بعذاب من عنده، فلما طال عليه الأمد وقع ما وقع، ليته ترك الحكم قبل عشر سنوات، ولم يسْعَ للتوريث، وأرجو وقد سلم المجلس العسكري مصر للطامع الثاني أن ترتاح منهم سريعًا، فقالت:

- هُمَّ ما صدقوا.

* * *

كان مدير المديرية" أوباما " قد خرج معاشًا، ظل في منصبه سبع سنوات؛ وكان مما صرح به لمجاهد في ساعة صفا معتدًا بشخصه الفريد:

- أنا أقدم وكيل وزارة على مستوى الوزارات كافة، فظل منصبه خاليًا؛ وكذا منصب وكيل المديرية؛ مدة ستة أشهر من زمن الإخوان، وتردد أن" خالد الأزهري " وزير القوى العاملة الإخواني ترك المديرية يصرف شؤونها النمطية أقدم موظف حتى يتم تجهيزها لشخصٍ إخواني، وكان أقدمُ الموظفين هذا الذي أقعده " أوباما " مؤقتًا قُبَيْل خروجه للمعاش في مقعد وكيل المديرية، شخصًا ليّنًا في جوٍّ شاع فيه الانفلات؛ ووقع الخوف من المسئولية بعد كركبة رجالات مبارك في السَّجْنً.

و" بَرَكَة يا جامع" بدا شعار القلة القليلة لموظفي الحكومة الذين كانوا يعملون قبل الثورة؛ متعللين بجرأة الناس؛ إلا مجاهدًا الذي ظل خطيبًا في الراهبين:

- ها قد عادت لكم مصر، وكان علتكم النظام الفاسد فذهب؟ ما يمنعكم اليوم من العمل؟

- يا شيخ، ذهب الرأس وبقي النظام كله، أو يقولون:

- ذهب نظام مستبد، وجاء نظام فاشي.. فيبشر بما يجد عنده:

- قريبًا يذهب هؤلاء؛ قطروا سبيل سبقهم، وهذا ليس عذرًا لكم للتخاذل.

ومضى في حملاته على شركات إلحاق العمالة المصرية بالخارج، معه عنصر من مكاتب تفتيش العمل وفرد من الإدارة؛ فيصبحوا ثلاثة رهط للتآزر، وترك النَّمطية في حل المشاكل؛ فلا يبدأ بتحرير محضر؛ بل يحرض الشاكي والمشكو في حقه على التراضي:

- اعلما أن الوزارة تحُثنا على تحرير المحاضر لتقتسم حصيلتها مع وزارة العدل، ويحرض الخصمين؛ أقضِ بينكما إن ارتضيتماني حكمًا؛ وليس لي مصلحة إلا تحقيق الحق.. فيجيبان:

- لأجل هذا جئناك فأنت لا تتخاذل..فيذكر صاحب شركة إلحاق العمالة:

- رأس مال شركتك السمعة الحسنة؛ والتفرغ للإنجاز خير من إهدار الوقت والمال في المحاكم، وينصت للطرفين الذين أقسما بالله على قول الحق، ودائمًا يقع الحل الوُّدي.. حتى كانت مشكلة محمد فتحي؛ ذكر المواطن في روايته.. أن شركة نعمان أخذت منه خمسة آلاف جنيه مقابل فرصة عمل لدولة السعودية، وبعد انتظارٍ طال لم تفِ الشركة بالوعد، فطالبها بالمبلغ، فاعتدى عليه ابن صاحب الشركة بالسب، فذهب إلى إدارة مكافحة جرائم الأموال العامة وحرر محضرًا ضد الشركة؛ فعثر بمن أرْشَدَه لمن له قبضة من حديد على شركات إلحاق العمالة؛ فجاء إلى شخص مجاهد ليقص القصة، ونشر المواطن تحاليل وصور أشعة، وأراد أن يكشف عن جراحة حديثة، تتبعها أخرى خلال أسبوع لسرطان بالمثانة وتحويلًا لمجرى البول، ومفروض سفره خلال ٤٥ يومًا لدولة ليبيا لحصوله على فرصة عمل هناك، وأقسِمُ؛ بالله؛ أقولُ الحقَّ؛ وكيف لا وأنا بين الحياة والموت؛ قد لا أقوم من هذه الجراحة الخطيرة، وهناك شخص آخر تعامل مع الشركة يعلم قصتي، ومستعد أن أجيء به ليؤكد لسيادتك؛ فأقسم ابن صاحب الشركة؛ بالله العظيم هذا الشخص كاذب؛ ولا علاقة لشركة نعمان الدولية بالموضوع، وشركة التسهيلات بالقاهرة؛ وهم أيضًا أصحابها؛ من استخرجت له تأشيرة لدولة ليبيا مقابل ثمان مائة جنيه فقط، هو كل ما أُخذَ من هذا الشخص، وتسابا عنده فزجرهما مجاهد زجرًا شديدًا، ورفض ابن صاحب الشركة أن يعطي المواطن الألفين وخمسمائة جنيه التي قضى؛ وقال:

- كيف تعطيه الشركة ألفين وخمسمائة جنيه، وكل ما دفعه ثمان مائة جنيه فقط؟! يضرب دماغه في ألف حائط؛ فأمهلهما:
- فكرا؟ وغدًا أجيباني؟ وقال؛ لست متأكدًا لأحدكما، وأعلمَ ابن صاحب الشركة؛ أنا على يقين أن المواطن لا يمكن أن يختصمكم من بين جميع الشركات دون أن يقع بينكما تعامل، لم تحسنوا معاملته، وهو ما جعله يلجأ للشكاية، وذكر للمواطن أنه فَرَّط؛ وكان يجب أن يحتاط لنقوده، ويأخذ إيصالًا بالمبلغ من الشركة، أو يصطحب معه آخرًا يحضر واقعة تسليم النقود..
- الخسارة مناصفة؛ فاستعلى ابن صاحب الشركة ولم يسلم بالحكم؛ فَاضْطُرَ إلى إثبات شكوى المواطن، وبعرضها على القائم بعمل مدير المديرية أمر سيادته؛ الأخ/ مدير إدارة الاستخدام الخارجي للدراسة والعرض من خلال حملة مشتركة.. فجيء لسيادته بالنتيجة..

إنّه في يوم الأربعاء الموافق ٧/٢٥ / ٢٠١٢ انتقلنا نحن السادة فلان؛ مدير عام إدارة الاستخدام الخارجي، وفلان مدير مكتب تفتيش ثانٍ المنصورة، وفلان المفتش بمكتب تفتيش ثانٍ، إلى مقر شركة نعمان لإلحاق العمالة المصرية بالخارج ترخيص.. والكائنة بالعنوان.. بخصوص شكوى المواطن محمد فتحي، عنوانه.. فتبين..

أولًا: وجود كشكول تسجل فيه الشركة أسماء، وعناوين، وأرقام تليفونات المواطنين؛ تبين وجود اسم الشاكي محمد فتحي محمود عطية بينها، عنوانه.. رقم تليفونه المحمول ٠١٢٢٨٠٩٣٢١١ بالكشكول

المذكور، ولم يوجد للمواطن ملف تحتفظ به الشركة، ولم يوجد اسمه مسجلًا بسجل (٣) سجل قيد العمال المصريين الراغبين للعمل بالخارج، مخالفة الشركة بذلك المادة ٢٤ من قانون العمل رقم ١٢ لسنة ٢٠٠٣- والمادة ١٣ من القرار الوزاري١٣٥ المنفذ للمادة ٢٤من قانون العمل المذكور.

ثانيًا: وجود بمقر الشركة المذكورة بعض الأوراق والمستندات الخاصة بشركة التسهيلات لإلحاق العمالة؛ ترخيص..، عنوانها.. الدقي، الجيزة، مخالفة بذلك نفس المادة المذكورة سابقًا من قانون العمل المذكور، والمادة ١١من القرار الوزاري١٣٥مادة العقوبة ٢٤٣

ثالثًا: أثناء تواجدنا بمقر الشركة، دخل شخص يدعى/ محمد الهادي أحمد، تبين أنه طبيب بشري، حصل على تأشيرة لدولة السعودية عن طريق شركة التسهيلات جاء ليستلم جواز سفرة وعقد عمله؛ فطلب منه مندوب الشركة ثلاث مائة جنيه زيادة فاشتكى الطبيب إلينا، فتدخلنا فطلبنا على الجوَّال المدير المسئول.

المواطن ذكر أن الاتفاق بينكما كان على ستة آلاف جنيهٍ فقط، وَحَذرنا من قبل التنبيه على الموظف لديكم التعاون لتسهيل مأموريتنا، نطلب منه تصوير بعض الأوراق التي تتعلق بالزيارة وهو يرفض.. فوافق المدير المسئول على تسليم الجواز للطبيب، وطلب محادثة الموظف..فرجع الموظف ليقول:

- أنا لا أستطيع تصوير شيءٍ لأن هذا يعرضني للمؤاخذة من صاحب الشركة، فضاق صدر مجاهد به وبالمدير المسئول المراوغ، وزيادة في الثقة بالنفس، ولعدم توقع خيانة، ورفعًا للحرج عن موظف الشركة قال خطأً:

- هذا إقرار مني، وكتب..أخذتُ من الشركة الآتي:

(١) عدد ست ورقات تخص شركة سهيل.

(٢) كشكول مقيد فيه اسم الشاكي/ محمد فتحي

(٣) جواز سفر باسم/ محمد الهادي أحمد الحسيني؛ توقيع فلان، مدير إدارة الاستخدام الخارجي.. فأمر القائم بعمل وكيل المديرية؛ عدم ذكر واقعة الطبيب في تقرير بحث الشكوى، وتحصيل الشركة أكثر من ٢ في المئة من أجر السنة الأولى للمتعاقد التي حددها القانون؛ لمّا سأل مجاهد باعتباره الخبير في الشأن عن عقوبة ذلك؛ وأنها شديدة؛ إلغاء الترخيص، والاكتفاء بنتيجة بحث شكوى المواطن محمد فتحي، وما فيها من مخالفات، وتسهيل سفر الطبيب، وتسليمه جواز سفره.. وللرجاء؛ وهو ما لم يُعهد مجاهد من مدير مديرية سابق؛ أطاع؛ غير أنه احتاط لنفسه؛ بأخذِ إقرار على الطبيب..

أقر أنا محمد الهادي أحمد الحسيني بطاقة رقم قومي.. أنني قد استلمت جواز سفري رقم.. من فلان، مدير إدارة الاستخدام الخارجي بعد أن أنهى مشكلتي مع شركة كذا.. بالإضافة إلى جميع الأوراق الخاصة بي وهي

بالإضافة إلى ما ذكر؛ شهادات بكالوريوس طب وجراحة الكرتونية+ شهادة الامتياز + العقد الخاص بسفري؛ كان ذلك أثناء تواجد سيادته والأستاذ.. مدير مكتب تفتيش ثانٍ بمقر الشركة المذكورة بجوار مجلس الدولة بمساكن الشـــــــــــــــناوي بالمنصـــــــــــــــــــــــورة.

المقر بما فيـــــــه.. محمد الهادي أحمد الحسيني.

* * *

الفصل السابع

لمْ يحسب أحدٌ أن جماعة الإخوان التـي مكَثت، لأكثر من ثمـانين عامًـا، تُعِدُّ العُدَّة لحكم مصر، تنكشف عوراتها بهذه السرعة؛ فبعد أن بشرت أوسع جريدة مصرية انتشارًا؛ كلاعب كرة أساسي مؤثر؛ المصري اليوم فـي الأول من يوليو٢٠١٢، في صَدْرِ صفحتها الأولى: مصر تودع ٦٠ عامًا من الحكم العسكري، مرسـي يتسلم السلطة رسميًّا، والمشير طنطـاوي يـؤدي التحيـة العسكرية لأول رئيس مدني، الرئيس يشكر القوات المسلحة؛ ويعلن تفرغها لحماية البلاد، أتحمل مسؤوليتي عن الشعب والجيش، مصر الآن دولة مدنية، لا عودة للوراء.. أعْلن مرسـي فـي ذات اللحظـة: عـودة المؤسسـات المنتخبـة لأداء دورها؛ في تلميحة منه إلى عودة البرلمـان، وكـان قد أدى صباح أمس اليمين الدستورية أمـام هيئـة المحكمـة الدستورية، ليتوجه بعدها إلـى جامعـة القاهرة لحضـور احتفـال غيـر رسـمي بتنصيبه رئيسًـا للبلاد، دُعِـيَ لـه نـواب مجلسـي الشـعب المُنْحَـلُّ والشـورى؛ فَعَجـبٌ! يقسـم أمـام المحكمـة الدسـتورية العليا على احترام الدُّستور والقضاء، ويرفض فعليًّـا أحكـام القضـاء التـي كـان منهـا حـل البرلمـان!.. واسـتبق أداء اليمـين أمـام الجمعيـة العموميـة للمحكمـة الدسـتورية العليـا بحسـب بمـا ينصـص الإعـلان الدسـتوري المكمـل؛ بكلمـة حماسية أمام المتظاهرين بميدان التحرير، ضَمَّنها أداء القسم؛ فَصـاح عضـو مجلس الشعب السابق " أبو حامد":

- لا يصح أن يقف الرئيس على منصة تتحدى الأحكام القضائية، ثم يقسم أمام الدستورية على احترام القانون والدستور.. وكان مرسي قد وجه الدعوة لأعضاء مجلسي الشعب والشورى لحضور الحفل، فحضر الأعضاء الإخوان، وحزب النور السلفي، وتخلف نواب الأحزاب المدنية احترامًا للقضاء..

ونشطت وسائل الإعلام كلاعب وَسَطٍ مجيد مراوغ: كيف ينوي أن يكون رئيسًا، والرئاسة الفعلية لمن؟ للمشير؟.. أم لـ د/ محمد مرسي؟.. وهل نحن في شراكة مُلتبسة، أم في مواجهة صريحة؟ الرجل في وضع بالغ الحرج، يبدو كرئيس افتراضي تحت وصاية مثلثة؛ جماعة الإخوان التي يحتفظ بعضويته فيها، ووصاية الأمريكيّين على سلطة الحكم عمومًا، ووصاية المجلس العسكري على سلطته بالذات!

ففي السابع عشر من يونيو ٢٠١٢ كان المجلس العسكري قد أصدر إعلانًا دستوريًّا مكملًا؛ وفقًا له يؤدي رئيس الجمهورية المنتخب اليمين الدستورية أمام الجمعية العامة للمحكمة الدستورية العليا، واحتفظ المجلس العسكري لنفسه بموجب هذا الإعلان الدستوري بسلطة التشريع لحين انتخاب مجلس الشعب، وَجُعِلَ الرئيس رئيسًا للسلطة التنفيذية؛ وأداؤه اليمين أمام المحكمة الدستورية اعتبر إقرارًا منه بهذا الإعلان؛ فصيح من خلال برنامج تلفزيوني يقدمه إعلامي شهير:

- من حق الرئيس المنتخب بعد حلفه اليمين أمام المحكمة الدستورية، إصدار إعلان آخر يُسْتفتى عليه الشعب؛ ونادي أيضًا من خلال كلمةٍ ألقاها أول أمس؛ الجمعة من منصة التحرير عضو رابطة علماء أهل السنة ضمَّنها:
- أطالب الدكتور محمد مرسي رئيس الجمهورية، أن يُهْمِلَ الإعلان الدستوري المكمل، ويمارس صلاحيات رئيس الجمهورية كاملة، وعلى المشير أن يخلع عباءة الكِبر التي أعطاها له النظام القديم، وأن يعلن انضمامه للشعب بتسليم السلطة لـ مرسي، أو يبقى ضمن النظام القديم ..؟

وأعلن مؤسس حركة ٦ أبريل، أن الحركة مستمرة في الاعتصام بميدان التحرير، وأن ما نشر على بعض المواقع الإخبارية بانسحابنا من الميدان غير صحيح، وأن الاعتصام من أجل بعض المبادئ، أهمها؛ حصول الرئيس على صلاحيات وسلطات حقيقية، وعودة مجلس الشعب المنتخب بطريق شرعية. فعقب مجاهد لزوجته:

- يظل هؤلاء؛ يصيح بعضهم إثر بعض حتى يُسْلِمُوا البلاد لقبضة الإخوان؛ ولا يدرون ما يفعله الإخوان فيهم متى جمعوا السلطة كلها في أيديهم؛ تخيلي؟ ليست هناك مادة واحدة في الدستور لمحاسبة الرئيس! وأعتقد أن احتفاظ المجلس العسكري بسلطة التشريع، وإقرار الموازنة العامة للدولة، فرملة لسلطة الإخوان لحين انتخاب المجلس التشريعي

الجديد الذي يُسائل السلطة التنفيذية، كما أن المطالبة بعودة مجلس الشعب المُنْحل بحكم قضائي يهدر سلطة القضاء..

فصاح ماهر مخيول:

- يا مولانا؛ الرئيس المنتخب من الشعب، من حقه إلغاء الإعلان الدستوري المُكَبّل، الذي أصدره المجلس العسكري ليظل هو الحاكم الفعلي للبلاد.. فعارضه بذكر هذه الآية:

- "ولولا دَفعُ الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض".. وتابع يحتج عليه: يا ماهر يا مخيول؛ قديمًا قالوا؛ القفة أم ودنين يحملها اثنين، أتجْعَل حامِيها حراميها؟ احتفاظ المجلس العسكري بسلطة التشريع لحين انتخاب البرلمان، يجعل له الرقابة المؤقتة على أداء الحكومة وأداء الرئيس.

- أنت تكره الإخوان ولا تُحبُّ الرئيس؛ يا مولانا.

- وما دخل الحَبُّ والكره هنا؟ وذكَّره بآية أخرى.. "كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى".. فصاح محتجًّا:

- لا يمكن أن يكون الرئيس المنتخب مكبل اليدين بلا صلاحيات يا مولانا.

- بل هو رئيس السلطة التنفيذية؛ يختار الحكومة، ويدير شؤون البلاد.. فتحدثت الآنسة التي أخواها إخوان:

- أنت تُريد للرئيس أن الفشل؟! فنظر إليها بأسىً:

- كان ظني أنَّك تعتقدين فيَّ أفضل من ذلك! أنا لا أحسد؛ الإمام راع وهو مسئول عن رعيته، يغشاه المظلوم يوم القيامة من كل جانب، لو خيرت؛ - يعني في الرئاسة - وبين أن يضيع ورد يوم واحد - يعني من القرآن - ما خَطَرت لي ببال، أكره النجاح لِمَ؟! أنت تدافعين – فقط - لأن أخويكِ إخوان، كفانا جدلًا؟ وليقبل كلٌّ منا على عمله فقط ؟.. فبالغت الزميلة في الشقاق:

- أنت دائمًا تقطع الحوار طالما الآخر قد اختلف معك.. فآزرها مخيول:

- الحياة وجهات نظر يا مولانا، وأعجب لرجل دين مثلك أن يكون ضد التيار الإسلامي!.. فاشتد غضبه عليه:

- بالأمس كنت ليبراليًّا، واليوم نجدك إخوان؛ ويؤذن للصلاة فلا تذهب إلى المسجد، وتحكم أني محارب للإسلام، وأنت لا تستطيع أن تقرأ بآية؟!

- أنت غاضب يا مولانا لأنك كنت تريد تلميذ مبارك؛ تريد عودة النظام الفاسد؟ الدكتور مرسي يحفظ القرآن، وشفيق رمز الاستبداد؛ يداه ملطختان بدماء الشهداء.. فاصطاده:

- أسمعت مرسي يقرأ القرآن؟ ثُمَّ ما دخل القرآن في الكفاءة؟ لِنعملْ؟!

- أنت مستبد يا مولانا؛ تقهر مخالفيك في الرأي.. فلم يُجِبه لأن حال هذا الزميل كـ صنبور فسد محبسه، إذا حاولت إصلاحه أعياك إقفاله؛ كلما

حاول أن يضع يده على حقيقة الإخوان ازداد عمي؛ فترك إهدار الوقت معه.

ولمَّا قامت وسائل الإعلام تضرب بالكرة قذيفة في مرمى مرسي؛ بأن ابنه ليلة الأمس سلم " الغنوشي" درعًا رئاسيًّا في مطار القاهرة بتكليف من والده؛ فاستفتحه مجاهد بالخَبَرِ:

- يا مخيول ما وقع فيه مبارك بعد ثلاثين سنة من الحكم؛ يَقَعُ فيه بعد شهرٍ واحدٍ من توليه السلطة رئيسُك الإخواني؟! نجل مرسي ذهب إلى مطار القاهرة ليودع الغنُّوشي زعيم حزب النهضة التونسي؛ وسلّمه قلادةً تحمل شكر وإهداء مرسي، فما صفة الابن هنا؟ أيساعد والده في الحكم كما فعل سبقه ابن مبارك؟؟ فأسرع يردد:

- الإعلام يكذب يا مولانا.

- الخبر ذكرته وكالة الأنباء الألمانية، فلَمْ يخرج متحدث الرئاسة ليكذبه، وأنه سيُقاضي جريدة الوطن، والوكالة الألمانية لنشرهما خبر كاذب.

- الرئاسة تريد أن تتفرغ لتحقيق ما وعدت به الناس؛ فالتركة التي خلفها النظام السابق ثقيلة يا مولانا، وليس من الحكمة تضييع الوقت في هذه السفاسف..فأعاده للوراء:

- أرأت عيناك، أو سمعت أذُناك أحمد شَفيِق يأمر بقتل المتظاهرين، ويديه الملطختين بدماء الشهداء؟ فمضيتم تذرّون بها أثناء انتخابات الإعادة ؟.. فصاح:

- شفيق مسئول؛ كان رئيسًا لوزراء مصر، ولم يأمر بحماية المتظاهرين.. وتَروّى وهو يكمل؛ مسئول سياسيًّا عن ذلك يا مولانا.. فردَّه أيضًا في رَوِيَّة:

- وأعلن شفيق أنه من أحال القضية إلى النائب العام للتحقيق.. فراح مخيول يشكك:

- النائب العام الذي عينه مبارك؟ فباغته بهذا السؤال:

- أرأيت الحملة التي تقوم بها الحكومة لتنظيف، وإعادة رصف الشارع الذي يسكن فيه مرسي؟ أنا رأيته على الهواء مباشرةً عبر التلفزيون.. ما الفرق بين الإخوان والنظام السابق؟؟

كانت هيئة الطرق والكباري قد كلفت شركة للإنشاء ورصف الطرق، بإعادة رصف الطرق والشوارع المحيطة بمنزل رئيس الجمهورية في التجمع الخامس؛ بدأ العمل في السابعة صباحًا، وظل متواصلًا حتى الخامسة مساءً؛ وتم تغيير مُحَوّل الكهرباء بآخر جديد، للتأكد من عدم انقطاع التيار، وتوصيل مواسير مياه جديدة، وما يقرب من خمسين عاملًا من جهاز البيئة

حضروا لغرس الأشجار؛ فقال حارس عقار بجوار فيلا مرسي فَجِئه المنظر الجديد للشارع:

- مشاء الله! حاجة تفرح، يا ليت مصر كلها منازل للرؤساء!.. وتفكَّه أيضًا كذلك:

- يجب أن يعمل المصريون وكأن الرئيس يسكن إلى جوارهم! كُنّا دائمًا نعاني في هذا الشارع من انقطاع المياه والكهرباء، الحمد لله، منذ أمس الأول لم تنقطع لا الكهرباء والمياه؛ نحن فرحين لذلك.. فثار بعض سكان عشوائيات حضروا أمام فيلا الرئيس:

- نحن معتصمون هنا منذ فوزه لأننا لا نعرف غيره؛ وهو مهتمٌ بنفسه؛ يرصف ويشجر هذا الشارع، ونحن لا نجد مطرحًا نسكن فيه.. فأسرعت سيارات الشرطة في الانتشار في محيط المنزل لمنع الاحتكاك، وتواجدت سيارة إسعاف تحسبًا لذلك..

كان.د. مرسي قد قطع على نفسه في برنامجه الانتخابي تحقيق خطة عاجلة للإصلاح في مئة يوم في ملفات؛ الأمن، المرور، رغيف العيش، الوقود، والقمامة؛ وبدأ الناس يَعِدون له عدًّا تنازليًّا، ففاجأ الجميع بإصداره قرارًا جمهوريًّا يحمل رقم ١١ بعودة مجلس الشعب، وممارسة اختصاصاته المنصوص عليها في المادة ٢٣ من الإعلان الدستوري، وسحب القرار رقم

٣٥٠ الذي أصدره المجلس العسكري، الذي اعتبر مجلس الشعب منحلًا، فقَلب الدنيا عليه؛ وكان هذا القرار أول رصاصة يطلقها على نفسه؛ إذ خرجت وسائل الإعلان اليوم في التالي؛ كلاعب مجيد يضرب بالكرة مرمى مرسي: الرئيس يغتال دولة القانون؛ مرسي يعيد مجلس الشعب المنحل، ويفتح معركة مع العسكري.. مصادر: لا يوجد نص في الإعلان الدستوري يسمح بالقرار.. بكري؛ كاتب صحفي: مبارك لم يجرؤ على إصداره.. " زمزم": بداية للصدام مع السلطة القضائية؛ واتحاد حماة الثورة: لا نعترف بـ مرسي رئيس؛ جريدة الوفد..

وأشعل أعضاء ائتلاف خريجي الحقوق، والشريعة والقانون النار في عشر صور للرئيس أمام القصر الجمهوري، كأول رد فعلٍ من نوعه اعتراضًا على تعيينات دفعة النيابة الإدارية عام ٢٠٠٨ التي حصد فيها أبناء الجماعة، والشرطة، والقضاء النصيب الأكبر، فقام الخريجون الأوائل بإحضار بوستر كبير عليه عشر صور لمرسي قاموا بتمزيقه قِطعًا قبل إشعالها لاستبعادهم من التعيينات رغم حصولهم على تقديرات مرتفعة، وتعيين الحاصلين على تقديرات منخفضة..

ودخلت البلاد في شقاقٍ جديدٍ؛ بين مؤيدين لقرار الرئيس بإعادة البرلمان احتشدوا في التحرير، ومليونية للرافضين أمام المنصة التي قتل فيها السادات لعزل مرسي.. وانقسم كذلك قادة الأحزاب، والقوى السياسية، وفقهاء

الدستور والقانون: هذا انحراف عن اليمين الدستورية، وتغول على السلطة القضائية. وصاح المؤيدون: القرار سليم١٠٠./.

ورغم أن أسلوب الحكم العائلي؛ ومحاولات التكريس لمشروع التوريث كان سببًا مباشرًا من أسباب سقوط مبارك.. رأى محللو الأحداث: أن جماعة الإخوان تهرول لنفس الطريق؛ فـ ابنة مرسي متزوجة من ابن أحمد فهمي رئيس مجلس الشورى، وزوجة رئيس مجلس الشورى شقيقة زوجة رئيس مجلس الشعب. وشركاء "الشاطر" المقربون يسيطرون على قصر الرئاسة..عبد العاطي؛ المنسق العام لحملة محمد مرسي رئيسًا لمصر، وعصام الحداد مسئول ملف العلاقات الخارجية في حزب الحرية والعدالة سكرتيرًا شخصيًّا لرئيس الجمهورية الحالي، وأخوه مدحت الحداد مسئول مكتب جماعة الإخوان في الإسكندرية رئيس حملة مرسي هو الآن الرجل الأول في قصر الرئاسة، وابنة جهاد الحداد مسئول الملف الاقتصادي في مشروع النهضة متزوج من ابنة محمود أبو زيد عضو مكتب الإرشاد، وكريمته فاطمة أبو زيد ممثلة المرأة في الجمعية التأسيسية للدستور هي أخت زوجة جهاد الحداد؛ زوج خالة محمد إبراهيم الذي تم تصعيده عضوًا في مكتب الإرشاد!...

فصاح الخبير من الناس: جماعة الإخوان تنخر في مفاصل الدولة، وعلى الرئيس التنفيذ؛ زَرَعوا من إخوانهم؛ وزراء، ومستشارين، وَوُكلاء وزارة، ومديرين عموميين في الأماكن الحساسة للدولة؛ من يصلح منهم ومن

لا يصلح؛ وعُيّنَ "عادل فرغلي" مديرًا للإدارة العامة للاستخدام الخارجي بالوزارة بدلًا من رمضان عثمان الذي عينته وزيرة النظام السابق؛ أنبأ الخبر محمد عبد المنعم؛ مخضرم من أصحاب شركات إلحاق العمالة؛ فتطلع إليه مجاهد دَهِشًا!.. فتابع صاحب شركة إلحاق العمالة:

- آه؛ هذا هو حال الدنيا بأهلها! وقال؛ ظَنَنْتُك تعرِف؟ قال:

- ومن أين لي أن أعرف؟!... فأَكَدَ الخبر وافدة من الإدارة العامة لتفتيش العمل بالوزارة؛ جاءت للاشتراك في تعيين مقر إحدى الشركات تحت التأسيس؛ حين ضحكت تنبئ:

- ذهب رمضان عثمان إلى الظل.. فقال مجاهد:

- معقولة رجعت الأمور تسير هكذا ؟!..قالت:

- استسلم رمضان عثمان، ورجع من مدير عام "يشخط وينطُر " إلى كبير باحثين "مُهَمَّشًا".. أخبر:

- هذا أفضل الأوقات لجلوسي خَلِيّ البال هكذا.. فرجع مجاهد بالخبر إلى مخيول:

- مرسي يغتال دولة القانون يا مخيول.. فصاح:

- يا مولانا؛ المحكمة الدستورية أهدرت إرادة ثلاثين مليون ناخب؛ بإلغائها مجلس الشعب، فأعاده الرئيس احترامًا لإرادة الشعب.. كانت المحكمة قد قضت في الرابع عشر من يونيو الماضي بحل مجلس الشعب بسبب بطلان مواد في قانون الانتخابات؛ فقضت المحكمة بعدم دستورية عدد من مواد قانون الانتخابات التشريعية، التي تعطي الأحزاب الحق في الترشح لثلث مقاعد مجلس الشعب المخصصة للمستقلين، والتي تجري عليها الانتخابات بالنظام الفردي؛ فقضت المحكمة بسبب عدم المساواة وتكافؤ الفرص، وتوغل الأحزاب على مقاعد المستقلّين ببطلان مجلس الشعب..فقال مجاهد:

- ليس عن هذا أسأل؛ وإن كانت المحكمة الدستورية أعلى سلطة قضائية، وأحكامها نهائية واجبة النفاذ، وهي من أعطت مرسي الشرعية لممارسة مهامه بأدائه اليمين أمامها.. فواصل والزميل يتحدث مع حديثه فاستوقفه:

- اسمعْ، اسمعْ، ما ارتكبه مرسي يستوجب العزل طبقًا للمادة ١٢٣ من قانون العقوبات: يعاقب بالحبس والعزل كل موظف عمومي استعمل سلطته في وقف تنفيذ الأوامر الصادرة إليه من الحكومة، أو القوانين، أو اللوائح، أو وقف تنفيذ حكم صادر من المحكمة؛ والعزل من الوظيفة هذا وُجوبي..قال:

- تريد أن تعزل رئيس انتخب بإرادة الشعب بعد تسعة أيام من توليه منصبه لترجعنا للعسكري؟!

- لا تكذب؛ رئيسك حصل على ٥١ في المئة انتخبه فقط ١٣ مليون؛ من إجمالي أكثر من خمسين مليون له حق التصويت، يعزله تصرفه، والمادة ١٢٣ من قانون العقوبات، والهيئات القضائية جميعها في موقف مُوحدٍ ضده.

- يا مولانا، هكذا الانتخابات النزيهة؛ التي أصبح بها د/ مرسي رئيسًا لكل المصريين.

- بل رئيسك أنت؛ أنا لم أنتخبه.. فضحك:

- انتخبت الفِلَ؛ شفيق.

- انتخبت رَجلُ دولة؛ رئيس وزراء مصر السابق، ووزير طيران ناجح، لا يعمل لمصلحة جماعة، بل يعمل لصالح جميع المصريين، يحترم الدستور والقانون؛ لم تغره جماعة كـ مرسي.. فأخذَتْهُ حَمئة:

- أتريد إعادتنا لحكم العسكر؟ وشفيق رجل مبارك الذي أعلن في برنامجه أنه يعيد الأمن في ٢٤ ساعة، بعصا البطش؟.. فاصطنع له الهدوء:

- د/أحمد شفيق لم يكن في الحكومة عند قيام الأحداث، ولم يكن عضوًا في الحزب الوطني.. قال:

- ألم ترَ كيف علت الفَرْحةُ، والتصفيق الحاد لأعضاء مجلس الشورى، عندما قرأ د/ أحمد فهمي رئيس المجلس قرار رئيس الجمهورية بعودة

مجلس الشعب لممارسة اختصاصه، لحين إجراء انتخابات مبكرة لمجلس الشعب خلال ٦٠ يومًا من موافقة مجلس الشعب على الدستور الجديد؟!.. فبكته:

- مجلس مشورتكم؛ صاحب نسبة ال ٧ في المئة هؤلاء المصفقون هم عشيرتك الذين انتهزوا فرصة عزوف المصريين عن النزول، فعبؤوا أنصارهم في ميكروباصات، مستخدمين المساجد، والشعارات الدينية، والزيت، والسكر؛ مصطفى بكري عضو مجلس الشعب المنحل قال: عودة المجلس يوم أسود في تاريخ مصر، لن أعود إلى هذا المجلس غير الشرعي.

- مصطفى بكري الفِل؟

- أصبح من أسقطه النظام السابق في انتخابات٢٠١٠؛ لرفضه فكرة التوْريث؛ أصبح الآن فِلًا؟! أتعلم لِمَ؟ لأنه يعارضكم؛ ألم تسمع الدكتور فلان؛ وقد أبدى اعتراضه على القرار ووصفه بأنه غير قانوني، وغير دستوري ؟.. فالتقط مخيول نفسه:

- وأكد، أيضًا، يا مولانا الدكتور أستاذ القانون الدستوري بجامعة القاهرة فلان؛ أنه يحق للرئيس باعتباره السلطة الوحيدة المنتخبة الآن أن يتجاهل الإعلان الدستوري، وحقه في تجاهل القرار الصادر من رئيس المجلس العسكري باعتبار مجلس الشعب منحلًا بحكم المحكمة الدستورية، وأن

المحكمة ليس لها أي اختصاصٍ سوى الرقابة على .. فرفعت أكبر زميلة بالإدارة يداها تخفي أذنيها:

- الله يكرمك يا شيخ مجاهد كفاية؟ وقال لمخيول ترفق به:

- يا أستاذ فلان، السكر هـ يعلى عليك؟

- ما هو عالٍ يا مدام!..

وأعلن الإخوان الحرب على الدستورية العليا؛ طالب محاميهم ونائبهم" الحافي" برد هيئة المحكمة، واتهمها بارتكاب جريمة التزوير؛ وقام بتقديم بلاغٍ ضدها للنائب العام.. وكانت المحكمة قد استمعت أمس، لمرافعة مقيمي دعوى بطلان قرار رئيس الجمهورية بعودة البرلمان، واعتبروه ضربة قاضية للقضاء المصري يهدم القانون.. وأكد مؤيدو القرار أمام المحكمة أن تزويرًا حدث في حكم المحكمة بحل البرلمان لأنها أرسلت نص الحكم لنشره في المطابع الأميرية قبل تداوله فيها؛ ما دفعها إلى رفع الجلسة بشكلٍ مفاجئ للتداول.. وأكد عددٌ من الإعلاميين أنهم سيتقدمون بشهاداتهم ضد اتهام الإخوان للمحكمة، موضحين أن نائب رئيس المحكمة الدستورية أبلغهم بالحكم خلال مؤتمر صحفي؛ كان عَقدُهُ عَقِبَ النطق بالحكم، وأنه اضطر إلى مغادرة المحكمة لإرسال الحكم لنشره في الجريدة الرسمية؛ وهو ما ينفي مقالة " الحافي"..

وفي جلسةٍ قصيرةٍ أمس للمجلس العائد بعد غياب؛ لم تزد عن اثنتي عشرة دقيقة، هرول رئيس المجلس بإحالة قرار حل مجلس الشعب إلى محكمة النقض، ليضعها في مواجهة المحكمة الدستورية العليا، فقررت محكمة القضاء الإداري تأجيل نظر الطعون المقدمة على قرار رئيس الجمهورية بعودة البرلمان لجلسة السابع عشر من يوليو؛ ووسط حالة من الفوضى داخل قاعة المحكمة بعد اعتلاء القضاة المنصة هتف مقيمو الدعوة: يسقط؛ يسقط حكم المرشد.. لا إخوان ولا مسلمين؛ دول شِويّتْ إرهابيين؛ فقابله محامي الدفاع بهتاف: الشرعية الثورية بتقول؛ مجلس عسكري فلول؛ وتطور المشهد إلى اشتباكات بالأيدي؛ ما دفع هيئة المحكمة إلى رفع الجلسة ثلاث مرات، وتظاهر المئات من مؤيدي القرار أمام مقر مجلس الدولة، والمئات من معارضيه في نفس المكان، فتدخل الأمن بإقامة حاجز بين الجهتين.. فسألت الزوجة مجاهد عن هذا الهَرْج ؟.. قال:

- اخطف واجري؛ مجلس الشعب المنحل عاد للانعقاد؛ وضرب لها مثلًا؛ القط إذا أعطيتيه شيئًا مكث يأكله إلى جوارك، وإذا خَطِفَ الخطِفةَ، هرول إلى غير المكان يلتهمها.. قالت:

- أنا لم أعد أفهم شيئًا!.. فأعلن ينادي:

- الثورة تائهةً يا أولاد الحلال!..

* * *

زلـزالٌ فَجَّـرَهُ مرسـي فـي الاحتفـال التقليـدي بليلـة القـدر؛ فـي الرابـع والعشرين من رمضان، أحال المشير طنطاوي، والفريق أول عنان للتقاعد، وألغى الإعلان الدستوري المكمل، و"مكي" نائبًا لرئيس الجمهورية، والفريق أول "عبد الفتاح السيسـي" مدير المخـابرات الحربيـة وزيـرًا للدفاع، والفريـق "صبحي صدقي" رئيسًا للأركان، ولا تزال الأحداث تتلاحق!..

بُوغت الجميع؛ وباتت مصـر تتسـاءل؛ مـاذا حدث؟ ومـا يمكـن أن تصـير إليه الأحداث؟ هل يثور الجيش لقياداته التي أُطيحَ بهـا؟ أم يمـر الأمـر بسـلام؟ ...فعلق مجاهد في شدةِ غضبٍ؛

- جزاءً وِفَاقًا؛ سلما البلاد للإخوان.. فسألته الزوجة:

- - وهل يسكت الجيش؟

- - لا أدري؛ لكـن هـؤلاء هـم الإخـوان؛ وقـال: نـالا جزاءهمـا عنـان وطنطاوي.. فسألته:

- - مذبحة رفح كانت السبب ؟.. قال:

- - يجـوز؛ ويجـوز دبرهـا الإخـوان مـع حمـاس، للإطاحـة بـوزير الـدفاع ورئـيس الأركـان، وإظهـار ضـعفهما؛ وإثـارة النـاس ضـدهما.. ورجـح الفرض الثاني؛ ورجع يألم؛ مشـهد يستحيل نسيانه؛ ستة عشر فردًا بين ضـابطٍ ومجنـدٍ فـي نقطـة حدوديـة بـرفح يَهُمُّـون للإفطـار فـي رمضـان

فتغربلهم رصاصات غدر مساء السادس من أغسطس ٢٠١٢ فيتحولون أشلاءً، الطعام في أفواههم دون أن يرد أحدٌهم بطلقة، ولا ينتقم لموتهم أحدٌ.. الخيبة الكبرى؛ أن قادة الجيش لم يعلموا بما جرى لجنودهم إلا بعد ساعة ونصف من الحادث؛ الأهالي هم من نقلوا الجثث للمستشفي؛ أما الإرهابيون ففروا، إلى أن عاجلهم القصف الإسرائيلي عند نقطة حدودية في أقل من ثانية فأرداهم قتلى جميعًا، ونقلت جثثهم المتفحمة إلى الجانب المصري، وَتُرِكَ للمصريين، فقط، مهمة الضياع في التخمين.

- وتحدث بعض من حضر الجِنازة من غير أهالي الضحايا:

- - ما حدث لا يرضي أيَّ مصريّ؛ بجد حاجة تِحَزّن٠٠ ولم يبقَ أمام أهالي الضحايا إلا:

- حسبنا الله ونعم الوكيل؛ وصرخت أخت شهيد في حرقة وهي تبكي: ماذا فعل أخي ليقتلوه ؟؟.. وعلى بعد خطوات من الجِنازة وقف ابن عم شهيد ينظر في ذهول إلى الصندوق الخشبي غير مصدق أن ابن عمه/ محمد عبد الرحمن المصري الذي تشهد " سمالوط " بالمنيا أنّه كان شابًّا يَعْتَزُ به أهله؛ رَجلٌ في كل تصرفاته.. وتابع ابن العم: الآن؛ احتسبناه عند الله شهيدًا.. وطالبت شقيقة الشهيد، عبد الله رئيس الجمهورية والجيش بسرعة القصاص العادل.. أما الشهيد، محمود رمضان الذي يتوسط ثلاث أخوات بالغ من العمر اثنين وعشرين عامًا؛ فقالت والدته في نوبة بكاء فاطر: ابني كلمني قبل استشهاده بيومين؛ ولأول مرة طالت المكالمة،

وانتظر ليكلم كل أخواته، وختم: ادعِ لي يا أُمّي؛ أن أُنْهي فترة تجنيدي على خير، كأنه كان يشعر أنَّه سيموت! ابني كان يريد السفر ليحقق أحلامًا كثيرة؛ ففاضت بالدمع عَيْنا مُجاهدِ على الفقيد الحالم والأم المفطورة.. وأبى البسطاء من الناس أن يدفنوا غيظهم في هموم الحياة قبل الأخذ بحق جميع هؤلاء من كل من تسبب في قتلهم؛ ومحاسبة المسئولين، خاصة في ضوء معلومات تداولت حينها؛ أن جهة أمنية عُلْيا عرضت على الرئيس قبل الحادث بأربع وعشرين ساعة تفاصيل الهجوم، والموقف، والأسماء المشتركة في العمليات الإرهابية المزمع شنَّها في سيناء، فتجاهل بحسه الإخواني المعلومات التي وضعت أمامه، وعرض نفس الأمر - منذ ثلاثة أشهر- على طنطاوي ومجلسه العسكري؛ أن وجودًا لجماعات، وخلايا إرهابية في سيناء بدأ يستفحل، وأن الواجب يقتضي توجيه ضربات استباقية.. فرفض، وأجّل التحرك إلى ما بعد الانتخابات الرئاسية جولة الإعادة؛ ومن يومها لم يُتَّخَذْ أيَّ إجراءٍ؛ تناولت وسائل الإعلام تلك المعلومات، ولم تخرج الرئاسة، ولا المجلس العسكري ينفيا، أو يؤكّدا ذلك... الجريمة الكبرى في رأي مجاهد، أن الضحايا حين وقع الحادث كانوا جاهزين للذبح؛ وإلاّ؛ كيف يجتمع لإفطار جماعي مُرابطون على ثغرٍ حدوديّ؛ خطأٌ رهيب، إهمالًا يرقى إلى حد الخيانة.. وتحدثت سائل الإعلام؛ قتلهم من أرسلهم دون تدريبٍ كافٍ قبل أن يقتلهم الإرهابيون الذين قيل أنهم فلسطينيون؛ فلم يعلق أحدٌ من المسئولين.

- غيظٌ شديد، وحزن مُهين عاشه المصريُّون بعد المذبحة؛ ليلة بطعم المُرّ أدمت القلوب، وجرحت الكبرياء، ورمز شموخهم - الجيش المصري- وتنوَّعت ردود الأفعال الغاضبة:

- نبيل نعيم؛ زعيم تنظيم الجهاد التائب؛ سُئل:

- - تشير أصابع الاتهام إلى الجماعات التكفيرية الجهادية في قتل شهدائنا في رفح، فما قصة هذه الجماعات؟.. قال:

- - أحداث رفح قامت بها عناصر إجرامية، تحمل فكر التكفير قال عنهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، "يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرَّميّة، سفهاء الأحلام حدثاء السّنان يقتلون أهل الإسلام"، هذه جماعات تكفيرية، انتشرت، وانتعشت فترة الثورة، والغياب الأمني شبه التام بسيناء، هذه الجماعات تعمل في تهريب السولار، وإدخال العملات المزوَّرة، وشراء بضائع بها، وإدخالها إلى غزة، كما يقومون بإدخال دولارات إسرائيلية مضروبة بمساعدة جماعات تكفيرية موجودة بغزة مثل ألوية صلاح الدين، وجيش التحرير، لديهم كم من الأسلحة حصلوا عليها عن طريق التهريب من ليبيا.

- - من يمول هذه الجماعات ؟..أجاب:

- - لابد من الوضع في الاعتبار أن كل الجماعات الموجودة في غزة بلا استثناءٍ مخترقة من الموساد؛ إسرائيل حذرت رعاياها قبل الحادث بأيام قالت؛ هناك أحداث ستقع في سيناء؛ ويبدو أنهم أعطوا معلومات قيّمة للمخابرات المصرية، التي تعاملت معها برعونة.

- - دماء أبنائنا في رقبة من؟
- - في رقبة الرئيس مرسي الذي قرر فتح المعابر؛ وهذا ساعدهم في تنفيذ مثل هذه العمليات، وأعطاهم نوعًا من الاطمئنان، وحرية الحركة؛ في نفس الوقت لم تقم حماس بتسليم الإرهابيين الذين تؤويهم فنعتبرها متورطة، دعك من استنكارهم؛ حماس تعلم كل صغيرة وكبيرة عن هذه الجماعات، وتتعاون معها، ولابد أن يضع الإعلام المصري حماس في نقطة واحدة، وهي تسليم الإرهابيين للجيش المصري لأن الموجودين في سيناء ليسوا وحدهم بل هم جزء لا يتجزأ من الجماعات التكفيرية داخل غزة.
- - ما رأيك في عدم حضور مرسي جنازة شهداء رفح؟
- - هذا دليل على شعبيته المُتَدنّية؛ خاف الحضور، ومواجهة الشعب، وإلا كان حضر مَشيًا على قدميه.. يومها علق لزوجته:
- - غاب من فتح صدره بميدان التحرير يوم فاز؛ ليوحي أنَّه الرئيس الذي لا يهاب، وهو الذي أفرج عن العناصر الجهادية المُعتقلة في السجون، فعادوا إلى جماعاتهم الأصلية في سيناء؛ يومها ورشَق أهالي الضحايا بالأحذية رئيس الوزراء، فخرج من المسجد هاربًا؛ في أثره يهرول أحد مساعديه حاملًا له الحذاء الذي لم يمهل لارتدائه؛ فحذرت الأجهزة الأمنية مرسي من شهود الجِنازة؛ وبدا طنطاوي ورئيس الأركان في الجنازة دون أدني احتجاجٍ.. فسألته الزوجة:

- الشهيد لا يُغسل ولا يُكفن ولا يُصلى عليه، ويُدْفنَ في ثيابه التي قُتل فيها؛ فلمِ جاؤوا بهم إلى المسجد؛ أليسوا شهداء؟.. قال:

- المُحزن قَتْلُ هؤلاء غِيلة.. الصلاة حال قتال الأعداء.."وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاةَ فلتقم طائفةٌ منهم معك"، يعني جماعة منهم تقف معك في الصلاة، "وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم"، أي الذين هم بإزاء العدو.. "ودَّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلةً واحدةً".. فكيف يجلسوا للإفطار هكذا جميع وهم مرابطون في ثغر؟ هذه جريمة شارك فيه طنطاوي وعنان؛ لم يُعَلِّموهم ولم يحذّروهم.. فلا أدري أهؤلاء مع التقصير شهداء ؟.. فعن ابن أبي عيّاش الزرقي؛ كنا مع رسول الله بعسفان فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد، وهم بيننا وبين القبلة، فصلى بنا النبي الظهر فقال المشركون: قد كانوا على حالٍ لو أصبنا غِرَّتهم، ثم قالوا: تأتي عليهم الآن صلاة هي أحبُّ إليهم من أبنائهم وأنفسهم؛ فنزل جبريل بالآية بين صلاة الظهر وصلاة العصر محذرًا؛ وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة.. تخيلي؛ عضو بالكنيست الإسرائيلي استمع للخطاب الذي ألقاه مرسي بعد الحادث فقال، إن لم يقضِ مرسي على الإرهاب في سيناء، سيجد نفسه يجلس على قنبلة نووية؛ وأن سيناء بكل مكوناتها، وكل ما يوجد فيها من عناصر للجهاد العالمي، وتنظيم القاعدة، ومختلف التنظيمات الإرهابية في طريقها لتكوين موقعٍ يمكنه زعزعة الاستقرار في مصر كلها والشرق الأوسط، وأن رجل الإخوان المسلمين؛ مرسي تم انتخابه كي يحل المشكلات

الاجتماعية، والاقتصادية بمصر، وبما أننا وجدنا رئيس وزرائه يتم رشقه بالأحذية خلال جنازة الجنود الضحايا، ينتهي الأمر برشق مرسي بالأحذية في حالة عدم نجاح الثورة.. ولم يعلن الحداد إلا في اليوم الثاني، وألقى مرسي على عجلة كلمته من مكانٍ مجهول من أمام سيارته الفارهة، ظهر السائق الذي ينتظر بداخلها متحفزًا، ويده على عجلة القيادة؛ أما وزير الدفاع الذي دأب على الإعلان أن سيناء جبهة آمنة، خالية من الإرهاب، لن يجرؤ أحد على العبث بأمنها؛ فلم يُسمع له صوت حتى زلزله قرار إحالته ورئيس أركانه إلى التقاعد!!..

- وطويت مذبحة الجنود بلا عقاب، وصفق النُّخبة لقرار مرسي المباغت: الرئيس أنهى الحكم العسكري للبلاد الممتد منذ زمن الفراعنة؛ الصواريخ تحسم معارك سيناء خلال الساعات القليلة القادمة.

* * *

- في الأول من ستمبر٢٠١٢م كانت أول شكوى من شركة إلحاق عمالة ضد مجاهد؛ وبهذه الصيغة الوقحة..السيد الأستاذ/ وكيل وزارة القوى العاملة..

تحية طيبة، وبعد

مقدمه لسيادتكم شركة نعمان الدولية لإلحاق العمالة..

الموضوع؛

نتضرر نحن شركة..من مجاهد منصور، الموظف بإدارة التمثيل الخارجي بمديرية القوى العاملة لديكم، حيث أنه تجاوز حدود اختصاصه في التفتيش على الشركة كالتالي:

أولًا: اختلس أوراق من الشركة بالمخالفة للقانون، حيث ينصص القانون على كل موظف عام اختلس مالًا، أو أوراقًا، أو غيرها وجدت في حيازته بسبب وظيفته يعاقب بالأشغال الشاقة المؤقتة؛ إن القرار ١٣٥ لسنة ٢٠٠٣ يعطي الموظف حق الاطلاع على السجلات التي تمسكها الشركة، إلا أن المذكور قد اختلس أوراق تخص شركتنا، وشركة التسهيلات، وهي عبارة عن أوراق بها بيانات سرّية ، تحوى أسماء عملاء مهمّين، وخطة سير العمل السنوية، وحسابات الشركة؛ ومرفق لسيادتكم ورقة من هذا الموظف تفيد بحصوله على هذه البيانات السرية الخاصة بالشركة بالإكراه على موظفي الشركة، أخذها هذا الموظف المُغْتّر، وأخذ جوازًا عليه تأشيرة عمل باسم محمد الهادي أحمد، وعقد عمل مصدق عليه من مديرية القوى العاملة بالجيزة؛ ذلك بالمخالفة الصريحة للقانون.

ثانيًا: قيام الموظف المذكور بتسليم الجواز للمواطن محمد الهادي أحمد متجاوزًا سلطاته؛ أخذ الجواز وسلّمه للمواطن خارج المقر، وأخذ أتعاب الشركة لنفسه دون وجه حق.

ثالثًا: إضرار الشركة وحَرْمِها من الحصول على الأتعاب حيث أن القانون ينصص على حق الشركة في الحصول على ٠/٠٢ من أجر العامل

عن السنة الأولى إلا أنه أخذ الجواز، وسلمه خارج الشركة، ولم تحصل الشركة على أتعابها.

رابعًا: الاعتداء على حرمة الملكية الخاصة؛ فعندما يكون في زيارة تفتيشية يقوم باستخدام الكمبيوتر الخاص بالشركة، وطبع أوراق شخصية له مستغلًا سلطاته الوهمية، وأسلوبه البوليسي في التعامل.

خامسًا: إفشاء أسرار الشركة للمنافسين؛ تجاوز الموظف المذكور حق الاطلاع، فأخذ كشكول به تليفونات العملاء وعدد ٦ أوراق تخص الشركة، ويوجد إقرار من الموظف بذلك؛ لذا نرجو من عدالتكم رفع هذا الظلم عنا، واتخاذ اللازم قانونًا، والتدخل لحفظ حرمة حياتنا الخاصة، وحفظ حقوقنا.

فاشتد مجاهد غضبًا من افتراءَ الكَذِبِ هذا، والفُجْرِ في الخصومة، وقال لمدير إدارة التفتيش المالي والإداري بالمديرية؛ كيف تقبل المديرية هذا الخطاب الوقح في حق مُوَظَّفِيها في موضوع هي تَعْرِفْهُ! فتأمر على الأقل بِحفظِه، وعدم عرضه علينا لما يحويه من الإهانة المتعمّدة ؟.. فابتسم الموظف المُخَضْرَم أحمد الشامي:

- يا أستاذ مجاهد كل مواطن له حق الإدعاء ما شاء، وإذا كانت هذه هي المرة الأولى التي يُدعى عليك فيها؛ فما أكثر ما ادعي علينا؛ أنا لم اطلب سيادتك للتحقيق معك؛ بل لتعاوننا في الردّ، لأنك الأعرف بطبيعة عملك، والتعليمات، والأصول المتبعة في مجال التفتيش على شركات إلحاق العمالة،

فإذا توجه هذا الشخص إلى جهة أخرى للشكاية بعد حفظ الموضع كانت لدينا الإفادة.. فعتب كذلك على القائم بعمل وكيل المديرية:

- سيادتك كنت تعلم برأيي فيما ارتكبته الشركة من مخالفاتٍ، وكان من الضروريّ ذكر موضوع الطبيب، وما حَصَّلته الشركة منه؛ بالمخالفة للقانون، فطلبت – سيادتك - قِصرَ المخالفات على ما يخص شكوى المواطن؛ محمد فتحي لأن ذكر المخالفة الثانية سيعرض الشركة لإلغاء الترخيص؛ وبذلك أطمعناهم فينا، لأننا رأينا مخالفة جسيمة؛ ولم نتخذ حيالها أي إجراء؛ فبلغ بهم الإجرام أن يدعوا عليَّ أني أخذت من صاحب الجواز الأتعاب، ويتهمونني بالاختلاس! ثمَّ وقاحة قولهم؛ نتضرر من فلان الموظف بإدارة الاستخدام؛ وهم يعلمون أني مدير الإدارة؟ ما كان للمديرية قبول مثل هذه الشكوى، لتعمدها الإهانة، بل اتخاذ إجراء قانوني صارم. فهدأه بالتقريظ والابتسامة القائم بعمل مدير المديرية:

- يا أستاذ مجاهد؛ الشجرة المُثْمِرة هي من تقذف بالطوب..

- سيادتك؛ الشاكي يحمل ليسانس حقوق ويدري ما يقول؛ وزعم أنه المستشار القانوني للشركة، فهل أُخِذَ صورة توكيله المزعوم وصورة لكارت النقابة؟ فعلمي أن المذكور موظف بالتأمينات والمعاشات، ولا صفة له كي يتقدم بشكاة؛ إذ لا هو شريك في الشركة، ولا بمديرها المسئول.. وفي زمن شاع فيه التسيُّب يشرع فيه الحسم..

- إني أُحُبُك في الله، لأن منصب وكيل المديرية سعى إليه غيرك؛ فرفضت التنازع عليه وكنت الأقدم؛ فَسِيقَ إليك، وهذه صفة حسنة، لقوله صلى الله عليه وسلم: نحن لا نوليها مَنْ طلبها..

واستشعر الشاكي أن المديرية تسعى في إرضائه، فهرول إلى الوزارة؛ واستغل أنه فرع من عائلة داعية المنصورة الشهير الحَفِيُّ عند رئيس الجمهورية، فنَشِطَ في بحث شكواه؛ وبُعثِ للمديرية بنتيجة التحقيق..

السيد الأستاذ/ مدير مديرية القوى العاملة والهجرة..

تحية طيبة؛ وبعد،

نتشرف بأن نبعث لسيادتكم رفق كتابنا هذا صورة من المذكرة المؤشر عليها من السيد الوزير، بالموافقة على ما انتهت إليه التحقيقات، بشأن الشكوى المقدمة من شركة التسهيلات لإلحاق العمالة، ضد السيد / مجاهد منصور، مدير إدارة الاستخدام الخارجي والمتضمنة الآتي؛

أولًا: الاكتفاء بمجازاة المشكو في حقه السيد/مجاهد منصور؛ ويعمل مديرًا للإدارة العامة للاستخدام الخارجي بمديريتكم الموقرة بجزاء الإنذار، لخروجه على مقتضى الواجب الوظيفي على التفصيل السابق؛ أخذًا بعين الاعتبار عدم حصوله على جزاءات طوال مدة خدمته.

ثانيًـا: التنبيـه علـى المشـكو فـي حقـه بضـرورة الالتـزام بالتعليمـات، والأصول المتبعة في مجال التفتيش على شركات إلحاق العمالة المصرية بالخـارج، حـال تواجـده ضـمن أحـد الحمـلات التفتيشـية، والالتـزام بحـدود الاختصـاص المنـوط بـه، كمـدير لإدارة الاسـتخدام الخـارجي بالمديريـة، بمـا يتفق والقوانين واللوائح المنظمة لعمل هذه الإدارة دون زيادة أو نقصان.

ثالثًا: التنبيه على المشكو في حقه تسليم الممثل القانوني للشركة الشاكية أصول المستندات الخاصة بها، التي حصل عليها أثناء التفتيش على الشركة بتاريخ ٢٠١٢/٧/٢٥خلال الحملة التفتيشية التـي أجريت عليها. يرجى التفضل بالإحاطة والتكرم باتخاذ اللازم حيال تنفيذ تأشيرة السيد الوزير بشأن التوصيات المشار إليها مع الإفادة.

فغضـب مجاهـد مـن الـوزير الإخـواني وأنّـبَ لـه "مخيـول" الزميـل معـه بالإدارة:

- وزيرك الإخواني أول من أعطاني جزاءً على الإجادة.. فأسرع مخيول فـي دفاعه:

- يا مولانا، مؤكد الوزير لا يعرفك.

- إن كـان وزيـرًا، ولا يعـرف الموظـف الفـائق عنـده فهـذه مصـيبة؛ وإن كـان يعـرف وسـعى فـي إرضـاء صـاحب الشـركة لأنـه فـرع مـن عائلـة داعيـة المنصـورة الشهير، لأنه كان داعمًا له فـي انتخابـات الرئاسـة فالمصـيبة أكبـر،

وزيرك جاء ليحقق مصالح الإخوان انظر في الوزارات التي حصلتم عليها؛ وعدد؛ القوى العاملة، التموين، المالية، الأوقاف، التربية والتعليم، الاستثمار، الكهرباء، والبترول؛ وجميعها تتعلق بحاجات الجماهير، لاستغلالها للترويج في أية انتخابات مقبلة، فنفى مخيول بعضها:

- وزارة الكهرباء لا يا مولانا، ولا البترول.. قال:

- فعندك رئيس الوزراء الطرطور.. فجعل في قلبه الحمية؛ انطلق في دفاعه..فاستوقفه:

- اسْمَعْ؟ لو كان وزيرك الإخواني يؤدي الأمانة، وجاء بمشروع النهضة المزعوم لبحث في كل مجال في الوزارة عن أصحاب الكفاءات، والأبحاث كُلٌّ في مجاله، فجمعهم إليه، وسعى بهم للنهوض بهذه الوزارة وتطويرها، لكن – للأسف - الكل خرج من تحت عباءة مبارك؛ يأتون بأهل الثقة؛ الفارق أن مبارك كان أحيانًا يأتي بالكفاءات؛ لكن الإخوان زادوه خسيسة؛ هي النَّخر في مفاصل الدولة، وتمكين الأهل والعشيرة.

- تعبيراتك صعبة يا مولانا، أنت حاد جدًّا، أشهد أنك أهل كفاءة، وأعيب عليك أنك لا تتقدم لمنصب مدير عام؛ تكتفي بهذه الإدارة كهؤلاء الزملاء والزميلات جميعًا.. فصرَّفه:

- خذ الست وريقات هذه، واذهب إلى الشركة سلمها للمندوب، أما الكشكول فسلمته لـه أمـامكم هنـا، والجـواز سلَّمته لصـاحبه، وارجـع ومعك مـن الشركة إقرارًا باستلام هذه الوريقات الست.. فذهب وعاد غاضبًا:

- الولد فلان؛ ابن صـاحب الشركة، ولد غير محترم بـالمرّة؛ أساء الأدب، ورفض الاستلام؛ أنـا مَسَكْتُ نفسـي حتـى لا أحدث مشكلة جديدة، لكن ينبغي على المديرية الحسم في شأن هذه الشركة، كي لا تتمادى؛ فتوجس فـي نفسـه خيفـة مجاهد؛ فعنـد أول إطلالـة لهذا الشخص السيئ؛ جـاء يتمطى، فطلب منه مجاهد تحديد الصفة؛ أمندوبًا للشركة؟ فينبغي عليه موافاة الإدارة بخطـاب مـن المدير المسئول يقول ذلك؟ أم مستشـارها القـانوني؛ فينبغي إبـراز كـارت النقابـة، والاطـلاع علـى أصـل التوكيل، وتسليم الإدارة صـورة منـه ومـن بطاقـة الـرقم القـومي ؟.. فـانطلق فـي وقاحته:

- أأنت إله في الأرض؟؟ منْ أنت حتى تطلب منـي ذلك؟ أنت حِتـة موظف خادم لهذا الشعب؛ سأريك كيف تتعامل مع البشر بأدب؟ .. فاتصل بالقائم بعمل مدير المديرية فجاء، فاستمر هذا الشخص فـي التعدي، وصـاح فـي القائم بعمل مدير المديرية:

- وأنـت أيضًـا مُـتهمٌ بـالتواطؤ مـع هـذا الموظـف؛ تدلّس عليـه، سأشكوكما للنيابة الإدارية.

- أعلى ما في خيلك اركبه!.. القائم بعمل مدير المديرية.

فاجتمع له من الإدارات المجاورة من أخرجوه دون تعدٍ.. فقال مجاهد بغضبٍ:

- هذا، لأن المديرية تعلم بكذبه، فلم تردعه، وأسرعت الوزارة في رضاه، لن نستطيع أن نعمل في جوٍ كهذا.. فنصح القائم بعمل مدير المديرية بالذهاب للقسم لتحرير محضر بواقعة التعدي على الإدارة أثناء تأدية الواجب الوظيفي، وتعطيل العمل.. وقال:

- أرجع أنا يا أستاذ مجاهد، فليس بالمديرية ثَمَّةَ أحد كما تعلم؟ واستكمل أنت المحضر، وعد إلى بيتك مَرْضيَّ الخاطر.. وعاد فسأل مجاهد أمام صمته الحزين:

- أأنتظر معك حتى تفرغ من إتمام المحضر ؟.. قال:

- تَسْلَمْ

وسأل أمين الشرطة عن عنوان سكن المدعو في حقه؟

- لا أعلم؛ لكن أعطيك عنوان الشركة، فالمدعو ابن صاحب الشركة.. فقال أمين الشرطة:

- لا؛ بل نريد عنوانه الشخصيّ حتى نبعث باستدعائه.. وبينما مجاهد يفكر كيف يوافيه بالعنوان؟.. وكان هذا الشخص قد دار على جميع الشركات ليأخذ توقيعًا على شكوى جماعية ضده باسم شركات إلحاق العمالة بالمحافظة فلم ينجح؛ ودافع الجميع عنه بأنه لم يظلمهم، ولمْ يستغل منصبه لمآرب شخصية، كزعمه الزاعم، ويسهم بتغيير المهنة للمواطن على البطاقة لتناسب فرصة العمل الآتية له من الخارج، وهذا وحده إنجازًا، واشتبك البعض معه لادعائه عليهم بالتواطؤ معه، وامتنع آخرون مكتفون بالصمت. فكانت إجابته لهم:

- إن كانت لكم مظلمة عندي، فلن أغضب أن يسعى صاحب الحق في حقه؛ وبينما هو يفكر في ذلك؛ أبصر بخصمه قادمًا، فأسرع لأمين الشرطة؛ يشير إليه:

- هو ذا الشخص الداخل، تستطع أن تأخذ العنوان منه.. فلمح إشارته فارتدَّ سريعًا، فصاح أمين الشرطة في أفراد الأمن؛ وشدد عليهم:

- وراءه؟ لا تدعوه يفلتْ ؟؟.. كانت الحجرة تفضي إلى طرقة طويلة؛ والطرقة تفضي إلى فسحه كبيرة داخل القسم، ثم يجيء الباب الخارجي، فأدركوه، وجيء به هاربًا، فقاموا عليه بجولة تفتيشية..أخذوا منه الجوال، وعثروا معه على أقراص الترامادول؛ بينما هو خاضع يردد:

- طيّب، طيّب؛ دعوني أتصل بالمحامي..

- اثبت، ليس قبل أن يتمّ تحريز كل ذلك، وإيداعه بالمحضر.

وقارن مجاهد ما عليه الشخص الآن من الذعر، وبين تهجّمه عليهم، وادعائه البطولة - كان جسيمًا ويقترب من المترين طولًا - فبدا بين يدي الجنود مذعورًا كجُرَذٍ!.. وأُمِرَ به إلى دكّة:

- اقعدْ هناك، ولا تَتحَرَّكْ، وإلا سترى ما لا يرضيك.. وتَحَرَّزت حبوب الهلوسة؛ لكن النّذلَ نَذْلٌ مهما كان! إذ سأل الشخص أمين الشرطة الآخذ في تتمة المحضر:

- قبل أن تغلق – سيادتك - المحضر؛ أود أن أثبت به شيئًا.. ونشطَ في حديثه:

- هذا الموظف الذي جاء يدَّعي عليَّ، سَبَّنِي بوالديَّ أمام جمهور المتعاملين مع الإدارة، وامتنع أن يؤدي عمله، وحرَّض زملاءه أن لا يقوموا بتسجيل طلبية للشركة، واعتماد بعض عقود العمل لمواطنين مسافرين للخارج، ليستخدمها ضد الشركة في تحرير محاضر، وابتزازها لأن الشركة امتنعت عن تقديم رشوة له.. فاشتد مجاهد له مَقتًا؛ وطالعه في احتقارٍ شديدٍ، وقال بملء فيه:

- منذ قليل كنت تدَّعي البطولة؛ واعتديت، وتهجمت علينا أثناء تأدية عملنا من غير صفة!! يكفيك الآن أن تظل ما حييت ذاكرًا بينك وبين

نفسك أنك كاذب!، فلم يستطع أن يمدَّ إليه طرفه، واستمر متوجهًا بحديثه إلى أمين الشرطة:

- ها هو ذا يسبني من جديد؛ كما حرَّض زملاءه في المكتب على ضربي؛ فخرجت وتركت المكان سلامة لنفسي، أرجو - من سيادتك - أن تثبت في المحضر هذا السب والقذف؟

وارتفع أذان العصر، فطلب مجاهد من أمين الشرطة أن يحضر جماعة المسجد.. قال:

- لا يمكنك الخروج؛ ستصلّي هنا بعد أن نفرغ من إتمام المحضر.. فاستنكر عليه:

- ولِمَ ليس في المسجد؟ هل أنا مقبوضٌ عليّ؟!

- لأنكم قاعدون مَعَنا، حتى يتم عرضكم على النيابة.

- وهل أنا متهمٌ ؟.

- القانون هكذا؛ جئت تشكوا متهمًا فحضر المتهم فاتهمك.. فسأل مبهوتًا:

- أنا جئت قبله، وحررت محضرًا ضده بواقعة تعدي؟! .. فاستدرك أمين الشرطة بصبرٍ نافدٍ:

- فحضر المُدَّعَى عليه قبل أن تغادر، وادعى عليك، فلابد من عرضكما على النيابة؛ والقضاء هو من يفصل بينكما.. فنظر من طرفٍ خفيٍّ إلى غريمه فرآه يبتسم؛ ومضى يحادث مندوب الشركة الذي استدعاه إلى القسم؛ يطلب منه أن يجيئه بزجاجة ماءٍ معدنيّةٍ كبيرةٍ وبمزيدٍ من الطعام، فتأكّد له أمْرُ الحجز، فسأل أمين الشرطة عن دورة المياه، وأنه يريد أن يذهب فيتوضأ فيُصلِي العصر؟.. فأجاب أمين الشرطة بأريحية تامة بينما هو آخذٌ في تتمّة المحضر

- تجد بالحجرة دورة مياه، وتستطيع أن تصلي هناك؛ فصَدَقَهُ.. وكانت الزميلات بالإدارة؛ حين عَلِمْنَ بما حدث؛ قد اتصلن بمندوبي الشركات محيط القسم، وحثّوهم على الذهاب للشهادة، والتضامن معه، فقال من حضر منهم إلى القسم:

- الجماعة جميعهنَّ في المكتب محزنون جدًا لأجلك؛ ومدام/ ماجدة تريد أن تجيء، وتقعد بباب القسم، ولا ترجع حتى تخرج بالسلامة.. ففاض قلبه لها ودًّا؛ وقال يجهش بالبكاء:

- جزاها الله خيرًا، بلغ سلامي للجميع؟ هذه مفاتيح السيارة؛ آتيها من عند المكتب، وضعها أمام الشركة، لتبيت عندكم في مكانٍ آمنٍ إن تأخرت؟ وهذه حقيبتي و"الموبايل " انتبه؟ الحقيبة بها مبلغ كذا، احتفظ بها عندكم؟ وبلغ الكابتن عادل؛ مدير وصاحب شركة الدقهلية، شكري ؟ .. فأخبر الشاب:

- الكابتن قائمٌ يجري اتصالاته بالنيابة وبأمور القسم، ويقول لحضرتك لن تبيت الليلة إلا في بيتك، وأرسل لمحامي الشركة وهو في الطريق إليك؛ فدعا له في نبرةٍ حزينةٍ؛ واتصل بالبيت يخبرهم:

- لا تقلقوا؟ سأتأخر بعض الوقت.. فأنبت الزوجة:

- آلآن تذكرت؟! أين أنت؟؟

- في قسم ثانٍ، ابن صاحب شركة تَهَجَّمَ على الزملاء بالإدارة، فذهبت لتحرير محضر ضده بالواقعة، بمجرد أن أفرغ سآتي، لا تخبري الحاجة فتقلق؛ قولي تأخر في الشُّغلِ؟.. وزاده همًّا أن غدًا الجمعة، ولا يود الاعتذار عن الخطبة، ولا أن تعْلم أنصار السنة بموقعه الآن كَعُذْرٍ قوي عن عدم الذهاب للخطبة؛ لديه إحساس أنه سيؤديها غدًا، وكان قد رأى في منامه مشقة، عَجِبَ الآن لتأويلها؛ يا الله؟ كيف يبيت في حجرة كهذه؛ الحجرة قَميئة مزدحمة جدًا؛ معبأةً دخانًا يتصاعد دخان السجائر منها كالغمام، والشباك شبرين عليه شبكة حديد كالتي تكون لعربات الترحيل!.. وقال في نفسه؛ أين يضع حذاءه؟ كان خصمه قد حَشَرَ نفسه بين بعضهم وأخذ يخرج لهم الطعام، لقد خَطَا على أطراف أصابعه حذرًا أن يطأ منهم فيعاقبونه، وبحث عن موضعٍ يضع فيه حذاءه فلم يجد، ولأنه شخص طويل مد يده فوضعه فوق جدار يقطع ثُلثَ الحجرة التي لا تعدو مترين في ثلاثةً، في نهايته من الأمام ستارة رفعها يستكشف؛ فَعَلِمَه حمامًا، فأراد الدخول، فزجره سيد المكان:

- هذا سوء أدب.. أيُدخل الحمام هكذا بلا استئذان؟ أفسحوا؟ لا يدخل أحدٌ هنا الحمام قبلي.. فتقهقر خصمه مذعورًا وأفسح له، وظل هو واقفًا خلف باب الحجرة يشغله أمر الصلاة، وخطرت له مقالة الأمين:

- تستطيع أن تصلي بالحجرة؛ ستجد هناك دورة مياه.. قال:

- ما أخبث الشُّرَطُة!.. وهؤلاء لا يُوحُون بالأمان؛ شبه عراة إلا ما يستر العورة المغلظة؟.. ورأى بصدغ أحدهم أثرٌ لقطعٍ كبيرٍ، وآخر قد عقد فوق رأسه منشفة؛ ونائم طَرَحَ جسده فوق آخر ونام؛ وعاد سيد المكان يصيح كذلك:

- هل الناس هذه قد دفعت؟ - يعنيه وغريمه-، الناس هذه تشرب شايًا، كان غريمه لم يجلس بعد، فأسرع بإخراج عشرة جنيهات ناولها أحدهم وقعد، وظل هو واقفًا ريثما يفْرغُ الحمام.. الآن عَلِمَ لِمَا كان غريمه حريصًا أن يجلب معه كُلَّ هذا الطعام، أسرع يرشي من جلس بينهم؛ يخرجه لهم.

ولمّا دخل الحمام الذي بابه بِضْع ستارة تريد أن تسقط، يُرى القاعد لحاجته من أعلاه، كما تُرى سُفلته متى نُظِرَ إليه من أدناه، هذا لو حدث تمهل؛ ولم يلجأ عَجْلانُ - فبعضهم لا يتحرى الدقة- فيُمطرُه ببولُهُ، وهو قاعد لحاجته.. وقال:

- الحمد لله، لمّا تحسس شأنه في الظلام قبل أن يجلس وعلمه حمامًا بلديًا، يُتقى به من العدوى والنجاسة، وجد الصنبور عاطلًا تحته دَلوٌ ينزل إليه الماء

تنقيطًا، فاكتفى بالبول لشح الماء، وتوضأ من الدلو في الظُلمة وخرج يطلب الصلاة؛ فتفسَّحوا له حتى وُجِدَ موضعًا لقدميه فقام يصلى في تؤدةٍ رغم الزَّنْقة، وتضرّع إلى الله وهو ساجد أن لا يبيت هذه الليلة إلا في شقته، وأن يصليَ الفجر جماعة في مسجد قريته؛ وسلَّم من الصلاة فتوجَّه تلقاء الجميع؛ وابتدرهم يقدم لنفسه: مجاهد منصور؛ بكالوريوس تجارة وليسانس أصول دين؛ حديثي هذا مفترض أنه خطبتي للجمعة غدًا، أريد أن أجعله لكم ؟

كان البعض يتحدث فتعاطف أحدهم معه لنبرة الإخلاص، وشرع يُنْصِتُهم له:

- اسمعوا كلام الشيخ.. قال:

- " منذ أكثر من أربعة عشر عامًا، وأنا أتحدث عن الله؛ وقرأهم.. "الله الذي خَلَقَكُم ثُمَّ رزقَكُم ثُمَّ يُمِيتُكُم ثم يحيِيكُم".. سمّى نفسه بأسماءٍ حسنى في لفظها ومعناها، يصف نفسه لخلقه بأوصاف جلالٌ، وكمالٌ، وجمالٌ منها، الحَيّ؛ من الحياة التي هي نقيض المَوت. فالحي نقيض الميّتِ، ومعناه في حقه تعالى: "الذي لا يموت"، وتلي "وتوكل على الحيّ الذي لا يموت" مُنَزَّهٌ عن كل نقصٍ يتصف به المخلوق، ولأنك قد تقول: وأنا حيّ، لكن حياتك يعتريها النقص والعيب؛ سبقها عدم، فلك بداية يستخرجون لها شهادة ميلاد حين تُوُلد، ويلحقها الموت؛ يستخرجون له شهادة وفاة؛ لكن حياة الله أزلية؛ لم يسبقها عدم؛ فهو دائم الوجود في الماضي، وهو أيضا أبديٌ؛ دائم الوجود في المستقبل؛ ليست له نهاية؛ لا يدركه الموت أبدًا؛ وقرأهم "كلُّ شيءٍ هالك إلا

وجهه" و"قل هو الله أحد" يعني واحد ليس معه غيْرُه، وليس كمثله شيء،" الله الصمد" الذي يُصْمَدُ للحوائج ويقْصَدُ إليه فيقضيها: " لم يَلِدْ " أحدًا، فليس له وَلَدٌ " ولم يُوُلَدْ " أي لم يلده والِدٌ، كحالك أنت تنسب لأبٍ " ولمْ يكن لَّه كُفُوًا أحد " أي ليس له مكافئ ولا مثيل، ولا مشابه من خلقه لجلاله، وكماله وجماله؛ وكان الشخص النائم لا يزال نائمًا، وعمَّ الصمتٌ، فأشار إليه للبيان: هذا حيٌّ ينام، لكن الله حيٌّ؛ " لا تأخذه سِنَةٌ " فتورٌ " ولا نوم " يعتريه ويستغرقه " قيوم " يصرّف أمور الخلائق تصريفًا لا يعاونه فيه أحدٌ، كما أن حياته من ذاته؛ ليست مكتسبة كحياتك، اسمعْ، وَقرأَ "قُل أغير الله أتخذ وليًّا فاطرِ السمواتِ والأرضِ وهو يُطْعِمُ ولا يُطْعَمُ".

وفجأة نودي من الخارج عليه؛ ونودي خصمه، وفُتِح الباب؛ العجيب أنَّه لمَّا قام يخرج لم يكن عَجْلانًا، بل إن أريد الدقة، قام آسفًا لانقطاع الخطبة، ولولا حذره خُبْث الشّرَطة لطلب استمهالًا لإتمامها عن اسم الله " الحَيّ "؛ ولأنه وقع له ممن بالحجز خضوعًا تامًّا؛ كانت أول عبارة لخصمه حين امتاز في حجرة مستقلة بأول القسم نافذتها على الفسحة؛ مواجهة للباب الرئيس، ملحقة بها دورة مياه إفرنجي، لها باب وحوض غسيل للوجه، يندفع منه ماءٌ غزيرٌ بقوة تطول السقف، ما أن أغلق باب الحجرة دونهما، إلا وتوجه إليه غريمُهُ دَهِشًا بهذه العبارة:

- أنا لا أنكر أني على خلاف معك في أشياء لكني أُعجبت بك جدًا؛ أن استطعت الاستحواذ على هؤلاء وجعلتهم ينصتِون إليك.. فقال في تواضعٍ:

- لا تسألني عن شيءٍ في الدين؛ فيما أُعْلَمُه، أو فيما يخص نشاط إلحاق العمالة إلا أجبتك عنه كي لا يكون لك عذر.. قال:

- ماذا تعني بعبارة فيما تعلم؟

- أعني أني لست مُدعيًا؛ أتحدث بما أعلم، وليس لك حق عندي؛ فاسأل ما شئت.. ومكثا في الحجرة إلى الليل؛ وكان بها بعض أثاث متهالك، فابتدأ هذا الشخص يسأل عن المحضر الذي حُررَ ضد الشركة في قضية محمد فتحي؟.. وأنهم ظلموا.... وصليا المغرب والعشاء جماعة، وأراد أن يقدمّه للإمامة فأبى؛ فصلى به. وحضر أخوه متضامنًا، والزميلان؛ مخيول؛ وعبد الحي، ونفرٌ من مندوبي الشركات، ومحامي شركة الدقهلية، وحضر أخو الشخص؛ المدير المسئول للشركة، وسعى الجميع للصلح حتى لا يُضْطرَّا الانتظار إلى يوم السبت للعرض على النيابة، وذُكرَ أخوه والمتضامنون في طيبة يطمئنونه؛ أن اتصالات حميمة بالنيابة أُجْريتْ، وبنائب المأمور لإتمام الصلح؛ واعتذر المدير المسئول للشركة، وصافحه؛ وتصافح الجميع وانصرفوا، وكانت الساعة قد تعدَّت الحادية عشرة ليلًا. وعلمت الزوجة بالتفاصيل.. فغضبت:

- كيف تقبل بالصلح؛ وتسوي بينك وبين المجرم؟ كان عليك أن تصبر للعرض على النيابة ليأخذ جزاءه، فقال بأسىً:

- عندي خطبة؛ ولم أعتذر للمسجد، ولم أشأ أن تعرف أنصار السنة عن سبب اعتذاري.. قالت:

- لا تعتذر عن خطبة؛ وتفرط في حقك ؟؟..قال:

- المكان سيء جدًا، ولن يتم عرضنا على النيابة قبل يوم السبت فقالت في حكمة:

- كان يجب أن تصبر لكرامتك، وتردع هذا الشخص؟.. سيتحدث الناس أنك دخلت الحجز، وانتهي شأنُك، وشأن هذا السيئ إلى الصلح، وكان لا يستطيع أن يفعل معك أكثر مما فعل.. فجدَّ يفكر؛ وأنَّب نفسه كذلك:

- ليتي لم أذْعِن.

* * *

- مرسي يجعل من نفسه إلهًا أو نصف إلهٍ؛ إعلان دستوري جديد يُحَصّنُ قراراته من الطعن عليها! ويمنع حل مجلس الشورى والتأسيسية، ويعزل النائب العام عبد المجيد محمود، ويُعين طلعت عبد الله بدلًا منه نائبًا عامًا ملاكي، وَمَدُّ مُهْلَةَ وضع الدستور إلى الثاني عشر من فبراير ٢٠١٣ وإعادة المحاكمات في قضايا قتل الثوار- بالعينية - محاكمة مبارك، وللرئيس حق اتخاذ إجراءات وتدابير في حالة الخطر؛ فخرجت مظاهرات القوى المدنية، وشباب

الثورة إلى ميدان التحرير، والميادين الرئيسية في المحافظات لمناهضته؛ وخرجت إلى قصر الاتحادية مظاهرات إخوانية تعضيدًا لمرسي؛ وقال شباب الثورة: إنها الفاشية.. فسألت الزوجة مجاهد:

- - ماذا يعني؛ أن مرسي جعل من نفسه إلهًا؟ وماذا يعني تحصين قراراته ؟.. فأمرها بالصمت.

- كان فقيهًا دستوريًّا يتحدث في مداخلة مع مذيع شهير ناقل للمشهد:

- - يا أستاذ محمود، تضمَّنت المادة الثانية من الإعلان الدستوري الجديد أن الإعلانات الدستورية، والقرارات السابقة عن رئيس الجمهورية منذ توليه السلطة في ٣٠ يونيو ٢٠١٢ وحتى نفاذ الدستور، وانتخاب مجلس شعبٍ جديدٍ تكون نهائية، ونافذة بذاتها، غير قابلة للطعن عليها بأي طريقٍ، وأمام أي جهةٍ، كما لا يجوز التعرض لقراراته بوقف التنفيذ أو الإلغاء؛ وتنقضي جميع الدعاوي المتعلقة، والمنظورة أمام أية جهة قضائية.. فصاح المذيع:

- - يا خبـاااار ؟!! ما هذا يا دكتور ؟..لله الأمر من قبل ومن بعد؛ ألا يراجع الرئيس في شيءٍ، ونحن بشر يكون منا الخطأ والصواب ؟؟ وتَجَلْجَلَ باحثًا عن صيغةٍ للتعبير، فعالجه مجاهد بذكر الآية.."لا

يسأل عمَّا يفعلُ وهم يسألون".. فاستنكرت عليه الزوجة؛ وكانت لم تزل غاضبة لأمرها بالصمت:

- - ما ينبغي ذكر آية، هي في حق الله؛ أن تجعلها للبشر!.. فلاحت على الشاشة ناشطة صغيرة قالت في جرأة:

- - مرسي جعل نفسه إلَهًا معصومًا، المخلوع؛ تعني مبارك، كان لا يستطيع اتخاذ تلك القرارات.. فقام لهذا التعدِي، ورجع يتحدث إلى الزوجة المُعْرضة عنه:

- - هؤلاء أغرارٌ؛ مبارك تنحَّى؛ وكان رجل دولة فآثر حَقَنَ الدماءَ، ونال جزاء اسْتِئْثاره بالسلطة، وسعيه في توريثها بنيه، ولا يعرف شرفًا في إظهار بطولة تجاه شخص لم يعد له حول ولا قوة؛ العفو عند المقدرة مندوب.."إن تُبدوا خيرًا أو تُخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عَفُوًا قديرًا"؛ الشجاعة تكون لدى السلطان الجائر، فلانت تسمع؛ وواصلت الناشطة الصغيرة في وعي باهر:

- - معنى أن السلطة القضائية ليس من حقها النظر والطعن على ما يُصْدرُ من قوانين وتشريعاتٍ، أننا لسنا بحاجة إلى كتيبة القُضاة، ولا إلى السلطة القضائية؛ والحاكم العادل لا يحتاج إلى قرارات محصنة، وتحصين مرسي يثير في القلوب الخوف من ماهية القرارات التي

ينوي اتخاذها في الفترة المقبلة، هل هي في صالح البلاد أم يتَخَذَها لصالح جماعته؟..فهاتف مُقدمَ البرنامج د.البرادعي يُتعْتِعُ:

- يا، يا أُسـ تاذ/ محمود؟ تحصين قرارات مرسي والتأسيسية وم مجلس الشورى يؤدي إلى اسـ تبداد السلطة لأنه لا، لا يوجد من يحاسبها أوْ يراقبها، و، وإ إقـ النـ نَائب العام بهذا الشكل المهين الـ مخالف لكل القوانين والتشريعات جاءت تصفية حساب من قبل جمـ اعة الإخـ وان معه.. وعبَّر أحد المحامين عن دهشته من نزول حشود الإخوان أمام مكتب النائب العام:

- نزول حشود الإخوان أمام مكتب النائب العام قبل إعلان الإعلان الدستوري، مؤشر على تسرب أسرار الدولة من مؤسسة الرئاسة إلى جماعة الإخوان، وينبغي محاسبة المسئول عنها؛ فنادى مجاهد المتحدث للبرنامج كأنَّما يُسمعه:

- يا هذا، مصر تدار من المقطم، أو من المغارة بالمقطم على رأي إبراهيم عيسى؛ الصحفي الأشهر، ومذيع برنامج " القاهرة والناس" المناهض بشدة للإخوان، وكان هذا الصحفي، والصحفي الذي خلف المذيعة الأشهر على البرنامج المسائي العاشرة، وتوارت هي بعد سلطة الإخوان خلف برنامجها المسجَّل؛ أمسيا هذان الصحفيّان بطلين قوميين؛ خاصة؛ "أبو حمَّالات".. وضحك مجاهد في نفسه لبنية الصحفي المدكوكة، فلا تجد له خَصْرًا، فاضطر إلى حمالات لبنطلونه بدلًا من الحزام، وكان الإخوان، وقاعدة الفضائيات الدينية الداعمة للإخوان يرون أن لفظة " أبو حمَّلات " أوجع ما

نـالوه بـه، وأصـبح لـدى مجاهـد مـن أحسـن المسـرات بصـيحاته فـي النفـوس الخائرة، أوالمتلونـة وقولتـه الشـهيرة " معلـش اسـتأخر أنـت قلـيلًا الله يخليك " وتكـون يـده الأخـرى فـي تلـك اللحظـة قد عملـت فـي الهـواء تسـتأخر شـخصَ المُتَحَدَّثِ عنه؛ الذي أراد أن يتقدم المشـهد بـرأيٍ خـائرٍ، أو مغالطـة، أو نفـاق، يتَمَلق السلطة الجديـدة، فيُسَـر مجاهد بتلك الإيمـاءة البليغـة، وصـيحة: "الحق أبلج والباطل لَجْلَجْ" ويرق له عندما يتوغل في أمرٍ دينيٍّ درسَ له، ويـرى أن الصحفيّ لم يوفق لـه، فيناديه وقد أخذته الشفقة:

- يا إبراهيم أين تذهب؟ الله يهديك؟ لن يرحموك؟ - يعنـي الجماعات الإسلامية - ويتمنى ألا يكون قد خاض في أمر لا يعلمه؛ كان حديث هذا الصحفي أنجح حديث ينتقد الإخوان، والرئيس الذي حصن قراراته:

- الفرعون الإله! أعلن الرئيس مرسـي نفسـه فرعونًـا إلهًا بقراراتٍ لـم يجرؤ عليها أي ديكتاتور، في أي مكان وأي زمان، مرسي يعلن نفسه /قذَّافيًا جديدًا باعتباره فوق القانون، وفوق القضـاء، وفـوق الشـعب، وفـوق السـحاب، حيث الإله الذي جاءنا من الزقازيق، ويهتف:

- هذه جريمة في حق مصر، وإعلان نهاية ثورة ٢٥يناير لصالح ديكتاتوريـة جماعة الإخوان، لقد جاءت هذه القرارات الإلهية بعد مكافأة إسرائيل للـرئيس وجماعته برعاية دعم أمريكية، لموقفه الـذي نـافس مبـارك فـي خدمـة أهداف وأحلام إسرائيل الكبرى؛ انتهت الثورة.. والسؤال الآن:

- وما علاقة هذا بأن الرئيس مرسي مسئول عن قتل جابر صلاح؟ وما هو موقع هذه القرارات الفرعونية من دم هذا الشاب؟ وإذا لم تكن هذه هي الديكتاتورية، فماذا تكون؟!

في المقابل هاتف مقدم البرنامج، نائب إخواني سابق في مجلس الشعب المنحل مؤكّدًا؛ أن قرارات الرئيس؛ تصحيح لمسار الثورة، وتحقيق لعدالة ناجزه، فضلًا على أنها تُعرّي وتفضح الطرف الثالث، الذي طالما ظل متسترًا بحمايةٍ من النائب العام؛ الذي كانت إقالته مطلبًا شعبيًا منذ بداية الثورة لأنه لعب دورًا في تبرئة كثيرٍ من المتهمين بسبب عجز النيابة عن تقديم الأدلة اللازمة للمحكمة، وأن القرارات تصدت لبعض القضاة داخل المحكمة الدستورية العليا الذين كانوا سببًا مباشرًا في عرقلة التجربة الديمقراطية الوليدة لبناء مؤسسات الدولة، فغير معقولٍ أننا كلما نبني مؤسسة ديمقراطية بإرادة شعبية؛ تهدمها الدستورية العليا باسم القانون، رغم كونها محكمة معينة! وحق الرئيس أن يصدر قرارات إدارية، وقوانين لتصحيح المسار، والحفاظ على استقرار الوطن؛ فـ هذه قرارات شرعية مائة في المائة؛ واستطرد في مبالغة:

- الإعلان الدستوري صحيح لكنه جاء متأخرًا.. قرارات الرئيس تسطر تاريخًا جديدًا لثورة ٢٥ يناير... واستشعر الإعلامي الشهير أن كلامًا جرى يغيظ، وأن حديث العضو السابق لمجلس الشعب المنحل؛ عضو مجلس

شورى الجماعة عن الإعلان الدستوري فعل تلبيس وتدليس؛ فاكتفى بأن ألمح ضاحكًا:

- يا دكتور؟! هكذا يُوضَعُ السُّمَّ في العسل، نحن مع استرجاع حقوق الشهداء، وإعادة المحاكمات في جرائم القتل التي ارتكبت ضد الثُّوار وإصابة المتظاهرين إن كانت هناك أدلة جديدة، ولا أحد يختلف في أن عزل النائب العام كان مطلبًا ثوريًا، لكن الطريقة التي تمت خاطئة؛ اسمعني سيادتك؟ إذا قلنا أن النائب العام المستشار د.عبد المجيد محمود، عينه مبارك، فالأمر؛ طبقًا للدستور، المجلس الأعلى للقضاء يرشح ثلاثة للمنصب، يختار الرئيس أحدهم؛ حديثي ليس دفاعًا عن شخص النائب العام، ولكنَّا ننتقد قيام الرئيس د/ محمد مرسي بتعيين نائبٍ عامٍ دون الرجوع إلى مؤسسة القضاء؛ وأقل شيءٍ يمكن أن يقال، وهو يثار الآن - دون أن يكون ذلك طعنًا في ذمة أحد - أن النائب العام الذي عيّنه النظام سيكون نائبًا خاصًا بالنظام، وليس نائبًا للشعب، أما تحصين قرارات الرئيس السابقة، واللاحقة فقد قال فقهاء الدستور أن ذلك لا يتفق مع القانون، ولا المبادئ الدستورية؛ أستاذنا الدكتور يحيى الجمل؛ الفقيه الدستوري، نائب رئيس الوزراء السابق، يَعْتَبِرُ الإعلان الدستوري باطل من كل جوانبه، وهدمًا للدولة القانونية.. فرد النائب الإخواني:

- يا أستاذ محمود، الرئيس يسعي للحفاظ على مؤسسات الدولة الباقية كي تدور العجلة، وتحصين قراراته لفترة مؤقتة حتى يتم وضع الدستور الجديد، وتعيين النائب العام لمدة أربع سنوات فقط، أما أن يتحدث البعض عن

الإعلان الدستوري بهذه الطريقة؛ باطل من كل جوانبه، فهناك من أساتذة القانون والفقهاء الدستوريين من أكد أن من حق أول رئيس شرعي منتخب من الشعب، في أول انتخابات حرة نزيهة؛ من أجل الاستقرار؛ وصيانة للمؤسسات الباقية للدولة من أن يتم إهدارها، من حقه إصدار إعلانٍ دستوريٍ، وأن ذلك صحيح، بل واجب تقتضيه مصلحة البلاد والفترة الانتقالية.. فتنة عمياء استشعرها مجاهد؛ فالقوى والأحزاب المدنية في بيانٍ تلاه نقيب المحامين أمس:

- قرارات الرئيس مرسي الذي يستحوذ على السلطتين التشريعية والتنفيذية، ويلغي السلطة القضائية، وينهي دورها في رقابة السلطتين بتحصين قراراته، وبأثر رجعي عن أي طعن أو نقض، فأعلن حزب مصر القوية - ذو المرجعية الإسلامية - تأييده لاستبعاد النائب العام السابق، وإعادة محاكمة قتلة الثوار، وفيما عدا ذلك، فالإعلان الدستوري يمثل تكريسًا لسلطة الفرد.. وتحدث رئيس المنظمة المصرية لحقوق الإنسان:

- الرئيس بهذه القرارات صَادَرَ دولة سيادة القانون؛ حصّن قراراته من أي طعن عليه أمام المحكمة الدستورية، والقضاء الإداري، كما ألغى حق المحكمة الدستورية بإصدار حكمها بشأن حل مجلس الشورى، وارتكب مذبحة في حق القضاء، بتخفيض السن القانونية للقاضي، حتى يتمكن من إقالة النائب العام؛ الرئيس حصن الجمعية التأسيسية للدستور من أي طعنٍ عليها، في الوقت الذي أعلنت فيه كل القوى السياسية، والمدنية، والكنائس

المصرية رفضها القاطع لمسودة الدستور التي رأت فيه أنه يصادر الحريات، ويؤسس لدولة دينية استبدادية؛ فغضب من الوصف؛ وقال لزوجته:

- هؤلاء لا يحسنون خطاب النّاس؛ عندما تسمعه العامة يصف الحادث أنه تأسيس لدولة دينية، ويصفونها بالاستبدادية، يظنون أنها حرب على الإسلام كما يروج الإخوانُ فيتعاطفون معهم، وواصل رئيس المنظمة انتقاده:

- إننا نستطيع أن نقول أن الثورة قد انتهت اليوم، وأصبح لدينا رئيس جمهورية بسلطاتٍ لا حدود لها، والجيش المصري كان يملك سلطة مؤقتة بعد الثورة، ويقوم بعمل إعلانات لتسهيل المرحلة الانتقالية، مع حفاظه على مؤسسات الدولة الأساسية مثل القضاء؛ لرئيس الجمهورية اختصاصات ليس منها إصدار إعلانات دستورية، هذه القرارات تسقط بعد الطعن عليها..

انفضَّ الناس تمامًا عن مشاهدة المسلسلات والأفلام؛ وأصبحت السياسة غُذْيَتَهَمُ، ومائدتهم المستديمة؛ فبينما احتشد في التحرير مئات الآلاف من التيار المدني، وفي جميع ميادين مصر، يتصدر المحتشدون البرادعي؛ وحمدين، وعمرو موسى، والصحفي إبراهيم عيسى، وجورج إسحاق، وحمزاوي النائب السابق، وعزازي محافظ الشرقية السابق، وشباب الثُّوار يهتفون: الشعب يريد إسقاط النظام.. وطالبوا بإسقاط الإعلان الدستوري، وحل الجمعية التأسيسية للدستور.. وأكد خطيب الجمعة في الميدان على إقالة حكومة هشام قنديل، ومحاسبة كل من ثبت تقصيره، وتسبب في مقتل أكثر من خمسين طفلًا؛ في حادث اصطدام قطار الصعيد بأتوبيس ينقل أطفال إلى

معهدهم الأزهري؛ سوَّى بهم الأرض؛ بعض الوالدين فقد جميع بنيه في لحظة، وجأر الخطيب:

- إننا لا نقبل تحميل المسئولية كاملة على عامل المزلقان، فأين المحافظ الإخواني؟ وأين الوزير؟ وأين رئيس الحكومة؟ وأين الرئيس لم يطل علينا؟! وأين هي مطالب الثورة؟ وأين هِيَ وعود مرسي؟ الفساد مازال يملأ كل المؤسسات والهيئات، ورفع المتظاهرون لافتة: يسقط مرسي وحزبه ودستوره، تسقط حكومة قتلة الأطفال!..

في ذات اللحظة أمام قصر الاتحادية؛ أدَّى آلاف من جماعة الإخوان، وحلفائهم من تيار الإسلام السياسي القادمون من المحافظات صلاة الجمعة، وهتفوا بعد الصلاة: قالوا تعدى على القضاء؛ قلنا هاتوا حق الشهداء.. إديها ميّه إديها نار، مرسي رئيس جبَّار.. يا شهيد نام وارتاح، وإحنا هانعدم السفاح -يعنون مبارك-.. قلها يا ريس قوية، الإعلان هو القضية!.. وكان خطيبهم قد ذكر أن الذكريات، والمناسبات الإسلامية ليست مجرد ذكرى للتسلية؛ نحن اليوم في مناسبة عظيمة؛ يوم عاشوراء الذي نجّى الله فيه موسى وأعوانه، وأغرق فرعون وجنوده؛ وهاهو الزمن يعيد نفسه، وقد أسقط الله الطاغية مبارك بعد حكم دام ثلاثين عامًا؛ ظن المصريون أن لا نهاية له؛ وكما كان لفرعون سَحَرَةٌ وملأٌ يؤيدونه؛ الذين هم في عصرنا الحديث وسائل الإعلام، وأصحاب المصالح، ورجال الأعمال الذين نهبوا ثروات البلاد؛ إن الطغاة في كل الأوقات يزدادون غباءً وجهلًا، والغباء جند من جنود الله يسلطه الله

عليهم ليحفروا قبورهم بأيديهم؛ فكما أغبى الله فرعون عن آية شق البحر لموسى، فدخل خلفه؛ ظنًّا منه أنه يفتك به، أغبى الله الرئيس المخلوع في الاستجابة البسيطة لجموع الشعب من بداية الثورة حتى أصبحت المطالب خلعه ومحاكمته.. هنا لم يستطع مجاهد صبرًا على خطيب السوء هذا؛ وتدليسه:

- خلع الله رقبتك يا قالة السوء! أمَّا فرعون موسى الذي تتحدث عنه فكان كافرًا، ومبارك مسلمًا شاهدناه يصلي، وشاهدناه في مثل هذه المناسبات حفيًّا بها؛ ومرسي ليس موسى الرسول، -عليه السلام-؛ فقالت الزوجة:
- المصيبة أن المتحدث وكيل أول وزارة الأوقاف!.. فأنبأها:
- هذا كان يطوف بجميع القنوات؛ يفعل نفس الشيء للسلطة السابقة؛ حتى ملَّته الأبصار، والإعلام الذي ركبه يومئذٍ كان الحبيب الغالي؛ السلطة الرابعة التي يثمنون دورها ويقدرونه، واليوم لمّا أخرج الإعلام سوأتهم هم سحرة فرعون؟!

كان الرئيس قد خاطب المحتشدين لمآزرته أمام القصر؛ شن هجومًا على القوى الرافضة للإعلان الدستوري وأنهم قلة قليلون، حاقدون على الثورة؛ واستنكر فَكِهًا دعوات حل مجلس الشورى، والجمعية التأسيسية:

- إزّاي؟! هـ يحلوا البلد كلها؟!.. وهاجم المتظاهرين في شارع محمد محمود:

- أشعر بالأسى حين أسمع أن بعض الأولاد أخذت فلوس في شارع محمد محمود؛ يعني للخروج للتظاهر ضده.. وشن هجومًا على القضاء:
- سَمِعْتُ معكم من يعرف الحكم قبل صدوره، وهو أمرٌ غريب؛ من قال ذلك يحاول الاحتماء بالنظام السابق. ودافع عن قراراته الأخيرة: لن اتخذ قرارًا لأكون في صف أحدٍ ضد الآخر في هذه المرحلة الانتقالية، التي مر منها عامان وبقي وقت أقل، يجب أن ندرك أننا " ماشيين " في طريق واضح، مسار واضح، وعندنا هدف كبير واضح.... لن أسمح باستخدام المال الفاسد الذي تم تجميعه في ظل النظام السابق في هدم المكتسبات؛ وحذر" أنا شايف اثنين؟ ثلاثة؟ أربعة؟! واقفين في حِتَّة، مفكرين إني مش شاييفهم، واقفين في حتّة، يروحوا في حارة مزْنُوقة، يعملوا حاجة مش كويّسة، إياكم أن لا تدركوا أني أراكم أو أغض الطرف عنكم".. فقال مجاهد يسمع زوجته:
- اثنين، ثلاثة، أربعة؟ يا مرسي استقر على رأيّ! لكِ الله يا مصر! واستحلفها، بالله؛ أهذا حديث لرئيس دولة، أليس لديه أجهزة ومؤسسات يحصون له كم عدد هؤلاء؟ ومن هم الذين يعملون حاجات في حارة مزنوقة؟ الوصف الذي وصفت يا مرسي لا يكون إلا لشبَّان وشابَّات مراهقين؛ معلومٌ ما يَعْن لهم من الحاجات! أهؤلاء هم المتآمرون الذين يعرقلون مسيرة التنمية، ومشروع النَّهضة، فلجأت إلى إعلانك الدستوري الذي قسَّم البلاد؟!.. بالله، يستحلف زوجته:

- أفهمتِ شيئًا مما قاله؟! فبعد الهجوم على المعارضين للإعلان الدستوري رجع يؤكد:

- إن ما أسعى إليه هو تحقيق الاستقرار السياسي، والاقتصادي، وتأكيد مبدأ تداول السلطة، ولا يقلقني وجود معارضة لي، أنا حريص على وجود معارضة قوية واعية.. فصاح الصحفي الأشهر عبر برنامجه ينتقده:

- إي، والنبي يا مرسي؟ .. فخاطبه مجاهد يصحح له القسم:

- بالله يا إبراهيم؟ وأتبع الصحفي هاتفًا بمرسي:

- ما قمت به لن يؤدي إلا إلى مزيدٍ من تقسم الوطن وتمزيقه؛ خطابك في أهلك، وعشيرتك، أمام قصر الاتحادية دون أن تتوجه به إلى الشعب ليس إلا دليلًا على ذلك؛ ثم تعال قول لي، كيف أن تحصين قرارات سيادتك تأكيدًا لمبدأ تداول السلطة؟ أنت تعلن نفسك فرعونًا؛ سعادتك بتحصين قراراتك السابقة، واللاحقة من القضاء، وتحصين الشورى، وتأسيسية الإخوان، وتدخلك في القضاء بقرارات تنفيذية، فأنهيت خدمة النائب العام، وعيّنت نائبًا خصوصيًّا لسعادتك؛ يا دكتور محمد مرسي، محمد محمود يشتعل ضدك، المئات من المتظاهرين يحاصرون منزلك في الزقازيق وسط هتافات، يسقط حكم المرشد، رموز القوى، والتيارات الوطنية في مصطفى محمود ضد إعلانك الدستوري الفرعوني .. يا دكتور مرسي السيدة زينب تهتف: ديكتاتور ديكتاتور؛ وأنت يا مرسي

عليك الدور؛ الدكتور البرادعي يقول لك: دكتور مرسي نسف الدولة والشرعية، ونصب نفسه حاكمًا بأمر الله، يا دكتور مرسي مسيرتان غاضبتان لاتحاد شباب ماسبيرو، و٦أبريل من شبرا إلى التحرير، المتظاهرون يهتفون: يا قضاة يا قضاة؛ خلصونا من الطغاة.. يا اللي بتقول شرع الله؛ مرسي نصب نفسه إله.. أَتُنْصتْ لهم؟ أتسمعهم؟ أم لا تسمع إلا صوت جماعتك وتعليمات خيرت الشاطر؟! مسيرات غاضبة في ربوع مصر ضدك، وضد جماعتك، تطالب بإقالة حكومة اللاكفاءة؛ الحكومة القنديلية، أتعلي المصلحة الوطنية، وتستجب لهم، أم أننا أمام الجلد الثخين الذي لا يَخُرُّ دمًا؟! وانطلق الصحفي في تحليله في همَّة.. ومجاهد سعيدا يُنْصتُ له.. وقال يؤكد لزوجته: - هذه شجاعة نادرة..

في هذه الآونة عادت مدام أُمنية لتتصل:

- بعض أشياء في شقتنا بالمنصورة لا نريد حملها معنا إلى القاهرة، إن صَلُحَتْ أن تخرجها لنا صدقةً يجزيك الله عنَّا كُلَّ خير؟.. أنصت للفكرة مذهولًا؛ هذا سعي للرؤية ورسالة؟.. فتلقاها مُحْبورًا؛ قال:

- أشياء مثل ماذا؟.. قالت:

- سجادتان جديدتان، واحدة منهما كبيرة تصلح لزاوية؛ مسجدٍ صغيرٍ، وأواني مطبخ بحالة جيدة، تصلح لعروس قد تعلم بتجهيزها، وحاجات؛ الزوج معك يحدثك عنها تفصيلًا، ونقلت إليه الهاتف؛ فتبادلا تحية قلقة، وأثنيا

على العائلين الكريمتين ولم يجلسا لمرةٍ واحدةٍ معًا، ودخل الزوج في إحصائه مباشرةً:

- سجّادة ٤ م ×٣ عدد واحد، سجادة صغيرة ٣ م × ٢، طبق حجرة نوم يحْتاج لإصلاح به بعض لمبات سليمة، منضدة متوسطة خشب فِبْر، كرسي مطبخ مستعمل خشب عادي، رأس ماكينة خياطة منزلية ماركة سنجر بالماتور؛ حقيبة.. يُحصي بينما مجاهد يفكر في حرج هذا اللقاء؛ يجيب:

-نعم، نعم؛ لا يدري عن الإحصاء، ولا عن الأشياء ولا عن التعداد شيئًا؛ يفرح في نفسه:

- آخر مرة شاهَدتها كانت منذ عامين؟ كان يتحين كل فرصة للذهاب إلى الوزارة؛ ويرجع في غاية الحزن إذا لم يلقها؛ الغريب أنّه يَجِدهُ الآن في غاية الحرج؛ يرجو لو تعفيه مدام أمنية من هذا اللقاء.. وفكر لهذه المهمة الثقيلة؟ ومواجهة الزوج؛ وقَدّرَ أنَّه يعلم؟ فبيوت الأيتام هنا كما هي هناك كثيرة؟؛ والمساجد كذلك، يستطيعان إن رغبا في حقيقة الصدقة أن يذهبا لإمضاء هذه المهمة دونه؟.. وخشية الجَفاء؛ فكَّر أن يمضيَ فيسأل عن بعض عناوين بيوت أيتام فيُعَرّفهم بها، أمَّا الذهاب، ومواجهة الزوج فأمر شاق للغاية! فكيف يضع نفسه في موقف صغَار؛ لا بد أنها أخبرته بشأن طلبه خِطبة ابنتهما عالية، وعرف بتصرفها، وتوافقا عليه؛ لا يمكن أن تكون كزوجة قد أخفت عنه شأن كهذا!.. وانقلب لائمًا للزميلة الرسول التي راحت تقص هي الأخرى

لزوجها - رغم تأكيده عليها - قبل قيامها بالاتصال؛ كان زوجها يعرف زَوْجته، ويعرف قصة الحب التي جمعتهما؛ فتعللت لذلك:

- خشيتُ اطّلاع الزوجة بسعْيي، فرحت أستشيره؛ وجاهد للابتسام يسأل مدام أمنية:

- متى الحضور؟.. كان الزوج قد فرغ من إحصائه، وأعاد لها الهاتف بعدما بَيَّنَ أن الأمر يحتاج إلى سيارة نصف نقل صغيرة؛ مع الأخذ في الاعتبار أنه لن يستطيع حمل شيءٍ؟ وقال؛

- كَبِرْنا؛ فطمأنه، واقترح يتلطف:

- ماذا لو أجّلنا لبعض الوقت حتى تهدأ الأوضاع، وأكون قد سألت عن أقرب دار للأيتام، فهم أولى بالصدقة المساجد لا حاجة للمسلمين في كثرتها؟ فأكدت له:

- يكون حضوري أنا والزوج لأجل هذا الشأن خاصة متى هدأت الأوضاع وأمِنّا الطريق، ولن يكون ذلك قبل شهر.. فضحك يقبلها سياسة:

- هذه الجماعة أساءت، وقريبًا - إن شاء الله - يرحمنا الله منها، ومن مُرْسي.

- ربنا يسمع منك؛ أتعتقد ذلك؟ أحسب أنهم لن يتركوها.. قال:

هم يعتقدون أنهم يخدعون الناس، والناس قريبًا تكشف أمرهم.. كان تشكيل أول حكومة بعد انتخاب مرسي مخيبًا للآمال؛ وكانت جموع الناس تنتظر اختيار شخصيات ذوي كفاءة قادرة على حل المشاكل الصعبة التي قامت؛ فكانت الصدمة.. رئيس وزارة مورد الخدين؛ كل مؤهلاته أنه عَمِلَ مديرًا لمكتب وزير الرَّي زمن مبارك، ثم وزيرًا للري في حكومة شرف، لم يُرَ له قبل ثمَّة إنجاز، ولا علاقة له بالاقتصاد، ولا بالسياسة، ووزعت الغنائم؛ خمسة وزراء لحزب الحرية والعدالة، ووزيرين لحزب الوسط، ووزير لحزب النهضة، والمستشار أحمد مكي؛ الإخواني الهوى وزيرًا للعدل، ونائب رئيس الهيئة الشرعية للحقوق والإصلاح وزيرًا للأوقاف؛ ليرتفع عدد الوزراء الإسلاميين عديمي الخبرة والكفاءة إلى تسعة، والبقية ما بين فلولٍ، وتكنوقراط، وعسكريين سابقين؛ فقالت الجرائد تصيح: مرسي يعلن دولة الفساد الكبرى؛ الرئيس قام بتوزيع المناصب على المعارف، والأصدقاء، وفلول الحزب الوطني، وباع الأوقاف لنائب المرشد.

وفوجئ حزب النور السلفي بتجاهله؛ فقال بهذا العتب الشفيق" مع إدراكنا التام وَوِفقًا للإعلان الدستوري الذي يعطي السيد رئيس الجمهورية الحق الكامل في التكليف بتشكيل الحكومة، واختيار السادة الوزراء، نرى الأوفق في المرحلة الحالية مشاركة جميع القوى السياسية في إدارة المرحلة الحالية، ضمانًا للالتحام الوطني في النهوض بالبلاد.

ثانيًا: يُؤْمِنُ حزب النور أن جميع القوى الوطنية ساهمت بصدقٍ وإخلاصٍ في إنجاح مرشح الثورة د/مرسي، حيث تم الاتفاق على التكاتف، والتشارك في تحمل المسئولية، وإدارة مؤسسات الدولة.

ثالثًا: فوجئت قيادات حزب النور، بعد خطاب تنصيب السيد/ الرئيس بالانقطاع عن عملية التفاهم والتواصل، حيث تم التجاهل التام لأي تنسيقٍ، أو مبادرةِ تشاورٍ، أو مجرد استطلاعٍ للرأي للكفاءات العلمية والإدارية لحزب النور، وكل القوى السياسية؛ الذي نرى أن ذلك سيؤثر بالسلب على مجريات الأمور.

رابعًا: يجدد حزب/ النور إعلانه أن أبناء الحزب جاهزون للعطاء، مستعدون للبذل في أي موقعٍ، وفي كل ميدانٍ، ويعلن بوضوحٍ أن الحزب يمد يديه لكل القوى الوطنية للتنسيق والتعاون، لتكوين جبهة لمواجهة المستجدات على الساحة."

وعقَّب رئيس تحرير جريدة الأسبوع في إحدى الفضائيات

- أخيرًا تمخّضت جماعة الإخوان، فولدت حكومة من الخدَّج، والمبتسرين، الذين يحتاجون للبقاء داخل الحضّانات الطّبية حتى يكتمل نموهم، ويصل الواحد منهم إلى الوزن الطبيعي، الذي ينبئ بإمكانياته استمراره في الحياة، فيما عدا وزيرين؛ قام الإخوان بدسّهما في التشكيلة لـ جَرّ الشَّكَلِ، أو قضاءِ الحاجة، وتحقيق أهداف إخوانية ملحة، أحدهما جاهز برأيه في مواجهة فقهاء

الدستور، وأساتذة الجامعات فيما يتعلّق بالمحكمة الدستورية العليا، وصلاحيتها عندما تصدّت للعديد من القرارات الطائشة؛ وتنادى: من ذا الذي ينقذ سفينة الوطن من الغرق ؟؟.. فسألت الزَوجُة مجاهد، وقد قام إلى الهاتف وسَمِعَتْ جرسه يَرِنّ:

- من كان يتصل؟ .. قال:

- هذه مدام أمنية لديها أشياء صدقه تريد إرسالها لدار أيتام؛ وجلس إلى البرنامج مظهرًا عدم الاهتمام، فثارت:

- طبعًا، ستذهب إليهم بالسيارة، وتحمل هذه الأشياء بنفسك؟!.. قال وهو لم يزل مُظهرًا الانشغال ينظر إلى التلفاز:

- أنا حائرٌ، لا أريد الذهاب، ولا أريد إبداء عدم العناية، أفكر في إعطائهم بعض عناوين دور أيتام، وفي استلانة قال يصرفها:

- ذكروا أنهم لن يحضروا قبل شهرٍ عندما تهدأ الأوضاع، وأكون أنا قد رتبت لهم مع بعض الدُّور، فيذهبوا بأنفسهم؛ يستلموا منهم هذه الأشياء.. فنبّهت:

- لا تذهب فتحمل هذه الأشياء بنفسك، أعطهم العناوين، ولا تذهب فتحملها لهم.. فقال في همٍ بادٍ:

- أنا لا أريد الذهاب؛ سأبحث عن دارٍ للأيتام قريبة فأرشدهم للمكان؛ ليحضروا إليهم متى جاءوا فيستلموا الأشياء بأنفسهم.. فقالت بغضبٍ:

- أنا قلت، وأنت حر.. فقال يفتح الباب:

- مازال هناك وقت؛ وقد لا يأتون؛ فالجو العام لا يبشر بخير.

كان قد صدر الإنذار الأول لـ مرسي: كِش ملك! واحتشد مئات الآلاف من المتظاهرين في السابع والعشرين من نوفمبر ٢٠١٢ في ميدان التحرير، وميادين المحافظات في موجةٍ ثوريةٍ هي الأكبر منذ تنحّي مبارك ضمن فعاليات مليونية للثورة شعب يحميها، طالب فيها المتظاهرون؛ إلغاء الإعلان الدستوري، وحل التأسيسية، أو الرحيل! وهتفوا: يَسْقُطْ، يسقط حكم المُرْشِد ؟؟، مصر تتحدى الديكتاتور مرسي؛ وبدأ عشرات المئات من القضاة في التوافد على مقر ناديهم وسط القاهرة، ورصدت غرفة عمليات متابعة تعليق العمل بالمحاكم قرارات رؤساء محاكم استئناف أسيوط، وقنا، والإسكندرية، والمنصورة بتعليق العمل؛ وأكدت الغرفة أن الإضراب، وتعليق العمل بالمحاكم والنيابة، وصلت نسبته إلى ٩٩ ٠/٠ ودخل القضاة في اعتصامٍ مفتوح في ناديهم حتى إسقاط الإعلان الدستوري، وتحدث رئيس حزب الوفد: القوى المدنية المُشَكِلَة لجبهة الإنقاذ الوطني التي نظمت مليونية للثورة شعب يحميها؛ لن تترك ميدان التحرير قبل إسقاط الإعلان الدستوري، الذي

أصدره رئيس الجمهورية د/ محمد مرسي، الذي أفقده جزءًا من شرعيته، لن نقبل حلولًا وسطًا..

وتحدّث قيادي بحزب الحرية والعدالة؛ مقرر اللجنة التشريعية بالجمعية التأسيسية، أن الرئيس زادت شعبيته بعد الإعلان الدستوري؛ وأتبع في حمية: الرئيس حمى الثورة ومؤسسات الدولة من النهب من خلال تحصين قراراته في الإعلان الدستوري، والرافضون لقرارات الرئيس " زعلانون " من زمان، وأغلبهم من اليساريين والناصريين، ودعاهم للرجوع لدستور ٥٦ حصن عبد الناصر قراراته ٦ سنوات مقدمة، وصاح بأعلى صوته:

- اقرءوا التاريخ!.. وهدد عضو مجلس شورى الجماعة الإسلامية في مؤتمرٍ عقده حزب البناء والتنمية، والجماعة الإسلامية بنادي شباب مصر بالفيوم، تحت عنوان الأزمة التي تمر بها مصر؛ هل هي أزمة حقيقية أم مفتعلة؟ والشريعة والدستور وحقيقة الاختلاف؛ هدد:

- سوف نُغْلِظُ على هؤلاء العلمانيين تنفيذًا لأمر ربنا.. وأغلظ عليهم.. تهاني الجبالي- مستشار بالمحكمة الدستورية العليا- تقود البلطجة القضائية، والقضاء يصدر أحكامًا ضد إرادة الشعب، وما يحدث بشأن الجمعية التأسيسية، ودعاوي المطالبة بحلها يهدف إلى تعطيلها، وصاح:

- لمصلحة مَنْ نهدم مؤسساتنا المنتخبة؟! هناك محاولات حثيثة لهدم التأسيسية بأي طريقة، الحرب على التأسيسية جاءت لأنها أعطت بعض الحقوق للشريعة الإسلامية٠٠

وقدم عدد من المحامين بلاغات للنائب العام ضد الرئيس، تطالب بتقديمه للمحاكمة الجنائية لنفس التهم التي حُوُكِمَ بها مبارك ووزير داخليته؛ واستند مقدم البلاغ إلى الحكم الصادر من جنايات القاهرة ضد مبارك، والعادلي، متهمًا الرئيس الحالي بمسئوليته عن استشهاد؛ جابر صلاح، أحمد نجيب، وإسلام مسعود؛ وأقام محامي دعوى بمجلس الدولة طالب فيها بإبطال نتيجة الانتخابات الرئاسية الأخيرة؛ وأقام محامٍ وقاضٍ سابق دعوى أخرى لإلغاء إعلان مرسي الدستوري، وما تبعه من قوانين، وكان من حصيلة المليونية، استشهاد (محمد صلاح؛ جيكا)، (إسلام مسعود)، (أحمد نجيب) بنفس الطريقة؛ وبنفس أعمار ضحاياها؛ وبنفس الآلة؛ وبنفس الأسلوب؛ وبنفس التبرير من السلطة؛ وتحول الرأي العام العالمي من داعم لمصر الثورة إلى ناقد وقلق وساخط، فـ تُوماس فيردمان كتب في صحيفة نيويورك تايمز؛ إن السادات قدم سلامًا إسرائيليًا مع الدولة المصرية؛ لكن مرسي يمكنه تقديم السلام الإسرائيلي مع الشعب المصري؛ ومن ثم مع العالم الإسلامي، إلا أن هذا يتوقف على أن لا يصبح ديكتاتوريًا، ويظل معبرًا حقيقيًا عن الشعب؛ هذا الأمر أصبح مشكوكًا فيه الآن بعد أن انتزع السلطة لنفسه؛ ورد الفَعْلِ العنيف في الشارع المصري؛ ناصحًا " أوباما " بدعم الديمقراطية المصرية في

مقابل نشر الهدوء بين مصر، وحماس، وإسرائيل؛ لأن هذه المحاولة لم تنتهِ بشكلٍ جيدٍ عندما استخدمت أثناء مبارك.

وعلى هامش الخسائر؛ أكثر من ١٨٠ دبلوماسي مصري رفعوا مذكرة إلى وزير الخارجية احتجاجًا على توجيهات صدرت من الوزارة إلى السفارات بالدفاع عن الإعلان الدستوري الذي منح الرئيس محمد مرسي نفسه صلاحيات مطلقة؛ وقال الدبلوماسيون: إن من أهداف ثورة يناير المجيدة ترسيخ دولة القانون، وتعزيز قيم الديمقراطية، وتطهير مؤسسات الدولة من الفساد، والتراجع عن هذه الأهداف هو خيانة للثورة وشهدائها.. ليس من مهام عملنا الانحياز إلى سلطة على حساب أخرى، لسنا معنيين بتجميل صورة النظام السياسي، إننا نشعر ببالغ الأسف من قيام الإدارة الحالية بانتهاج نفس أسلوب النظام البائد في محاولة الدبلوماسيين تجميل صورة النظام، وهو الأمر الذي لا نقبله، ولن نضطر إليه..

وأفدح الخسائر؛ مُنَظِّرُ الجماعة الإسلامية؛ يحذر من اغتيالات سياسية قد تُطال ليبراليين، وسياسيين، ومفكرين الشهر المقبل؛ فقال مقدم البرنامج التلفزيوني الشهير:

- هذه نتيجة طبيعية لحالات التكفير، والعنف، والتخوين، والاستقطاب السياسي الحاد الذي يشهده المجتمع المصري الذي لم يحدث في أي عهد رئيس مصري سابق؛ لأن أحد مشايخ الدعوة السلفية بمطروح طالب الرئيس/ محمد مرسي باعتقال د. البرادعي، وحمدين، وعمرو موسى، وأيمن نور،

ورئيس نادي القضاة، والنائب العام السابق.. بتهمة قلب نظام الحكم، والدعوة إلى إفساد المجتمع؛ وحذَّر الرئيس – نفسه - من التراجع عن الإعلان الدستوري تحت ضغط ما أسماه..نباح الفسَّاق من النخبة الفاشلة، والتيار الثالث؛ العلمانيين، والليبراليين، والضرب بيدٍ من حديدٍ على كل بلطجي من النخبة السياسية، أو المأجورين المتواجدين في ميدان التحرير.. فانفعل مقدم البرنامج وهو يقرأ الأخبار:

- حاسب يا مولانا؟! تطالب الرئيس/ مرسي بالضرب بيد من حديد على كل بلطجي من النخبة السياسية، أو المأجورين المتواجدين في ميدان التحرير؟! الموجودون في ميدان التحرير ليسوا مأجورين، الموجدون في التحرير هم جموع الشعب المصري خرجوا ليعبروا عن رأيهم في إعلان دستوري ديكتاتوري، وأشاح بيديه في تأثرٍ، ومَرَّ براحته على فيه، على طريقته حين الانفعال، وبَلَعَ رِيقهُ ليتساءل:

- أهذا كلام يقوله شيخ/ سلفي؟! يُقْبَضُ على د. البرادعي مفجر ثورة ٢٥ يناير؛ الذي لولاه ما تكلمت أنت، ولا أمثالك؟.. أنا آسف لانفعالي، لكن الشأن لم يعد يُحتمل، هذا تحريضٌ من شيخٍ سلفي ضد معارضي الرئيس، التعبير السلمي والاعتراض حَقُهُم؛ لكن تعالوا أقرأ لكم ما قاله نجل، النائب الأول للمرشد العام لجماعة الإخوان، فلان قال: يا مناشدو الديمقراطية احذروا؛ ومَرَّ الصحفي براحته فوق شفتيه ثانيةً في شدة انفعال، فالإخوان عندهم فائضٌ من رجولة.. فتنادى مقدم البرنامج:

- نجل، النائب الأول للمرشد العام لجماعة الإخوان يهدد المصريين، الإخوان عندهم فائض من الرجولة؛ أين عقلاء هذه الجماعة؟؟ "عاو زين تأخذوا البلد إلى أين؟؟ " وبلع ريقه ليتابع: اسمع يا سيدي، ابن الشاطر على صفحته الرسمية، فيس بوك: أن يختار البعض أن يسمع الرئيس كلامهم أو الفوضى، ليست هذه معارضة يا متنورين؟ هذا امتداد لفلسفة النظام الفاسد!.. فاعترض مقدم البرنامج:

- لا، أنا أذكرك، أن مما جعل الناس يثورون على النظام السابق، أنه كان يسمع ولا يستجيب " خليهم يتسلوا " مقولة مبارك للمعارضين لنتائج انتخابات مجلس الشعب ٢٠١٠م، الرئيس يجب أن يسمع لشعبه، ويستجيب للملايين التي خرجت رافضة هذه القرارات المستبدة، العناد لن يفيد، العناد من أسقط الرئيس السابق مبارك.

فنهضت صحف يوم الثامن والعشرين من نوفمبر كلاعب وسط يسعى بالكرة تجاه مرمى مرسي: اعتصامًا مفتوحًا؛ قوى سياسية أعلنت البقاء في التحرير حتى إسقاط الإعلان الدستوري.. اشتباكات متقطعة في ميدان سيمون بولي فار بين متظاهرين وقوات الأمن.. المؤيدون والمعارضون للإعلان الدستوري وجهًا لوجهٍ في الإسكندرية، دمنهور، المنصورة، المحلة، تراشق بالحجارة، حرق مقرات الحرية والعدالة.. الأمن يتدخل لفض الالتحام ٣٠٥ مصاب وحالة وفاة، إضراب شامل لقضاة مصر.. صحيفة المساء٠٠ وجرت الأحداث نحو التصعيد؛ فبعد ثلاثة أيام، طالب الرئيس/ مرسي المؤيدين

والمعارضين إلى المشاركة في الاستفتاء على الدستور... وجاءت دعوته إلى الاستفتاء بعد انسحاب ممثلو القوى المدنية، والسياسية، والكنسية من الجمعية التأسيسية، ووصفوا مسودة الدستور بالعار.. وحاول الرئيس في كلمته عقب تسلم الدستور من رئيس اللجنة التأسيسية، استمالة القضاة للإشراف على الاستفتاء، رغم دخولهم في الإضراب الشامل، ومعارضتهم للإعلان الدستوري، بينما تجمعت في ميدان التحرير أعداد كبيرة من المواطنين لمتابعة كلمته، ورفع بعضهم الأحذية عندما وجَّه الدعوة إلى الشعب للاستفتاء وهتفوا: احلق ذقنك بين عارك تلقى وشك وش مبارك.. يسقط يسقط، مرسي مبارك..الشعب يريد إسقاط النظام ..

وأمام تمثال نهضة مصر، جوار حديقة الحيوان بالجيزة، توافد منذ الصباح جماعة الإخوان والقوى الإسلامية المؤيدة لقرار الرئيس؛ توافدوا من المحافظات في أوتوبيساتٍ وسياراتٍ خاصة لنقل المتظاهرين. وقام أعضاء جماعة الإخوان الموجودون في القاهرة بتنظيم مسيرات حاشدة اتجهت جميعها إلى ميدان النهضة، ورفع المتظاهرون لافتات وهتافات: اللجنة التأسيسية شرعية ١٠٠×١٠٠ إحنا سلقنا الدستور في٦ شهور، وهمَّ المعارضة عملوا دستور موازي في ١٠ أيام، نعم للإعلان الدستوري، نعم للدستور. يا مرسي يا مرسي، أنت أحق بالكرسي، يا الله يا الله، الشعب يريد تطبيق شرع الله.. فعقب مجاهد لزوجته:

- يعترفون أنهم سلقوا الدستور؛ وأن أمر مرسي أمر كرسي!.. وقال للهتافين:

- اذهبوا بندائكم هذا إلى مرسي الأحق بالكرسي.. وقال لزوجته، وهما يتابعان المشهد عبر التلفاز:

- كأن الحرب بدأت شرارتها، قال؛ من علماء جماعة أنصار السنة من سمعته في إحدى خطبه، يقول: نقول لولي الأمر، د/ مرسي، اتق الله! بيدك الآن التشريع ما يمنعك من تطبيق شرع الله؟ وتأسى للصحفي الأشهر؛ أصلح الله شأنك يا إبراهيم.. كثيرًا ما قال بهذه المقالة: يا د. مرسي بيدك التشريع الآن؛ طبق الشريعة، نحن من يطلب منك ذلك؟ ألم تقل في برنامجك الانتخابي؛ بتطبيق شرع الله؛ قل لأتباعك الذين يصيحون في ميدان النهضة الآن؛ أنك أنت المسئول، ولا هي تجارة بالدين طول الوقت، وضحك على الذقون؟ أيها المتصايحون رئيسكم باع الشريعة؛ يرفع الضريبة على الخمور، ويُطْعِمُكُمُ الطُعْمَ الحرام..

وقناعة مجاهد أن جماعة الإخوان كانت في سعيها نحو السلطة؛ كقراد عكف منطويًا على شجرة أعمى أصم يكتفي بتنسم دماء الحيوانات المارَّة، التي لا يستطيع الوصول إليها بقوته الذاتية، يتعمد التصاغر والاتضاع كي لا يراه أحدٌ فيسحقه، يظل مقرفصًا يترقب الفرصة غير المحتملة إطلاقًا حتى تأتيه في هيئة حيوان إلى الشجرة؛ هنا يتخلى عن حذره؛ ويتساقط لينشب أظافره ينهش اللحم الغريب، فجماعة الإخوان المنغلقة على ذاتها وأفكارها؛ لا تؤمن بديمقراطية، ولا بتداول سلطة؛ عكفت ثمانين عامًا تتظلم؛ ترقبًا لحظة تسود فيها؛ فجاءتها الفرصة بتنحّي مبارك، فهل تترك هذه الفرصة،

وقد ظلت تنتظرها طويلًا، وهي تقدر أن لا تتركها؟! قال مجاهد في نفسه؛ لا أبدًا؛ وكان قد أبصر بشاب شَرِيك في شركة إلحاق عمالة حين خروجه من المسجد؛ توقف بسيارته الجديدة يبتسم مسرورًا ليحييه، وكان الشاب صَمِيمًا لفِكْرِ الجماعة، وموقرًا له ذات الوقت رغم انتقاده الشديد للجماعة؛ يدافع عنها بيقين؛ وكدأبه سأله عن آخر أخبارهم ؟ وكانت السيارة ياباني يعلو ثمنها على المائة وخمسين ألف جنيهٍ، اشترتها له أمُّ مِنّةٍ بقطعة أرض ورثتها؛ فباعتها له وأعانته بثمنها، وكان حديث التخرج؛ فأحسَّ ودًا خالصًا لِأُمّ مِنّة، التي لم يرها لسلامة طويتها ومحبتها لزوجها، وقدَّرَ للشاب صدقه فدعا لهما وأسمعه:

- بارك الله لك في أمّ منّة وفي مِنّة طفلة حديثة الولادة، ورزقك الله خير هذه السيارة ووقاك شرها؛ وطلبه للزيارة مسرورًا بأدبه لمّا توقف أمام أعين المارة ليحييه..وقال يسأله:

- من أين قدومك؟ فأجابه الشاب مُبتسمًا، رغم معرفته برأيه فيهم؛ وكانا لا يلتقيان بعد ٢٥ يناير إلا عاتبه في سلوك الجماعة - على الأخص - في البرلمان، ثم سلوكهم بعد الرئاسة؛ جماعة تقاتل من أجل نفسها، لا من أجل الشريعة؛ ووجد نفسه يصرح له بهذه النبوءة المقْتحمة؛ بلغ عنّي قيادتك الفخورة أن الحزب الوطني انتهى بعد ثلاثين عامًا، وأنتم - إن شاء الله - تنتهون بعده في ثلاثة شهورٍ!.. وبرهن له، قال - صلى الله وسلم - " حُبكَ للشيء يُعْمي ويُصِمُ" الفأر يرى الفريسة في المصيدة شهوةً، وحبه للمعلَّق

فيها يعميه عن المصيدة فيدخلها، وقد دخلتموها.. تعتقدون أنه التمكين، وتعتقدونكم في خدمة للإسلام، والحقيقة أنكم طلاب دنيا؛ مَسْعُورو سلطة.. فردّ الشاب في ابتسامة:

- هذا الهجوم كثيرًا علينا يا شيخنا؛ أنت تظلمنا.

- بل أنتم تظلمون أنفسكم؛ استحوذ عليكم بسط أذرعكم على مفاصل الدولة، وليس هذا والله ما يبقيكم في السلطة. وقرأه.. "وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون" .. الصّدق أمانة والكَذِبُ خيانة، وعلى رأي إبراهيم عيسى: أنتم تكذبون كما تتنفسون، على رأسكم مندوبكم في قصر الاتحادية مرسي، وقرأه.. "ويوم حنينٍ إذ أعجبتكم كَثْرَتُكم فلم تغني عنكم شيئًا"..الدين النصيحة؛ الجماعة لن تُرْهبَ شعبًا، تعتقدون أن الحشد والنزول إلى الشارع يحميكم؛ ولأنَّكم أطعمتم الناس يوم أطعمتموهم؛ فأمكثتموهم في التحرير حتى١١ فبراير؛ فتنحّى مبارك؛ واليوم تعتقدون أن الناس لن تصبر في الميادين من غير إطعام؛ وأنَّ نفسَ الشعب المصري قصيرٌ؟.. قال:

- أنت تشاهد الإعلام الفاسد يا مولانا؛ تشاهد فلانًا وفلانًا وفلانًا، وفلانة.

- الآن الإعلام فاسد؟! وقد كنتم لا تبرحونه؛ تقومون من قناة إلى قناة، ومن برنامج إلى برنامج؟ ولو كان ما يقوله الإعلام إدعاء، أمامكم القضاء أقيموا دعاوي كدعاوي إهانة الرئيس؟ العلة أنَّه أظهر فشلكم، وسوء مقصدكم.

- سُوءُ مقصدنا ؟.. أشققت عن صدره يا أسامة يُذَكّر بحديث الرسول للصحابي، لقتله شخص نطق بالشهادتين بدعوى أنه قالها اتقاء القتل؛ الإعلام يكذب يا شيخنا.

- الإعلام ينقل الواقع، وإلّا، فارفعوا عليهم دعاوى قضائية.

- إذًا نتفرّغ لدعاوى المخاصمة، ولن يكون هناك وقت للبناء.. فسأله؛

- فما بال دعاوى إهانة الرئيس ضد من ذكرت؛ والدكتورة/منال عمر؛ الطبيب النفسي، لمجرد انتقادهم لـ مرسي وتصرفات الجماعة؟!

- أنت تشاهد منال عمر يا شيخنا؟! يبكته.

- هذه خيبتكم، نعم أشاهد لميس، وأشاهد د. منال عمر.

- النّساء المتبرجات غير أمينات على أنفسهنّ لا يُقبل خبرهنّ يا شيخنا.

- تبرجهنَّ لأنفسهنّ، فما بال فلان وفلان وفلان؛ أمتبرجون هم ؟، وأتبع النبيّ - صلى الله عليه وسلم - حين جذبه الأعرابي جذبة شديدة أثرت في عنقه، وقال أعطني من مالِ الله الذي عندك فإنه ليس مالك، ولا مال أبيك؟ ماذا فعل النبي به؟ تبسّم ضاحكًا من جلافة البداوة وقال: نعم إنه ليس مالي ولا مال أبي، وأخذه إلى بيت المال، وأعطاه بدلًا من المرة ثلاثًا.

- نحن بشر يا شيخنا؛ والدكتور مرسي ليس نبيًا، والإهانات مقذعة.

- من سَبَّ حُوسِبَ، ومنْ خالف في الرأي، أو انتقد أُستُمِع له؟

- في هذا اتفقنا يا شيخنا.. هنا سكت؛ وابتسم يعيد عليه الدعوة بالحضور إلى البيت لإكرامه، فاعتذر الشاب لِشُغلٍ؛ فعبر الرصيف، وفي طريقه إلى البيت مشى يلوم نفسه: لست حليمًا؛ احتددت على الشاب كثيرًا وحافظ هو على هدوئه وإبداء احترامه لك حتى في أقصى درجات رعونتك مُستفزًا لصلف الجماعة! ففي السابع والعشرين من نوفمبر، كانت كُلُّ القوى قد أعلنت البقاء في التحرير، والدخول في اعتصام مفتوح حتى إسقاط الإعلان الدستوري؛ ووقعت اشتباكات متقطعة في ميدان سيمون بولي فار بين متظاهرين وقوات الأمن، ووقعت مصادمات بالأسلحة النارية بين الإخوان والمتظاهرين في بورسعيد، ومسيرات للمحامين والصحفيين، وكَرٌّ وفَرٌّ بين المتظاهرين وقوات الأمن في محيط السفارة الأمريكية بالقاهرة؛ فالشعب غاضب مناوئ للدستور؛ ورغم ذلك خرج الرئيس/ محمد مرسي يدعو بالأمس للاستفتاء عليه يوم السبت الموافق الخامس عشر من ديسمبر الجاري.. فصاحت الجرائد: ١٥ديسمبر مأتم الثورة؛ مرسي يدعو الشعب للاستفتاء على دستور العار؛ جريدة الوفد.. البلد على فوهة بركان، استعراض قوة للإخوان والسلفيين بميدان النهضة؛ جريدة المصري اليوم.. والتحرير يدعو إلى

مليونية ثلاثاء الفرصة الأخيرة، مرسي يتسلم دستور الغرياني، وحل الشُّورى، والتأسيسية أمام الدستورية اليوم..

فحبس المصريون أنفاسهم لحظة النَّظر في الطعون المقدمة للمحكمة الدستورية العليا، بعدم دستورية قانون انتخابات مجلس الشورى، وتشكيل الجمعية التأسيسية للدستور، فـ صدرت تعليمات لأعضاء من جماعة الإخوان، والتيارات الإسلامية في محيط جامعة القاهرة؛ ميدان النهضة عقب انتهاء مظاهرة الشّرعية والشَّرِيعة بالتوجه إلى محيط المحكمة لإرهاب القضاة وصرفهم عن الحكم..

وكان المتظاهرون في مليونية الشَّرعية والشَّريعة قد شَنُّوا هجومًا على وسائل الإعلام والقُضاة، وحَمَلوا صور الإعلاميين يَسُبُّونهم: المجاري طفحت في بر مصر؛ وهاجم مؤيدو الرئيس المحكمة الدستورية، وانطلقت من بينهم دعوات تطالب بمنع قضاة المحكمة من الدخول لنظر جلستي الطعن على اللجنة التأسيسية للدستور ومجلس الشورى، ورددوا هتافات ضد أعضاء المحكمة: صَوّتِي يا تهاني دستورنا راجع تاني.

أما داعية المنصورة المتصدر للمشهد فـ هاجم الفضائيات والقوى الليبرالية، منتقدًا هجومها على الرئيس محمد مرسي، وكعادته في دغدغة المشاعر بأمانيّ كبيرة بَشَّرَ..إن فجر الإسلام بدأت تباشيره، وعلى نجوم الفضائيات أن يدركوا أن الشعب يريد تطبيق شرع الله، فصاح المتظاهرون:

إسلامية إسلامية؛ رغم أنف الليبرالية والشيوعية.. فناداه مُجاهدُ تبكيتًا كأنّما يسمعه:

- وأنت؛ ألست من نجوم الفضائيات؟ كل هذه الحمئة لأنك اخترت ضِمْن اللجنة التأسيسية لصياغة الدستور، وقال لزوجته:

- هذا مع الرائجة؛ ولأنه لم تعد هناك نسبة مشاهدة لفضائياتهم الدينية، وكان من قبل يُحرّمُون مشاهدة التليفزيون؛ صَنَمُ البيوت المسرفة، فلما قعدوا له سكتوا عنه، وزحف هذا إلى البرامج السياسية الشهيرة. أتذكرين حلقة برنامج الحقيقة التي استضافه فيها وائل الإبراشي بعد غلبة أحداث يناير؟ وكان قبل تنحي مبارك يقول بعدم جواز الخروج على الحاكم، يومها تركه وائل يتحدث في نبرته العالمة وانطلاقته، فامتدح الشباب وثورته المباركة، وعن البناء والشباب المبارك الذي بسواعده تكون نهضة الأمة، وعن الدماء الزكية.. فاستوقفه وائل:

- يا شيخ، ألست من قلت في الأيام الخوالي بحرمة الخروج على الحاكم الظالم المستبد؟! لم يكن هذا رأيك قبل سقوط مبارك؟ فحاول التملص؛ فواجهه بفيديو له ففجعه:

- هذا التصرف لم يُتَّفَقْ عليه سلفًا؛ إنما جئت لتوجيه كلمة للأمة، لوحدة الصف، ونبذ الشحناء، والتوجه للبناء؛ سلوك القناة معي سلوك غير قويم يندرج تحت باب الخداع.. فضحك الصحفي بهدوء أعصابه المعتاد:

- يـا شيخ.. لا تُكَبّـر الموضـوع؛ الموضـوع مـن بـاب المداعبـة لاسـتخراج الحقيقة، وتسخين الحوار، وهذا أمر مهني مَحْمُود؛ وحـاول أن يثنيـه عـن عزمـه الانصـراف، لا تغضـب، نبينـا الكـريم حثنـا ألا نغضـب، هـذه فقـط دعابـة لإحمـاء الحـوار؛ نحـن هنـا فـي برنـامج الحقيقـة، وسـعادتك جئـت ناصحًا للنخبة، أكمل اللقاء؟ وجـه كلمـه لنـزع فتيل الأزمـة، والـدعوة إلـى التعـاون فـي ظـل الظـروف الصـعبة التـي تحـيط بـالبلاد، تفضـل، تفضـل، تحدث ولا تغضب؟ نكمل اللقاء ؟.. وأردف مجاهد لزوجته:

- هذا - يعنـي الصـحفي مقـدم البرنـامج -، لم يظلمـه، ولـو كنـت مكانـه؛ يعنـي الداعية لثبت أقول: صدق رسول الله، "الإمام جُنَّة يُقاتل من ورائه ويُتقى بـه، فـإن أمـر بتقـوى الله عـز وجـل وعـدل كـان لـه بـذلك أجرٌ؛ وإن يـأمر بغيـــــــــــره كـــــــــــان عليـــــــــــه منـــــــــــه".
الحـاكم يمنـع العدوَّ مـن أذى المسلمين، ويمنـع المسلمين مـن أذى بعـض؛ يتقيـه النـاس ويخافونـه، جمـاهير أهـل السـنة مـن الفقهـاء، والمحـدثين، والمتكلمين قالوا: لا ينعزل الإمام بالفسق، والظلم، وتعطيل الحقوق، ولا يجـوز الخـروج عليـه بـذلك، إلا أن يـروا كفـرًا بواحًـا، عنـدهم فيـه مـن الله برهـان؛ هـذا مـع وجـوب وعْظـه، وتخوفيـه؛ فعـن عُبـادةَ ابـنِ الصـامت: "بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة، فـي العسـر واليسـر، والمنشـط والمكـره، وعلـى أَثـرة علينـا، وعلـى ألا ننـازع الأمـر أهله، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا، ولا نخاف فـي الله لومـة لائـم"، فَمَـا بَالِك وقد أعلن مبارك صراحةً أنه بعد انتهـاء مدتـه، بعد ستة أشـهر، لـن

يترشح للرئاسة، يسلم البلاد من غير فوضى، قالوا: خداع المُضْطّر، وأقول: كان لا يستطيع خداعًا؛ أعلنها على الملأ أمام العالم، ولو خادع لخرج عليه الشعب كله؛ وليس من خرج في يناير لتحقق كَذِبُه، الميادين لم يعد عليها أقفالٌ.. وقال لزوجته

- هذه فاجعة أخرى: أربع وفيات واثنان وسبعون وأربعمائة مصاباً ليلة أمس..

كانت الأحداث قد بدأت بحرب التصريحات؛ فانقلبت اشتباكات بكل الأسلحة في محيط قصر الاتحادية، شارع الخليفة المأمون تحول إلى ساحة قتال؛ إشعال النار في السيارات، والأشجار، وواجهات المحلات، وحرق مقرات الحرية والعدالة بالإسماعيلية والسويس، واشتباكات أمام مقر الإخوان بالمقطم؛ الداخلية تعلن: القبض على اثنين وثلاثين متهمًا، وضبط بنادق، وطبنجات، ومولوتوف؛ وزير الدولة لشئون المجالس النيابية؛ محسوب يصرح: إلغاء الإعلان الدستوري مطروح في إطار الحوار الوطني واتفاق موثق؛ فتوقف مقدم البرنامج الشهير عن قراءة الأخبار ليضرب كفًا بكفٍ، ويلوح بيده في الهواء على الشاشة أَسِفا:

- بعد أيه؟! ما كان من الأوَّل؟! لازم يحدث دم لتحدث الاستجابة؟ اتقوا الله؟ ارحمونا؟ اتقوا غضبة هذا الشعب؟ يا ساتر؟ وتابع قراءته للأخبار: مستشارو الرئيس المستقيلون يتحدثون: سيف عبد الفتاح، مع حفظ الألقاب، مستشار الرئيس للشئون السياسية في مداخلة مع قناة الجزيرة: مُصِرٌ على تقديم

استقالتي مباشرةً، وبملء إرادتي لأني لا أقبل أن يموت الشباب - وبكى خلال الاتصال - تقدمت باستقالة قبل ذلك، ولم يُعْلَنْ عنها، والآن أنا أستقيل لأن دم الشباب المصري يسقط بدون أي وقفة من النخبة المُحنَّطة، وجماعة الإخوان ضيقة الأفق.

الصيَّاد: فشلنا في إقناع الرئاسة بالتراجع، وتجنب هذا المشهد، فاسْتُفُزَ مجاهد:

- هذا يعلم أن مرسي تأتيه الأوامر من مكتب الإرشاد؛ ويقول فشلنا في إقناع الرئاسة.. واستمر الصّياد يعلق للبرنامج: مسئولية مشهد العنف الدائر أمام قصر الاتحادية يتحملها الجميع - خاصة - مؤسسة الرئاسة التي تأخرت في إصدار القرار المناسب في الوقت المناسب، لا مفر من التراجع عن الإعلان الدستوري، وإلغاء الاستفتاء فورًا، القرار الصحيح هو الذي يصدر في الوقت الصحيح، وتابع الصياد يصرح لمقدم البرنامج:

- جميع المبادرات تقدمت بها، والدكتور سيف عبد الفتاح لكي يكون الباب مفتوحًا، وللأسف النتيجة ما نراه الآن؛ والسياسات لا يحكم عليها إلا بالنتائج.. فعقب مجاهد لزوجته:

- سيف عبد الفتاح هذا كان يدافع عن الإخوان في استماتة؛ يبرر لهم ويخلط، فعُيّنَ مستشارًا للرئاسة. ورجع مقدم البرنامج يقرأ بعد المكالمة: كشف عمرو الليثي أنه تقدم باستقالته، وسيف عبد الفتاح، وأيمن الصياد؛

مستشارو الرئيس عقب الإعلان الدستوري لعدم استشارتهم.. فتداخل أيضًا مجاهد:

- وهذا يلعب أيضًا على الحبال؛ يحاول الاستفادة من كل نظام قائم، يشعر الآن أن الجماعة تسقط فاستبق يصنع لنفسه شيئًا جديدًا..

وحين وصلت حشود غير متوقعة إلى قصر الاتحادية؛ ونجحت في إزالة الأسلاك الشائكة، والوصول إلى أبواب القصر؛ كان مشهدًا مهيبًا، شارك فيه مئات الآلاف من المصريين؛ مشهد كتبه الشعب المصري، ووضع تفاصيله دون مشورة أحدٍ أو توجيهٍ؛ مئات الآلاف من المتظاهرين من كل الأطياف وصلوا حتى مداخل القصر، فانسحبت أمامهم قوات الشرطة والأمن المركزي المكلفة بتأمين القصر، وحرص المتظاهرون على سلمية احتجاجهم، وعدم التعرض لجنود الأمن حتى مغادرة المكان؛ ولمَّا تمكن المتظاهرون من الوصول إلى مدخل القصر الرئاسي قاموا بإطلاق الألعاب النارية؛ بالتحديد أمام البوابة رقم ٣ ورددوا هتافات: المحاكمة؟ العصابة لسه حاكمة؛ قالوا حرية وقالوا عدالة ما شوفناش غير النذالة؛ يسقط، يسقط حكم المرشد.. فسرت حالة التأهب القصوى داخل القصر تحسبًا للاقتحام؛ وفر موكب الرئيس مذعورًا من البوابة الخلفية؛ "ولآت حين مناص".. عقب مجاهد للهروب:

- مرسي قاب قوسين، أو أدنى من أيدي المتظاهرين؛ بيد أنه ما كان يفعلها أبناء هذا الشعب العريق؛ فقط هو إنذار أخير لمن كان محتميًا خلف أسوار

القصر العالية؛ طاردوه بهدير غاضبٍ؛ وباتت الفضائيات فترة السهرة تكرر المشهد!!

وردًا على هذا الفرار المَهين للرئيس من المحتشدين الغاضبين أمام قصر الاتحادية في مليونية الإنذار الأخير، أعلنت جماعة الإخوان حالة النفير منذ الرابعة؛ عصر الأربعاء اليوم التالي.. فلم تتوقف حتى الفجر الصرخات؛ كان المشاهد يتساءل مشفقًا: أهي الحرب الأهلية؟! أم هي موقعة جمل جديدة ؟..

بدأ الإخوان وحلفاؤهم بفض الاعتصام السّلْمي من أمام القصر بالقوة، وكان مرسي قد عاد إلى القصر في الصباح، فاستقبله المعتصمون أثناء دخوله من البوابة رقم ٥ بحماية تشكيل من أفراد الأمن المركزي بهتاف مدوي: ارحل؟ ارحل؟... يسقط.. حكم المرشد؛ وأحاطوا بالموكب، واستغرق الدخول عدة دقائق، التزم المعتصمون فيها السلمية؛ لم يُحاولوا الاعتداء.. ثم تزايدت أعداد خيام المعتصمين أمام القصر، احتجاجًا على الإعلان الدستوري، والمطالبة بوقف الاستفتاء على الدستور، وتشكيل جمعية تأسيسية جديدة تمثل جميع الأطياف، واشتعلت الأحداث، عندما قام أعضاء الإخوان بالتوجه إلى مسجد عمر بن عبد العزيز المواجه للقصر، وعقب أدائهم صلاة العصر، خرجوا ليواجهوا المعتصمين الذين راحوا يرددون: سلمية، سلمية.. فقام الإخوان بالتجمع أمام بوابة القصر مرددين: يا بديع يا بديع أنت تؤمر ونحن نطيع؛ فواجههم المعتصمون: يسقط، يسقط حكم المرشد؛ يا مرسي يا استبن ها

نرجعك السجن... ظل الأمر لا يتعدى السجال بالهتاف والهتاف المضاد؛ حتى قدمت مسيرة إخوانية من شارع صلاح سالم، قامت برشق المتظاهرين بالطوب، وأزالوا الخيام؛ فتوافد من التحرير، ومن غيره المئات لنصرة زملائهم من معارضي الرئيس أمام القصر؛ فوقعت الفاجعة.. وغابت قوات الأمن تمامًا؛ فلم يلحظ في محيط القصر فرد أمن واحد، واعتلى ثلاثة مصورين تابعين لمؤسسة الرئاسة القصر للتصوير، فردد المعتصمون: صوّر صوّر يا عصفورة؟ نحن الأصل وأنت الصورة؛ مرسي يا استبن هـ نرجعك السجن؛ اكتب على حيطة الزنزانة؛ حكم المرشد عار وخيانة؟ وحاول البعض وضع فواصل بين الفريقين إلا أن الاشتباكات وقعت..إلقاء زجاجات وحِجارة ومولوتوف، وبما يشبه الكماشة حاصر الإخوان المتظاهرين من الجانبين؛ كان ملاحظًا استهداف المرأة للتخويف، والصحفيين لمنعهم من التصوير.. تعالت الصرخات والهتافات بين الجانين حتى الفجر، وامتدت الاشتباكات إلى شارع الخليفة المأمون من أوله إلى آخره؛ اشتباكات عنيفة بين آلاف من مؤيدي الرئيس، وبين المعارضين له؛ فأعلن وزير الدولة لشئون المجالس النيابية في تصريحٍ له لقناة الجزيرة مباشرة على الهواء؛ أن إلغاء الإعلان الدستوري مطروح في إطار الحوار الوطني؛ لكن المصيبة حلت.. وأمام مكتب الإرشاد بالمقطم استمر الاقتتال طوال الليل، واستعانت قيادات الجماعة بفرق من قوات الأمن لحماية المقر، وعُمِلَ حاجز بشري بين الشباب المحتجين وبين المقر، ووزَّع عناصر من

ميلشيات الجماعة أنفسهم بين مدخل المقر والسلالم المؤدية إليه، وتوافدوا مردفين للدفاع عن رمزهم٠٠

ليلة مرعبة باتها المصريون أمام التلفاز حتى مطلع الفجر؛ كلما انتهى برنامج ذَهبَ مجاهد إلى غيره؛ يتساءل في خوفٍ مكتوم، مصر إلى أين ؟!..

المتحدث باسم التيار الشعبي على قناة "أون تي في" يعلن: الليلة ليلة حزينة على مصر، نأسف على الدَّم الذي أريق، سواء كان من الثوار، أو ممن تم التغرير بهم من القوى الدينية، ونأسف للمواجهة بين أبناء الوطن الواحد؛ وأكد على الهواء: شرعية الرئيس سقطت، حضور السلفيين والإخوان يتضاءل يومًا بعد يوم، التيار الشعبي لن ينسحب من محيط قصر الاتحادية، وسوف يعود بعد غد الجمعة بمسيرات سلمية، ولن نسمح لأحد أن يعتدي علينا.

ولليوم السادس على التوالي، كانت المحكمة الدستورية لا تزل تُحاصرُ؛ أقام الإخوان والسلفيون خيامهم حول سور المحكمة، وأكدوا أنهم لن يتركوا هذا المكان إلا بعد الانتهاء من الاستفتاء على الدستور منتصف الشهر، وتحدث لمراسل البرنامج؛ مدير مدرسة من البحيرة: حصلت على إجازة، وجئت للاعتصام، والبقاء بالقاهرة مع مجموعة كبيرة من المحافظة أمام المحكمة الدستورية العليا التي تعودنا منها على إصدار أحكام خاطئة فهم من عينهم مبارك؛ يعملون لحساب النظام السابق؛ فناداه مجاهد في غيظٍ شديدٍ وهو يتابع البرنامج الناقل للصورة:

- يا شاهد الزور من عينك؛ ألست من النظام السابق؟!؛ أنت مدير مدرسة، وموظف قديم؛ فأنت فاسدٌ بإقرارك أن مبارك لم يكن يُعَيِّن إلا الفاسدين.. أمَّا عصام بسيوني قنديل؛ موظف بالهيئة العامة للتحكيم واختبارات القطن فقال لمراسل البرنامج:

- دورنا لا يقل عن دور المتواجدين بميدان التحرير الذين يتمسكون بمطالبهم، ولأنني من مؤيدي الإعلان الدستوري، ومن أعضاء حزب الحرية والعدالة، وجدت من واجبي أن أحضر من محافظتي، وأعتصم هنا؛ أمام المحكمة الدستورية العليا؛ نرفع الظلم عنَّا برفض أحكامها الفاسدة التي تصدر لمصالح شخصية بحتة؛ فتداخل معه أيضًا مجاهد:

- يا هذا؛ أليس هؤلاء من شكلوا اللجنة العليا للانتخابات التي حكمت بفوزكم في انتخابات الرئاسة؟ حينئذٍ شهدتم لهم بالنزاهة لأن الحكم كان لصالح مرسي.. وقال مدرس بالأزهر؛ محافظة البحيرة:

- كان لابد من الاعتصام أمام المحكمة الدستورية التي لا نثق جميعًا في أحكامها؛ بعد أن علمنا أن المستشارين فيها سوف يحكمون ضد الرئيس محمد مرسي، بحل التأسيسية، وإلغاء الإعلان الدستوري. فحدَّث مجاهد زوجته هذه المرة يحكي حادثة حدثت له بعد أن قرأ .. "قل لا يعلم من السماوات والأرضِ الغيبَ إلا اللهُ".. أيها الأزهري!.. وقص عليها:

- كنت قد انتدبت إلى كلية أصول الدين قبل أن أنتسب إليها كطالب؛ ذهبت مراقبًا للامتحانات، فدخل عليَّ دكتور مشرف اللجنة، فلم يجد غير الصمت والحزن؛ والجميع ينتظرون الفرج؛ فلم أجعل أحدًا ينظر حوله، أو يلتفت، فسألني محرضًا على الغش:

- يا مولانا، يسروا ولا تعسروا ؟؟.. فبكته:

- من غشنا فليس منّا!.. فوقف بجانب طالب متعهد رسوب؛ لم يكتب في ورقة الإجابة أي آية، وكانت المادة قرآن تحريري، ثمَّ رجع يسألني:

- يا مولانا، هذا الطالب نريد أن نخلص منه؟ هذه هي السنة الرابعة له في الليسانس على التوالي، قلت:

- ولا أية.. فضرب الطالب المنضدة، ووقف يصيح؛ يتوعدني.. فقلت للدكتور المشرف:

- أنت من جرأته علينا؛ فزجر الطالب؛ وتوجست أنا من لحظة الخروج؛ وأخذت حذري؛ ولكن الطالب لم يأتِ.. وقالا مهندس معماري، ومدير مبيعات من محافظة الإسكندرية للمراسل:

- إنما نعتصم بطريقة سلمية أمام المحكمة، لكي يعلم مستشاروها أننا نرفض أحكامهم، ولم نمنعهم، أو نعترض طريق دخولهم للمحكمة، فدهشت الزوج تسأل:

- من نصدق ؟.. فقال مجاهد يلومها على التردد:

- الصورة لا تكذب؛ حشود تأخذ بتلابيب المكان؛ لم يتركوا موضع قدم، وقال:

- ومستشارو المحكمة هؤلاء يتخاذلون؛ كان عليهم أن يجتمعوا للحكم؛ حتى يتم التصديق على الدستور ويصبح الحكم لا قيمة له بعد الاستفتاء، ويصبح مجلس الشورى أمر واقع؛ وقال:

- إحدى جرائد المعارضة تتحدث عن مصادر تؤكد تدبير أعمال إرهابية داخل سيناء لعزل الجيش عن الشعب، وأنباء عن تغييرات في وزارة الداخلية تشمل الوزير نفسه وبعض القيادات، لعدم انصياعهم لتعليمات الجماعة، وإعداد قائمة بمائتي شخصية بارزة معارضة، واعتقالهم في القريب العاجل، وتحويلهم لنيابة أمن الدولة، وخطة شيطانية لفتنة طائفية كبرى؛ الخطة مطابقة تمامًا للأحداث السابقة التي وقعت بعد ٢٥ يناير؛ حرق كنائس في كثير من المحافظات، وطرد الأقباط منها، وتطبيق الحدود عليهم.. ونهض مجاهد فجأة يستخرج نفسه من هذه الأحداث:

- الواحدة بعد منتصف الليل وورائي عمل، ولم أقرأ وردي، يلوم نفسه على السهر، فتلقته الزوجة بلسانها:

- قلّبت كل القنوات وشاهدت كُلَّ البرامج وفي الآخر تلومني؟ عادتك ولا هـ تشتريها! دائمًا تبرئ نفسك، وتلوم غيرك؟! فلم يعلق؛ وقام وخلَّفها قاعدة أمام التلفاز لا تستطيع منه فكاكًا؛ كأنما شُدت إليه بالحبال!!

* * *

الفصل الثامن

فـات الميعـاد فـات، وبقينـا بُعـاد، بعـاد؛ مطلـع أغنيـة لأُمُّ كلثـوم سَمِعَ مجاهد دندنتها السعيدة في نفسـه؛ إذ مَـالَ يفكر فـي تـأخر اتصـال م/أُمنيـة تخبـر عن موعد حضورهم، فابتسم مستحييًا من قيـام تلك الدَنْدنـة السعيدة فـي نفسـه!؛ وأخذ نفسه أخذًا، يعاود التفكير في شأن جماعة الإخوان؛ ففي مؤتمر صحفي - ورغم كل شيء - أعلن نائب رئيس الجمهورية:

- أن إجراء الاستفتاء في موعده، وأنه لو كانت نتيجـة الاستفتاء نعم، سيتم التعامل مع مواد الدستور بتعديل المواد بوثيقة مكتوبة حتى لا تتعطل المرحلة الانتقالية؛ وإذا كانت النتيجة هي رفض الدستور حينها لابد من التوافق على تشكيل الجمعية التأسيسية الجديدة، وأبدى استياءه من الهتاف برحيل الرئيس:
- بعض المطالب سمعتها، والهتافات تجاوزت المسموح، والقياس على رحيل الرئيس السابق؛ والمطالبة برحيل رئيس منتخب تَحدّ لإرادة ١٢ مليون مواطن.

فرفعت الجماهير الكارت الأحمر للرئيس أمام الاتحادية يوم الجمعة ٧ ديسمبر، وطافت مشرف شوارع مصر مسيرات حاشدة، وقالت القوى السياسية: لا حوار.. فات الميعاد؛ ردًا لدعوة نائب الرئيس الجميع للمشاركة في حوار حول المواد الخلافية في الدستور الجديد بعد

الاستفتاء؛ وكان خطاب مرسي مساء الخميس قد أشعل حماس الثوار في ميادين التحرير بالقاهرة، والمحافظات فشهدت أمس مليونية الكارت الأحمر، وردد المتظاهرون: الشعب يريد إسقاط النظام؛ تندد بالخطاب.. وفي الساحة المواجهة لمسجد القائد إبراهيم بالإسكندرية، عقب صلاة الجمعة، احتشد الآلاف من المواطنين من القوى السياسية والحركات الثورية للمشاركة في المليونية، وطالب المتظاهرون الرئيس بالرحيل، وتسليم السلطة لرئيس المحكمة الدستورية العليا حقنًا للدماء.. وألقى خطيب ميدان التحرير؛ عضو حركة أزهري خطبة الجمعة من على المنصة الرئيسية بالميدان قائلًا:

- جماعة الإخوان تم تأسيسها على يد "..البنا " لخدمة المصالح الإنجليزية مقابل خمسمائة جنيه، وخيانة الجماعة لكل تعهداتها مع الرؤساء السابقين ثابتة كما حدث قبل وبعد ثورة ٢٥يناير!.. وقال:
- الأخ اللي قاعد في قصر الاتحادية لم يعد رئيسًا للجمهورية؛ بل متحدثًا إعلاميًا باسم مكتب الإرشاد، يقول بياناتهم ويعبر عن رأيهم؛ بعد أن خرجت مليشيات الجماعة بأوامر من مرسي لقمع المتظاهرين، وتَلَبُّسُ الجماعة ثوْبَ الإسلام هو أشد خطرًا عليه من أعدائه، رأينا مشايخهم في مليونية الشرْعية والشريعة السبت الماضي يقولون: قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؛ وهو نفس اللفظ الذي استخدم في إحدى الغزوات ضد المشركين؛ فهل نحن مشركون؟! .. وانتقد أداء وزارة الداخلية قائلًا لها:

- اسْتحْيي؟، وهاجم بعض قيادات الجماعة، ونائب رئيس حزب الحرية والعدالة:
- الحمد لله الذي جعل للعريان من اسمه نصيبًا.. واختتم:
- الكذب دستورهم، والموت في سبيل الكرسي أسمى أمانيِّهم، زعموا أنني لا أنتمي للأزهر، وأنا أدعو مكتب الإرشاد كاملًا لمناظرة معي حول الشريعة، وكل ما يتعلق بمبادئ الإسلام.. وأمر المصلين بالدعاء لشفاء؛ الحسيني أبو ضيف الذي لقي رصاصة في رأسه حين تصويره ميلشيات الجماعة يوم الاتحادية، وهو الآن يرقد بين الحياة والموت ودعا في حُرْقة: اللهمَّ عليك بتجار الدين ؟؟.. وهتف المتظاهرون عقب الصلاة: ارحل، ارحل، يسقط، يسقط حكم المرشد؛ لا إعلان ولا دستور أنت يا مرسي عليك الدور..

وفي ذات اللحظة، في الجامع الأزهر احتشد الإخوان ومؤيدي الرئيس لصلاة الجنازة، وتشييع شهداء غزوة الاتحادية ممن سقط منهم في الاشتباكات، وأثناء الاستعداد للجِنازة ألقى المرشد العام للجماعة كلمة وبكى:

- لزوال الدنيا أهون على الله من قتل نَفْسٍ مؤمنة، ومن حرض على القتل مطرود من رحمة الله.. فناداه مجاهد وهو يتابع إعادة بث حديثه عبر البرنامج المسائي الشهير:

-ابكِ أو تباكىَ يا مرشد الإخوان العام؛ فقد حكمت على نفسك؛ فمن غيرك دعا وخيرت الشاطر هؤلاء للذهاب للاقتتال؟.. وفي شبه لوْثة هتف الأتباع: بالروح بالدم نفديك يا إسلام.. فعقب مجاهد لزوجته:

- ذهابهم إلى الاتحادية كان دفاعًا عن كرسي مرسي؛ جعلوا يومها يهتفون، مرسي أَحقُّ بالكرسي..

وبرر الرئيس عدم التراجع عن الدعوة للاستفتاء؛ أن إعلان ١٩ مارس ٢٠١١ نَصَّ على إجرائه خلال خمسة عشر يومًا من تسليم مشروع الدستور، وكان قصر الرئاسة قد شهد قبل الخطاب اجتماعين لبحث الأزمة؛ الأول عقده نائب الرئيس مع اثني عشر شيخًا من شيوخ القضاء وفقهاء القانون تَضَمَّنَ اتفاقًا على فتح حوار حول المواد الخلافية في الدستور، وإصدار إعلان دستوري جديد يشارك في كتابته رؤساء محاكم؛ النقض، الدستورية مجلس الدولة، وتأجيل الاستفتاء. والثاني عقده الرئيس مع نائبه بحضور وزير العدل لبحث الاقتراحات؛ وذكر الوزير، أن الرئيس تعهد له حال اتفاق القوى السياسية على تعديل أي جزئية في الإعلان الدستوري، أو تأجيل الاستفتاء فسيفعل ذلك، معتبرًا الخطاب الذي دعا فيه الرئيس كل القوى الحضور إلى القصر للحوار، مع رفضه التراجع عن الدعوة للاستفتاء على الدستور، تضمن قدرًا من الاستجابة، عملًا بقوله تعالى: "موتوا بغيظكم"! وقال الصحفي الأشهر إبراهيم عيسى:

- قال وزير العدل أنه سيتقدم باستقالته فورًا، حال فشل الحوار.. فناداه الصحفي عبر برنامجه:

- يا سيادة المستشار وزير العدل استقالتكم تأخرت كثيرًا؟ اعتبر الحوار مع محمد مرسي العيّاط؛ رئيس الجمهورية فاشلٌ، وأرحنا سعادة المستشار، وتقدم باستقالتك فورًا، وعلى مسئوليتي؟ إنَّ الرئيسَ لم يصدق في وعد، ولا أوْفى بعهدٍ منذ تولى منصبه حتى الآن، يا سيادة المستشار ماذا تقولون لأحفادكم؟ لشيبتكم حقًا عليكم؟ اقتربتم من الحاقَّة؛ فالموت علينا حقٌ، ما كنَّا نظن أن السلطة تفعل كذلك في الرجال الكبَّار؟ ما كنّا نصدق؟!. مكثتم دهرًا توهمونا أنكم تدافعون عن استقلال القضاء؛ فأصبحتم بمثابة المُحلل لرئيسك الفرعون الذي رفض التراجع عن الدعوة للاستفتاء على دستوره الإخواني، دستوره الغير الشرعي الذي ولد سفاحًا، رغم المعارضة الشعبية الكاسحة الخاسئة للعين؛ وقال:

- تلك جماعة؛ عمياء صماء خرقاء؛ سياسيًا طبعًا، كاذبة.. فناداه مجاهد مُبتهجًا وهو يتابع حديثه:

- فيك الكفاية يا فلان!.

ولمّا ذهب للبرنامج الآخر؛ يسمع الأخبار وجدها محزنة؛ منطقة قبر عُمير بشمال سيناء، شهدت أمس انقلاب مدرعة محملة بالجنود قالت وزارة الداخلية؛ أن المدرعة كانت تقوم بتأمين إحدى القوافل المتجهة إلى منفذ رفح،

وأثناء سيرها بسبب وعورة الطريق، أو قلة الكفاءة على الأصح، اختلت عجلة القيادة في يد قائد المدرعة؛ ما أسفر عن مصرع نقيب ومجند، وإصابة ملازم وخمسة مجندين..

الاستقالات تتوالى من ماسبيرو؛ رئيس قطاع القنوات المتخصصة تقدم باستقالته احتجاجًا على سياسة وزير الإعلام الإخواني لأخوته للتليفزيون:

- هناك انحيازًا للتَّيار الديني في التغطية، وهو ما يرفضه كمسئول عن العمل الإعلامي، وبدت عملية الأخونة من خلال الضيوف والكوادر التي يتم الدفع بها داخل المبنى، علاوة على الطلبات المتوالية بإحالة كل من هو ضد سياسة الوزير للتحقيق.. وفي بيانٍ أصدره عدد كبير من مذيعي ومذيعات التليفزيون للتنديد بـ أخونة الإعلام الرسمي في ظل وجود قيادة إخواني في منصب وزير الإعلام:

- التلفزيون المصري ملك لشعب مصر، ولن يكون أبدًا بوقًا لسدنة الحكم، ونرفض الضغوط التي تمارس علينا منذ شهور.

هاتف "أوباما" الرئيس محمد مرسي معربًا عن قلقه العميق لمقتل وإصابة المتظاهرين؛ وفي بيان البيت الأبيض أمس" أوباما" شدد في اتصاله بمرسي على ضرورة أن يوضح القادة السياسيون في مصر لأنصارهم أن العنف غير مقبول، أوباما رحب بدعوة د/ مرسي للحوار مع المعارضة لكنه أكد على ضرورة أن يتم هذا الحوار دون شروط مسبقة.. فقال الصحفي

قارئ الأخبار؛ ومقدم برنامج آخر النهار، يخاطب أوباما عبر شاشته على الهواء:

- وأنت مالك؟! بشروطٍ أو من غيرِ شروطٍ وأنت مالك؟! هذا شأننا؛ هل مسموحا لنا التدخل في خاصة أمريكا وشأنها الداخلي؟! وتوقف يبلع ريقه، ليواصل قراءة:

- نظم مئات الصحفيين وقفة احتجاجية، ومسيرة للمطالبة بإسقاط الرئيس محمد مرسي، ومحاكمته بتهمة قتل المتظاهرين سِلْمِيًا، والتضامن مع الزميل الحسيني أبو ضيف الذي يرقد حاليًا بمستشفى الزهراء الجامعي في حالة حرجة؛ د. قنديل رئيس مجلس الوزراء: أسعار بيع الغاز السائل" البوتاجاز " بـ ٨ جنيهات للأسطوانة سعة ٥، ١٢ كيلو جرام؛ تسليم مستودع التوزيع للمستهلكين داخل البطاقة التموينية مقابل ٣٠ جنيهًا لسعرها خارجها، فهلل مقدم البرنامج يتندر:

- أيها المصريون التعساء (أقصد السعداء) وضحك، دولة رئيس الوزراء حَلَّ لكم أزمة البتوجاز بمضاعفة سعرها وتوزيعها على البطاقات التموينية من المستودعات، وجأر:

- يا ناس، ارحموا من في الأرض؟.. ماذا تعملون في عَمّي/ إبراهيم أكثر مما هو فيه؟! الرجل مخنـوق، يمثل لسكان العشوائيات:

- أحذركم ثورة الجِياع، أحذركم من القادم؟ وتابع يقرأ:

- فضيلة الشيخ حسان يعتذر للقضاة، ويعرض نفسه للوساطة؛ قدم الداعية السلفي، فضيلة الشيخ فلان اعتذارًا إلى قضاة مصر عن أي خطأ صدر من أبناء التيار الإسلامي، وقال خلال مؤتمر نظمته جمعية سماحة الإسلام بمدينة الغردقة أمس الأول، أنه على استعداد للوساطة بشأن الإعلان الدستوري بين القضاة والرئاسة، ونفى انتمائه لأي حزب أو جماعة:

- انتمائي الوحيد للإسلام، وحذَّر:

- مصر ستغرق إذا استمرت الحِدَّة في الاختلاف، ولن تنجو من أزمتها إلا بتجرد كل أبنائها من القوى السياسية المتصارعة؟ وتصحيح الانتماء الحزبي لله ولمصر الوطن؟ وطالب بعدم محاسبة الإسلام بأخطاء المنتسبين له:

- كل من يتواجد على أرض مصر معصوم الدم، له حرمته، وكرامته، وفكره، ومن حق مصر أن تصون دماء أهلها، هذه الدماء دماء زكية وغالية، ولا يوجد سبب لتحليل سفكها.. فهلل الصحفي مقدم البرنامج:

- الله يفتح عليك يا شيخنا.. فنادى مجاهد الصحفي غاضبًا:

- شيخٌ لأمثالك يا محمود!.. وتابع لزوجه بخصوص الداعية:

- هذا يعتبر نفسه دعوةً وحده؛ كان له جدول معنا؛ في أنصار السنة، ولا يزال يخطب في مساجدها، فجعل له جدولًا منفردًا؛ وهو لا يعدو كونه

خطيبًا طلق اللسان، يؤجج مشاعر البسطاء بالأماني، ويركب الرائجة، هرول لسلطان الإخوان.. وقرأ مقدم البرنامج:

- وفاة عمّار الشريعي متأثرًا بأحزان الوطن الجنازة اليوم في " سمالوط " والعزاء بعد غد في القاهرة، نجوم الفكر، والفن، والثقافة استقبلوا رحيل عمار الشريعي بحزنٍ وألمٍ شديدين، الشاعر الكبير سيد حجاب:

- لم أستطع مغالبة دموعي، ولم أتمكن من التعليق على الخبر الحزين، بينما أسرع الحجّار إلى المستشفى، وظل يقرأ القرآن ترحمًا على الموسيقار الراحل الذي ربطته به علاقة تمتد نحوًا من ثلاثين سنة.. فهاتف الأبنودي يعلق للبرنامج:

- وفاة عمَّار الشريعي بالنسبة لي بمثابة سقوط سرح عظيم، وصديق غالٍ، وفنان لا يعوض؛ وحتى الآن لم أستوعب فكرة رحيله؛ فاستنكرت الزوجة:

- سبحان الله! ألا يعلم هؤلاء ٠٠" فإذا جاء أجلُهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون"، أكان يريد الله أن يستأذنه في قبض روحه ؟!.. فقال مجاهد يُحيّدُها:

- يقصد أنه لم يهتدِ للحكمة من رحيل صديقه لِيتركه وحده في فتنة عمياء، وكان يحتاجه ظهيرًا له يقويه. فسألته:

- وهل قراءة القرآن ينتفع بها الميّت؟

- هذا أمر مُخْتَلفٌ فيه؛ لكن الدعاء، والصدقة، وعلمٌ يُنْتَفَعُ به أمر ثابت.

- وأين العلم الذي يُنْتفعُ به هنا؟.. فضحك من قلبه؛ فسيضطر للجهر برأيه:

- أنا أحب سماع أمّ كلثوم؛ في.. فات الميعاد وبقينا بعاد؛ يخطر بقلبه لقاء م أمنية؛ ولأنه أوقع نفسه في محيط الشك أتبع يُعمي عليها؛ وأحب شادية في سيدي الحبايب يا ضنايا أنت، وعبد الحليم، وصباح، ونجاة الصغيرة، وشيرين في ما شربتش من نيلها، وأغنية حبيبي ساكن في السيدة وأنا ساكن في الحسين وعشان أنال كل الرضا؛ يوماتي أروح له مرتين.. وقهقه فجأة من سجية التفاني المبهجة هذه! فقالت تؤنبه:

- أنت هـ تقول لي؟! م أنت فاسق؛ فتحدث في صدق حالم:

- أنا يُسعدني كُلُّ حالة مُخْلصة؛ لَحنٍ الجميل، أو حالة حب؛ أو ما شابه؛ ولا أستوعب أبدًا أن جموعًا حاشدة؛ رجالًا ونساءً، قعدوا يطربون لحالة كأم كلثوم أنهم في النَّار بسبب طَرَبهم، صح أن رسول الله دخل بيت أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وعندها جاريتان تغنيان فلم ينههما، ولمَّا دخل أبو بكر فانتهرهما قال له: دَعْهما يا أبا بكر؟.. أتمنى أن أقع على كل ما قيل في الموسيقى والغناء فأدرسه، فأنا لا أطمئن إلى فتاوى الذين يتظاهرون اليوم بالورع لاجتذاب العامة؛ كانوا يقولون بحرمة التليفزيون فلما ظهروا فيه سكتوا عنه.. قالت:

- هم يتوجهون لأصحاب البيوت؛ كما يتوجه إليهم بالمسلسلات، والأفلام الهابطة.

- قلتِ؛ الأفلام والمسلسلات الهابطة؟ إذن ليس الفن الجيد حرامًا، هؤلاء يتوجهون لنساء البيوت لينظرنهنَّ.

- وأنت ألا تنظر؟ ذا أنت عينك تطبّ فيها رصاصة؟ فأقسم:

- والله؛ لا أشتهي السوء ولا يخطر لي ببال.. فصوبت أصبعيها السبابة والوسطى تجاه عينيه تهدد:

- لن ترجع إلا أن أخسأ هاتين ؟!.. فواصل حديثه عن الموسيقى والغناء:

- الأمر يحتاج تفصيلًا؛ فأرى أنهما من المباح، ما لم يشغلا عن فريضة، أو يوقعا في حرام؛ التحريم ينصبٌّ إذا ما انحرفا بالنفس لتهيئتها لمجونٍ أو حرام، وأزعم أنهما مندوبان إن صفا بالمشاعر.. ورجعا لشاعر العامية الذي يحكى للبرنامج:

- تلقيت اتصالًا تلفونيًا من عمار منذ ثلاثة أيام، ودار بيننا حديثٌ طويل، وسألته عن قرار علاجه على نفقة الدولة فرد:

- أظنهم قالوا هذا الكلام ذرًّا للرماد في العيون ولن يصنعوا شيئًا، واعْتَبره " طَقَّ حَنَكْ " وتطرقنا إلى الأوضاع التي تمر بها مصر فأكد لي مدى

فخـره بالشـباب، وتحـدثنا عـن الـذكريات الجميلـة التـي جمعتنـا كشـاعر وموسيقار، وأحسست به ينام؛ أنت تتثاءب؟ قال:

- تصبح على خير.

- رحـم الله عمـارًا، وألْهَمَ زوجـه وابنـه الصـبر والسـلوان؟.. وخـتم مقـدم البرنامج المداخلة مع محدثه.

- نفد بحر النغم؛ حاز الراحل العديد من الجوائز من دول أجنبيـة، وعربيـة، وجـائزة الدولـة للتفوق فـي الفنـون مـن المجلـس الأعلـى للثقافـة، وشـارك عَمّـارُ فـي أحـداث ثـورة ينـاير، وكـان حريصًـا علـى التواجـد فـي ميـدان التحرير برغم متاعب قلبه التي زادت في الأيام الأخيرة، يبدو أن قلبـه لـم يحتمل ممارسات الإخوان فلقي ربه بالأمس، آخر ما قاله قبل الوفاة:

- عليه العوض فيكي يا مصر؟؟

- ماشي الحال، يا خال فيه بيننا لقاء قُريب؛ نجلس فيـه إلـى الخـال ننصـت لشعره الجميل؛ نحن في مأزق.

- إن كان في العمر بقية؛ الشاعر.

- لا؛ ربنا يعطيك طول العمر يا خال ؟!..

كان المرابطون في ميدان التحرير قد وصفوا خطاب الرئيس بالانتحار السياسي لتجاهله وقائع اعتداء ميليشيات الإخوان على المتظاهرين السلميين أمام بوابة قصره، وتجاهله مطالب الغاضبين؛ لمّا انتهى الخطاب هتف المتظاهرون: يسقط، يسقط حكم المرشد.. وُجُوهُ الطبخ الإخواني سلقوا دستور الغرياني.. وأصروا على استكمال الاعتصام حتى تنفيذ المطالب.. وأعلنت جبهة الإنقاذ رفض الحوار الذي اقترحه د/ محمد مرسي٠٠دعوة لا معنى لها، حواره المقترح سيعقد في ذات اليوم الذي يُصوّت فيه المصريون في الخارج.. فتحدث مجاهد إلى زوجته:

- هؤلاء لا يعتبرون بما حدث لـ مبارك؛ وزير العدل ذو الهوى الإخواني أبلغ مرسي صراحةً، أنه ليس لديه قضاة يشرفون على الاستفتاء؛ محتاجون إلى ثلاثة عشر ألف قاضٍ، وليس لديه سوى ألفين، أعتقد أنَّها نهاية الإخوان.

امتلأ نادي القضاة بالقضاة فور إذاعة الخطاب الذي استفز، حتى من كان قد أعلن المشاركة في الإشراف على الاستفتاء؛ وقال وكيل نادي القضاة:

- غرفة عمليات النادي مازالت تتابع موقف قضاة الأقاليم، اتصالات هاتفية كثيرة نتلقاها من قضاة يؤكدون تراجعهم عن المشاركة، ويعتقد أن النسبة الإجمالية للقضاة المشاركين في مراقبة الاستفتاء لن تتجاوز ١٠٪

فسألته الزوجة:

- وهل سننزل لنقول لا أم نُقاطع؟

- والله لا أدري، ننتظر ما تنتهي إليه جبهة الإنقاذ.. قالت:

- جبهة الإنقاذ هذه لا تصلح لشيء؛ لا يفلحون إلا في الرفض وعقد المؤتمرات.. فردَّها في حدة:

- انتبهي؟ أنت ترددين ما يروجه الإخوان؟ هم يُبَرّرُون فشلهم بتوجيه اللوم لجبهة الإنقاذ، والجبهة ليست في سدة الحكم؛ الإخوان بأيديهم السلطة، ويفشلون في إدارة شئون البلاد، ويُرَوّجون أن الكل في الخيبة سواء؛ ليرضَ الناس بالأمر الواقع.. وقال:

- اسمعي؟..

جعلت تتحدث بفشل الكل، وأنها حيرانة، ولم تعد تعرف شيئًا، وعن إحساسٍ بالإحباط، وفقدان الأمل؛ جرحى، وبكاء للثكلى، وخطفٌ، وسرقة، وقتل، وشهداء، وجنازات، تشعر أن أيام السواد زمن الإخوان قابلة للازدياد.. قال اسمعي:

- هذه رسالة وجيزة؛ أبيات من شعر العامية لأحد الشعراء، وقعت عليها بإحدى جرائد المعارضة، وأنا أعسس للأحداث، آزرت قناعتي؛ أن هذا الشعب يصبر للنهاية كي لا يكون هناك عذْرٌ؛ كانت الرسالة بعنوان: قُصْرُ الكلام؛

لو كنت بيأس؛ مكنتش عشت لنهايتك ولا كنت رغم الهموم؛

أقدر أكون ساخر

وبإيدك بتكتب في آخر فصل فِـ حكايتك وأنا الحكاية؛ إللي

مالهاش فِـِ الحياة آخر

ففاضت بالدمع عينيه؛ إذ وجد مِثْله؛ يبشر بنهاية الذين تأكدت له حقيقتهم حين قعدوا للحكم.

* * *

ولمّا تأخر اتصال مدام أمنية يوم مجيئهم لتسليم الأشياء لدار الأيتام، وأنهم يخرجون للسفر عَقَبَ صلاة الفجر، إذ الطريق حينئذٍ رائق من القلاقل والمظاهرات، فتأخر اتصالها إلى قرب الظهر، والمسافة يقطعها المسافر المُقِل في أقل من ذلك؟ فاتصل ليطمئن؛ فقالت:

- عملتها السيارة؛ حدث لها عطل عند "سندوب".. قال:

- أين؟ قالت:

- عند بنزيمة قَابِل، جنب معسكر الأمن المركزي، فتركت الزوج جنبها؛ وركبت تاكسي، أنا الآن موجودة بشقة الوالدة؛ فخطر لقلبه؛ مساكين معاشِرُ الرّجال؛ النساء ما عليهنَّ إلا أن يجلسن كأميرات؛ ويشقى الرجال**!**.. قال:

- أحْزَنِّي ذلك؛ سأذهب بسيارتي إلى الزوج لأعاونه، فأين هو الآن؟.. قالت:

- تركته يتصل بزملائه بورشة الصيانة التابعة للجيش، ليرسلوا له من يقوم بسحبها إلى ورشة الصيانة.

- وأين الورشة؟

- في جديلة، بمجرد قدومه سيتصل بك؛ يُحدد متى نتقابل بشقتنا بمدينة السلام.. وقالت:

- الشقة بأول شارع " ١٠ " الدور الثالث، ثاني عمارة وأنت قادم من شارع عبد السلام عارف من ناحية الإستاد.

- هو أول شارع متفرع من شارع عبد السلام عارف؛ أنا مازلت أعرف الشقة، البلكونة لها مِظَلةٌ.. فصححت له:

- لا، المِظلَّة في العمارة الأولى التي بالواجهة، نحن العمارة التي خلفها، اتصل عندما تقترب، وصف لي السيارة، لنخرج للبلكونة فنراك وأنت قادم؟

- السيارة فيُورا ٢٧ زيتوني، سيارة طيبة! تتحمل أخطائي في القيادة، لم أُغيْرها منذ أن أشار عَليَّ الزوج بها.. فاتصلت على الموبايل حين الصلاة، فردت الزميلة الرسول، وكان لا يأخذ الموبايل معه إلى المسجد حتى لا يشْغَلهُ؛ ويأمر كُلَّ أحدٍ أن يرد عليه؛ ويخبر حَيِيًّا:

- ظاهري كباطني؛ ليست لدي أسرارٌ.. وعاد فأخبرته الزميلة دَهِشةً، وكانت لا تعلم أن العلاقة لم تزل مستمرة:

- مدام أُمنية اتصلت، فقلت لها أنك بالمسجد، فقالت سأعاود الاتصال؛ فبادر هو به، وحاول السكينة، ووقف إلى شباك الحجرة آخذًا ناظريه للخارج؛ وأخبر:

- الجماعة هنا جميعًا يسلمون عليكِ؛ مدام فلانة، ومدام فلانة، ومدام فلانة؛ يحصى المتزوجات، والأستاذة فلانة، ولم يرد أن يؤذي الأخيرة بوصفها آنسة وكانت على أبواب الخمسين؛ ولم تتزوج بعد، والأستاذ فلان، والأستاذ فلان؛ فاستوقفته:

- منْ فلانة ؟؟.. وحذفت عنها لفظة الأستاذة، فاستمر مؤكدًا يبتسم:

- الأستاذة فلانة؛ وذكر الاسم كاملًا، تَذْكُرِينَها؛ أحسن من في الإدارة سمْتًا ودقة في العمل؛ وَثَبُتَ يثني على الزميلة فأجابت باقتضاب:

- لا أذكر، ولكن سَلِمْ على الجميع؟ سنكون أنا والزوج في شقتنا بمدينة السلام بعد نصف ساعة، ننتظرك هناك.. فأخبر:

- سآتي بالسيارة التي تحمل الأشياء إلى دار الأيتام، ونكون عندكم في الواحدة.. فعادت مَرِحةً:

- عندما تقترب، اتصل على الموبايل، لنخرج إلى البلكونة فنراك؟..
فحَضَرَ مدينة السلام؛ فتحدّثَ إليها خاشعًا:

- أنا الآن – تقريبًا - جنْبِكم، سَلِمِي على الزوج؟ أَسفُ لعدم اتصالي به؛ ليس معي رقم موبايله؛ ونزل الشارع هُوَينًا من شِدة الشوق، وأنَّه مُراقبٌ، ولم يقْدِرْ من الحياء أن يبحث عنها في علٍ..

ركن سيارته خلف العمارة، وعاد إلى السيارة نصف النقل؛ واشتغل يعاون السائق ويشير له، حتى أوقفاها حَذْوَ الرصيف تلقاء الباب مباشرة، وترك الشارع يَمُرُ، وصعد السلم؛ وكان من التوتر؛ لا تكاد تحمله قدماه، وكان قد شدد على السائق ألا يقبل منهم نقودًا أبدًا، وأن يخبر أنَّه ما جاء إلا راغبًا في الخير؛ وسيتولى هو إعطاءه؛ ولن يُقصِّرَ معه؛ وكانت السيارة قد جاءت محملة ببضاعة، أرسلها زوج إحدى بنات أخته يجلس معه بالمسجد يوم الجمعة يتعلم القرآن، يعمل بمحل للأدوات الصحية، فحضرت السيارة محملة ببضاعة.

راقب السُّلَمِ بعين الفَحْص فرآه؛ ليس بالضَّيق فينبئ عن فقر، ولا بالفسيح جدًا فينبئ عن رَفَاهَةٍ، فهو وإن كان إلى التواضع أقرب، إلا أنه أَمْتَنُ من سُلَمِ بيته وأفسح؛ وكان قد حرص على أن يَلْبَسَ أحسن ما عنده " بذْلَةً جديدة " لم يلبسها إلا مرة أو مرتين،ُقماشُها غالٍ، جلبتها له أم الزوجة من السعودية أثناء العمرة، وجلبت مثلها لابنها الطبيب، فحالفه الحظ في تفصيلها، أكثر مما حالف الطبيب؛ محبوكة في غير ضيق؛

مريحةً في غير هطل، إذا لَبِسها لم يشغله - كل الوقت - إعادة ضبطها عليه باختصار " بَدلةٌ راضيةٌ "، وافقها - للحظ أيضًا - بروفل غالٍ أعجبه فاقتناه؛ ولم يأبه لسعره المرتفع جدًا بالنسبة لسعر بروفل؛ له ياقة، وبه خط رصاصي بلون" البدلة " فلبسه تحتها فازدانت به وازدان بها، ولبس نعلا راقيًا مريحًا، رصاصي كذلك؛ في عبارة واحدة، بدا ذو ذوق عالٍ في غير كُلْفةٍ أو فخر؛ فعاونه اللباس على اكتساب شيئًا من الرصانة والثقة؛ وكان مذهبه قني القليل الغالي خيرٌ من الكثير الرديء البَخْسِ؛ كان شديد الحساسية، والموقف صَعْبٌ جدًا؛ فصعد السلم في رفقٍ يجاهد للسكينة، راقب الطوابق، فوجد بكل طابق بابين يفتحان على السلم، فقدّر أن الطابق سعة شقتين، يعني؛ عمارة ليست بالفاحش؛ بل متوسطة الرفاهة.

رقى يحصى الطوابق: الأرضي، فالأول علوي، فالثاني علوي، فالثالث، فقام قلبه يدق دقًا شديدًا، فمكث هنيهةً.. كانت الأبواب تحمل أسماءً، وبعضها لا تحمل، فـ قرأ الاسم؛ دقَّ الجرس برفقٍ؛ فسمعه لا يعمل، فدقَّ الباب، فلمَّا لم يُفْتح؛ جمع قبضته وطرق على فترة طرقًا أشدّ، ففتح الباب فجأة، وبرز شَخْصٌ استدعاه للدخول؛ فنظر من طرفٍ خفي فأبصر مدام أُمْنيَةً تقف قيد خطوات وراءه؛ فَعلمه الزوج، وكان حتى هذه اللحظة لم يره إلا مرة في غير فحص؛ فانقلب باشًا؛ ومال بصفحة وجهه يمس خده بخده على الجانبين؛ وسَلَّمَ، فانصرف الزوج، فغضَّ بصره، وقال يخاطبها:

- السلام عليكم؛ كيف الحال يا حاجة؟

- وعليكم السلام؛ إزيك يا أستاذ مُجاهد؟! وسألت مُبتهجة؛ أيه يا عم؟!! وأتبعت في اهتمامٍ تسأل:

- أَوَقفت كثيرًا؟؟.. فابتسم:

- ضربت الجرس فعلمته عَطْلانًا، فطرقت الباب؛ ولم يحصِ الطرق للحرج، قالت:

- آسفون !.. كان لا يزال ساكنًا خلف الباب، فطلبه الزوج، وعاد فاقتاده لأشياء مجموعة في الصالة، وأشار إلى حقيبة جديدة عرض لها:

- أولاً، هذه الحقيبة خاصة بسعادتك، بها بعض أشياء، وبدلة كانت تصلح لي عندما كنت في مثل عودك، فبُوغت؛ ألجمته المفاجأة؛ وكان لا يخال أن يعْرضَ لشيء كهذا أبدًا! لم يشأ أن يحرجه؛ فقد تحدَّث في فائض مودة، وتَقَدّمَ إليه بشيء عزيزٍ؛ فندا فاه بابتسامة خليطها الأسى والإشفاق معًا؛ وتركه يواصل، ولم يُعلن اعتراضًا.

- وهذه خاصة دار الأيتام.. منضدة فبْرٍ، رأس ماكينة خياطة بالقاعدة والماتور؛ فهللت أمنية:

- كنتُ أخِيط عليها بنفسي؛ وهي نافعة للبيت؛ فبُغِتَ ثانية فقال في نفسه:

- لأي بيتٍ تَعْني؟ لأهل بيتي؟؟.. فتغافل عرضها فسكتت؛ وتابع الزوج:

- وهذه حقيبة بها أواني مطبخ، وأشار إلى كرسي بائس ركيكِ الصناعة، وهذا كرسي صغير للمطبخ صناعة يدوية خشب متين، وهذه منضدة صغيرة بزجاجها، وهذه لِوَحٌ عليها آيات قرآنية.. وتوقَّف:

- وربما لم أحصِ شيئًا فأذكره.. ومضى به إلى حجرة داخلية؛ علمها النّوم؛ فالسقف مُعَلْقٌ به طبق من الأطباق التي تعلق - عادةً - للزينة في تلك الحُجرات، ووجد على الأرض مرتبة مبسوطةً فوقها مِخَدَّة طويلة لشخصين؛ فعلم أنها كانت مخْدَع الزوجية، ومِخْدعُهما الحال إذا ارتحلا إلى هنا فباتا في شأن، فاستشعر حرجًا شديدًا للمِضجع المَهين المطروح أرضًا، جنب الباب جنب الجدار الأول للحجرة رأى السجادتين مطويتين جاهزتين للحمل؛ فأشار الزوج إليهما:

- السجادتان؛ الكبيرة والصغيرة، وهذا الطبق، وأشار إلى السقف ونظر، يحتاج لإصلاح وبعض لمبات، لكنّا نحتاج لمن يقوم بإنزاله؛ ويجب فصل الكهرباء عنه، ونحتاج لمقصٍ عازل، وحقيبة العدة تركتها بالسيارة. فتدخلت نشيطة مدام أمنية:

- أعرف كيف أفصل التيار عن هذا الجزء، وهرعتً للمهمة!

تجنب النظر إليها وهو يتمنى؛ وجعل بصره على الزوج يحفى به؛ شاهده كيف هو، وقاس ما بقي له من كفاءة؛ فأسفل العينين جيوبًا تنبئ عن

عِلّة، وتراجع شعر الرأس عن الناصية، إلا النذرٌ، وتبدى قعرها، فخطر لقلبه: أدركه الَكِبرَ، غير أنَّه لحظ لا أثر لخَطّ الشَّيب عنده! وتذكر مدام أمنية مذ كانت فيهم، كانت تعيب كل سائر مهرولًا، أو مَحْنيّ أو مبعثرًا، وتحكي أن الزوج عَلَمها كيف ينبغي للشخص أن يسير نَصيبَ القامة، غير مهرول، وتعتد لبدنه فتقبض قبضتها جميعًا دون إصبع السبابة؛ فتمُده نحو السماء، وتصفه: ألف؛ كان يراقب حركته في هدوء مُسْتَعْلمٌ متى يخْلفه زوجًا عليها في غير ضغينة؟! هِيَ في رياشٍ عَنيّ؛ ليس بالمفرط شبابًا ولا بالعتيد، بنفسج فاتح، لا يتبَدَّى منها غير الوجه والكفَّين؛ في عبارة وجيزة: في لباسٍ سعيد ذي وقار، لمحها أقل سِمْنةً عما كانت تبدو عليه حين كانت معهم، ففرح إذ علمها تعني بنفسها عناية، وأنها تأمل له كما يأمل لها؟ أو هكذا قَدَّرَ لنفسه.

تناول " الطقطوقة "بيدٍ واحدة فمالت، ولم يفطن للزجاج عليها، فنبهه الزوج؛ فضغط أصابعه على الزجاج فحفظه، وهبط السلم نشيطًا بحمولته المزدوجة؛ المنضدة الصغيرة عليها زجاجها في يد، وكرسي المطبخ العمولة وثقله الغير متوقع بالأخرى فتجلد له، وخطا واثقًا كجوادٍ أصيل، فلا يزال شابًا؛ وكذلك عنِيَ برسالته..

- وحضر السائق فضم السجادتين لبعضهما، وكان جسيمًا وحملهما معًا دون مشقة، ونزلا، وصعدا؛ يحمل هو الحمل الخفيف؛ ويترك للسائق الأشياء الثقيلة حتى فنيت الأشياء، ولم يتبق إلا الطبق المعلق بالسقف؛ فوقف حائرًا يفكر كيف يُطال؛ وقد يكون التيار

الكهربائي لم يزل بـه مُتصلًا؛ رغم ما أخبرت بـه مدام أمْنيـة؛ فهـي ليست خبيرة في الشأن؛ وفجأة تقدم السائق غير هيَّاب؛ كفاه فقط أن يطأ فوق الفراش فيَطوله، فأنْكَرَ عليه في حدة:

- - انتظر؟.. وطوي المرتبة على الوسادة، فنحّاهما في رقة بالغة، ولم يدع السائق يطأ فوق الفراش فيهينه، واللطيف جدًا أنه في إحدى الجولات التي صعد فيها، ونزل، ونتيجة للحركة النشيطة، وكثرة الانحناء والاعتدال، خرجت ياقة "البروفل" من ناحية، فاستقبله الزوج في سماحة، فأعادها إلى موضعها تحت البذلة؛ فأعاده للزينة، فرق قلبُهُ له جدًا؛ واستشعر صفاءً ومحبة خالصة؛ ووجده يدعو له ولـ مدام أمنية بالسعادة، أدْهشَتْهُ تلك المشاعر! فبحث في سرّ الحبّ؛ أكيد يستشعر حقيقة العلاقة - ولو بشكلٍ ما - ميله لزوجه، وميلها له، وكانت منه هذه المحبة؟! أيكون الداعي للحب صفاءُ النُّفوس من الغل؟ أم الإحساس بالجمال؟ أم التعاطف وميل الجنس؟؟ ربما الحب صنيع ذلك كله ؟! قال لنفسه..

- في مروره بالصالة، مرَّ بمقعدين في طريقه ليس من المفروض التَّصدّي لهما، فسأله:

- - أيحملهما مع الأشياء؟

- - لا، أجاب الزوج وانحنى على أحدهما يسرع به إلى الحجرة التي إلى الشرفة، وسعى مُفَرّجًا بين ساقيه أكثر من المعتاد غِبَّ السقوط، فبدا في سعيه المكروب كإنسان الآلة، وأسرع يضعه عنه، رغم كون الكرسي نصف متر مكعب من الحشو المدعم بالخشب، فأبصره واهن العظم جدًّا!! وفي خفة فراشة التقطت م/أمنية المقعد الثاني، أو هكذا بدت في عينه، وانطلقت في استقامة قَدٍّ تسعى خلف الزوج !..

- فاجأه انتهاء المهمة سريعًا، فدهمته الحسرة؛ ينبغي له الآن أن يفارق، ولم ينعم بجلوسٍ، أو حديث؟ ولأنه لم يَنْتَبه حين طاف به الزوج على أشياء الصدقة، نظر يتأكد ألا يكون قد نسي شيئًا، فأبصر في فراغ الحجرة ذاتها المطلة على البلكونة التي دخلاها الزوجان، أبصر كرسيّين منفردين في حالة جيدة من النوع الذي يطوى ويبسط حسبما الحاجة، عوارضه خشب زّان، فسأل الزوج قبل التصدي لهما.. فأعلمه مسرعًا:

- - لا، هذان مُحْتفظٌ بهما !!.. فاستشعر حرجًا شديدًا للمرة الثانية؛ ومدَّ الزوج إليه يده بطيّة نقودٍ وحدثه في رفق:

- هذه، حاسب منها السائق.

- يعني والباقي لي ؟! سأل في نفسه، فأسرع معتذرًا:

- السائق مرسل تطوعًا من قبل أخ يعمل في محل للأدوات الصحية، وهو في طريقه في إحدى ارسالاته، فمر بنا؛ وتعزّز جدًا، ووجه له الدعوة للغداء؛ فأخبر أن عديله ينتظرهما عليه، ولا بد من ذهابه مراعاةً للخاطر؛ فاكتفى بالعرض، وأسرع في قبول العذر؛ فماذا لو دخل على الزوجة دون استعداد سابق أو تمهيد؛ فقد تخذله بإظهار النُّشوز؛ وعدم الحفاوة؛ فالنساء تُجنّهن الغيرة، فيقع في أشدّ الحرج؟ فَقال يُعَمَّىَ عليه عدم اشتداده في الطلب:

- إذًا تبقى لنا زيارة قريبة أدعو لها من الآن.

- إن شاء الله؛ هذه المرة نحن في عُجالة، ننوي السفر بعد صلاة الفجر؛ تركنا البنت في البيت؛ ونخشى أن ندعها وحدها أكثر من ذلك في ظل هذه القلاقل.. فقال يبشره:

- سيريحنا الله من مرسي وجماعته قريبًا.

- ربنا يهدي؛ فوجئ برأيه في إمْهال تلك الجماعة مع كل ما فعلوه؟ فزهده فجأة؛ إلا أنه حرص ألا يظهر شقاقه..

قبل تسليمه الأشياء حدثته نفسه أن يرى ما في الحقيبة التي قيل أنها له؛ كانت جديدة، وأنيقة ففتحها؛ صدمته "البذْلة" بخطوطها العريضة!! بِذْلة شاع لِبْسها عصر عماد حمدي فكرهها كرهًا كراهيته أن يُجَعلَ هذا الممثل الطاعن في السن – زمانه - فتى الشاشة؛ وتأكد له أن لِبْسَ فضلة غيره؛ ووضعه فوق

بدنه أمرًا مستحيلاً.. كانت البذلة محفوظة في أكمّة من مُشَمّعٍ أبيض حائل اللون، ووجد معها زمزميه تسد ظمأ مسافر من الماء في سفرة ليست طويلة؛ والمؤذي أنه بمجرد بدو البذلة للسائق المخصص لدار الأيتام؛ رجل كبير كان مُتفقًا أن يذهب بميكروباص الدار لاستلام الأشياء لولا تعارض وقته مع وقت الذهاب للإتيان بأيتام يدرسون خارج الدار، وخشية تأخر رجوعه؛ فتسأله الزوجة: أين كنت ؟، أسرع باستدعاء السيارة نصف النقل من السوق؛ بمجرد بدو البذلة للسائق ومشاهدته يعيدها للحقيبة غير مسرور؛ بادره بتقييمه:

- بذلة مستعملة، فَفَهِمَ أنه يريده منحها له.. قال:
- أريد تسليمها، وجميع هذه الأشياء، وأخذ إيصالًا مُفصلًا مختومًا أني سلمتها للدار، فلست إلا نائبًا عن أصحابها، وأريد أن أنأى بنفسي عن الريب.. فاستمر السائق يحقق لطلبه:
- الأشياء الجديدة – فقط - هي التي يُعطى لها إيصال لأنها تُدْخَلُ المخازن، أما المستعملة كالبذلة فلا يعطى لها شيء، ويجرى معاملتها على أنها أشياء مستهلكة، وفرغ من إنزال الأشياء؛ وحَملها جميعًا داخل دار الأيتام، ورجع إلى السائق ليعزم عليه بالنقود فيكون مُوَفّيًا بعهده، وكان زوج ابنة أخته، لمَّا طلب إسعافه بسيارة قد أفاد:
- أرسلت إلى حضرتك سيارة نصف نقل لونها كذا، تحمل أغراضًا، تقوم بتوصيلها، تمر في طريقها بدار الأيتام؛ ففهم أن السائق أُرسل خدمةً؛ فهو في طريقة، لم يخرج خصّيصًا لهذه المهمة، إلا أنه أبى إلا أن يعزم عليه بالنقود؛ فناوله خمسين جنيهًا هي كل ما في جيبه، وانتظره أن يرجع إليه

منها شيئًا، إلا أن السائق أبدى احترامًا شديدًا له وهمَّ بالانصراف! فَقدّر؛ أنه لو كان مستأجرًا سيارة من بابها باتفاق، فجاءت لنقل تلك الأشياء البسيطة، ما أعطاها أكثر من نصف هذا المبلغ؛ فخاطبه محاولًا كبح غضبه:

- أليس هذا مُبالغًا فيه كأجرة نقل أشياء قليلة كانت في طريقك؟.. فبادر بدفاعه فورًا:
- بل أخذت منّي وقتًا طويلًا، وتأخرت على أصحاب هذه البضاعة، وربما تسببت لهم في خسارة كبيرة، كما أني من قمت بإنزال هذه الأشياء من الدور الرابع، وليس هذا من اختصاص الناقل، ويقتضي حسابًا آخرًا؛ تكلم السائق باندفاع صاحب حقّ أعد نفسه لتلك اللحظة كثيرًا؛ فمقته من فوره؛ وأشار له بالانصراف..

والهموم تتواطأ؛ لقد جرى الوقت؛ وفات مِيعادُ نومه.. واستقبلته الزوجة تحقق:

- أين كنت ؟؟.. فتحدث حزينًا:
- اتصلت مدام أُمنية، السيارة تعطلت بهم جنب معسكر الأمن المركزي؛ عند سندوب.. فهبت ثائرة:
- وأيضًا؛ ذهبت إليهم بالسيارة وحَمَلْتَ الأشياء بنفسك؟؟

- لا، كان معي سيارة نصف نقل، والسائق هو من قام بتنزيل الأشياء، ولم أكن إلا مُرْشِدًا له إلى دار الأيتام.

- أتكذب عليّ؟ أم على نفسك؟ أم على الذي خلقك؟ أنت حر في نفسك، أنت لم تعد تجدِي معك النصيحة. فتابع في خضوعه:

- جاءوا من القاهرة لأجل هذا الشأن، وطلبوني فاستحييت، ولم أستطيع إلا الذهاب.. وبعد هنيهة عنَّ له أن يخبر بهمّه الآخر:

- دعوتهم للغداء فاعتذروا.. فزأرت كلبؤة تدفع عن عرينها:

- أتريد أن تُحرجني؟؟ ألا تعرف كيف تتصرف؟؟ تدعو أناسًا للغداء من غير أن تخبرني، وقبل أن أستعد؟؟

- الرجل اعتذر لأنه نازل عند عديله؛ ويسافرون غدًا بعد صلاة الفجر لأنهم تركوا فلانة؛ وسمى لها ابنتهم الصغرى، وحدها في البيت؛ فاستحييت فقلت: لنا زيارة أدعوكم لها من الآن، قال: إن شاء الله؛ وفرغ من همّه دفعة واحدة.. فقالت تتَنَدَّر:

- أَاا؟ ذا هناك مرات قادمة؟! هذا الموضوع لن ينتهي؛ ذا فيه إصرار؟! فأقسم:

- والله ما دعوتهم إلا حياءً؛ فأنا أحب إكرام الناس.

- لا؛ ليس كل الناس تحب أن تكرم؛ أنت تكرم من على هواك.. فابتسم راضيًا أن غضبها لم يتجاوز هذا الحد، وكانا من بعد زواجهما يسيران في الحياة كقطارين متعاكسين ما انفكا يصطدمان؛ بيد أنّهما بعد ٢٥ ينـاير، أصبح هَمّهما الأكبر مصر؛ وغضبهما على الإخوان لسعيهم في تكبيل البلاد، تحقيقًا لمآربهم؛ وأنهم لن يتركوا هذه الفرصة أبدًا، فبات هذا الهمُّ يوحد بينهما؛ ويشحذ هِمَّتَهما.. وتحدث لها نقضًت لغزل هؤلاء:

- أن إدارة الدولة شأن دنيوي، يجب أن يكون لمن يحقق للناس طعامهم، وأمنهم، لا علاقة له بالوعظ والمنابر، وأن هؤلاء يستثمرون دعوة المساجد لاجتذاب الناس لتأييدهم؛ تَذَرُّعًا للشأن العام.. وقال:

- ذكّرَ الله أهل مكة عظيم نعمته عليهم فيما فعل بالحبشة فقال تعالى " ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل" السورة؛ وأردف٠٠" لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف"..أي فعلنا ذلك بأصحاب الفيل نِعْمَةً منَّا على قريش، وذلك أنها كانت تخرج في تجارتها فلا يُغار عليها، ولا تُقْرب في الجاهلية يقولون: هم أهلُ بيتِ الله؛ حتى جاء صاحب الفيل ليهدم الكعبة، ويأخذ حجارتها فيبني به بيتًا في اليمن يحُج الناسُ إليه فأهلكهم.. فذكَّرهم نعمته فقال "لإيلاف قريش" أي

ليألفوا الخروج، ولا يُجْتَرأ عليهم " فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوعٍ وآمنهم من خوف "، قال:

- فرغد العيش والأمن من الخوف، أكبر النعم الدنيوية المحتاجة لتيسير العبادة؛ فكأنه يقول: أعجبوا لإيلاف قريش، ونعمتي عليهم، ثم أرشدهم إلى شكر هذه النعمة فقال " فليعبدوا ربّ هذا البيت " فمعرفة الله وطاعته لا يستطيعها إلا مَنْ أمِنَ مِنْ الجوع والخوف، ويُحْتاجُ ذلك للكفاءة.. فسألته:

- فلِمَ يكثروا من ذكرهم أن الشأن ديني وشريعة؟!

- فتابع لذات السياق يؤكد، بل أصرح منه، قول الصحابة لأبي بكر لما ولي أمر المسلمين بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يا خليفة رسول الله، ألا تستعمل أهل بدر؟ قال: إني أرى مكانهم، ولكني أكره أن أدنسهم بالدنيا.. وكلما أزمع على الاستقالة قائلًا: أقيلوني أيها الناس فيجيبونه: والله لا نقيلك، ولا تستقيل؛ رضيك رسول الله لأمر ديننا - وهي الصلاة بالمسلمين - ولا نرضاك لأمر دنيانا؟. وقوله - صلى الله عليه وسلم - لصحابته يومًا " أنتم أعلم بشئون دنياكم".. فسألته عن المقاطعة؟ أو الذهاب للاستفتاء على الدستور؛ وقول لا ؟.. أجاب:

- والله لا أدري؟ أنقاطع كي لا نكون إطارًا لشرعية مزيفة؛ أم نذهب لنفضحهم ؟... فذهب بهن جميعًا؛ ذهب بأمَّه، وأمها، وأخواته البنات، وبنات الأخوات؛ وحرض أزواجهن على الذهاب والقول بـ " لا " وشاهد نفير الإخوان، وحشدهم لأتباعهم داخل سياراتهم الخاصة، والميكروباصات، وسمع عناصرهم تدندن في الصف للقول بنعم؛ لأجل الاستقرار والشريعة، وأن مصر تعبت من المليونيات، وسعي العلمانيين، والممثلين، والممثلات، أمثال العارية إلهام شاهين، ومخرج الإباحية؛ خالد يوسف للقول بـ لا؛ كان العُنْصُرُ الإخواني يتكلم في الصف الواقف فيه انتظارًا لدخول اللجنة، فنظر إليه حين شرع في تدليسه، وقال وهو يعلم أنه يسمعه:

- لا حياء.

وذكرت له أُمُّ الزوجة حين خروجهما من اللجنة:

- شاهدت فلانة، وفلانة؛ من نساء الإخوان، قاعدات في اللجنة، وضحكت؛ تعني أن النتيجة معروفة سلفًا، ولم يكن هناك جدوى من حضورهم وقولة؛ لا.. فازداد غيظًا من السلوك السَّمِج لتلك الجماعة!..

ولمّا دعت جبهة الإنقاذ إلى مليونية؛ احتجاجًا على تزوير الجولة الأولى للاستفتاء على الدستور، لم تبدِ جماعة الإخوان اهتمامًا كبيرًا بالمليونية، ووصفت الدعوة بالإفلاس السياسي.. فكانت أهم عناوين صحف الثامن عشر من ديسمبر ٢٠١٢ كلاعب وسط مجيد: مصر ضد التزوير.. وكلاء النائب العام: لن نعمل تحت رئاسته.. الدستورية ترد الصفعة للرئاسة بالإنجليزية.. حبس عبد الله بدر سنة وتغريمه في قضية إلهام شاهين؛ " بدر" لـ " إلهام شاهين " بعد الحكم بحبسه: مازلت أسأل: كم واحد اعتلاكِ باسم الفن ؟.. صحف عالمية لـ " مرسي " رصيدكم أوشك على النفاد.. هالة أمين، وأحمد علاء الدين، مروة سلامة تكتب: اهتمت الصحف العالمية ووسائل الإعلام ومنها الإسرائيلية والإيرانية بالاستفتاء على مشروع الدستور المصري، وجاءت غالبية تعليقاتها على النتائج لتؤكد خسارة تيار الإسلام السياسي، بالمقارنة بنتائج استفتاء مارس؛ ٢٠١١ صحيفة الديلي تلغراف البريطانية: تشهد مصر حالة من التقسيم الاجتماعي لم تشهده من قبل، والمجتمع المصري على شفا انهيارٍ واضحٍ، وجماعة الإخوان تعتمد على الدعم من قاعدة أقل تعليمًا، وفئة تتسم بضيق الأفق يتم التلاعب بها من قبل رجال الدين المحليين؛ جريدة الصباح.

غضب دولي ضد النظام.. أمريكا: سياسات مرسي"التخريبية" تهدد العلاقات مع مصر.. ألمانيا تجمد مفاوضات إعفاء مصر من ٢٤٠ مليون دولار ديونًا بسبب ديكتاتورية الرئيس.

الـوطن: الرئاسـة تسـتعين بــ صـديق لعبـور حـاجز ال ٧٠ ٠/٠ الـوطن تكشـف: الشـاطر يـوبخ قيـادات القـاهرة، والغربيـة بسـبب التصـويت بــ لا؛ ويخطط مع الرئاسة لرفع نسبة "نعم" اليوم مليونيـة ضد تزوير الاستفتاء.. قـوى ثوريـة تطالـب بإلغـاء نتـائج الجولـة الأولـى، وتـدعو لمسـيرات إلــى الاتحادية..

التحريرتكشف، كيف حرم الإخوان المصريين من التصويت فـي المرحلـة الأولى؛ الجماعة أصرت على عدم مد التصـويت ليوم آخر، وأعلنت النفير لشغل الطوابير بعد مَدّ زمن التصويت.

ابن خلدون: أجرينا استفتاءً موازيًا أثبت أن ٦٠ في المائة صوتوا بـ لا..

وكان هذا العنوان هو البالغ في الإيجاز والإيعاز: تزوير، إرهاب، اعتداء علـى سـلطات الدولـة، مصـر فـي قبضـة البلطجـة؛ إنهـا الحـرب.. صـحيفة الأسبوع.

* * *

الفصل التاسع

وسط هذا الخِضمّ من الأحداث في الشأن العام؛ همَّ مجاهد أن يقرأ بيانًا بالبذلة وماكينة الخياطة؛ فبحث في إيصالات الاستلام حتى يأس، ولرداءة الخط لم يقطع بعدم التسجيل، فبعث بالإيصالين براءة للذّمة؛ ودفعًا لِما قد يُتوهم أنه مُستساغًا لديه؛ لبْس فضلة غيره، وحاول استرضاء نفسه فبحث لمدام أُمْنية وزوجها عن عذرٍ؛ فقال لنفسه:

- من دواعي المحبة أن يخص الشَخْص شخصًا بشيئه، لكنَّ خَصّ الشَّخْصِ نفسه بالجديد، ومنحه القديم الذي مَلّه للغير مؤذيًا جدًّا، وآلمه أن السائق بمجرد بدو البذلة له صاح: بذلة مُسْتَعْمَله، فَسأل في نفسه:
- أتَوَهَّم السائق أنه يفكر فيها لنفسه فتقوَّل ليزهده فيها ليمنحها له؟ أم أنَّها كانت بادية القِدم إلى الدرجة التي لم يملك السائق قيها نفسه فبادر بإبداء رأيه؟!

تألمَ، وانْتُقِصَ من رصيد مدام أمنية عنده، وتآزر لإيلامه ردّها للزميلة: لا، هذا أمر منتهٍ، حين اقترحت إمهالهم للتفكير لمّا تقدم لخطبة ابنتها عالية؛ فتمثل قول الأعشى:

أُحْدِثْ لها تُحْدِثْ لوصلك إنها   كُنُدٌ لِوَصل الزائر المعتاد

وحَضَرَهُ كذلك ذِكْرُ خليلتها ذات السلطان، وحكايتها عن وكيل الوزارة حين زارها، وحزره - على فكر الرئيس في مرؤوسه - أن يحفى

لديها بكرم وافر؛ فعاد خلي البطن إلا من فنجان قهوة! فصرح بغضبه: - فلانة بخيلة ؟؟، فردَّت غاضبة:

- طالْعَة لُه.. كانت خليلتها قد جاهرتها بالمقالة، فسمع ردها الغاضب؛ فرقَّ لها، ووجده يبحث لها عن عذرٍ؛ كان له بذلة اشتراها من السعودية لزفافه في الثمانينات، بذلة راقية جدًا، محبوكة، وأنيقة، وماركة ألمانية شهيرة، أخت البذلة التي تَرَيَّشَ بها عادل إمام في الإعلان عن مسرحية؛ الواد سيد الشَّغال، حثته الزوجة مرارًا على إخراجها لأنها ضاقت، ولم تعد تصلح له، وبدلًا من أن يبادر في إخراجها؛ جدَّ يبحث عمّن يصلح له بنطلونها الذي ضاق جدًا عليه! ووجده إذا همَّ بإخراج شيءٍ، بحث في القديم المرغوب عنه، ولم يعزم مرَةً على إخراج جديدٍ أبدًا! لقد مرَّ كثيرًا بقوله تعالى: "لن تَنَالوا البّرَ حتى تنفقوا مِمَّا تُحِبون".. فكأنه لم يعلم بالآية إلا الآن!.. لمَّا نزلت قال أبو طلحة: يا رسول الله إن ربنا ليسألنا من أموالنا، وإن أحب أموالي إليَّ بِيْرُ حَاء وإنها لصدقة لله، أرجو بها برها وذخرها عنده، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله؟ فقال: بَخٍ بَخٍ؛ ذاك مالٌ رابح؛ وقد سَمِعْتُ، وأنا أرى أن تجعلها في الأقربين فقال: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمّه.

وكان قد اتصل بزوج مدام أمنية ليطمئن على إصلاح السيارة، وهل عاد بها من الورشة؟ فأجاب:

- نعم وهي معي الآن بمساكن الشناوي.

- أردت الاطمئنان عليكم؛ قال:

- أنتَ أَخٌ فاضِلٌ، نشكرك على هذا الاهتمام، معك فلانة تريد أن تكلمك.. قالت:

- نعتذر أننا أتعبناك، ووددنا لو جلسنا معك، وفعلنا بعض الواجب، نشكرك لاهتمامك.

- لم أفعل شيئًا.. فردّت سريعًا:

- يا خبر؟! كل هذا ولم تفعل شيئًا ؟.. طاقم شاي جئنا به كان في السيارة نتركه لحضرتك عند أختي بشقة الوالدة، متى ناسبك حَضَرْتَ فأخذته مشكورًا ؟

- إن شاء الله، أذهب إليهم عند عودتي من العمل، يوم الأحد في الواحدة، وقال:

- سأعطيها إيصالًا بالحاجات التي قمت بتسليمها إلى دار الأيتام.

- يا أستاذ مجاهد، نحن لم نطلب منك ذلك، فأنت لدينا مأمونًا؛ لكن مقبولًا، مادمت تحب ذلك.. قال:

- بعد تسليمي طاقم الشاي، سأتصل لتحديد موعد ذهابي المناسب لإعطائها الإيصال الآخر.. قالت:

- كل وقت مناسب؛ هم موجودون دائمًا؛ وسأتصل أعلمهم بموعد ذهابك كي ينتظرونك.. فظل طاقم " الفيركس" المغلفُ في ورق جرائد، مغبة الكسْر، في فارغة منزلية؛ في حقيبة السيارة؛ من بعد جمعة كشف الحساب، ثم الاستفتاء على الدستور، حتى قرب حلول

الذكرى الثانية لثورة يناير. وذهب، فدق الجرس في رفقٍ، وتقهقر عن الباب إلى جانب، فاستجاب له على الفور صوت نسائي يسأل:

- من ؟!.. قال:

- الشيخ مُجاهد.

- دقيقة واحدة؟ فلم تلبثْ صاحبة الصوت أن فُتحَت الباب، وأطلت في خمارٍ ارتدته سريعًا على ثوب منزلي؛ انحسر عن ساعدها لمّا انحنت تدفع دلوٍ منزلي خارج الباب، فبدا ساعدها، فَعَلِمَ أنّها تخمرت فوق ثوبها المنزلي في عُجالة، فمد يده ليحمله عنها، فاعتذرت كذلك:

- ليس الزوج هنا، لو كان هنا؛ لنزل السُّلم يحمله عنك.. فطمأنها مُمْتنًا:

- ليس ثقيلًا، هذان إيصالان يفيدان تسليم الأشياء السابقة، برجاء إرسالها لـ مدام أمنية ؟.. وقال وهو يهم بالانصراف:

- أتأمرين بشيءٍ ؟.. فأجابت في فرط مودة:

- لا أمّرَ الله عليك ظالم؟.. فاتصل بمدام أمنية مَرِحًا يحدثها:

- ذهبت إلى الأخت، وأخذتُ الأشياء، نفس الصوت! ونفس الإجابات! ولولا معرفتي بسفركم لقلت إنها أنت، سلمتها إيصالين لأشياء سابقة.

- مادام هذا يرضيك؛ سترسلهما إلينا.. فاستطرد:

- بعد تسليمي طاقم الشاي؛ سأتصل لأعلم بذهابي لتسليمهم الإيصال.. وقال:

- أرجو فسحة من الوقت؟ قد لا أتمكن من الذهاب قريبًا، فعندي درس طوال هذا الأسبوع.. الكل يترقب ما يحدث يوم الجمعة؛ ذكرى ٢٥ يناير.. فأنبأت:

- همّ ما صدقوا؛ لن يتركوها بسهولة.. قال:

- لا يستطيعون أن يقفوا ضد إرادة شعب؛ سيرحلون رغم أنفهم، وقريبًا، إن شاء الله٠

- أتعتقد ذلك؟.. فأكد:

- نعم.. قالت:

- ظننتك انتخبت مرسي.

- لا، انتخبت شفيق لأن أمره هين، وكنت أحذر من الإخوان، لأني أعرفهم لا يؤمنون بوطن ويَسْتَخِفُّون بالناس، والذي يحكم هو مكتب الإرشاد؛ مجموعة العجزة، كبار السن الذين هم بالمقطم على رأي/ "إبراهيم عيسى" وليس مرسي إلا طرطورًا؛ ففرحت بتطابق الرّؤية.

- أتشاهد القاهرة والناس ؟

- نعم، وأشاهد وائل الأبرشي؛ ولميس الحديدي، وأعتبر إبراهيم عيسى هذا بطلًا؛ ماضٍ يشحذ الناس للنزول في ٢٥ يناير في بيانٍ وتحليلٍ رائع؛ يعرض للحقيقة.. فسألها:

- أتنزلون في ٢٥ يناير؟

- لا، آخرنا إبداء الرأي، والنزول للانتخابات؛ فحدثها:

- وددت لو نَزِلْتُ للتظاهر؛ لكنّي صاحب لِحْيةٍ ولستُ مشهورًا، وقد يحسبونني منهم.. وقال:

- سلمي على الزوج؟

- الزوج ليس هنا، لو كان هنا لكلمك، سلم على الزوجة؟

- الزوجة في الحضانة.. لو كانت هنا لكلمتكِ.. قالت:

- أحيانًا كثيرة أود الاتصال، فيمنعني الحرج، وخشية الإزعاج؟

- لا إزعاج، ولا حرج؛ الكلُّ يتصل، اتصلي من التاسعة مساءً إلى الحادية عشر؛ هذا الوقت أرد على التليفون وأجلس لأتابع الأحداث**!**

* * *

هللت جريدة المصري اليوم.. الثورة تدخل جولة الإعادة..الجماهير في شوارع مصر: يسقط حكم المرشد.. اشتباكات دامية بين الأمن والمتظاهرين، والجيش يطوق مداخل المدن.. أنباء عن سقوط شهيدين بالإسكندرية.. وحصار ماسبيرو، ودواوين المحافظات..الإسلاميون يحذرون من الانقلاب على الشرعية. ثورة في كل شوارع مصر؛ جريدة اليوم السابع؛ ميادين التحرير ساحات للغضب والدم..اشتباكات بين الشرطة والمتظاهرين في التحرير، والسويس، والإسكندرية، واقتحام محطة منوف، ووقف القطارات، واحتراق٥ طوابق بهيئة السكك الحديدية، وحرائق بالمجمع العلمي، وجراج السفارة الأمريكية، مسيرات من مساجد، وميادين القاهرة، والمحافظات، وهتافات ضد المرشد والرئيس وعودة شعار " الشعب يريد إسقاط النظام " .. ومظاهرات في محيط منزل الرئيس بالزقازيق.. وثوار دمياط يطالبون بحل جماعة الإخوان.. صَبَّاحي والبرادعي على رأس مظاهرة محمد محمود.. القاهرة تشتعل بالمظاهرات، والرئاسة والحكومة صامتة..

الشيخ القرضاوي في خطبة الجمعة التي ألقاها من الجامع الأزهر: نحتفل في مصر بذكرى حبيبة، هي ذكرى مرور سنتين على الثورة المصرية التي هي نعمة من أعظم نعم الله علينا، ومن يشك في هذا فهو يشك في اليقين.

الشعب للإخوان: أنا المرشد، جريدة الوطن؛ مصر تنتفض تحت شعار ثورة، ثورة حتى النصر..اشتباكات بين الثوار والشرطة في التحرير، والاتحادية تحت الحصار.. حرق مقر حزب الجماعة في الإسماعيلية.. ومواجهات في السويس، والمنوفية، وكفر الشيخ..

صحيفة التحرير: الميادين لمرسي: لست رئيسنا.. صور للميادين الحاشدة بالمتظاهرين في التحرير، الإسكندرية، المحلة، بورسعيد، السويس، دمنهور، قصر العيني، دمياط، الشرقية، الاتحادية.

إبراهيم عيسى: درس الساعات الأولى من أحداث أمس ٢٠١٣/٢٥ الدرس أن مرسي ليس رئيسًا لكل المصريين؛ بل فشل فشلًا مدويًّا، حتى في أن يظل رئيسًا للواحد والخمسين في المائة الذين انتخبوه، مع انتظارنا للتحقيق في تزوير استمارات التصويت لصالحه في المطابع الأميرية؛ لاحظ، نفس المدن، وذات الأماكن التي سطعت فيها مظاهرات مصر ضد النظام السابق، هي التي تندلع فيها ضد النظام الحالي؛ معناه أن المصريين يستكملون ثورتهم ضد نفس السياسة لنفس النظام، بل الأخطر؛ أن مرسي، وجماعته، وأتباعهم سرقوا كفاح، ونضال، وثورة المصريين، وهذا ما لم يفعله طبعًا النظام السابق، ثم أنهم يتدثرون بالدين، ويكفرون المعارضين؛ ثم إن مرسي، وجماعته، وإخوانه فاشلون عاجزون، بلا كفاءة، ولا مهارة، ولا إدارة، ولا رؤية، ولا قدرة فيدارون ضعفهم بالعنف، ويختبئون وراء أقنعة التدين المغشوش ليطعنوا البلد، ويبيعوها مقابل تمكنهم من الحكم، لن يستمر

مرسي في هذه السياسة؛ الدليل حالة الغضب المنتشرة في كل مكانٍ، ومن كل فئةٍ، وفي كل تيار خصوصًا قوى الشباب المحتج والثائر؛ وليس أمام مرسي إلا أمرين - آسف على حَشْرِ د/ مرسي في الموضوع - ليس أمام جماعة الإخوان إلا أحد أمرين؛ أن تأمر مرسي بالانصياع لإرادة الأمَّة، وإعادة كل قراراته إلى المربع صفر؛ وتشكيل حكومة وحدة وطنية تقود البلاد، تعبيرًا عن توافقٍ، وإسقاط دستور الزيف الذي اغتصبته الجماعة، وأتباعها سَلْقًا، وتزويرًا، وحل مجلس الشورى الباطل، واحترام استقلال القضاء برحيل نائبه الخصوصي، أو أن تأمره الجماعة بأن يتمسك بسياسته، فيصرَّ أن يكون خادمًا لـ شُعَبِ (بِضَمّ الشين) الجماعة، وليس للشعب، ومن ثم لجوء نظامه إلى القمع الأمني للتصدي للمعارضة، وللقوى السياسية، ولجماهير المصريين.. ويبدو أن الأمر الثاني هو الأقرب للجماعة ولمرسي وإخوانه، فهؤلاء الذين كذبوا، ويكذبون، ويحنثون بالقسم، ويخلفون الوعد، ويقولون ما لا يفعلون، ويفجرون حين يخاصمون، ويستبيحون الخَطْفَ، والتعذيب، والقتل لمخالفيهم؛ لا أمل فيهم ولا منهم، والثابت أننا في معركة طويلة سيخسرها مرسي دون ذرة شك، لكن مصر ستخسر معه كثيرًا.

فتداخل مجاهد يذكّره بمقولته الشهيرة؛ يُسْمِعُ زوجته:

- يا إبراهيم؛ يكذبون كما يتنفسون.. وقال لزوجته:

- ظللت حيرانًا أفكر في قوله تعالى "وَعدَ اللهُ الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض".. وأقول لنفسي لا يمكن أن يكون هؤلاء

قد استخلفوا، وهم قد ملئوا الدنيا أكاذيب وقتلًا، قلت: هذا استدراج. وأعتقد أن المجلس العسكري سلمهم مَصْرَ؛ فسلمهم الله للمصريين، وهو ما لم يفطن له مبارك؛ ظل يردهم عن الحكم؛ فقاموا يستعطفون الناس بشعار: الإسلام هو الحل..انظري إلى هذا القرضاوي؟ بلغ ضلالة أن يقول للناس في خطبته في الجامع الأزهر:

- الثورة المصرية نعمة من أعظم نعم الله علينا، ومن يشك في هذا فهو يشك في اليقين.. واليقين في الآية: العِلْم وزوال الشَّك في المَوْت المُتَيَقَّنِ وُقُوعُهُ.. فانظري إلى هذا الكذب ؟ هو لا يخفى عليه أن الإمام النووي قال في شرح مسلم في معنى قوله صلى الله عليه وسلم:(على المرْءِ المسلم السّمْعُ والطاعةُ فيما أحبَّ وكَرِه إلا أن يُؤْمرَ بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمعَ ولا طاعة) السمع والطاعة، وإن اخْتُص الأمراء بالدنيا، ولم يوصلوكم حقكم مما عندهم؛ وسَببُ الطاعة التي أمر بها النبي اجتماع كلمة المسلمين، فإن في الخلاف سبب لفساد أحوالهم في دينهم ودنياهم؛ هذا ما تحقق من الخروج على مبارك حتى الآن، والثاني؛ داعية المنصورة الشهير الذي كان يقول بذلك قبل تنحي مبارك، ثمَّ ركب الموجة ليتصدر المشهد؛ كعهده أن يتصدره دائمًا.. واستطْردَ يحدثها:

- جمهور أهل السنة من الفقهاء، والمحدثين، والمتكلمين عندهم؛ لا ينعزل الإمام بالفسق، والظلم، وتعطيل الحقوق؛ ولا يُخْلَع ولا يجوز الخُروجُ عليه بذلك!.. بل يجب وعظه، وتخويفه لهذا الحديث

وأحاديث أخرى؛ ومن قال بالجواز قال لقيام الحسن، وابن الزبير، وأهل المدينة على بني أمية، وقيام جماعة عظيمة من التابعين على "الحجاج" وتأولوا قوله - صلى الله عليه وسلم - (ألا ننازع الأمر أهله) في أئمة العدل؛ وحُجَةُ الجمهورِ؛ أن قيام هؤلاء على الحجاج ليس لمجرد الفسق؛ بل لما غَيَّرَ من الشريعة؛ وظاهر من الكفر، وقال القاضي؛ هذا الخلاف كان أولًا، ثم حصل الإجماع على منعِ الخروج عليهم.. هذا؛ رغم أن مبارك أعلن أنه بعد ستة أشهر لن يترشح ويسلم البلاد منعًا للفوضى، والتنازع، والاختلاف، إلا أن هؤلاء انتهزوا الفرصة وملؤوا الدنيا كذبًة أنه يَتَمَسْكَنَ ليَتَمَكَّنَ.. قالت:

- لا أفهم كثيرًا مما تقول.. فضحك يشاكسها:

- ليس مهمًا، وتابع:

- حين بدأت الدعوات إلى المشاركة في فعاليات ٢٥ يناير ٢٠١١ كان قرار جماعة الإخوان عدم المشاركة، وفَصَلَت من نزل الميدان بدعوى خروجهم على تعاليم الجماعة، فذهب المفصولون إلى المفصول الأسبق "أبي الفتوح" فأسس بهم حزب مصر القوية.. قالت:

- أنا أقول حزب مصر الطرية، وضحكت، أنا لا أرتاح له؛ يُظْهِرُ أنه ليس منهم، وعند نزول الناس ضد الإخوان يختفي ويصمت، ولا أحسُّ أنَّه غَيرُهُم.. فأكد لها:

- كلهم مسخٌ؛ عجينة واحدة.. أحد الجهاديين يصفهم: يعبدون الجماعة أكثر من عبادة الله؛ عندهم حسن البنَّا، ورسائله مُعَظَّمة عن كلام النبي، وهذا البذيء اللسان، إذا تحدث عن مبارك يقول المخلوع، رغم أن مبارك تنحي؛ يكذب كما يكذبون.

- خلع اللهُ رقبته؟ وغضبت وكانت لم تزل تتعاطف مع مبارك. قال:

- أعتقد؛ أن أسوأ ما فعله مبارك هو القضاء على الكفاءات التي كان يمكن أن تصلح لقيادة البلاد، ليظل الزعيم الذي لم تلد مصر غيره ليبقَى آمنًا، وسعيه للتوريث الذي عجَّل بنهايته؛ مؤسس حركة " أزهريون مع الدولة المدنية " قال في ميدان التحرير في خطبة الجمعة:

- أن اجتماع المتظاهرين جاء اعتراضًا على عدم اكتمال الثورة، وتحقيق أهدافها في التغيير، والحرية، والكرامة الإنسانية، والمطالبة بإسقاط النظام، وأن الشعب مازال يُقْتَلُ ويُنْهَبُ، ودعا المتظاهرين إلى ثورة اجتماعية لأن لصوص الثورة الذين تستّروا بشعارات الدين، واستخدموها لخداع الشعب. ووصف مرسي بالصهيوني؛ لأنه

أرسل برقية لرئيس إسرائيل " عزيزي بيريز، أتمنى الرَّغْدَ لإسرائيل".. وعدل يحكي لها محزونًا:

- الكل يتجاوز؛ فمرسي وإن كذب، أو تواطأ على قتل، أو نكث الأيْمان، لا يمكن وصفه بالصهيوني. فسألت:

- أليس هم من كانوا يهتفون: يا مبارك يا جبان يا عميل الأمريكان.. فبان أنهم هم عملاء الأمريكان. قال:

- هم يعتقدون أنهم يخدعون الصهاينة، ويخدعون الأمريكان، حتى يحققون حلم أستاذيتهم للعالم، وبنو إسرائيل دَوّخوا أنبياءهم، والأمريكان لهم مشروعهم الشرق الأوسط الكبير يستخدمونهم لتحقيق هذا الغرض؛ وهاجم مؤسس حركة "السلفيين" أنهم أتباع محمد بن عبد الوهاب الذي حارب الحرمين. فسألته عنه ؟ قال:

- يعتبره السعوديون والسلفيون من الأعلام المجددين وشيوخ الإسلام، وصاحب ثورة حديثة على الباطل أعادت للإسلام مجده كالإمام أحمد وابن تيمية؛ واعتبره الشيخ أبو زهرة: منشئ الوهَّابية؛ دَرَسَ مؤلفات ابن تيمية، وتعمق فيها، وأخرجها من حيز النظر إلى حيز العمل؛ لم يقتصر على الدعوة المجردة بل عَمَدَ إلى حمل السيف لمحاربة المخالفين باعتبار أنه يحارب البدع؛ خرجت دعوته من بلدة حريملاء لوجود والده فيها، ولما كانت الظروف غير مواتية ترك هذه البلدة

بحثًا عن غيرها؛ فاتجه إلى العيينة؛ واتصل بأميرها عثمان بن معمر فساعده، وبدأ بتنفيذ الأحكام الشرعية، فهدم الأضرحة، ورجم في الزنا، وتعلق بأمور صغيرة ليس فيها وثنية أعلنوا استنكارها مثل التصوير الفوتوغرافي؛ وتوسعوا في معنى البدعة حتى أنهم يزعمون أن وضع الستائر على الجدران أمر بدعي، أدهشها؛ ولم تكن قد سمعت بمحمد بن عبد الوهاب ولا بابن تيمية! ولا بأبي زهرة!.. قالت:

- أنت مُصيبة !! وضحكت بإعجاب.. قال:

- اقرئي كثيرًا، وتَحَرّي باستعْمالِ غالبِ الظَّنِّ، واستمعي للمخالف قبل الموافق، وتحققي في العلم، واسألي الله أن يهديك لما اخْتُلِفَ فيه من الحق بإذنه، واستفتي قلبك. قالت:

- ولِمَ أتْعِب نفسي بالمُتعبين؟!.. وضحكت؛ تعنيه منهم !

* * *

الفصل العاشر

اللَّهمَّ عليك بمرسي، وإخوانه؟؟ اتخذ المتظاهرون من هذا الدعاء طوق نجاة لاضطرارهم التواجد في ميادين، وشوارع القاهرة، والمحافظات تحت الأمطار الغزيرة، والطقس السيئ في الأول من فبراير/ ٢٠١٣ جمعة الخلاص؛ ودعا خطيبهم الجيش وقوات الشرطة إلى الانضمام إلى صفوف الشعب والثوار ضد الرئيس وتنظيم الإخوان، وقال للجيش من أعلى المنصة الرئيسية في التحرير:

- انزلوا لتكونوا درعًا للشعب؛ احموا قناة السويس من خطر فرض الوِصاية، والمخطط الإخواني لعزل مدن القناة تمهيدًا لبيع القناة.. وقال للشرطة:

- لا تحموا النظام، بل احموا الشعب.. الإخوان وصلوا السلطة عن طريق مخطط إخواني صهيونيٍ، والرئيس مرسي لا شرعية له طالما يستخدم أهله وعشيرته في قتل الشعب؛ إنَّ الإخوان والسلفيين يتعاملون على أنهم أصحاب التوكيل الإلهي! وحذر مما أسماه سيطرة الإخوان والسلفيين على مؤسسة الأزهر.. واستطرد:

- الطرف الثالث لا يظهر إلا عندما يختفي المتأسلمون، لكنه يظهر بوضوح في اعتداء الإخوان والسلفيين عند قصر الاتحادية، ودعا خلال الصلاة: اللهم انصرنا على تجار الدين؟ اللَّهمَّ عليك بمرسي وإخوانه ؟؟ وفي ذات اللحظة في مسجد الفاروق بالتجمع الخامس، وعقب أداء مرسي صلاة الجمعة بصحبة نجليه ونائب رئيس ديوان رئيس الجمهورية، وسط حراسة أمنية مشددة.. نادى أحد المؤيدين في وداعه بالنداء الممقوت:

- كلنا معك يا ريس ؟ وعارفين أنك صح؛ وعشرة على عشرة؛ سَر في طريقك ولا تخف؟. كان إمام المسجد قد أخبر:

- - طلبت من الرئيس أن يلقي كلمة لكنه رفض حتى لا يثقل عليكم.. فعقب مجاهد له:

- - وكيف يجد الكلام بعد هذا الدُّش البارد؟ كان الخطيب قد تحدث:

- - أن أزمة أمتنا ليست أزمة انفلات أمني؛ بل أزمة انفلات أخلاقي؛.. قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "من أشار إلى أخيه بحديدة لا تزال الملائكة تلعنه حتى يضعها"؛ محذرًا من التورط في العون على قتل المسلم، موجهًا حديثه لِمنْ يتصدر وسائل الإعلام، ويحرض على العنف؛ فلم يُطق مجاهد هذا الاعوجاج فتنادى:

- - يا هذا؛ سل مرسي وجماعته، وسل قناة كذا، وقناة كذا، ولا تلصقها بالإعلام. وتساءل الخطيب:

-أين الجود والكرم؟ وأين الصفح واحتمال الأذى؟ أين رد السيئة بالحسنة؟ النّبي - صلى الله عليه وسلم - قصر دعوته على إتمام مكارم الأخلاق، لأن العربي القديم كانت له أصول الأخلاق؛ فـ " أبو سفيان " وهو كافر، ولم يقل إبَّانها؛ لمَّا سُئل عن خَبرِ النبي - لأنه يكره أن يقال عنه كاذب؛ فلم يقل إلا حقًا، فابتسم مُجاهد لإطراقة الرئيس وقال يخاطبه: الكلام لكي يا جارة ؟! واسْتَطردَ الخطيب:

-الأمَّة الآن تحتاج من جديد إلى إحياء الأخلاق؛ وهذه مهمة راعي الأمة؟ "فكلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته" إن شهادة أن لا إله إلا الله تَعْني، ألا نعبد إلا الله، وأن أعلى العبادات هي حب الله، فإذا أحببت الله أحببت ما يحبه الله؛ فالله محسن، غفور، جميل، نظيف، شاكر.. فتعقبه مجاهد:

- - يا هذا؟ نظيف في السجن! رئيس الوزراء السابق؛ تحرَّ، الله يهديك؟ وأكد لزوجته أن" نظيف" ليس من أسماء الله الحسنى؛ وتندَّر على أحداث بورسعيد، وعلى صمت الرئيس وإطراقه:

- - مبارك كان يقتل القتيل ويمشي في جنازته، ومرسي يقتل القتيل ويقتل من يمشي في جنازته! وحدثها عن صورة كاريكاتيرية: امرأة تجلس إلى طست الغسيل تمسك بثوب زوجها، وقالت تستحلفه: والنبي يا خويا ابق فضّ هدمتك قبل ما ترميها في الغسيل؛ لقيت في جيبك مخطط لتدمير مصر!..

وأمست مصر محْمومةً بعد عامين من الإطاحة بنظام مبارك، فعلى مدى ٧٢ ساعة ظلت الدماء تسيل، والشارع يغلي؛ شرارة أشعلت الجحيم في مدينة بورسعيد فشهدت مقتل ٣١ مواطنًا وإصابة ما يقرب من ٣٠٠ منهم ٢٤ إصابتهم خطرة عقب النطق بالحكم في قضية المتهمين في مذبحة إستاد بورسعيد.. اعْتبِرَ أهالي المتهمين والكثيرون الحكْم استرضاءً لـ ألتراس أهلاوي الذي قام قبل يوم من ذكرى ٢٥ يناير؛ ويومين من هذا الحكم باستعراض للقوة في شوارع القاهرة فأَحْدثَ شَللًا تامًّا للعاصمة؛ وعقب صدور الحكم بالإعدام على ٢١ متهم علق رئيس اتحاد معلمي بورسعيد:

- إن النظام الحاكم أراد تخفيف مظاهرات ألترس أهلاوي عن ميادين القاهرة، فصدر الحكم لصالحه..فبات المصريون ليلة يكتمون أنفاسهم؛ فـ بمجرد علم أهالي الضحايا بالحكم، حُوصر سجن بورسعيد، وتجمْهرَ المواطنون أمامه، فانطلقت على الهواء مباشرة عبر وسائل الإعلام استغاثة الضباط المكلفين بحماية السجن بزملائهم، وبوزارة الداخلية، أنهم غير مسلحين سوى بالغاز المسيل للدموع، وأن وابلًا من الرصاص أطلق عليهم، فسقط نقيب وأمين شرطة، وأنهم لن يتركوا السجن ولو كلفوا حياتهم! وأنهم، خوفًا من اقتحام السجن وتهريب المساجين؛ ينتظرون التعزيزات؛ وردًا على مقتل الضابط وأمين الشرطة أثناء محاولة بعض الأهالي تهريب ذويهم وقعت المجزرة.. وأُنْصَتَ مجاهد لـ قائد فريق الطب الشرعي

المكون من عشرة أطباء شرعيين؛ أن الإصابات كانت نتيجة أعيرة نارية حَيَّة، وأن أعمار القتلى تبدأ من العشرينات حتى الخمسينات؛ وتبين من خلال التشريح أن مسافات الإطلاق تجاوزت مسافات قرب الإطلاق؛ بما يوحي أن مسافات الإطلاق كانت مسافات متباعدة بين القاتل والقتيل، وأن الأعيرة النارية التي أصابت القتلى كانت عيار ٧،٦٢ مللي مما يعني أن تلك الأعيرة أطلقت من بنادق آلية، كما أن اتجاهات الإطلاق كانت في اتجاه أفقي بين القاتل والقتيل، وتعذر تحديد الاتجاهات بسبب كثرة الوفيات، وانتشارها في عدد من المستشفيات؛ القتلى وجدوا داخل المستشفيات مرتدين الملابس التي ماتوا بها..

وما زاد الطين بلة؛ بالإضافة لاتساع رقعة اليأس في القلوب والشعور بالإحباط، وانعدام الثقة في القيادة الحالية؛ تحول الجنازة الجماعية للضحايا إلى حرب شوارع، وعمليات كر وفر بين المشيعين وقوات الأمن؛ ترك الأهالي جثامين أبنائهم في مداخل العمارات، وفروا هاربين خوفًا من الرصاص. لقد خرجت جنازة الأمس في مسيرة حاشدة ضمت آلاف المشيعين من النساء والرجال، وردد المشاركون هتافات: لا إله إلا الله محمد مرسي عدُو الله.. لا إله إلا الله الإخوان أعداءُ الله.. لا إله إلا الله الشهيد حبيب الله؛ الشعب يريد دولة بورسعيد، بالروح بالدم نفيدك يا بورسعيد.

وما أن وصلت الجنازة إلى سور نادي القوات المسلحة؛ ونادي الشرطة بجوار المدافن إلا وانطلقت قنابل الغاز المسيلة للدموع من قوات الأمن خوفًا من اقتحام الناديين بعد أن رشقهما مشيعون بالحجارة، ورد الأهالي على قنابل الغاز بإلقاء زجاجات " المولوتوف " فاشتعلت النيران في الناديين، وتبادل الطرفان إطلاق الأعيرة النارية؛ فترك أهالي الضحايا جثامين أبنائهم في مداخل العمارات وفروا خوفًا من الرصاص.

نقلت الفضائيات المشهد، وصاح قيادي عمالي ببورسعيد:

- قوات الاحتلال الإنجليزي سمحت لنا بدفن شهدائنا في٥٦ .. ولم نتمكن من دفن الشهداء من ماتوا بالأمس؟! داخلية الإخوان تضرب علينا رصاصًا؟! لو كان عندنا رئيس جمهورية كنَّا أخذنا إذن منه لدفن موتانا؟ لا بديل عن استقالة وزير الداخلية قبل أن تتحول بورسعيد إلى ثكنة قتالية؟ وأخبر:
- وفق الإحصاءات الطبية؛ مقتل ٥ أشخاص، وإصابة ٤٤٦

وبالأمس؛ اقتحمت قوات الشرطة أيضًا ميدان التحرير، مطاردة المعتصمين الذين فروا إلى شارعي باب اللوق، وقصر العيني، وتسبب إلقاء قنابل الغاز في اشتعال النار في الخيام بالحديقة الوسطى؛ وَسرت حالة من الهلع بين المعتصمين، وألقت قوات الأمن القبض على عدد أثناء الهجوم من ناحية كورنيش النيل، واقتادتهم إلى وزارة الداخلية للتحقيق معهم؛ ثم عادت

مرة أخرى إلى أماكن تمركزها، وتحول محيط مجلس الشورى، ومحيط مجلس الوزراء، إلى سكنة عسكرية، وتزايدت قوات الأمن المتمركزة في شارع القصر العيني، لحماية المنشآت والوزارات بعد اقتحام وزارة التموين، ونُشِرتْ الأسلاك الشائكة خلف الحواجز الخراسانية المتواجدة في شارع الشيخ ريحان، وشارع قصر العيني منعًا لمحاولات الوصول لمجلس الشورى ومجلس الشعب.

وبينما الحرائق، وإطلاق الرصاص، وأعمال العنف تنشب في العاصمة، وعدد ليس بالقليل بالمحافظات؛ انتقلت السويس، وبورسعيد، والإسماعيلية تحت حكم الجيش بعد حرب شوارع، واقتحامات بالجملة للأقسام، والاستيلاء على السلاح، وتهريب المحتجزين.. واليوم؛ بينما الجيش يطلب الضبطية القضائية ليتمكن من نشر الأمن وفرض السيطرة على مدن القناة الثلاث، دعا عدد من الأحزاب، والقوى الثورية الجماهير للاحتشاد لإحياء ذكرى جمعة الغضب ٢٨ يناير، وأداء صلاة الغائب على كوبري قصر النيل في تمام الساعة الواحدة ظهرًا على أرواح الشهداء، وتنظيم مسيرة في الرابعة عصرًا من أمام مسجد السيدة زينب، إلى مجلس الشورى، فأمست مصر تِيهًا؛ فخرج رسام كاريكاتير يصف هذا العمى والعنف؛ بائع نظارات خلف منضدة مكتوبٌ عليها (نظارات) نَضَّدَها تنْضِيدًا تناول أحدها، فَمَدّ يده يراود أَحَدَ المَّارة: خُد يا باشا نظارة تُعِينك على الأيام ذي اللي ما حدش شايف فيها حاجة لا حكومة ولا معارضة ؟٠ فدهِشَ مجاهد لإبداع الصورة وإنصاف العبارة ولطافة النكتة، فسرَّ أنه يُتحرى للعدل، وواصل يتابع لاعب الوسط

المجيد؛ يقرأ أبرز عناوين الجرائد يوم الاثنين الثامن والعشرين من يناير ٢٠١٣: " ضباط شرطة يعتدون على وزير الداخلية في جنازة زميلهم.. مبادرات الحل مُعلقات بين الجماعة وجبهة الإنقاذ وتحرك الرئاسة.. والقوات المسلحة: لن نطلق الرصاص على متظاهر سلمي.. بورسعيد: الرصاص لا يراعي حرمة الموتى.. السويس؛ الفوضى تحكم قبضتها على المدينة.. القاهرة؛ جبهات جديدة في شوارع التحرير، معركتان في " المتحف " و " الكوبري " تسفران عن ١٢٥ مصاب، ومحاولة " فاشلة " لاقتحام " الشورى ".. الإسماعيلية: إطلاق نار عشوائي بميدان الممر وجه بحري: مواجهات مفتوحة مع قوات الأمن.. بلال فضل يكتب: لماذا قتلت شعبك ؟..عبد الله السناوي يكتب: "استدعاء العنف ليلة احترقت فيها بيوت السويس، هل تعيد السويس سيناريو الثورة؟ " العالم: مصر في حداد مجددًا، فشل حكومي، خلاف سياسي، تدهور اقتصادي، عنف، وقضاء مُسَيّس؛ جريدة الشروق.

جريدة الوطن: الأمن المركزي يتذمر ضد التضحية بالضباط والجنود إرضاء للإخوان .. الضباط لـ "وزير الداخلية " بعد طرده من صلاة الجنازة على الضابط الشهيد: أنت ما بتحسس ؟ بلاك بلوك: تعداد جيشنا ١٠ آلاف، نتدرب منذ عامين ولسنا جماعة مسيحية.. مصادر: السيسي حذر مرسي من نزول الفصائل الإسلامية للشارع.. الجيش لـ " الرئيس ": نرفض الطوارئ، ولن ندافع عن فصيل سياسي معين.... جريدة المصري اليوم: مخطط لاستهداف الجيش في منطقة القناة؛ مصادر أمنية: " جهات تقود أعمال التخريب لإلهاء الشعب عن التظاهر والدعوة لإسقاط

النظام." الدماء تسيل، والشارع يغلي، الشرطة تقتحم التحرير.. ،.. ، ..، المحافظات ساحات معارك بين المتظاهرين، والأمن ٧ شهداء في أول ٣ أيام للثورة. و٤٤٦ مصاب في ذكراها الثانية.. ، .. الشرطة تنقلب على وزيرها.. مرسي يهزم "مبارك" في مؤشر الشهداء ميتر ..

جريدة الدستور: مصر تحترق.. صحف عالمية: " مرسي " يقترب من مصير " مبارك ".. أخطر تقرير سري من الإدارة الأمريكية عن جماعة الإخوان: الواقع الفعلي والحصري كشف أن جماعة الإخوان لا تتجاوز أعدادهم أكثر من ٦٥٠ ألف شخص، من الواقع الحصري، والاشتراكات المدفوعة، والكارنيهات الصادرة لكل عُضْوٍ داخل الجماعة؛ وكان هذا ما اعتقده مجاهد عن حجم هذه الجماعة فاطمأن به؛ وذكرَ التقرير..أن جماعة الإخوان لا تستطيع تنفيذ وعودها التي قطعتها على نفسها..

واختتم تصفحه بجريدة التحرير: ..، .. الحق والمستحق: انتخابات مبكرة أم ثورة متأخرة، إبراهيم عيسى، هل يحتاج أي بني آدم كامل في صحته العقلية دليلًا على أن محمد مرسي فشل في إدارة البلاد؟...، حتى السلفيون يحتملون مرسي على مضض خوفًا على تراجع التيار الإسلامي لو أفصحوا عن سُخْطِهم عليه فسيشمت فيهم العلمانيون والكفار والنصارى.. مرسي لا يملأ عين أحد، حتى داخل صفوف الإخوان؛ يؤيدونه لأنه إخواني، لا لأنه مرسي صاحب الحضور، والجماهيرية، والكاريزما، والجاذبية.. إذن الدعوة إلى انتخابات رئاسية مبكرة مسألة طبيعية للغاية، ثم هي خطوة

ديمقراطية..؛ حسنًا لا يمكن تغيير أي رئيس منتخب إلا بثورة، أو بصناديق انتخابات؛ الثورة مكلفة جدًا، وإن كان البعض يتصور إمكانية تكراراها، أو أنها مجرد استكمال لثورة يناير التي سرقها الإخوان وعطلها طنطاوي ومرسي، لكن يبقى للثورة ثوارًا يقررونها، تعال نحن للسياسة والديمقراطية التي تجيز الدعوة لانتخابات رئاسية مبكرة، سيسأل البعض: وهل يتم هذا بعد سبعة أشهر من انتخابات رئيس؟ الإجابة: وقد يحدث بعد أسبوع واحد من انتخابه؛ فالشرط هنا أن الرئيس إما أن يحنث بقسمه الدستوري وينتهك القانون ويثير فوضى وفشلًا في البلاد، ويثبت عجزًا بيّنًا عن إدارة البلد، فتصير الانتخابات المبكرة ضرورة، وإما أن يكون عند الرئيس إحساس سياسي رفيع المستوى يدرك معه أنه في حاجة إلى تفويض شعبي جديد فيبادر بدعوة لانتخابات مبكرة...، ...

وفكر مجاهد؛ في أُعجوبَة الحكَّامَ هذه؛ جُمْعَةُ كَشْفَ الحساب، مليونية تزوير الاستفتاء، مليونية الذكرى الثانية لـ ٢٥ يناير، جُمْعَةُ الخلاص، مليونية الرحيل، جمعة رد الكرامة؛ والرئاسة والحكومة والجماعة " أذنٌ من طِينٍ وأذنٌ من عجين" ؟!. .بل قالوا:

- إذا كان مباركٌ عنيدًا فـ " محمد مرسي " دكتوراه في العِنْدِ.. بل بدأ الحنين للنظام السابق!! لا يصح تلقيب مبارك بالمخلوع، وأردف وزير العدل:

- حسني مبارك رئيس سابق لمصر، وكلمة مخلوع فيها الكثير من التشفّي والشماتة، ارحموا عَزيزَ قومٍ زَلَّ؛ الْتَقَيْتُ الرئيس مبارك كثيرًا؛ آخره ١٦

يناير قبل الثورة في اجتماعٍ مع رؤساء محكمة النقض، وكان يُتَوقع وقوع صدام نظرًا لوجود بعض الخلاف، إلا أن الرئيس صافحني بترحاب، وتحدث عن العلاقات، والخلافات مع الدول العربية.. فقاطعته:

- خلاف مع كل الدول العربية جائز سيادتكم، إلا سوريا، عامل بشَّار زي ابنك يافندم؟ فَفُهِمَ أنها إساءة لابنه! وتردَّدَ وزير العدل قبل أن يكمل..العفو عن الرئيس السابق حسني مبارك من حق الشعب المصري لأنه صاحب الدماء التي أُسيلت ويجب أن يُستفتى على ذلك، والعفو فضيلة لمن يقدر عليها، وانعطف يدافع عن النظام الحالي، مشروع قانون تنظيم التظاهر مناقض تمامًا لما تم نشره في الصحف.. القانون جاء لأن الشعب أساء فهم التظاهر، كل حق يجب وضع ضوابط له حتى لا يساء استخدامه، هناك سوء ظن يَحْكُمُ الحياة المصرية، هناك من انتقد هذا القانون دون أن يطلع عليه أصلًا! القانون جعل التظاهر مباحًا في جميع أماكن الدولة؛ لكن بعيدًا عن المؤسسات الحيوية بهدف حماية الدولة بجانب حماية المتظاهرين، التظاهر دليل على فقد مؤسسات الدولة، والأحزاب لدورها، ولا يعني أن الثورة قامت لإسقاط حسني مبارك، أنه يجب إسقاط من يأتي من بعده عن طريق التظاهر؛ هذا سيؤدي إلى إسقاط نظام بعد نظام؛ ما سيؤدي إلى سقوط الدولة، الثورة خروج على القانون لكن لهدف تحقيق مصالح عُليا، لابد من ثورة تشريعية مثل، قانون لتدفق المعلومات، حق التظاهر والتعبير، الطوارئ، وأجاب في حديثه التلفزيوني:

- قانون حق التظاهر لا يهدف إلى خدمة الإخوان المسلمين، إنما يهدف إلى مصلحة الشعب المصري الذي يتضرر من قطع المواصلات، وهدم المؤسسات، والوصول إلى مستوى الدولة الفاشلة؛ القانون يمنع تغطية الوجه خلال التظاهر للرجل أو المرأة؛ الست المُنقَّبة تقعد في بيتها.. وتساءل:

- كيف أقدر أن أفرق بينها وبين أعضاء البلاك بلوك؟.. وبشأن ما قيل حول إرغام النائب العام على الاستقالة والمجيء بغيره؛ قال؛ تعيين المستشار فلان كان قانونيًا ١٠٠/٠٠ وعزله سيكون تكرارًا لخطأ عزل د/ عبد المجيد.. فأومأ مجاهد لزوجته إليه:

- هذا، سمعته بعد الثورة يقول لـ صاحبة برنامج العاشرة: أنا هواي إخواني؛ فَعُين وزيرًا للعدل! د/ عمَّار على حسن قال: الديمقراطية سلم للوصول إلى الحكم، وعند أول فرصة تتاح للإخوان سيأخذون السلم معهم وهم يصعدون.. انظري لتناقض هذا؛ لا يعني أن الثورة قامت عن طريق التظاهر لإسقاط حسني مبارك أنه يجب إسقاط من بعده عن طريق التظاهر؟ الثورة خروج على القانون؛ لكن لتحقيق مصالح عليا؟ تعيين المستشار فلان كان قانونيًا ١٠٠/٠٠ وعزله سيكون تكرارًا لخطأ عزل النائب العام السابق؟! فسألته:

- كيف يمنع القانون تغطية المرأة لوجهها؟!.. قال:

- المرأة المُنقَّبة قد يحدث في التعامل معها ما يوجب عليها كشف الوجه كالرجوع في البيع عند اكتشاف فساده أو المبالغة عن سعر المثل، فلو

طُلِبَ منها أن تكشف وجهها حينئذٍ، وجب عليها ذلك؛ لكن قانون التظاهر الذي أعده ذو الهوى الإخواني؛ فَصَّله لحالة " البلاك بلوك "فماذا يفعل المتظاهرون إذا كان الحاكم دكتوراة في العند؛ ليقل لمرسي ذلك ؟

أُحصيَ: ما بين أكتوبر ٢٠١٢ ومارس٢٠١٣؛ في سبعة أشهر وتسعة أيام؛ منذ جلس مرسي على الكرسيّ سقط في محيط قصر الاتحادية٢؛١* محمد محمود الثانية* ماسبيرو* محاكمة بورسعيد* وحظر التجوال* سقط؛ نقيب شرطة*أحمد البلكي، جابر صلاح، أحمد نجيب، عمرو سعد، الحسيني أبو ضيف* ورجع يتذكر.. جابر صلاح؛ عروق ناضحة بالدماء، وفاهٌ يهتف: الثوار مش بلطجيا، يسقط ظُلمك يا داخلية؟ قال لوالده يوم انتخابات الرئاسة:

- أنا هـ انْتخب مرسي؛ قال أبوه: يا ابني هؤلاء إخوان ؟! قال:
- يمكن يكون فيهم أمل يا حاج؟..أَشْهُرٌ ويُكَون صفحة "معًا ضد الإخوان ؟ " ذهب إلى محمد محمود الثانية، وحُمِلَ على الأعناق وأخذ يردد هتافه حتى أسكتته سبع رصاصات في الرأس وفي العنق وفي البطن حتى غطت الدماء جسده!!

محمد حسين قرني؛ كريستي صاحب صفحة" إخوان كاذبون" على باب الرئيس ارتكن بجسده يصرخ مع البقية: الشعب يريد إسقاط النظام؟ لِكلّ المواقع داخل المستشفيات الميدانية تَنَقَّل، في التحرير في العباسية أخيرًا في

الاتحادية ثقبان نافذان الأول في رأسه والثاني في جبهته، رسالة بعث بها كريستي ابن العشرين:

- لو لم أرجع بيتنا، قولوا لأمي أني بقيت مع أطهر ناس.. أمُّه الثكلى التي وعدها ككل مرة:
- ذي آخر جمعة هـ انزل فيها يا ماما! دَاخَلَهُ يَقِينٌ، تناقله أصدقاؤه: سنكمّل، النظام خلاص يا جماعة سقط وغادر كريستي تاركًا نبوءة، وفَضِيحة "إخوان كاذبون" وقال مقدم البرنامج المسائي وائل الإبراشي؛ يُقَدّم للشهداء زمن الإخوان:
- جورجيوس..الإخوان يعيدون موقعة الجمل لكن بلا جمل ؟ محيط القصر الرئاسي، حينما توجه المئات من مؤيدي الرئيس في ديسمبر الماضي إلى الاتحادية لفض اعتصام معارضيه، في تكرار لمشهد موقعة الجمل، فنشبت معركة الدفاع عن الشرعية التي اكتفى فيها النظام بالصمت دون التدخل لحماية معتصمين سلميين..انتهى جورجيوس من عمله في طريقه للصيدلية لإحضار دوائه حسب رواية شقيقه عن تفاصيل ما قبل الوفاة، لم يكن متظاهرًا عن قصٍ، ولم يكن طرفًا في الاشتباكات الدائرة بين المعارضين وأنصار مرسي، كان مشهد دمائه التي أغرقت وجهه نافيًا لتلك الروايات.. طلق ناري في رقبته لَفَظَ على إثره نفسه الأخير، وبرغم أن اسم جورجيوس يؤكد عدم انتمائه للتيار الإسلامي إلا أن ذلك لم يمنع الإخوان من الإعلان بأن جميع شهداء اشتباكات الاتحادية من الإخوان!.

- طيب؟ تساءل الصحفي، الرجل لم يكن إخوانًا ولا مسلمًا، ولكن شُبه لهم طيب؛ قولوا الحقيقة؛ قولوا أن هناك مسيحيًّا سقط شهيدًا، لكنهم كعادتهم في التدليس والمتاجرة بالدماء قالوا:

- جميع شهداء اشتباكات الاتحادية من الإخوان!.. ونقول:

- كل الدماء مسلمًا، أو مسيحيًّا، أو إخوانًا حرام قتله!.. والرئيس محمد مرسي، من انتخبه كل هؤلاء؛ ورجع الصحفي يعدد لـ ذهن المشاهد؛ كريستي صاحب الصفحة الشهيرة على الفيس إخوان كاذبون؛.. ؛.. ؛ كريم أحمد عبد المجيد؛ خرج من منزله، الشاب العشريني، مساء ٢٥ يناير ٢٠١٣ قاصدًا المشاركة في المظاهرات، وهروبًا من أدخنة قنابل الغاز، لجأ للسير بمحاذاة نهر النيل أمام ماسبيرو، حاول هو وصديقه الاختباء عن أعين رجال الأمن الذين يمطرونهم بالقنابل والخرطوش أمام مبنى الإذاعة والتليفزيون، فسقط في مياه النيل ليلقى حتفه شهيدًا.. رضا الرفاعي؛ أربعة وعشرون عامًا، الحسيني أبو ضيف، اثنان وثلاثون عامًا، نقيب شرطة أحمد البلكي، جابر صلاح؛ شهيد محمد محمود.. كل هؤلاء، وأنا منهم انتخبنا الدكتور محمد مرسي؛ فلمَّا عارضوا نظامه قتلهم. ما الفرق بينه وبين النظام السابق؟! كلاهم أيديهم ملطخة بالدماء، إن لم يكن بالمشاركة والقتل المباشر، فبالتخاذل عن الحماية؛ فابتسم مجاهد لهذا الإصرار، فناداه:

- كفاية يا وائل؟؛ أنت وإبراهيم؛ ولميس على رأس قائمة الاغتيال!.. فرجعت الزوجة تدافع عن مبارك؛ أنه لم يقتل المتظاهرين؛ المحكمة برأته؟٠ قال:

- مسؤوليته سياسية؛ كان الرئيس العام للشرطة، وكان لزامًا أن يعلن من بداية الأحداث أنه أمر بعدم التعرض للمتظاهرين السلميين٠٠

وظلت الحَلْقَةُ التي وُثقَ فيها وائل لـ *محمد الجندي* هي الحَلْقة الأكثر إيجاعًا.. ابتسامة على الوجه تصل إلى العينين اللتين يتغير شكل حدقتيهما بتلك الابتسامة، ينظر إلى عدسة الكاميرا حاملًا بين يديه صورة له مكتوب عليها " عاجل؛ أنا مش بلطجي"؛ من طنطا جاء يوم ٢٨ يناير، خرج مِثْلُه مثل الغاضبين في ذكرى يوم غضب الثورة الثاني؛ وإثْر مشادة كلامية على إحدى جوانب التحرير، اندلعت بسبب كونه عضوًا في التيار الشعبي اختفي بعدها، وثلاثة وعشرون متظاهرًا دون رجعة؛ قيل لهم: ستكونون في قسم قصر النيل؛ لكن القول غير العمل، ووعد الشرطة دائمًا يَنْكُث؛ فداخل معسكر الجبل الأخضر قيدوه، وبالكهرباء وغيرها عذبوه؛ وقالت والدته:

- سألت عنه كثيرًا، درت بين الأقسام كعبًا دائرًا، استغثت على الهواء بالرئيس محمد مرسي، اتصلت بجميع مقدمي البرامج المشهورة لعلهم يردوا لهفتي؟! وتأتي أخيرًا معلومة بأنه موجود في مستشفى الهلال غائب عن الوعي! آثارٌ البطش ظاهِرُةٌ؛ كسر بضلوع ثلاثة، بالبطن، والظهر آثار لكي النَّار؛ أيام وليالٍ عصيبة أجلس إلى جوار ابني ابتهل..

النهاية؛ جِنَازة؛ وخلعت الأم التي فَجَعَتْها المُصِيبةُ نعالها، وانهالت على رأسها تعاقب لأنها انتخبت محمد مرسي العيّاط!! من حرض داخليته على قتل ولدها، وصاحت: يا ابن الكـ ااالـب؟!.. تِتحِرِمْ من ولادك؛ كما حرمتني من ضناي؟؟ ابني مش بلطجي يا محمد يا مرسي؟! ابني لف الدنيا، ابني يتكلم ثلاث لغات.. وانفطرت تبكي لمقدم البرنامج:

- عذبوه يا ضناي حتى الموت لأنه رفض سبّ الضابط أُمَّه؛ لن أترك حقك يا محمد؟ لن أترك حقك يا ضناي؟ سآخذ حقك من مرسي العياط؛ فإنْ لَمْ أستطع، يأخذه لي منه ربّ يوم القيامة.. وعقب الصحفي على خبر الأم الثكلى:

- الأوْجع هي الرحلة الطويلة التي مازال يقضيها العشرات من الآباء والأمهات بحثًا عن أبنائهم الذين فقدوا في محيط ميدان التحرير، أو شوارع وسط البلد، ضمن الاشتباكات الأخيرة التي تزامنت مع حالات الاعتقال العشوائي التي ارتكبتها داخلية الإخوان الأيام الماضية في عودة صريحة للنظام القمعي.. يبدأ الأهل رحلتهم اليومية من محكمة عابدين على أمل العثور على ذويهم في إحدى عربات الترحيل التي تنقل المحتجزين للعرض على النيابة، يتبع ذلك جولة على باقي المحاكم من باب الخَلْقِ إلى "زينهم" إلى العباسية انتهاءً بالوايْلي.. وبعد جولة المحاكم والنيابة " كعب دائر "تبدأ رحلة مسائية؛ يبدأها الأهالي بالبحث في معسكرات الأمن المركزي (طرة - الجبل الأحمر – السلام) وسجون طرة المختلفة وأقسام شرطة وسط البلد؛ بَعْضُ محاولات أُسر المفقودين

تأتي بنتائج يتمكنون من خلالها تحديد مكان ذويهم بعد إلحاحٍ، وعرض صورة المختفي، واستدراج معلومات منقوصة من حرَّاس أماكن الاحتجاز أو موظفي الأقسام:

- ابنك في معسكر الجبل الأخضر، أو ينزل غدًا نيابة كذا، أو عرض على النيابة منذ يومين.. ليتشبث الأهل بالأمل، ويبدؤون رحلة جديدة من البحث اعتمادًا على هذه المعلومة؛ أن ابنهم مازال على قيد الحياة..

" محمد الشافعي " واحد وعشرون عامًا، طالب بمعهد حاسبات ومعلومات، والدته سيدة مصرية مُتحَجّبة هادئةٌ رزينة، وسكت وائل تركها تحكي للبرنامج:

- أبحث عن ابني منذ تسعة أيام بعد نزوله يوم الأربعاء ٣٠ يناير لشراء ملابس من شارع قصر النيل ليحضر بها فرح أختي؛ وبعد نزوله بثلاث ساعات فوجئت بأن هاتفه المحمول مغلق، ولم يعد إلى المنزل حتى الفجر، فحررت محضر غيابٍ، وبدأت رحلة البحث بمستشفيات قصر العيني، المنيرة، الحسين الجامعي فلم أجده..ونادت الصحفي مقدم البرنامج، وبملء صوتها الحزين:

- يا أستاذ وائل، رحلة بحث يومية أكررها؛ لجميع الأقسام ومعسكرات الأمن المركزي؛ يَتَعَمَّدُ العاملون بها الكذب على أهالي السجناء، وإبلاغهم معلومات خاطئة؛ بحثت عن محمد في الاشتباكات بكوبري قصر النيل، وسط الرصاص، والقنابل المسيلة للدموع، ووزعت صورته في الشوارع ولم

أجده!.. وبعد أربعة أيام قال لي مسئول بمديرية الأمن: ما دُمْتِ لم تجديه بالمستشفيات والمشرحة، فهو محبوس بمعسكرات الأمن المركزي، وطلب مني الصبر، وأنه سيتم الإفراج عنه في الوقت المناسب.

- طلب منكِ الصبر؟! بدلًا من حاولته معاونتك، وقال الكلمة البغيضة التي مللناها في الوقت المناسب ؟!؛ ولم تطلبي منه أكثر من الاطمئنان على ابنك، ومعرفة مكان احتجازه، حتى تتمكني من زيارته؟؟.. وغير مخفية شعورها بأن ابنها موجود في معسكر الجبل الأحمر، سيء السمعة وأنه يتعرض للتعذيب، هو ما دفعها إلى التوجه إلى سكرتير النائب العام تطلب منه المساعدة؛ فكان الرد: قال لي يا أستاذ وائل؛ وإيه اللي نزل ابنك؟؟ قلت:

- أنا لجأت لسيادتك لتطبيق نظام الحريات في الدستور الذي وافق عليه الشعب؟ من حق المواطن وفقًا للدستور الجديد أن يتم إبلاغ أهله بمكان احتجازه بعد مرور ١٢ ساعة من إلقاء القبض عليه.

- ها نطبق الدستور حين نُصْدر قانونًا، ابنك غلطان.. وبهدوئه المعتاد تساءل مقدم البرنامج:

- بدلًا من أن يطبق الدستور، أو القانون قال لك ابنك غلطان؟! غلطان لأنه مارس حقه في التظاهر السلمي؛ وكأن ثورة لم تقم؟! وكأن النظام البائد لم يزل؟! عُدنا للدولة البوليسية؟؟ وكأن دماء الشهداء ذهبت هدرًا؛ نحن لم نخرج قيد أنملة عن ممارسات النظام البائد.. وعادت أم محمد

الشافعي، وحاولت استدرار عطف سكرتير النائب العام فروت له - وهي لا تعرف أنها تغلق باب المساعدة دون أن تدري- روت محاولات اختطاف الأمن المركزي لابنتها بعد أحداث جمعة "الخلاص" وهي في طريقها إلى العمل بحجة مرورها من أمام قصر الاتحادية رغم أن هذا الطريق كانت تمر منه يوميًا في طريقها إلى العمل.

- وإيه اللي نزلها - سكرتير النائب العام - امنعيها من الشغل.

- فلم أتمالك نفسي يا أستاذ وائل.

- وهل هذا هو رأي السلطة؟؟

- ساعدني أطمئن على ابني حتى لا يلقى مصير الحسيني أبو ضيف؟.. قال:

- الحسيني فلاح والإهانة عليه صعبة؛ أولاد القاهرة يستقبلونها بسهولة..

- ومن سكرتير النائب العام إلى الأقسام مجددًا، استكملت رحلتي لمّا علمت بوصول سيارة من أحد المعسكرات لنيابة قصر النيل، فوقفت أنتظرها لعل نجلي بين المرَّحلين؛ فوجئت بشباب لا تتجاوز أعمارهم السابعة عشر عامًا مصابين بإصابات خطيرة وكدمات بالوجه، وبعدما تم إخلاء سبيلهم سارعت فوزعت عليهم صور لابني؛ إلا إنهم جميعًا لم يتعرفوا

عليه؛ فحاولت أن أطمئن نفسي؛ فسألتهم عن شكل المعاملة؟ وهل يتعرضون للتعذيب؟ فأخبروني قصصًا مروعة؛ فرجعت إلى البرنامج:

- يا أستاذ وائل؟ رغم أن المطالب الأساسية التي رفعها الثوار كانت، عيش، حرية، عدالة اجتماعية؟ في عهد مرسي لا عيش ولا حرية، ولاعدالة اجتماعية ؟!.. فعاد مقدم البرنامج ليردد:

- وكأن ثورة لم تقم؟ وكأن النظام الفاسد لم يسقط؟ فصاحت الأم:

- كنا أغبياء لمَّا انتخبنا مرسي؟.. انتخبنا الإسلاميين لتوفير الحريات، لأنهم أكثر من تعرضوا للظلم، إلا أنهم أول ما وصلوا إلى السلطة انتقموا من الشعب، وطلَّعوا فينا كل عقدهم النفسية.. وسألها مقدم البرنامج بنفس هدوئه المعتاد في نهاية المداخلة:

- هل تريدين أن توجهي رسالة إلى الرئيس محمد مرسي؟

- نعم أقول له اتق الله فينا؟ يا اللي حافظ القران؟ يا اللي طلعت من التحرير، وفتحت صدرك، وقلت الشعب أولادي؟ فيه أب يطلق البلطجية على أولاده؟؟ فيه أب يستهدف السياسيين، ويصفيهم، ويحتجز الثوار في معسكرات الأمن المركزي؟! كنت أحترمك وأحترم الإخوان؛ لكن بعد الظلم الذي تعرضت له أنا وابني الذي لا أعلم عنه شيئًا منذ أيام سأكون أول سيدة تنزل ضدك للتظاهر؛ فقدت الثقة به بعدما أساء إلى الدين؛ يعطي لجماعته حق الاعتراض، ويسمح لميليشياته بمحاصرة المحكمة

الدستورية وهتاف: هَـ نجِيبْ هُمْ لَك في شكارة.. ويحرم على باقي الشعب الاعتراض؛ ويعتبروننا كفرة!

* * *

أصبحت وسائل الإعلام مُتنفسًا لأصحاب المظالم؛ وبابًا للمواجهة؛ ووجبةً أساسية للمصريين، ولم يكن متوقعًا لحدة الصراع على السلطة أن تصل إلى حد إضفاء الشرعية على قتل المعارضين من داعية سلفي على قناة " الحافظ ":

- ضرورة ضرب عنق المحرضين على الفتن، وإثارة القلائل في البلاد كـ " حمدين؛ والبرادعي " فذكر الأخير في تغريدة عبر حسابه على توتير:

- عندما يفتي (شيوخ) بوجوب القتل باسم الدين دون أن يتم القبض عليهم، فقُلْ على النظام ودولته السَّلام! كم من جرائم ترتكب في حق الإسلام وباسمه! كان الداعية قد تحدّث في برنامج " في الميزان":

- معي صحيح مسلم شرح النووي - كتاب الجهاد - باب وجوب الوفاء من بيعة الخليفة الأول، قال -صلى الله عليه وسلم- من حديث عبد الله بن عمر، فيه: "من بايع إمامًا فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر"؛ الداعية، قال النووي في شرحه: ادفعوا الثاني فإنه خارج على الإمام، فإن لم يندفع إلا بحرب، وقتال فقاتلوه؛ فإن دعت المقاتلةُ إلى قتله جاز قتله، ولا ضمان فيه لأنه ظالم مُتعزم في

قتال، وفي باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع في حديث عَرْفَجة عنه -صلى الله عليه وسلم- : "ستكون هنّات وهنّات فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان"؛ فناداه مجاهد وهو يتابع عرض المشهد من خلال البرنامج المسائي العاشرة:

- يا مضل، يا مدلس، يا متزلف للسلطان؛ وإذا كان مرسي وجماعته وأمثالك هم من فرق أمر هذه الأمة وكانت جَميع؟؟ وهل جبهة الإنقاذ تنازعه الحكم، أم تطالبه بتجديد ثقة الناس فيه؟ وعرض الأمر عليهم ليختاروا لإدارة دولتهم من يريدون ؟.. فعقب للبرنامج أحد قيادات السلفية الجهادية:

- الدكتور فلان خلط في فتواه ما بين المنطق السياسي والآخر الشرعي؛ فمن الناحية السياسية الدكتور محمد مرسي لم يصل للحكم بطريقة شرعية لاعتماده على الديمقراطية التي يرفضها شرع الله، أما بالنسبة للشريعة فمن يخرج على الإمام فقد خرج على مذهب أهل الجماعة، والحاكم في الشريعة هو الإمام الأعظم الذي يجتمع حوله الناس، وله منهم السمع والطاعة، وهذا لا ينطبق على الدكتور مرسي لأنه في الأصل لا يطبق شرع الله.. فقال مجاهد لزوجته:

- وهذا أيضًا مدلس؛ فمرسي ما جاء إلا ليصرف دنيا الناس، وجاء بوسيلة ارتضاها لنفسه، وارتضاها المحكومين - الديمقراطية- وتعهد إن خرج عليه بعض الناس وقالوا له: ارحل؟ سيرحل؛ فكان ذلك عهدًا بينهم وبينه..

فحذر خبراء أمنيين ومحللون سياسيين من انتقال مسلسل اغتيال المعارضين إلى مصر؛ الذي بدأ في تونس باغتيال " شكري بالعيد " الأمين العام لحزب الوطنيين الديمقراطيين؛ القيادي في الجبهة الشعبية للمعارضة؛ وكانت مصر في نفس الليلة على موعد مع تلك الفتوى؛ وتحدث د. عمَّار؛ كاتب وباحث سياسي:

- مصر تشهد حالة من الاغتيالات المعنوية بدأت بالصراع على التعديلات الدستورية في مارس ٢٠١١ بالإضافة إلى تشويه معظم الرموز السياسية، والفكرية بالمجتمع، وظهور الجماعات المتطرفة على الساحة المصرية لا يمنع من تحول الاغتيالات المعنوية إلى اغتيالات مادية، في ظل فتاوى إهدار الدماء التي لا تزال في الكتب والرؤوس؛ في ظل استمرار غياب الأمن، وأن استخدام فصيل هذا الأسلوب لتخويف معارضيه وتكميم أفواههم سيؤدي إلى نتائج عكسية سيترتب عليها مزيد من المعارضة والتمرد.. فعلق " الصحفي الأشهر إبراهيم عيسى:

- كثير هم من سألوني عن مصير الشخصيات السياسية البارزة خلال الأيام القادمة عقب اغتيال"بَالْعِيد" وصدور فتوى إهدار دم قيادات الجبهة دون أن يلاحظوا أن إسلاميّ مصر لا يحتاجون إلى فتوى لكي يقوموا بعمليات تصفية لمعارضي " حكم المرشد " فقد بدؤوا خطتهم مبكرًا جدًا؛ فاستشهاد الصحفي "الحسيني أبو ضيف" الذي صوَّر حوادث الإخوان البشعة في الاتحادية تجاه المتظاهرين أمام قصر مرسي، وعلى مرأى ومسمع من حُرَّاسِهِ، لم يكن

سوى جزء من حلقة كبيرة من الاغتيالات التي طالت معارضي الجماعة الحاكمة في مصر؛ بعده جاء اغتيال "جيكا " و" كريستي " ثم "الجِنْدي" و"عمرو سعد" مؤخرًا، وكلهم شباب مؤسسون لصفحات ذائعة الصيت على مواقع التواصل الاجتماعي؛ يتقدمون المظاهرات التي تندد بديكتاتورية الجماعة ومُمَثِلِها في الرئاسة الدكتور مرسي.. فاستيقظ؛ قنديل، كعادته متأخرًا، ليدين الفتوى، واكتفى بنفي مسؤولية الحكومة عن أي اغتيالات، وأنها غير مسئولة عن حملات التحرش المنظمة التي تستهدف إبعاد الفتيات عن ميدان التحرير خلال التظاهرات لقمع الاحتجاجات.. فعلق له مجاهد وهو يتابع مؤتمره الصحفي: - قصة حمادة صابر تفضحكم؛ فمن له مصلحة إبعاد الفتيات عن ميدان التحرير غير الإخوان؟! وقص لزوجته بأسىً: سُعْرُ السلطة، وذعر الخروج منها جعل هؤلاء يفعلون أشياء لم تكن تُصدق!! أكثر من مائتي شخص يجتمعون للتحرش بفتاة؛ يفضح تواطؤهم الجو البارد؛ ولبس الفتاة ملابس شتوية، لا يتبدى منها شيء.. يا للنذالة؟! مجموعة تهجم فتحيط بالفتاة، وكذبًا قالوا لها - وهي مذعورة من إحاطتهم؛ إحاطة الذئاب بالفريسة - لا تخافي نحن لنَصدَّ عنك، ومن خُلَّتهم اندفعت المجموعة الثانية لتضغط وتمد أيديها تعبث بأجزاء الفتاة؛ مزقوا البلوزة، وجذبوا البنطلون بشدة، وهي تصد عن صدرها، فعتلت جسدها إلى الأرض؛ تجذب عليها ما بقي من البنطلون!. قاتلهم الله جميًا؟ جرَّدوها من البنطلون ومن غيره؛ جعلوا سفلهتا عارية.. وبكى، لم ينقذها إلا رجل فتح النار من أنبوبة بوتاجاز حملها فوق كتفه؛ أرسل عليهم اللهب حتى فضهم عنها، وسالت دموعه غزيرة،

فخلع شاب بنطلونه ألبسه الفتاة.. هذه سَفَالة أن يجتمع أكثر من مائتي ذئب فجأة لـ فتاة في ميدان؛ من أراد الفاحشة لا يرتكبها في مكان عام؟ هؤلاء ما قدموا إلا لإرهاب الفتيات والنساء عن التظاهر والرجوع عن الميدان؛ قال ورجع ينصت وزوجته لناشطة عجوز تخبر في - مجموعة تعرضن للتحرش - حضرن ليقصصن ما حدث لهن للبرنامج المسائي:

- التفوا حولي، مدوا أيديهم، يحاولون معي، لم ينقذني إلا كم الملابس الثقيلة التي خرجت أجمعها فوق بدني من البرد لولاها لتعرَّيت؛ كنا في مسيرة نمشي خلف رجال من الأزهر تأدبًا، فجأة تداخلت معنا مجموعة لا تقل عن ثلاثمائة فرد، عزلونا عن الرجال وأحاطوا بنا، أشكالهم لا يبدو عليها مطلقًا أنهم سوابق.. فعلق عبر مداخلة للبرنامج محامي وقيادي إخواني سابق انشق عن الجماعة يوبخ مرشدهم:

- يا دكتور بديع؛ مازلت أردد بيني وبين أقراني دروسك عن الإسلام والأخلاق وحقوق الإنسان ؟..علمني يا دكتور الإسلام من جديد ؟ هل صح عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: إن الله يعذب الذين يعذبون الناس؟ كيف تم سحل حمادة صابر حتى فقد كرامته، وفقدنا معه كرامتنا؟ هل هذا هو شرع الله الذي عاهدنا الناس على تطبيقه؟ هل الأم التي فقدت ابنها! والزوجة التي شاهدت زوجها ذليلًا مسحولًا على الأرض، واكتفت بقولها؛ حسبي الله ونعم الوكيل؟ هل سينتصر لها الله؟ أم يقف مع من قاموا بسحل الرجل الهزيل، ومن ركله في بطنه، ومزق حياء مصر كلها قبل أن

يمزق جسد صابر؟.. لم يكن أمام المسكين إلا أن يطلب من الإعلام التوقف عن إذاعة الشريط لشعوره بالإهانة والعذاب.. هيا يا دكتور بديع علمنا، ترى هل هذا ما كان ينتظره الناس منَّا أن نفعله بالأبرياء، أو حتى بغير الأبرياء.. علمني لأعلم أولادي..هل أصبحنا نحن جند الله الطائعين له، أم المعتدين الظالمين القاتلين؟؟..

كان "حمادة صابر" قد عكفت الفضائيات على عرض صورته ورجال الشرطة ينهالون عليه بالضرب فنزل منهم إلى الأرض، وهم يعتلونه، ويضربونه في محاولة لجره داخل مدرعة فانسلخ من ثيابه؛ وتعرى كيوم ولدته أمه، وانمَلَصَ منهم مرارًا يمتنع من دخول المدرعة فاجتمعوا عليه ركلًا وضربًا؛ وهو يزحف معتصمًا بالأرض، يتقلّب ويتلوّى من الضرب، يزحف مذعورًا للخلف، حتى لا يتم إدخاله للمدرعة، فجروه كجوالٍ، وشحنوه بها.. قالت ابنته لمراسل برنامج العاشرة، وقد انفرد بلقاء عائلته:

- مسئولون حاولوا استغلال فقرنا بإرسال سكر وزيت ليغيّر والدي أقواله؛ أن المتظاهرين هم من قاموا بالاعتداء عليه أمام قصر الاتحادية، وليس رجال الشرطة، فرفضوا جميع المحاولات، وصاحت الابنة في أسى:

- خطيبي فسخ خطبته مني بعد الحادث، لظهور والدي يزحف بين أقدام الشرطة عُريانًا..

فصب مجاهد جَمَّ غضبه على الذي يدافع عن الإخوان دفاع المستميت:

- يا " مخيول"؟ من أسماء الله الحسنى؛ الحييّ السِتّيرٌ؛ يُحِبُّ الحياءَ والسِتْر؟ أول ستره على عبده أن جعل مفاتح بدنه التي تستقبحها الأعين مستورة في باطنه؛ مغطاة في جمال ظاهره، وستره الثاني؛ أن جعل مستقر خواطره القبيحة ستر قلبه، ولو كشف ما يخطر بباله من الغِشّ، والخيانة، وسوء القصد لسَعَى بالنَّاس فأهلكوه، وستره الثالث؛ مَغْفِرَتِهِ ذنوبه التي كان يستحق الافتضاح بها على ملأ الخلائق؛ فوعد من تاب أن يبدّلها حسنات؛ ليستر مقابح ذنوبه، والعجيب؛ يا مخيول أن ما تعرض له "حمادة صابر" الجمعة الماضية أمام قصر الاتحادية يتعرض له ناشط سياسي؛ حمادة الأبيض، من عمال المحلة، عُثرَ عليه فاقد الوعي عُرْيانًا، فنُقَل للمستشفى في حالة هياج عصبي؛ أحد المرضى بغرفة المجني عليه قال لمراسل التلفزيون:
- حمادة.. وصل إلى المستشفى في حالة تشبه الصَّرع، وظل يردد: الإخوان لا، بلاش كهربا!. قال:

- لا تتهم بغير دليل يا مولانا ؟.. فاستطرد:

- يُدْني الله المُؤْمِنَ منه يوم القيامة فَيَضَعُ عليه كَنَفَهُ ويَسْتُرُه فيقولُ: أَتَعْرِفَ ذنبَ كذا ؟ أَتَعْرِفَ ذنبَ كذا ؟ فيقول نعم، أي ربّ.. حتى إذا قرَّرهُ بذنوبِهِ وَرَأَى في نفسه أنه هلكَ قال: سَتَرْتُها عليْكَ في الدنيا؛ وأنا أغفِرُها لك

اليومَ، فيُعطى كتاب حسناتهِ؛ والكذّابون الذين يزعمون أنهم جاءوا من أجل الشريعة، يقومون بتعرية الخلق؟!.. قال:

- يا مولانا، أرأيت بعينك؟ أسمعته بأذنك؟ أنت علمتنا ذلك؟

- قول والدته: نجلي تلقى تهديدات من مجهولين عبر المحمول بسبب نشاطه الثوري، وقوله، الإخوان لا، بلاش كهربا .. ثم مِنْ له مصلحة أن يُفْعل ذلك غير الإخوان لإرهاب الناس؟؟.. فأجاب على الفور:

- الإعلام المأجور يا مولانا.

- وحمادة صابر؛ مسحول الاتحادية! الإعلام هو من سحله؟ الصورة لا تكذب.

- حمادة صابر؛ بلطجي مأجور يا مولانا.

- وبفرض أنّه بلطجي؟ أنعرّيه؟ أنسحله؟.. فعميت عليه الإجابة.. فتابع يستدرجه:

- الإعلام مأجور مِمَّنْ؟؟

- الإمارات تَدْفعُ لهم يا مولانا.

- هل شاهدتهم وهم يدْفعون له ؟.. فنكَّت:

- يدفع لهم أحمد شفيق المطلوب على ذمة قضايا؛ ذهب إلى الإمارات للعُمْرَة فلم يرجع.

- ولِمَ لَمْ تظهر جرائم أحمد شفيق إلا بعد إعلان نتيجة انتخابات الرئاسة المزوَّرة؟

فرجع يصيح:

- الانتخابات الرئاسية مُزَوَّرة؟! أخبرنا عن الانتخابات زمن مبارك يا مولانا ؟.. قال:

- يشهد لتزويرها استمارات المطابع الأميرية؛ أكثر من مليون استمارة مؤشر عليها لصالح مرسي.. وانهال عليه:

- أين مشروع النهضة؟ النائب الأول للمرشد قال، لم أكن أقصد؛ وتراجع عن مشروع النهضة الذي خدعَ الناس؛ وحصدتم أصواتهم باسم الدين، وسأله عن مشروع الصكوك الإسلامية؟! هل هو قرض، أو إيجار، أو رهن، أو بيع، لا أحد يعرف؟ لأن الصك لغة؛ ورق مكتوب؛ فإذا كان صكًا ماليًّا فَمِن الممكن أن يكون قرضًا، أو رهنًا، أو إيجارًا، أو بيعًا.. هم يفسرون أي شيء كما يهْوُون، ويقولون نحن نطبق شرع الله، هم يريدون بيع المرافق العامة، أو على الأقل تأجيرها للأجانب.. قال:

- ولِمَ يريد الأجانب وضع أيديهم على المرافق العامة في مصر، يا مولانا؟

- لأن فُرَصَ الربح لديهم انخفضت، ليظلَّ المصري الفقير يدافع عن بيته، وأرضه، ويحاول سداد ديونه، وعندما يذهب هؤلاء عن الحكم يظل المصري الفقير يحاول سداد ديونه، مقابل أن يحكمه أنصاف المتعلمين هؤلاء، هؤلاء يخططون أيضًا لتأجير قناة السويس للعميل الأمريكي قطر، ولحسن الحظ؛ كثيرون انتبهوا كما انتبهوا لمشروع الصكوك الإسلامية الذي رفضه الأزهر،أقول؛ بلغ عَنّي هؤلاء: لن يستمروا طويلًا في الحكم، لخيبتهم خلال ال ٧ شهور الماضية، وللجرائم التي ارتكبوها منذ ٢٥ يناير الأولى للآن، وللكراهية التي يَبُثُّونها في نفوس المصريين، وقريبًا رحيلهم.. فاستخف به:

- قلت هذا كثيرًا يا مولانا؛ وما زال الإخوان يحكمون، وإلا، قل لي متى يرحلون بالضبط؟ هذا الشهر؟ يعني الشهر القادم الأخوان بَحَّ؛ ومرسي بَحّ؟؟!

- أنت غبي مثلهم٠

- لا تشتم يا مولانا؟ نحن نتناقش.

- أنا لا أشتِم أقول الإخوان سيرحلون فتهزأ٠ أنت مغرور بغرورهم، هذا إن لم تكن منهم ؟.. وسأله:

- هل هناك رئيس عاقل أو بالأحرى؛ جماعة عاقلة، فلمَ نحشر مرسي في الموضوع؛ يترك البلد في ظروف كهذه ليسافر ألمانيا؟ أتعرف لم سافر مرسي ألمانيا؟

- لِمَ يا مولانا؟

- لأنه رئيس فاشل وجماعة فاشلة؛ فوجئوا بأشياء لم يتصوروها تحدث من هذا الشعب، ولم يستطيعوا التصرف بمفردهم، ولا التحرك إلا بتأييد خارجي، وتزعمون أنكم أساتذة العالم! مبارك لم يكن عميلًا للأمريكان؛ أنتم ذلك، تريدون الاستغناء عن جزء من سيناء للفلسطينيين لتقام دولتهم فيها، مقابل أن تأخذ مصر جزء من صحراء النقب؟! أنتم خَدمُ إسرائيل، المقابل؛ حثّ أمريكا المجلس العسكري فأعْطاكم الحكم.

- لا تسمع للإشاعات التي يروج لها جبهة الدَّمار يا مولانا ؟..

وفي القرية كان أمر"أبي سريع" قد آل أيضًا لشيءٍ عجيب؛ يجلس تلقاء القبلة فإذا أبصره داخلًا المسجد، وثبَ فوقف فوق السجادة، وكان ابن عمه قد شاهد فرد الإخوان واقفًا يحرضه؛ فكان يتركه مُتَرَبّصًا، ظهره للقادم ينتظر الإقامة، فيفاجئه واقفًا في القبلة أمامه، فيمكث مُهاناً؛ ويأخذ الناس في التراصّ للصلاة، يبتسمون، فيضطر للنهوض، والوقوف في الصف..

لقد اكتسب شِيعة يجلسون كُلَّ أحد؛ يوم راحة الإمام؛ بعد صلاة العشاء ينتظرون درسه الناجح، يمثل لهم فيه، ويفصل الصلاة ودقائقها قرابة العام..

ثم انعطف لأحوال الموتى وشؤون الآخرة؛ وكان الحاضرون يبتهجون لعرضه الدقيق، وجمله المُقتَصدة، وتمثيله؛ وتصدوا للإمام لمّا جاء لوقف الدرس بتحريض. فصرحوا له: نحن لا نفهم منك؛ ونفهم كثيرًا من الشيخ فلان، سنذهب لمديرية الأوقاف نطالب برحيلك ؟!.. كانت فترة الدرس تقريبًا ربع ساعة، أو خمس وعشرين دقيقة على أقصى تقدير، لا يستخدم مكبرات الصوت؛ بل صوته المُتأني المباشر، وأحيانًا كان يعرض للشأن العام، وَنُكَتٍ لحكم الإخوان، وكان فرد الإخوان يرسل من يستعلمون له، فيصله من النقد المبطن لمرسي، ولم يستطع أن يوقف الدرس لحب الناس ودفاعهم عنه؛ وكان هذا من آثار الثورة، من أصبح له شيعة جُعِلَ له حسابًا..

لم يكن أبو سريع سيء القراءة يُطَرّبُ ويلحنُ فحسب؛ بل يسرق في الصلاة؛ فعرض لشأنه في الدرس؛ وحرض عليه: أقول صلاة هذا باطله؛ لأنه لا يقيم صلبه من الركوع، ولا بين السجدتين، وفي الحديث: "لا ينظر الله إلى صلاة رجلٍ لا يقيم صلبه في ركوعه وسجوده"، وكلكم يعلم ذلك، وإن آخر ما يصنعه المسلمون اليوم جماعة الصلاة، وهي آخر ما وصى به صلى الله عليه وسلم وهو يموت قال: "الصلاة، الصلاة وما ملكت أيْمانُكُم".. وخصَّ منهم خمسة، اختارهم من العائلات الكبيرة، وحثهم:

- اذهبوا إليه للنصيحة، وقال للباقين:

- كونوا أنصارًا لهم؛ ولا تعْتَدُّوا للقرابة، وأنا واثق - إن شاء الله- أنّه يتركها.. فعارضه شخص:

- أنا تحدثت معه ونصحته فلم ينتصح؛ قال:

- هذا لأنك شخصٌ واحدٌ، ولأن البعض وقف يتفرَّج، والبعض ساوى بينه وبين الأخ سامي، فلم ينصره؛ فجدد سامي عزمه؛ قال:

- ومازلت على استعداد أن أَجرّه من قفاه إن دخل القبلة.. قال:

- بل يذهب إليه من اخترنا، فيقولوا له:

- جئناك ناصحين؛ صيانة للجيرة والقرابة، الكثيرون لا يرغبون في صلاتك، وهناك من يستخرجونك من القبلة عُنوة متى تقدمت لها وكان يحرص على الدرس حفيدٌ لإحدى بناته؛ في الثانوية العامة، يتعاطف لجدة؛ وفي نفسه حُبًا له فأخذ أمَّه وذهبا يرجوانه:

- يستخرجونك من القبلة ومن يحرضوك لن ينصروك؛ وضرعت إليه ابنته؛ الله يسترك يا والدي، كفانا فضائح، ووقوع العائلات بعضهم في بعض؟ ولمست غروره؛ أنت لا تأخذ عليها أجرًا؛ دعهم فهم لا يستأهلونك؟؟ فرقَّ لها؛ ولمّا لم يظهر "أبو سريع" في المسجد لفروض متتالية؛ استوقف أحد النفر الخمسة، فسأله.. قال:

- لا، لم نذهب، وأنبأ الأخ في انكسار:

- عَلمنا أن ابن بنته الذي يحضر الدرس أخذ أمه وذهبا إليه، وبكت ابنته عنده، فامتنع عن الخروج للصلاة في المسجد، ولأن هذا الأخ هو نفسه

من كان يرى أنه لا جدوى من النصيحة؛ وأن المشاكل تتفاقم بها؛ ذكره كذلك:

- عندما يقع التعاون على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر تجيء النتيجة دائمًا كذلك، العجيب أن آنس في نفسه حزنًا؛ أنه تسبب في عدم شهود شخص للجماعة؟!

* * *

اتصلت مدام/أمنية - ولم يمض على لقاءهما السابق أقل من شهر- تخبر أنهما قادمان في زيارة سريعة لشقيقة الزوج المريضة وأنهما يخصُّونه بشيء يرجى قبوله؟ وابتسمت تعطي لزوجها الهاتف:

- الزوج معك .. قال:

- بعض الكتب كانت للوالد؛ كنت احتفظ بها، لعلها تنفع سعادتك أرجو قبولها ؟ وَبيّن؛ صحيح البخاري؛ ٣ مجلدات.. المجلد الأول والثاني والثالث.. تفسير الجليلين؛ مجلد واحد، وبعض المصاحف.. ففاض قلب مجاهد له ودًا.. قال:

- تفسير الجليلين تفسير مبسطٌ وسهلٌ في معاني القران، وصحيح البخاري كتاب لا غنى عنه.. قال:

- قرأتها مرارًا، وأنت عالم جليل، وهي تنفع سعادتك في مجال الدعوة.. فخشع له قلبه:

- هذا من كرم أخلاق سيادتكم؛ جزاكم الله خيرًا، الكتب لا تُرَدُّ، هديةٌ مقبولةٌ.. ولم يكن متوقعًا أن يقع اللِقاءُ الثاني هكذا سريعًا!؛ قال:

- أمنية تريد أن تكلمك؟.. فعقب لها مسرورًا:

- أشترط؟ كما قبلنا منكم تقبلوا مِنَّا؟ كتاب في التفسير، وكتاب في الحديث؟.. قالت:

- نقبل من الكتب التي لديك، ولا تحتاج إليها؛ وألا تَشْتَري جديدًا.. ولمّا علمت الزوجة هَبّت تدفع عن عرينها كلبؤة:

- إياك أن تذهب إليهم لتأتي بها؟ الذي يهدي شيئًا يأتي به؛ هذه مهانة!.. فَتَلَطَفَ:

- الناس في زيارة سريعة؛ أخت الزوج في المستشفى، والكتب ليست طعامًا يُتصدق به علينا..ولم يكن قد ذكر لها موضوع البذلة؛ وإلا ثارت ثائرتها؛ غَيْرَ أنها لم تقتنع:

- الموضوع على هواك، وأنت لا فائدة فيك، تظل كعادتك، تجد لنفسك مبررًا.. فاستدرجها للموافقة:

- لا فائدة فِي مُرْسِي ؟!.. فولجت معه للأحداث؛ فجعل يُحَدّثُها سعيدًا:

- ماذا على الناس أن تفعل؟! جمعة كشف الحساب، مليونية تزوير الاستفتاء، مليونية الذكرى الثانية لثورة يناير، جمعة الخلاص! مليونية الرحيل. فلم يجد أعضاء حركة ٦ أبريل ما يعبر عن احتجاجهم سوى حِزمًا من البرسيم نثروها أمام منزل مرسي بالتجمع الخامس في تظاهرة مفاجئة استمرت نحو الساعة، بالتزامن مع مليونية رد الكرامة أمام المقر الرئيسي للجماعة بالمقطم؛ فـ بالأمس حاصر المتظاهرون من أعضاء الحركة من المطرية، ومن عين شمس، ومن مصر الجديدة، ومن الزيتون منزل مرسي، وقطعوا الطريق أمامه، ورددوا هتافات: يسقط، يسقط حكم المرشد.. طول ما الدم المصري رخيص يسقط، يسقط أيّ رئيس.. وقال المنسق العام للحركة:

- إن مظاهراتهم تهدف للتعبير عن رفضهم سياسات الرئيس، والتنديد بالاعتداءات التي تعرض لها عدد من الصحفيين، والمتظاهرين السلميين، أمام مقر الجماعة السبت الماضي؛ وكانت الفضائيات قد مضت تعرض لتلك الصَّفعة العاتية التي تعرضت لها إحدى الناشطات على يد عُتلٍ من الجماعة، وعندما حاول الشاب"أحمد دومة " الصَّد عن الزميلة اجتمعوا عليه كالدببة حتى أدموه، واعتدوا على الصحفيين والمصورين؛ وامتلأ كلٌّ من شاهد منظر اختلال توازن الناشطة وهي تحاول الصمود للصفعة المفاجئة لتقع بعدها على الأرض، امتلأ كُلٌّ من شاهد المشهد غضبًا..

فتداعت كل الحركات، والقوى الثورية بالمحافظات، للتضامن مع الناشطة في جمعة رد الكرامة.

وفي الجيزة نُظّمت مسيرات شارك بها المئات للمطالبة برحيل النظام، والقصاص للشهداء؛ وتشكيل حكومة إنقاذ وطني؛ وعودة دستور ٧١ تمهيدًا لوضع دستور يحظى بالأغلبية، وتظاهر بميدان الشونة بالمحلة؛ المئات ورددوا: دم بدم.. رصاص برصاص..السلمية ماتت خلاص.. واكتب على جدران البيت.. مرسي جه بإزازة زيت.

وجابت مسيرات حاشدة ميادين السويس للمطالبة بالقصاص من قتلة شهدائهم؛ ورفعوا لافتات ضد حكم المرشد.

وحاصرت مسيرات غاضبة مقر" الحرية والعدالة " بالغردقة ورددوا هتافات: يا إخواني يا إخواني؛ إنتوا الحزب الوطني الثاني.. و" آه يا جماعة بألفين وِش؛ آه يا ذقون تخون وتغش ".

وبالإسكندرية انطلقت مسيرة من أمام مسجد القائد إبراهيم باتجاه المنطقة العسكرية للمطالبة بإسقاط ما أسموه " دولة الإخوان " أو "أخونة الدولة " وتفويض المجلس العسكري بإدارة شئون البلاد، ورفعوا صورًا للشهداء..وفي المساء لم تصبر زوج مجاهد حتى يضع حقيبة الدرس عن عاتقه؛ فأنبأت سعيدةً:

- أحمد عمر هاشم خطب اليوم خطبةً جميلةً؛ أشاد بالجيش وتجاهل مرسي، ففي هذا اليوم؛ من كل أسبوع يكون ذِهابه المبكر إلى المساجد للخُطْبة، وتظل هي نائمة، ولأنه ينْشغل من بعد العصر حتى المغرب بجلسة المسجد، كانت عندما تصحو؛ تذهب للزوم أمها في وحدتها بعد موت الزوج، ثم رحيل الابن الأصغر وشُغْلِ الابن الأكبر بأبنائه، فتقضيان النهار معًا، وتتغدّيان معًا؛ وترجع مع المغرب؛ فيقعدان يشاهدان التلفاز إلى منتصف الليل، أو قريبًا منه؛ وأحيانًا بعده..

كان أستاذ علم الحديث، ورئيس جامعة الأزهر الأسبق، هو المتصدّرُ الفصيح لجماعة الإخوان، والجماعات الدينية زمن مبارك؛ حتى إذا اسْتُهلك وَدعه النظام، ومضى نسيًا منسيًا، فظهر اليوم قعيدًا؛ اشتعل الرأس شيبًا، ليس رأسه فحسب؛ بل والحاجبان، وفي الخطبة التي حضرها الرئيس، ووزير الدفاع، وعدد من قادة الجيش؛ وعلى خلاف العادة لم يوجه الخطاب للرئيس بل تجلَّى يشيد - أكثر من مرة - بدور القوات المسلحة؛ وضمَّن خطبته التي حملت عنوان الوعد الحق..إن مصر تشهد مرحلة تحول تاريخية، نرجو اللهَ -تعالى- أن يسدد فيها الخطى لأن على مصر واجبًا مهمًا.. ثم مستشهدًا بقول أحد كبار المؤرخين؛ من لم يذهب إلى مصر لم يرَ عِزَّ الإسلام لأن فيها الأزهر منارة الإسلام، وقواتها المسلحة البررة الذين دافعوا عن أشرف تراث في الوجود ضد التتار والصليبيين، وصانوا حمى الوطن.. ما أسعد أمتنا اليوم حين نَلتقيَ قواتنا المسلحة في هذا البيت في يوم تكريم الشهداء،

والمجاهدين الأبرار، الذين عرفوا طريق الحق، والنور، والجنة؛ قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- : "إنه إذا فَتَحَ اللهُ عليكم مصر فاتخذوا فيها جندًا كثيرًا فهم خير أجناد الأرض، لأنهم وأهليهم في رباط إلى يوم القيامة.. وإن الله وعد مصر بالأمان فقال تعالى: "ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين"، وأنه ما نزل بلاء إلا بذنب. وأنه بالإيمان، وإقامة العدل، يتحقق الأمان في الأرض.. ثم متسائلًا: ماذا يضير العالم لو عاش الناس أحبة محققين للعدالة؟! وعرج على قصص الخلفاء الراشدين في الحكم؛ فبدأ بخطبة أبي بكر عندما تولى الخلافة؛ إني وُّلّيتُ عليكم ولست بخيركم، فأطيعوني ما أطعتُ اللهَ فيكم، فإن عصيتُ فلا طاعة لي عليكم. واستتبع بعمر الذي جمع أهله وأقاربه عند توليه الخلافة فقال لهم..اعلموا أنكم أول من يجوع وآخر من يشبع؛ مشيرًا إلى قصة قاضي كسرى، وقد جاء يسأل عن عمر، وقد اعتاد سكن الحصون المُشيّدة، فوجده نائمًا في الشارع فقال: حكمت فعدلتَ فأمنتَ فنمت يا عمر !.. وقالت الزوج مسرورة:

- كان وزير الدفاع ينظر مبتسمًا إلى د/ عمر هاشم، وهو يتحدث عن أبي بكر، وعن عمر، ومرسي ينظر في الأرض.. فرمقها مؤنبًا:
- وهل هذا ممَّن يُستمع إليه؟ كان خطيب مبارك؟!.. فَردتْ في حدة:
- صنع ما عليه.. وأخذت تدافع؛ أسْمِعْ مبارك كلامًا مثله..

- اتق الله ؟..تعنين حديثه الغاضب؛ لمّا خلّاهُ مبارك من المناصب، ومن رئاسة جامعة الأزهر فذهب مغاضبًا؟!.. ولئلا يقع بينهما التّصادم خليا النقاش؛ وراح كل إلى عالمه..

- فذهب هو بالتحليل النفسي؛ أن مرسي الذي فتح صدره في ميدان التحرير يوم التباهي؛ أنه لا يلبس القميص الواقي لم يعد اليوم مرسي؛ لقد فقد براءته وبات خائفًا، وفقد الكثير من بهجة الحكم، ولم يعتبره بريئًا أبدًا؛ إذ هو عامل لفكر الإخوان؛ يخشاهم ويخشى الشعب معًا، ويخشى الذهاب إلى الاتحادية، يخشى حتى وهو يصلي؛ يرمق بقلق الحرس الذي حوله في المسجد، خطيب الجمعة ذكره بحكاية عمر.. حكمت، فعدلت، فأمنت، فنمت يا عمر.. لماذا لم يقدم مبادرة؟.. لقد وجه كلمة بعد الصلاة بمناسبة ذكرى استعادة طابا وتحرير آخر شبر من سيناء، فتعمَّدَ ألا يشير إلى مبارك الذي أدار هذا الملف بنجاح.. وقال مجاهد لنفسه:

- - كان مبارك لا يزال يومئذٍ بريئًا؛ استعان بأبناء وطنه من ذوي الخبرة، الذين ذادوا عن طابا في قضية التحكيم الدولي ذودًا عظيما، ظَهروا على يهود، وليس على وجه الأرض أحد أزوغ منهم، ديدنهم لَبْس الحق بالباطل؛ أشاد مرسي أمام قادة، وضباط الأفرع الرئيسية، والجيوش الميدانية، والمناطق العسكرية بالدور الوطني للجيش

المصري في تأمين حدود الوطن باعتباره الحارس الحقيقي.. فقال مجاهد لنفسه:

- - كلمة يعني بها التودد للقادة! سمع نداء المعارضين المطالبين بنزول الجيش، فيحاول أن يقرأ في عيونهم هل هم معه؟ وهل الجيش ينزل فعلًا؟ وماذا تبقى له من الحكم ؟.. الجيش لمْ يقفْ مع مبارك؛ ومبارك كان منهم؟ ربما يسأل نفسه: هل يبيعني الجيش كما باع مبارك؟!.. المعلومات تأتيه مؤكدة.. بعض الثوار زحف إلى مقر الجماعة في المقطم، وبعضهم زحف إلى بيته في التجمع الخامس؛ الذين زحفوا إلى المقطم ذهبوا لرد الاعتبار يهتفون: يسقط يسقط حكم المرشد.. يعنى أنه لا يحكم؟ وأن الرئاسة تدار من المقطم؟ والذين نثروا البرسيم أمام بيته معناه؛ أنه لا يفهم؟! الوضع بات خطيرًا!

- سائق ميكروباص يتطوع بالنقل مجانًا: رايح المقطم ببلاش!.. الناس اختنقت، مبادرة واحدة تحل الأزمة لكن المرشد لا يريد؛ هل استوعب رسالة عمر هاشم؛ حكمت، فعدلت فأمنت، فنمت يا عمر؟ أجاب مجاهد لـ نفسه:

- - لا، لن يستوعب مرسي، ولا المرشد؛ يحتجّون بشرعية الصندوق، مرسي يقصد بكلمته؛ إرسال رسالة إلى الثوار من مقر المنطقة المركزية؛ اعملوا ما شئتم؟ معي الجماعة والسلطة؛ ثوار بلا قوة لا شيء.. وتناول معهم الغداء؛ فزحف الثوار إلى التجمع الخامس،

ونثروا البرسيم على بابه! يبعثون إليه: أنت لا تفهم! لن يكفنا عنك أحدٌ! ولا الجماعة ولو احتشدت ؟؟.. فعلى الرغم من مصر المُتْرَبَةُ بسوء الأحوال الجوية؛ والرؤية الغائمة، والطرق المغلقة، والصعوبة في القيادة؛ نَظَّم المئات من شباب الجماعة، وأعضاء حركة حازمون " مرشات " عسكرية، وتدريبات لياقة بدنية، مصحوبة بهتافات: صاعقة، صاعقة.. مهددين بالانتقام من كل من يقترب بسوء من مكتب الإرشاد، وقاموا بجمع كميات كبيرة من الطوب قاموا بإدخالها داخل مكتب الإرشاد، ووضعوا كمية كبيرة في النوافذ استعدادًا لاستخدامها ضد المتظاهرين؛ كانت ميلشيات الإخوان القادمة من المحافظات، و"حازمون" قد احتشدوا مبكرًا أمام مكتب الإرشاد؛ واسْتدْعتْ الجماعةُ قبل يوم المئات من شبابها إلى المقر العام بالمقطم، مساء الخميس، وفي الساعات المبكرة من صباح الجمعة في أتوبيسات وسيارات خاصة بمدارس الإخوان في القاهرة، وفي كل المحافظات للمشاركة في تأمين المقر في ظل دعوات المطالبة بِحَرْقه، وانتشر العشرات من الإخوان المسلحين حول المقر، وفوق سطحه، وعلى أسطح العمارات حوله بهدف التأمين من أعلى؛ وأدوا صلاة الجمعة أمامه استعدادًا لجمعة رد الكرامة التي دعت لها قوى مدنية وسياسية احتجاجًا على الاعتداء على النشطاء والمتظاهرين السلميين يومي السبت والأحد الماضيين٠٠فخرجت جرائد السبت كلاعب وسط مجيد تحاكي مشهد الأمس؛ الثالث والعشرون من

مارس.."عاصفة الكرامة" تحاصر "بيت الإخوان" حرب شوارع في "المقطم" والمحافظات تشتعل ضد الجماعة، والرئيس يصلي في الجيش، مرسي لضباط الجيش: أثق فيكم؛ وخطيب الجمعة يشيد بالجيش ويتجاهل الرئيس .. شلل بالملاحة البحرية، وتأثر حركة السير.. رياح خماسينية تضرب البلاد؛ صحيفة المصري اليوم٠٠ بروفة حرب شوارع في جمعة رد الكرامة؛ اشتباكات بالحجارة بين المتظاهرين، وشباب الإخوان، وحازمون أمام مكتب الإرشاد، والأمن المركزي يدفع بتشكيلات، ومدرعات للفصل بينهم؛ سكان المقطم يُخْلون مساكنهم خوفًا من العنف؛ مرسي يعود إلى القوات المسلحة بعد ٤ شهور؛ وتوكيلات السيسي؛ وقالت صحيفة اليوم السابع في تحليلها: فخلال فترة الأشهر الأربعة الماضية، التي شهدت تصاعد الاحتجاجات، وانتشار جمع التوكيلات الشعبية لتفويض وزير الدفاع الفريق أول عبد الفتاح السيسي لإدارة شئون البلاد، نفاها الرئيس مرسي من خلال خطوات عملية منها استقبال السيسي أكثر من مرة، واصطحابه له خلال جولته الأخيرة لباكستان والهند، وأخيرًا أمس بأداء صلاة الجمعة؛ التقى ضباط وجنود المنطقة العسكري المركزية، كما أدار حوارًا مفتوحًا..

* * *

الفصل الحادي عشر

ارْتَعَدَ الزميل بإدارة الاستخدام الخارجي لمَّا حان التفتيش على الشركة التي شكت مجاهد للوزير؛ فنال جزاءَ الإنذار؛ أخذًا في الاعتبار عدم حصوله على أية جزاءات طوال مدة خدمته، ارتعد للاتهامات المُقْذِعَةً التي وجهت لرئيسه في العمل، والتي يعلم أن جميعها باطلٌة؛ ولكنَّ اللهَ سلَّم؛ إذ وافق على الصلح؛ ولمْ يمكث مع أرباب السوابق في الحجز إلا لدقائق معدودة؛ وتضافرت كُلُّ الجهود من أجله؛ فَكَّرَ الزميل؛ وكانت الشركة قد ارتكبت مخالفة جديدة؛ ألحقت مهندسًا للعمل بالسعودية دون موافاة الإدارة بالتعاقد؛ فأخذ يضرع إلى مجاهد أن لا يأْخذهم بهذه الجريرة هذه المرة؟؟

- ولِمَ؟ أ لأنهم شكوني للوزير؟؟.. فاسترسل الزميل في ضراعته:

- أرجوك يا شيخ؛ دعهم حتى نجمع مع هذه الحالةِ بعض الحالات؛ فلا يكون لهم عُذرٌ.. تكرم فخَلّيهم؛ هم لا يزالون في أيدينا ؟؟.. واقترب من مجاهد قد ذهب لونه بينما يداه ترتعشان كتلميذ مفرط يربه أستاذه، لم يكن بالهزيل بل أطول منه، وأعرض، وأمْتَن، غير أنه من فصيلة هاني وأيمن محمود؛ فردّه في حسم لأنه يفرق من المسئولية:

- ولا نِصْفَ حالة! فانقلب فجأة للنقيض؛ وجاهر بعصيانه:

- إذن لن أذكر شيئًا في التقرير، لن أقيدها مخالفة، وقد كنت تغفل للبعض حالة ؟!..فاشتدَّ عليه غضبه إذ استخفّ بعصيانه؛ خوفًا من خصم ظالم:

- إن فعلت أحلتك للتحقيق.. وقال للزميلة التي تخرج مشاركة للزميل في الحملة:

- أدّ عملك عل أكمل وجه؛ لا تغفلي شيئًا؛ وأنا عونك فلا تخافي.. فخرجت هي الأخرى مُسْتَنفرة؛ وإن لم تعقب!.. فأقسم للجميع في شأن هذا الزميل الذي يرعد:

- والله، لن يخرج بعد اليوم في حملة أبدًا، قولوا له يختار إدارة ويتقدم بطلب، وسأوافق على نقله فورًا، وإلا سعيت له فيه.. وكان الزميل بعد حديثه المُنفلت قد غادر دون استئذان، ودون أن يُعْلم عن وجهته؛ فانبرت الزميلات تدافعن عنه:

- يا أستاذ مجاهد؛ بعد كل هذه السنين تستغني عن الأستاذ عبد الحي وتسعى في نقله؟! لا ننتظر من سيادتك ذلك؟ قضينا عمرنا معك مُتحابُّون في هذه الإدارة، والآن لا أمن لنا فقد تستغني عنَّا - حضرتك- في أي لحظة؟!

- وهل أعجبكم ردَّه؟! كيف أُسيّر عملًا أنا عنه مسئولًا؛ إذا قام كل أحد فسلك معي كذلك ؟.. فمضين في دفاعهن:

- هو لا يقصد عصيان حضرتك، تعلم جيدًا كيف جميعنا يحترمك؛ وأننا جميعًا باقون في هذه الإدارة لسببك؛ ولا أحد يمكنه عصيانك،.. وضرعت إليه الزميلة الرسول:

- سامحه يا شيخ..

- يا مدام ألمْ تسمعِ قوله؟! يعلن أنه لن يثبت المخالفة!! فتابعت في ودٍ صادق:

- كل على قدر إمكانياته؛ ليس كل الناس الشيخ مجاهد، هؤلاء أنذال؛ ادعوا عليك بالباطل إدعاءات فظيعة، ولم يتركوا جهة إلا شكوا حضرتك لها؟!

- إذن نخاف؟؟

- لا، وأكدت في صفاء بالغ؛ لكن ليس الناس الشيخ مجاهد؛ فرضي.. وقصّ عليهن:

- لا؛ والظريف أن القائم بعمل مدير المديرية، ومدير مكتب تفتيش العمل المشارك في الحملة، رجواني تأجيل الذهاب للتفتيش على هذه الشركة، وألا أقوم بتحرير محضر ضدها، بزعم أنه سبق تحرير محضرين سابقين؛ أحدهما حالة مشابهة، والثاني في ٢٠١٢ شكوى المواطن محمد فتحي، وطلبا ألا أخرج مشاركًا في الحملة درءًا للشبهات، وألا تدعي الشركة أني أتقصَّدهم بسبب شكواهم، فأطعتهم في هذه؛ ولكن تأجيل

التفتيش على الشركة، وألا نحرر لها محضرًا؛ هذا مستحيلٌ؛ أنهدم ما بنيناه؟ ونُهزم عن أداء الأمانة، أو أرحل عن هذه الإدارة؟!؛ لأن شركة ادعت علي؛ هذا مقصدهم، وأجابهم على مقالة الزميل.. أمَّا تركي أحيانًا بعض حالة؛ فهذا عندما تقر الشركة بالمخالفة، وتتقدم بطلب لتصحيح الخطأ، وإقرار بعدم العودة؛ وأفعله مع الجميع، ولكن هؤلاء تبجحوا، ورفضوا تصحيح الخطأ، والإقرار بالمخالفة.. فقلن جميعًا:

- كلنا يعلم عن حضرتك ذلك، ولا يشك أحدٌنا لحظة في نزاهتك سيادتك؛ لكن يبقى النذل نذلًا، فاعذر الزميل في خوفه؛ فليس كل أد الشيخ مجاهد؟! .. وبالفعل؛ كان قد بذل النصيحة الخالصة لابن صاحب الشركة وهما مجتمعان في الحجرة البديلة؛ انتظارًا لإتمام إجراءات الصلح، بعد مغادرتهما حجرة الحجز القذرة؛ وبيَّنَ أن لا عداوة قاصدة بينه وبينه، بل هو الواجب الوظيفي، وحق الدولة التي يحصل منها على الراتب وقال:

- اسألني أُجبك.. فسأله:

- ترك بعد الإجراءات التي لم تعد ملائمة؛ والأوراق الكثيرة التي يجب تقديمها والاحتفاظ بها.. الآن المتبع هو التويتر، والفيس بوك؟ ولا تزال القوى العاملة تعمل بسجلات وأوراق مستعملة في الزمن البائد؟!.. قال:

- لست ضدًا للتطوير، لكن السجلات التي ذكرت، والأوراق التي يجب على الشركة الاحتفاظ بها، صدرت بقانون وبجهود أشخاص، ولم يزل في بعضها نفع؛ وعليكم أصحاب الشركات أن تسعوا لدى الوزارة بطلب حذف ما لم يعد نافعًا أو يَقتَصدُ المال، والجهد، والوقت؛ وحتى يتم ذلك علينا جميعًا الالتزام بالقانون؛ وإلا فعل كلّ من شاء ما شاء!.. فلم يدع غريمه الفرصة التي لن تعود أبدًا كجماعة الإخوان. تعنت في طلب الأوراق التي وُقِعَ عليها ليُعجزَه، وذهب إلى النيابة الإدارية بشكوى مماثلة للتي قُدِمت للوزير، وبمثلها للمحافظ؛ في كلها يطلب المستندات التي سبلها مجاهد منصور من الشركة، ويطلب إعادة التحقيق؛ وفي كلها يرفق صورة من توقيعه أنَّه أخذها؛ كإقرار مادي للإدانة.. ولما جاء للمديرية طلب استدعائه للنيابة؛ قال يواسي نفسه:

- اثْبُتْ؟ فإن لم تَثْبُتْ أنت؛ فمن تراه يثبت لذلك؟! ابتلاءات تمر وتضيف إلى رصيدك، وارتعبت الزميلات حين علمن باستدعاء النيابة؛ وكنَّ جميعًا من الصنف الذي لم يرد للتحقيق في أيّ شأن عمرهن؛ فَوَدَّعْنه بنظرة أسى، فحمل ملف الشركة، وأخذ مصحفه وكتابًا يقرأ فيه عونًا على مشقة الانتظار في مثل هذه الأماكن..

وحضرت والعاشرة الباشا " سَارةُ " وكيل النيابة؛ شابة بيضاء، حديثة الزواج، حديثة التخرج، حديثة التعيين، لطيفة مبتسمة؛ ولولا نَمشٌ خفيفٌ لا تلحظه إلا عيْنٌ خبيرة، لاعتبرها جميلة جدًا، لم يمنعه غض البصر، وقد

جلس تلقاءها من ملاحظة ذلك عند مواجهته بالسؤال، وعند الإجابة، ظلت الباشا لطيفة مبتسمة، وبدا له أنَّها لا تكذبُهُ؛ تسأل للاستبيان لا للاتهام؛ لم توجه إليه تهمة اختلاس أوراق من الشركة، بل سألت عن ماهية عمل الإدارة، وعن إجراءات التفتيش، وعن واجبات المفتش، وواجبات الشركة؟ ولا يُحدثها مثله خبير:

- دليل الإجراءات؛ قرار وزاري رقم١٣٦ في مجال التفتيش على شركات إلحاق العمالة، والقرار ١٣٥ المنفذ للمواد من ١٧- ٢٥ من قانون العمل ١٢ لسنة ٢٠٠٣ ينصصا على أنه من حق المفتش أن يتحرى جيدًا عن مدى التزام الشركة بالقانون سالف الذكر؛ والحصول على المستندات التي تؤيد المخالفة؛ وأمّا عن دافع الشركة إلى تقديم شكوى ضدّي فسببه محضر حُرِرَ ضدها لمخالفة ارتكبتها في موضوع مواطن، يدعى، محمد فتحي عطية؛ وقص القصة..وذكر أنه لم يتبقَّ من الأوراق التي يزعم ابن صاحب الشركة إنه اختلسها إلا هذه؛ ست ورقات من مطبوعات شركة التسهيل؛ شركة لهم في القاهرة، تستخدم مقر الشركة الواقعة في دائرة نطاق المديرية كفرعٍ لها، وهذا مخالف لقانون العمل ١٢ والقرارات المنفذة مادة٠٠ ورفض ابن صاحب الشركة استلام هذه الوريقات الست، وحاول إرهابي عند عدة جهات منها وزير القوى العاملة والمحافظ؛ لتوقعي بالاستلام بادعاء الاختلاس، لأن نتيجة التحقيق في الموضوع نفسه لدى الوزارة لم تجئ على مراده، فحاول ابتزازي، فجاءكم بنفس الشكوى؛ يطالب بالكشكول المثبت فيه دليل معاملتهم مع المواطن محمد فتحي؛ والذي أنكرت الشركة صلتهم به، و الكشكول

أعطيته مندوب الشركة أمام جميع الزملاء والزميلات بالإدارة، والجواز سُلم للطبيب حتى لا يُضار بالتخلف عن سفره، وهذه الورقات الست التي ترفض الشركة استلامها، أرجو تسليمها للشاكي من قبل النيابة، وأنا على استعداد لتحمل أية مصاريف.. فأمرت الباشا: يتم استدعاء الشاكي.. وفي حالة عدم مثوله أمامنا يتم إرسالها إليه ببريد علم الوصول.

س.. هل لديك أقوالًا أخرى؟

- لا.. وطلبت منه مثول مدير مكتب تفتيش عمل ثانٍ المشارك في الحملة، وأي زميل معه بالإدارة للسؤال بنفس الموضوع، مع صورة من نتيجة تحقيق الوزارة في هذا الصدد.. وبعد شهر هاتفته سيادتها للحضور لاستلام الورقات الست لعدم استجابة الشاكي للحضور؛ ورفضه الاستلام؛ فسألها نَكِدًا:

- والحل سيادتك؟ أيظل يبتزّنا كذلك؟ ألا يمكن إرسال ضبطٍ وإحضارٍ له؟

- لا؛ هذا يُفعل مع المشكو في حقه حال رفضه الحضور.. انتهى دوري وأعددت تقريرًا بالموضوع لهيئة المفوضين يعرض في جلسة للمحكمة للحكم؛ فَوَجلَ لإعلان هذه المتعاطفة معه فراغ يدها من الموضوع؛ ووجود هيئة مفوضين، وجلسة محكمة للنظر في القضية؛ فسألها عن ماهية الحكم؟

- الجزاء في حالة الإدانة يكون إداريًا، ويُبْعثُ لجهة العمل يوصى بخصم بعض الراتب إن لم يسبق صدور جزاء من جهة أخر عن نفس الموضوع.

- وهل يظل هذا الشأن مفتوحًا؛ يهدر وقت العمل هكذا؟

- يظل من حق الشاكي الذهاب إلى أي جهة أخرى مَعْنية، وأعتقد أنه قد أغلق الباب لديْنا إلا في حالة ظهور جديدٍ.. وابتسمت الباشا بسلامة نيّة تُخبرهُ:

- طلب إليَّ الشاكي عدم حضورك للتفتيش على الشركة فقلت له ليس من حق الناس أن يختاروا من يقوم بالتفتيش عليهم.

- جزآك الله خيرًا.. هذا حقيقة مراده.

- وأنا أعلمته أنه ليس من حقه.. وعقب الحملة اتصل أخٌ ثالث لهذا الشخص؛ مدير شركة القاهرة؛ يجادل حول الإجراءات والدلائل التي تتخذها الإدارة لإثبات المخالفات؛ لا تتخذها مديرية القوى العاملة بالقاهرة، والقوى العاملة بالجيزة، ونفى مسؤوليتهم عن إلحاق المهندس للعمل؛ وأن الكفيل السعودي أو المهندس ذاته هو من قام باستخراج التأشيرة من السفارة دون علمهم:

- لا؛ ثبت على موقع إنجاز أن الشركة هي من قامت بالتنفيذ.. قال:

- من حقك أن تؤدي عملك بالطريقة التي يرضاها ضميرك؛ لكن نسألك روح القانون..ومن حقنا أن ندافع عن أنفسنا، يُهدد؛ ولا يمكن أن نقدم إليكم إقرارًا يُدِيننا لتصحيح خطأ لم نرتكبه. كما أننا قمنا بالتنازل لدى النيابة الإدارية عن الشكوى، يراوغ؛ ولم يتطرق للمستندات التي رُفضت الشركة استلامُها.

- من حقكم أن تشكوني، هذا لا يغضبني، ومن واجبي متابعة جميع شركات إلحاق العمالة الكائنة في نطاقنا، وتحري مدى التزامها بالقانون؛ ما يغضبني هو الإعلانات المتكررة المرسلة على يد محضر لبيتي لإرهاب أهلي، لديكم عنوان العمل؛ فما دخل بيتي هنا؟! قال:

- لا أعلم بهذا التصرف، سأعتب على من قام بذلك.. وعندما استلمت الزوجة الإعلان أول مرة أمسك عن لومها؛ رغم لغة الادعاء الرخيصة وطلب الشركة سرعة تسليم المستندات المنصوص عليها خلال أسبوع؛ وفي حالة التخلف سيتم رفع قضية أمام النيابة العامة بموجب هذا الإعلان الرسمي، والرجوع على المشكو في حقه بالتعويض للأضرار البليغة التي لحقت بالشركة، وحرمانها من الحصول على الأتعاب، وإفشاء أسرار الشركة للمنافسين بأخذ كشكول تعاملات العملاء وأرقام تليفوناتهم.. وعندما قامت الزوجة باستلام الإعلان للمرة الثانية، وقدمته إليه، وقامت تلومه:

- وهل الموضوع هذا لن ينتهي ؟؟.. فاشتد غضبه عليها:

- ألا تفهمين؟! لم تستلميه؟! فجعلت تبرر لما سبق أن حذرها منه:

- قال الشخص أنه إعلان جاءك من المحكمة، وَطلبَ مني التوقيع بالاستلام.

- وهل هذا يخصك ؟؟.. فقضت تدينه:

- تعمل المصائب، وتلوم غيرك؟! طالما لا تريد أن يضطلع أحد بأخطائك، قل لهم لا يرسلون على عنوان البيت، ويرسلون على عنوانك بالمديرية؟ فسكت حزينًا.. فقالت بآخر حجتها:

- الحاجة هي من جاءت بالمحضر إلى الحضانة فاضطررت لاستلامه٠٠ وتنفس الصعداء

عندما جاءه خطاب المكتب المشارك في الحملة على الشركة ينصص:

بعد التحية

نتشرف أن نرسل لسيادتكم صورة ضوئية من المحضر ضد شركة.. رقم .. تاريخ ١/٤/ ٢٠١٣ لقيام الشركة المذكورة بتنفيذ عقد عمل المواطن.. بمهنة مهندس مدني للعمل لدى الكفيل سعود عبد العزيز، دون الرجوع للإدارة لتسجيل الطلبية واعتماد العقد، ويعتبر ذلك مخالفًا للمادة ٢٠ من القانون ١٢ لسنة ٢٠٠٣ والمادة ٢٠ للقرار الوزاري ١٣٥.

مرسل برجاء العلم، والإحاطة، واتخاذ اللازم.. فأَمْهَرَهُ بتوقيعه، وكتابة عبارة، أ/ نادية؛ المشاركة في الحملة لرفعه للوزارة، وقال في نفسه: لا إنذاراتهم أرهبتنا، ولا ذهابهم للنيابة أرعبنا؛ طبقنا القانون وحققنا العدل.

ولمّا ذهب لجلب الكتب؛ اختار ثيابه بعناية.. بنطلون أزرق سماوي مُخططٌ، وجاكت كحلي أنيق ماركة مشهورة، مع قميص نِصْفِ كُمِ حديث كتان مُخَطَّطٌ، به خط سماوي وخط ككاوي، وحذاء شموا نفس اللون، وكانت بشائر الصّيف قد أطَلّتَ؛ جو شبه دفيء؛ لكن رعايةً لبدنه النحيف من لَسْعة برد راعى ذلك، وراعى أن يرسل القميص أمام فتحة الجاكت يستر قُبُلَه ولم يجعله كالعادة داخل البنطلون، ولمّا وجد ثلاث سيارات ملاكي في مدخل العمارة؛ ولم يتسع المجال لسيارته، استعرض بها خلف سيارتين منها.. كانت إحدى السيارات حديثة ولطيفة كاللاتي يستعملها النساء الرفيهات؛ أو وكيلات النّيابة؛ فاستبعد أن تكون لهم، الثانية قديمة غير التي لقيهم فيها أول مرة عند مسجد النَّصر عندما لمحته مدام/ أُمْنية واقفًا يتحدث إلى العقيد سيد فريد؛ فأشارت إلى الزوج، فنزل إليه فورًا قبل أن يضيع منهما، ولمْ يصبرْ كي يستعرض السيارة الثالثة، اتصل على الموبايل بالزوج يُعْلِمُهُ بمجيئه، فطلب منه أن يصعد ليشرب الشايَ.. أَحَسَّ الطَّلبَ من باب المُعارَضة فَعَفَّ؛ وكان قد أَمَّلَ أن يروه ويتحدث إليهما؛ لكنَّ الزَوْجُ أَسرع بإخباره أن الأشياء موجودة بالسيارة وأنه نازلٌ إليه حالًا.. فترك السيارة وقام في انتظاره للعناية، ولُيُعلِمَه أنه أيضًا مُتأهبًا للسير في عزةِ نفس.. ودَّ لو نظر إلى النافذة؛ فربما رأى مدام/ أمنية؛ فاستحْيَا؛ فالشقة في الدور الرابع.. وأقبل الزَّوْجُ حَفِيًّا،

كان في قميص صيفي أو يكاد؛ فالقميصُ ذو أكمام، يضعه داخل البنطلون.. انقلب فورًا بعد السلام قاصِدًا السيارة الثالثة؛ تويويتا حمراء في حالة طيبة ولم تكن جديدة، من الجيل الأميل إلى صغر الحجم. أسرع بفتح الشنْطَة، واستخرج حقيبة بلاستيك كبيرة فأسرع بحملها عنه إكْرامًا ففوجئ بها ثقيلة جدا.. أغلق الزوج الشنطة وقام لتحيته، وهمّا بالانصراف.. وفجأة تذكَّر شيئًا فأسرع إلى السيارة، وفتح الباب الأمامي المجاور للسائق، وجاءه بشيء:

- هذه هدية أُمنية لزوجة جنابك.. تحياتي للأَهْلِ ولجنابك.. فَقَبلهُا متشكرًا، وردَّ التحية:

- سلامنا للزوجة والبنات.. ونسي أن يسأله عن أخته المريضة التي جاءا لزيارتها !.. وركب السيارة مهمومًا لسرعة المغادرة؛ في حالة من يريد أن يَفْزعَ إلى البكاء !..وقبل أن يصعد إلى الشقة نظر في الأشياء؛ فابْتَدأَ بالشيْء الذي نحلته مدام/ أمنية زوجته ؛ ستة أَكْوابٍ في غلاف عرض، تبدت الأكواب نحيلة جدًا؛ لدرجة أنه فكر: أيّ شيء يُشْرَبُ في هذه ؟! هذه ليست للشاي؛ أكواب الشاي أكبر كثيرًا! أعجبته الفكرة " تَهادُوا تَحابوا " ولم تُعْجِبه الهدية، وأخذتَ من رصيد مدام/ أمنية عنده؛ الحرص الشديد، والغيرة منْ منعاها حُسنِ تنفيذ الفكرة، وكان يفهم في غِيرَة النساء، وامتنع عن ذكر " البُخْلِ " كي لا يقسو عليها قسوة مدير المديرية الأسبق حين لم تُقَدِمْ له في ضيافتها الطعام، فَوَجَدَ عليها، فوصفها به لصاحبتها، فَغَضِبت، وظنَّ أن الهدية لن تقع من قلب زوجته موضع الرضا، إلا أنه قرر حملها إليها، وفتح

الشَّنْطة البلاستيك التي بها الكتب فوجد فيها عِلْبَةً قطيفة حمراء مُربَعة ١٥سم × ١٥سم صناعة يدوية، العلبة محمولة على أربعة أرجل مخروطية من بلاستيك غليظ، مُزَيّنة بين قطعتيها بشريط زِجْزاجٍ أزرق، مرصوص عليه أقواس هلالية بيضاء، مكتوبٌ على الغطاء، قرآن كريم؛ فمَكثَ كثيرًا مع الغطاء حتى فتحه.. وجد في ناحية القاعدة قطعة دقيقة جدًا من نحاس حال لونه على شكل وُريقة ذي عُرْوة، يدخل فيها بَذْرٌ، ضَغَطَ الوُريقة فانفضت العروة وخلت البذر، وجد في العلبة مصحفًا صغيرًا خَطُّهُ غير واضح! فعلم أنه ليس للقراءة؛ بل يوضع للشخص لحفظه؛ كما يعتقد عوام الناس، وعلى الرغم أن ذلك لم يَصِحّ؛ وأن القران ما نزل لهذا، وكان يضع أمامه فوق الطَّابْلون مصحفًا كبيرًا يَقْرأ فيه حال الانتظار، إلا أنَّه لعلمه أن م/ أُمنية ما أرْسلتِ العِلْبةُ إلا لتوضع في موضعها هذا، وضع العلبة القطيفة الحمراء، والمصحف الذي بها إلى جوار مصحفه المقروء أمامه؛ فوق الطابلون في عناية الأمين، وحمل باقي الأشياء إلى الشقة..

ولمّا قعد يراها، وكانت الزوج قد ذهبت من قَبل العصر لدرس النساء وخلَفته، فعادت، فوجدته يتصفح الكتب، وإلى جواره على مِقعد بالصالة الستة أكواب في غلاف العرض، فلم تصبر؛ التقطتها، وسألت مُتحفّزةً، فمضى يتصفح كتاب تفسير الجليلين، من الهدية وأخبر مبتسمًا:

- هدية م /أُمنية لكِ؛ أعطنيها الزوج، وقال، هذه هدية فلانة، لزوجة جنابك.. فغَضِبت:

- وأيضًا ذهبت؟؟

- اتصل الزوج على الموبايل؛ فاستحييت منه، وقال في ابتلاءٍ دون أن ينظر، أنا لا أحب أن أُوذي الناس..ذهبت إليه وعُدتُّ ولم أقْعُدْ.. يُسَلِمُ عَلَيْكِ.. فتناولت الموبايل، تفتش في صندوق الوارد.. ومن حسن حظه أن الزوج كان قد اتصل يعلمه أنهما قد وصلا، فرأت تلك المكالمة ثابتة، فانقلبت تفتش في المكالمات الصادرة، فعثرت بالاتصال الآخر؛ فقالت كذلك ترنو إليه كنمِرة:

- وما هذه ؟؟.. ودون أن ينظر تابع في أسى:

- عندما وصلت؛ لم أُشأ أن أصعد إليهم حتى لا أُضطرَ إلى الدخول؛ فاتصلت بالزوج، وكنت قد علمت منه أنه يحتفظ بالكتب في السيارة، وطلب منّي الصعود لأشرب معهم الشاي فاعتذرت، فنزل إليّ فأعطنيها؛ والهدية خاصتك، فسلمت عليه، وشكرته، وانصرفت.. دقق الكلمات في عناية قبل النطق، واستطرد في انفراجة همٍّ، أعجب من تفريط الزوج في هذا المجلد؛ تفسير موجز ومفيد؛ مذيل بأسباب النزول للسيوطي؛ طبعة - بيروت- لبنان ١٣٩٩ هجرية ١٩٧٩ ميلادية !!. مجلدًا واحدًا كبير الحجم متين الغلاف، عليه كتابة بارزة، وأربع مستطيلات طِباقًا مذهبة، بارزة، بحجم الكتاب، الفراغ الذي بين المستطيل الثالث والرابع سعة ٢ سم عليه نقوش إسلامية، وبداخل المستطيل الرابع شكل بيضاوي صَنَعَ معه مِثْلَ بابٍ من أبواب المساجد الأثرية العتيقة.. في صدره رسم إسلامي بارز

وكبير نوعًا ما، أسفل منه بخَطٍ بارزٍ وواضحٍ وجَميلٍ: تفسير الجليلين.. المجلد أربعة ألوان؛ اللون الذهبي للعنوان، والرسم، الإسلامي، وخطوط المستطيلات.. والبرتقالي للشكل البيضاوي، وأرضية الرسم الإسلامي المُذَهَّب.. والبني المحروق أرضيةً المجلد؛ أْسَعده المُجلدُ جدًا، خاصة، ورق الصفحات الصفراء السميكة المعتقة؛ الطيبة الرائحة، المريحة للنظر، فقال في تؤدةٍ يستشيرها؛ محرضا على الكلام:

- الرأي؛ أن نرسل إليهم بكتابين؛ كتاب في التفسير؟ وكتاب في الحديث ؟..هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ كان هذا شرطي لقبول الهدية كما عَلِمْتِ.. فسألته وقد بدأت تهدأ:

- أتشتري جديدًا؟؟

- لا، بل نختار لهم من كتبنا كتاب في الحديث سهل درسناه؛ الوصايا، وشيء في التفسير أستشيرك له؟ نرسلهما إلى أختها بشقة الوالدة، تقول م/ أمنية أن ابن أختها هذه يذهب إليهم باستمرار، فيحملها إليهم. قال وهو يتصفح الكتاب الثاني من الهدية؛ صحيح البخاري.. ثلاث مجلدات كبيرة الحجم عتيقة جدًا، بليت حوافَها وحال لونها، تجليد يدوي أو محلي مجهول المصدر تصفح بعضه.. الأوراق صفراء معتقة، مطابع الشعب ١٣٧٨هـ العبارات مُشَكلة، والطباعة لم تزل جليةً، تبويب صاحبه، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، فقرأ.. وُلِدَ رضي الله عنه ببخارى يوم الجمعة أو ليلتها ثالث عشر شوال سنة ١٩٤ هـ، وتُوُفي ليلة السبت

ليلة عيد الفطر سنة ٢٥٦ هـ عن اثنين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يومًا، رُوِي عنه أنه قال:

- خرَّجتُ كتاب الصحيح من زهاء ستمائة ألف حديث في ستة عشر سنة.. وما وضعت فيه حديثًا إلا اغتسلت، وصليت ركعتين، واستخرت الله، وبدا لي فيه برهان، وقال:

- كتبت عن ألف وثمانين رجلٍ ليس فيهم إلا صاحب حديث كلهم يقول؛ الإيمانُ قول وعمل.. وَرَوَى عنه رجال كثيرون نحو مائة ألف، وعظَّمه العلماء غاية التعظيم حتى أن مُسْلمًا صاحب الصحيح، كان كلما دخل عليه قال:

- دعني أقبل رجليك يا طبيب الحديث في علله، ويا سيد المحدثين.. كان يحفظ وهو صبي سبعين ألف حديث سردًا، وكان ينظر في الكتاب مرة واحدة فيحفظ ما فيه من نظرة واحدة، وكان يقوم بعد التراويح في رمضان بثُلِثِ القرآن، وكان مُجابُ الدَّعوة، وصحيحه؛ أصح كتب السنُّة، عدد أحاديثه سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون، وبإسقاط المكرر، أربعة آلاف، وقيل غير ذلك.. ففاضت بالدمع عينا مجاهد وهو يقرأ هذه المقدمة وفكر: لو كنت في زمانه ما خلّيته عُمْري، ودعا بجواره في الدار الآخرة.. كان قد قرأ أن البخاري تعرض للفتنة ممن هم دونه؛ من أنصاف العلماء، طفقوا ينهون الناس عنه يتهمونه، وهو الفذّ.. كان الكتاب من فروع النسخة اليونانية المُعَول عليها في جميع روايات صحيح

البخاري، بمادته الخام، رواية وتبويب صاحبه، الباب تلو الباب، والحديث تلو الحديث بجميع السلسلة الرواة.. وهو كذلك كبحر الْتطمت أمواجه؛ من ولجه من العامة، وهم لا يجيدون هذا النوع من السباحة غَرِق.. وتذكر مقالة زوج م/ أمنية ليتخلص منه لمّا حرضه على الاحتفاظ به: قرأته مرارًا، وعرفت ما فيه.. وظنَّ أن العبارة الصحيحة؛ وحاولت أن أفهم منه شيئًا دون جدوى.. فأشفق عليه؛ فمنذ خمسة وعشرين عامًا قني نسخة مُفسرة من الصحيح؛ فتح الباري، شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني تخلص منها فرد باعها له زمن قبل الشقاق؛ وقال يخبره: كتاب صعب؛ حصلت عليه بتخفيض كبير أتنازل عنه، أعطيكه بنفس ثمنه؟ أعرفك مُحباً للقراءة؟. فاشتراه منه؛ ثلاثة عشر مجلدًا، طباعة دار الريان للتراث ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧م٠ كان يطالع في الصفحة الواحدة ساعات فلا يخرج منها إلا بربع فهم.. فيعيد القراءة، لا ييأس، ويبتهل إلى الله أن يعينه.. وعندما فتح أول مجلد؛ انهار الغلاف وترك الكتاب، وبعد فترة قليلة لم يبق مجلدًا واحدًا سليم الغلاف؛ فقال في نفسه: شرَّبةً شربكها فرد الإخوان؟ غير أن أمره انتهى به إلى متعة الدرس، حتى وجده يهضم هذا الفتح، ويعلم نكت البخاري البليغة؛ إذ يُلَمّحُ عن رأيه في المسألة لا يصرح، وفهم حتى الحواشي، واستمتع باستنباط أحكام؛ وغالبًا ما دار مع البخاري في الرأي؛ أو خالفه للأقوى حجة؛ وبقي له عنده في كل حال بالغ التوقير والمودة..

العجيب أن الزوجة أخرجت من الأكواب الستة الهدية كوبًا راق لها أن تشرب فيه شايًا، وكانا لا يرضيان للغرض ذاته سوى طقم فرنسي الصنع؛ الكوب على شكل زهرة اللوتس؛ شعار الدقهلية.. والحقيقة أن دافع التفضيل لم يكن لأن الكوب على شكل شعار محافظتهما، فقبل أحداث يناير لم يكن همهما السياسة أبدًا؛ إنما يكرهانها لما تنطوي عليه: من قلة الضمير؛ على حد تعبير الزوجة؛ فكان لشاي "العروسة" الطعم الرائع إذا شرباه من هذا الكوب، لدرجة أنه من ضمن سعادتهما اليومية، فلا يستطعمان نفس الطعم لهذا النوع المفضل من الشاي ولا يتلذذان به إلا إذا شرباه في هذا الكوب..زجاج متين صافٍ لدرجة أن الكوب كانت إذا ما وقعت من علٌ على قعرها تدور ولا تنكسر، اشتراه أخوها حين قضائه فترة امتيازه كطبيب في بورسعيد؛ منطقة التجارة الحرّة.. كان كلما نزل إجازة أخفي في حقيبته الطّبّية بين ثيابه المستعملة بعض قطع من أدوات المطبخ التي كلفته بشرائها أمُّه المُدبّرة إبّان تجهيزها شيئً فشيئًا لحاجيات المطبخ، كانوا جميعًا شديدو الكلفة في إرضاء الزوجة؛ تنادي والدها إذا قبض الراتب:

- تعال يا فلان باسمه المجرد.

- حاضر يا أبلتي.. ويذعن؛ فتفتش جيبه، وتأخذ ما تشاء وتُعَقبُ:

- يا فلان؟ أتدكن شيئًا؟؟

- لا يا أبلتي.. وتفضحه النبرة المترددة؛ فتجذه من شعره، وتدعه لتنتقل إلى أمها:

- هي يا فلانة؟.. ما معك لهذه السفرة؟، لقد رأيت من كذا، كذا؛ وكذا؟ إذ يكون قد سبق شراء جيلًا أو جيلين من هذا الشيء؛ ثم ظهر جيلًا حديثًا تريد إضافته.

- كل طلباتك يا حبيبتي مجابة؛ ما رأيتهِ نُحْضِره.. فيهزأ الطبيب؛ من أمه التي لا تهتم بلباسها:

- أعربي يا فلانة.. أُمك بعكوكة؟.. ما موقع بعكوكة من الإعراب؟.. فتجيب وهي في حجرها:

- حـــال.

- يبقى حال أمك ماذا؟

- " بعكوكة " فتشتمهما في غير ضغينة كذلك:

- يا الله؛ يا أولاد..هل هذا جزاء الإحسان ؟.. فيتماديان في الهزار.

- أعربي؛ كذا..

- حـال. وفي رأيه أن التدليل هو من أفسد عليه زوجه؛ ما تنفك تأمره، وهو يكره الأمر؛ فحُرِما الرضا، بيد أنه لم يوفق بينهما إلا رأيُهما في النخبة

التي قانت بعد ٢٥ يناير؛ فعكّرت الصفاء، ورأيهما في الإخوان؛ أنهم ينالون جزاءً مَاحقًا للفتنة التي أوقعوا الناس بها.. فسألته الزوجة تعجب:

- لِمَ يفعلون ذلك؟؟

- استكبارًا في الأرض، ومكر السيّئ؛ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله.. ففي الحَلْقة الرابعة؛ عن الإخوان ونظام الحكمِ، لمَّا سألت لميس الحديدي "هيكل":

- مصر إلى أين؟ قال:

- نبدأ الحديث عن أمر يخصنا جميعًا، وهو الإعلام.

- وهذه التهديدات التي انتقلت من مرحلة الحصار؛ ثَمَّ مرحلة البلاغات إلى مرحلة التهديد بإغلاق المحطات، كيف تفسرها؟ وإلى أين تأخذنا؟ مقدمة البرنامج.

- باستمرار هناك علاقة تناقض بين كل سلطة، وكل إعلام. هيكل. كلاهما يقف على طرفَيّ النقيض، السلطة باستمرار تريد أن تحتفظ بما تفعله لنفسها وتُعْطى الحقُّ في الولاية في التصرف في الشأن العام، بينما الإعلام والصحافة راغبان في أن يذيعا ويكشفا الحقائق للناس لأنها مسئوليتهما؛ فالتناقض الأساسي موجود في كل العصور، لكن المشكلة في الإخوان أنهم أتوْا للسلطة بعد تجربة شديدة المرارة واضطهاد

باستمرار، لكن عندما جاءت ثورة ٢٥ يناير، والسؤال حينها كم ساهم الإخوان بها؟ سنجد أنهم جاءوا متأخرين جدًا عن الميدان حيث كان لديهم بعض الترتيبات، ووجدوا أنفسهم فجأة أن السلطة جميعها وقعت في أيديهم، فنجد حينها أنهم لم يكونوا مهيئين أو مستعدين، فقد تعودوا على العمل السري، فقد وصلوا للمرتجى في نهاية المطاف، وتساءلوا كيف يمكن أن يحدث هذا؟! ووجدوا أنفسهم في صِدَام ليس مع الإعلام فقط، بل مع المجتمع كله؛ فالإخوان يرون السلطة أمامهم، ولم يتعودوا على النقد الساخر.. فقالت الزوجة وهما قاعدان يتابعان البرنامج:

- هذا الرجل لا أرتاح له؛ غَيِّرِ القناة؟

- اصبري؟ هذا، لديه معلومات، وله اتصالات، يخشى من مواجهة السلطة؛ يتقدم شيئًا فيلوم، ثُمّ يُداهن بالتبرير لأنَّ له حساباته وتقديراته للمخاطر.

- وما يجبرنا أن نسمع لواحد مثله؟

- قلت لأن عنده معلومات؛ وله اتصالات بالداخل والخارج، اصبري تعرفي نحن زمن الفتن الشديدة، والفَتَنُ تظهر معادن الرجال.. فسألته الإعلامية:

- وماذا باسم يوسف ؟! أجاب:

- في النقد السياسي والصحفي هناك عدة مستويات، فالكتابات في الصحف تعتبر كأنها الحرب التقليدية بين السلطة والإعلام، وكأننا نستخدم الرصاص والمدافع، بينما التليفزيون؛ كأن الإعلام يستخدم الطيران بصورة عابرة في حرية مع الحاكم، لكن باسم استخدم أسلحة غير تقليدية، فـ السخرية أرى أنها نوع من حرب الأعصاب أو غاز الأعصاب؛ وهذا ما لم يتعودوا عليه، وهم يقولون حرب أعصاب غير مقبولة، لكنهم يستخدمون الحروب النووية بالدين، هناك طرف مهزوم؛ والسخرية دائمًا تُوجِع.

- " نحن إلى أين؟؟

- نحن نخبط في الحائط من عدة زوايا، ليس من زاوية الحرية فقط؛ الاقتصاد، والتصرف العام، والفهم العام! الناس لم يكونوا مستعدين للمسئولية، واحد من مساعدي الرئيس قال لي: يرضيك إن الرئيس يتهزأ؟! فهم لا يستطيعون أن يستوعبوا، ففكرة السلطة في الإسلام.. ولم يسعفه لسانه لِعُتوّ سِنه؛ فاستكمل.. الرجل يتصور أنَّه؛ لِحَيْثُ عصمة لا يستطيع أن ينال منها أحد، لكن لا يدرك الحياة السياسية العصرية، وتصوَّرَ عصمةً ليست موجودة.

- هل يحاول الرئيس مرسي وإدارته أن يهربوا من الفشل من سوء الإدارة بالتركيز على الإعلام؛ وليس التركيز على السولار والكهرباء ؟؟..أجاب:

- المشاعر والكبرياء الشخصية تغلب على حساب المواقف، ولا يستطيع أن يواجه موقفه لأنه في عصمة المنصب، وفي عصمة تصور الدين؛ فالشعور داخل السلطة لا أحد يمكن وصفه، ولم يصرح بالوصف، واستخدم عبارة غامضة لا تدينه، واحد لا يواجه ما يراه، ويلقي اللوم على الآخرين، فماذا تنتظرين منه! لاشيء، فمشكلة الإخوان أنهم ليسوا فقط يواجهون سلطة لم يكونوا يعلمونها وينتظرونها، بل يواجهون مناخًا لا يعرفون شيئًا عنه.

- هل الأزمات الأخيرة قد ترفع يد الأمريكان عن الإخوان؟

- الأمريكان يطلبون نوعًا من الاستقرار في البلد، أَجِدُ بعض الإخوان بدَوْا كالمستكبرين في الأرض. ويعطون أوامر للبشرية؛ وهذا أمر يَخُصُّ؛ لابد من الأمريكان، وغيرهم، والشعب المصري بكل قواه الواعية وغيرهم.. ببساطة ما نراه ليس قريبًا مما كنا نتمناه؛ ما نراه غير قابل للبقاء.. ورغم بشارة هيكل بعدم بقاء الإخوان، غضب عليه مجاهد؛ واعتبر عبارة؛ الأمريكان يطلبون نوعًا من الاستقرار في البلد ممالأة؛ فأنبه:

- هذا مصيبة؟؟ الأمريكان أصحاب مشروع الشرق الأوسط الكبير؛ الداعمون والممولون للفوضى الخلاقة، وهذا يعلمه، فيقول أنهم يطلبون نوعًا من الاستقرار في البلد!! ..

فصدَّرت جريدة الوطن المعارضة عدد الجمعة ٥ أبريل صفحتها الأولى ببشرى:

هيكل: ما نراه في مصر غير قابل للبقاء٠٠٠ خاطفو الضباط المصريين في" غزة " يطلبون الإفراج عن عشرة جهاديين.. زوجة ضابط: كل وزراء الداخلية أكدوا لي وجود الضباط المختطفين في غزة " جمعة " ضد أخونة الأزهر.. و" سبت"لإسقاط الإخوان.. الدولار يسجل ارتفاعًا تاريخيًّا في السوق السوداء ليصل إلى ٣٠، ٨ جنيه.. سقوط أول شهيدة لـ " ظلام مرسي والإخوان بمحافظة دمياط " .. شيماء أشعلت شمعة بعد انقطاع التيار؛ وإثر سقوط الشمعة على مفروشات منزلها أشعلت النار فيها فاحترق جسدها.. المصريون، والسكر.. د. عميد معهد ناصر السابق: تجاهل مؤسسة الرئاسة والحكومة والمسئولين بالدولة مطالب المواطنين، وغياب الشفافية، والمصداقية في الوعود، وفقدان الثقة لدى الشعب، فضلًا عن غياب الأمن، والفوضى وراء إصابات المواطنين بالإحباط، واليأس، والقلق، والتوتر، التي تعتبر أهم أسباب الإصابة بأمراض ارتفاع ضغط الدم والقلب والأزمات القلبية.. الأبحاث العلمية والطبية الحديثة أثبتت ارتفاع معدلات الإصابة بمرض السكر بنسبة ١٢ ٠/٠ خلال الشهور الماضية من حكم الرئيس محمد مرسي، بعد أن كانت النسبة لا تزيد على ٨ ٠/٠ خلال ثلاثين عامًا من حكم مبارك... فتندر مجاهد لزوجته وهما يطالعان الجريدة: - السكر ٨ ٠/٠ في ٣٠ سنة لـ مبارك.. و١٢ ٠/٠ في ٨ أشهر لـ مرسي! وتساءل بأسىً؛ أهذا نهاية صبر هذا الشعب ؟!..لا أعتقد؟ فقالت تضحك:

- مرسي شرارة!..

* * *

قيل إن الخلاف بين مكتب الإرشاد والمؤسسة العسكرية بدأ على استحياء؛ ثم دخل في مواجهات مباشرة الأولى: حين صياغة الدستور، حين حاول أعضاء الجماعة تمرير إملاءات صندوق النقد الدولي بضرورة الكشف عن ميزانية الجيش، وخضوعها لرقابة مباشرة من الأجهزة الرقابية العاملة في مصر؛ مع صدور تعليمات أمريكية بمناقشة هذه الميزانية في الجلسات العلنية لمجلس الشعب؛ لكن المكلفين من قبل الوزارة أنهوا هذا الجدل برفض قاطعٍ.

المواجهة الثانية بين وزير الدفاع ومكتب الإرشاد في ١١ ديسمبر عام ٢٠١٢ حين دعا الأول للقاء يضم العائلة المصرية كمحاولة لاحتواء الأزمة الدائرة على الساحة السياسية، وضغط مؤسسة الرئاسة المستميت لمنع اللقاء، وأجريت العديد من الاتصالات الهاتفية بقيادات القوات المسلحة، وبالفريق أول عبد الفتاح السيسي، ولم تتوقف الاتصالات حتى الساعات الأولى من صباح الأربعاء ١٢ ديسمبر؛ وأوضح وزير الدفاع لمؤسسة الرئاسة: أن الغرض من هذا الحوار الإنساني هو محاولة رأب الصدع الذي ظهر مؤخرًا في نسيج القوى السياسية؛ الذي أثر سلبيًا في جميع المواطنين، وأن المؤسسة العسكرية تمارس مهامها بتجردٍ تامٍّ، ولا يعنيها إلا شعب مصر الذي تنحاز إليه دائمًا؛ في إطار عقائد إستراتيجية راسخة بأهمية عدم التدخل في الصراعات والممارسات السياسية، حتى لا تكون طرفًا ضد آخر..

المواجهة الثالثة: نية مرسي - غير المعلنة - تسكين الحمساويين بسيناء؛ فرد السيسي بالقرار ٢٠٣ لسنة ٢٠١٢ بحظر التصرف في الأراضي والعقار الموجودة في المناطق الإستراتيجية ذات الأهمية العسكرية، والمناطق المتاخمة للحدود الشرقية، والجزر الواقعة في البحر الأحمر، والمناطق الأثرية وَحَرَمِها، والسماح فقط للمواطنين حاملي الجنسية المصرية من أبوين مصريين دون غيرها وللأشخاص الاعتبارية المصرية المملوك رأس مالها بالكامل لمصريين حاملي الجنسية المصرية وحدها بالتملك في سيناء.

المواجهة الرابعة: عندما رفض السيسي لقاء قادة حركة " حماس " بعد تَوَلي الهيئة الهندسية هدم الأنفاق بعد ورود أنباء عن تورط قادة هذه الحركة - التي تعتبر فرعًا من فروع جماعة الإخوان في القطاع المحتل - في مقتل الجنود المصريين برفح، ورفضهم تسليم بعض الأسماء البارزة في الحركة، مع تواتر تأكيدات: أن مؤسسة الرئاسة رفضت استكمال التحقيقات في هذه المجزرة التي اتخذت حجة للإطاحة بالمشير، وعنان، وبقادة المجلس العسكري.

وأنهي السيسي سجال الوساطة في لقائه بضباط القوات المسلحة ١٤ مارس الماضي: لن ننسى من قتلنا ونحن صائمون؟ والغدر لا بد أن ينكشف ولا بد من الثأر ممن قتلهم؟ لا تنسوا مهما طال الوقت قتل الجنود المصريين الشرفاء؟ .. فقالت م/ أمنية في اتصال هاتفي:

- لو أن مصر فيها عشرة مثل السيسي ما صار حالنا هكذا ؟.. فأجابها مجاهد في يقين:

- مصر مليئة، وهذه الجماعة تنتهي.. فخضعت في توافق:

- تذكرت حديثك عن هذه الجماعات، وعن مشاهير الدعاة، وعَجِبْتُ يومها كيف تهاجمهم؟ واستحْيَت أن تقول، وأنت ذو لحية ورجل دين، واستطردت، حتى ظهرت حقيقتهم المؤسفة؛ فقلت: سبحان الله؟! الأستاذ مجاهد قال عنهم ذلك .. فأكد لها:

- تَعَلُّمِ الدين لا يكون على أيدي هؤلاء القاعدين للفضائيات للشهرة !.. خَصَّصُوا يومًا من كل أسبوع، تجلسون والبنات ساعتين؛ خَمْسَ أو عَشْرَ آيات كل أسبوع تقرؤونها صحيحة وتحفظونها خلاله؛ وتعلمون معانيها وتنظرون أين أنتم منها، وتبذلون جُهْدًا؛ يَسْمَعُ فيه بعضكم بعضًا، وإن التبس معنى اتصلوا أناقشه معكم.. فأسَرَّت إليه:

- حاولنا وفشلنا؛ نَنْسَى؛ الرَّأْسُ لم يعد يَصِرُّ.. وكانت قد أخبرت عن إصابتها والزوج بالضغْطِ، أما إصابتها بالسكر فكان خَبَرًا محزنًا جدًا له:

- متى حَدَثَ هذا؟!.. فقالت تأسى:

- من كانت خِلْفَتُهُ البناتِ لا يَسْلَم.

- وهل كان أحد الوالدين مصابًا به؟

- نعم؛ الوالدة.

- نَرْجِعُ من مشوار المنصورة مهدودين تمامًا؛ نحتاج بعدها يومًا كاملًا حتى نسترد عافيتنا؛ لم نعد نحتمل السفر.. فقال في نفسه؛ حتى هذا لم يكن مُجديًا؛ لم نجلس ولو لمرةً لحديثٍ! وأخبر؛ أن الكتب تركها عند الأخت بشقة الوالدة لترسلها لهم، وعن إيصال استلام دار الأيتام لطقم الفيركس، وإيصال آخر معه، ولم يرد أن يكشف أنه خاص بتسليم البذلة وماكينة الخياطة، فشكرته:

- وأيضًا كلفت نفسك؛ متشكرين جدًا لهذا الاهتمام وهذه العناية، اطمئِن، ستصل إلينا؛ ابن أختي هذا يَمُرٌّ علينا دائمًا، وسيحملها إلينا.. وسألته:

- ألا تريدون أن تأتوا أنتم إلينا في القاهرة قريباً؟؟

- أفكر في أسبوع في إجازة نصف السنة نقضيه في القاهرة، وحتى لا تحمل همًّا سننزل في فندق، ونستعين بكم في زيارة أهم الأماكن، فأنا لا أعرف كيف أتنقل بالقاهرة؟.. وقال:

- سأخبركم بالميعاد متى عزمْنا، جزاكم الله خيرًا، يكفينا صحبتكم لنا لأهم الأماكن التي لا نعرفها؛ ردًا على عرض لنزولهم لديهم بدلًا من الفندق.. وقالت:

- يا خبر..؟! كل هذا؛ ولم تفعل شيئا؟! شَغَلْناك، ونَعْرِفُ أهمية وقتك، نَنْتَظِرُ مجيئكم إلى القاهرة، سَلِمْ على الزوجة.

- الزوجة عندها درس للنساء في المسجد، لو كانت هنا لكلمتكِ، اتصلي كلما أردتِ.. سلمي على الزوج والبنات.

- مع السلامة ؟.. مع السلامة ؟..

كان قد ذهب فاشترى نسخة مختصرة مُحققة من تفسير ابن كثير؛ ثلاث مجلدات جديدة متوسطة الحجم الكتابة لونين لمْ يحمِلَها إلى الشقة وتركها في شنطة السيارة حتى لا تؤنبه الزوجة على هذه الحفاوة وتسأله عن الثمن؟ واستخرج من المكتبة المجلدات الثلاث للوصايا.. شرح أحاديث بأسلوب سهل؛ يَعْرِض لقصص أهل الإيمان من الصحابة والتابعين الذين حققوا الإيمان وخشعت له قلوبهم، آثارٌ مُسَلية ينْشرحُ لها الصدر، وجدها تناسبهم، وضعها مع مجلدات التفسير في حقيبة السيارة، وعند تسليمه لطقم الفيركس فوجئ بإيصال آخر يُحْتَفَظُ لَهُ؛ مُثْبَتُ فيه البذلة ورأس ماكينة خياطة سنجر/ مع الدَّوَّاسة بخط واضح؛ فَفَرِحَ جدًا..

في عناية شديدة دَبَّسَ الإيصالين بالنسخة الجديدة المغلفة لتفسير ابن كثير، ليتأكد للزَّوْجِ ولمدام/ أمنية أن الماكينة التي حرضت على الاحتفاظ بها لأهل بيته، والبذلة كان مصيرهما مصير الأشياء المُتَبَرّعُ بها. شعر أنَّ الرد قاسٍ؛ لَكنه جُرِحَ؛ فليس هو من يقْبلُ لِبيته ولا لنفسه فضلة غيره، وأقبل فَرِحًا

إلـى شقة الوالـدة حيث الأخـت؛ وكانـت مـدام أمنيـة قد اتصلت تعلمهـا بميعـاد مجيئه، وَسعِدَ جدًا أن يَسْتَمِعَ للمرة ثانيـة للصـوت الشبيه بصـوت مـدام أمنيـة يخاطبه، وللعبارات الودود؛ ففوجئ أنه كان غبيًّا عندما تحدث إلى مدام أمنيـة عن ذلك، وعلم أن المرأة لا تحب أن تكون ظلًا لأخرى ولو كانت أختهـا الشقيقة؛ فالأخت الذي بلغها- بالتأكيد- تعليقه أحجمت عن النُّطق تمامًا ومنعته صَــوْتها؛ ففقــد ينبــوع حنــانٍ أراد أن يســتقيه ولــو لحْظَــة ؟!.. وفكر في " السُّكَرِ " الذي أصاب مدام أمنية، فاستشعر أن اللَّهْفَة عليها خبت! وكـان يعلـم أنَّ أصـحاب هـذا المـرض المـزمن فـي مشـاكل صـحية تتفـاقم مـع الكبر، فلا يكادون يقومون بأنفسهم؛ غير أنّه وجده حريصًا ألا يؤذيها، ورجا لـو يعينهـا - بحـق- فـي شـأن الـدار الآخـرة، وأحـس حرجًـا شـديدًا مـن فِكْـرة الاتصـال للحـديث أو للاطمئنـان بـامرأة متزوجـة؛ واعتبـر صـدور ذلـك مـن شخص داعية غير لائق؛ فكان يرجع عن الاتصال حتى لا يَشقيها مع البعد وعدم القدرة على اللقاء؛ وسأل لها خاطرًا سعيدًا؛ ليس كخاطره الشَّقيّ الذي يتهافت للمودة. ووجده يفكر في زوجته الصغيرة السّن؛ صاحبة الأطراف البديعة! تخطت عقبة الإنجاب الذي يجعل عند النساء كُلّهنَّ حاجة شديدة؛ وشعر أنهما لا ينقصهما هذا الشيءٌ الذي لا يأتي بِهَمّه؛ بل أضلَّ كثيرًا وأشقى كثيرًا! ودُهِشَ لجحود قلبه؛ وذهاب لوْعة الحُبّ لمدام أمنية! أ لأنه لم يعد يرجو منها أن تقوم بنفسها؟ ٠ وسعى في وُدّ زوجته؛ ولم يدرِ أي شيطان لعين استحوذ عليها، وأي لوثة أصابت عقلها؛ تَنزعُ إلى البغضاء، وتُصِرَّ على أشياء تتباغض إليه بها:

- أنظر أولًا في شأن نفسك.. وكان قد تلطف للحديث؛ فعاندت..أجاب:
- نعم أنا أنظر في شأن نفسي؛ فهل تَشمّين لفمي رائحة؛ أنا أحرص أن أستاك دائمًا؛ وأعني بنظافة أسناني.. قالت:
- رائحة فمّي أطيبُ من رائحة فَمَك، أنا لا أحتاج أن أستاك كما تَجهد أنت لهذا كثيرًا، أُنْظُرْ إلى أسنانك كيف هي ؟.. وكان خِلالُها غير ناصع البياض لأن بعضها في مواضع يركب بعضًا، فيصعب - رغم الجَهْدِ- إزالة بعض خُلاتها، فأراها أنها لا تنبعث منها رائحة، فأبت أن تستعمل السواك إلا لَمَّةً، معْتَدّة بأن أسنانها لا اعوِجاج فيها، رغم أنها كَدِرةٌ غَبِرةٌ من ضعف بذل الجهد في تنظيفها !.. وإذا دخلت الحمام لا تكلف خاطرها بِدَلْق ماء لإزالة الرائحة، وإن فعلت لإلحاحه، أصرّت أن يكون المدلوق نَذْرًا، وغالبًا ما يقع بينهما بسبب هذا شّجارٌ إذ يُباغتها بسؤال:
- هل دلقت ماءً في عَينِ الحمام؟
- لا؛ ولن أفعل؛ وإن كان عجبك؟ انظر أنت إلى الرائحة التي تخلفها من جراء استخدامك للحمام؟ لا تطاق. فصابر:
- أنا لا أخرج من الحمام قبل أن أدلق ماءً كثيرًا أزيل به الرائحة..قالت:
- لن أفعل.. فسألها؛ وجماع صبره قد نفد:
- ولِمَ.. ؟
- لأنّي إن فعلت؛ تدخل بعدي، وتدلق ماءً ثانية.
- لأنكِ لا تعتني؛ والماءُ المدلوق يكون قليلًا لا يزيل الرائحة.

- لأجل هذا لن أفعلها ثانية.. فانفلت:

- هذه قلة أدب؟

- لا تُطَوِّلْ لسانك؟.. قال:

- أعوذ بالله؟.. أي نوعية من النساء هذه؟!

- وماذا يجُبْرَك؟ أبحث عن النوعية التي تحبها؟ وتذهب لتلمح إلى العلاقة الحميمة؛ وأنها لا تريد التعامل معه. فيسْتَفزَّ جدًا:

- يا شيخه اتنيّلي؟ كرهتنا في كل شيء؟ يا اللـــه؟ أي امرأة غبية هذه؟!.

- وأنت لا تطاق؟ لا تعاشر ؟.. ويقوم بينهما الخصام أسبوعًا؛ ويُضْطَرُ هو للعَوْد؛ فما أصبر النساء على العلاقة الحميمة؟ تَقْلب وجهها تستحضر النكد؛ فَيَفْسُدَ كلَّ شيء!.. وإن اعترفت باعوجاجٍ، أرجعت سببه إليه.

- إني لأرى ذنبي في عثرة دابتي وإعراض زوجتي؟

والأمر الذي يستشيط غَضبًا؛ أن يكون منها مثل هذا السؤال:

- من جاء اليوم بكذا ؟! تسأل عن خبز رجعت فوجدته.. فيحاول المحافظة على هدوئه متغابيًا اتهامها:

- الحاجّة، يعني الوالدة، هي من بعثته.

- مع من ؟٠٠ مع حسناء أو يقول/ مع أحمد حسام أو أدهم؛ وهذان غلامانٌ صغيرٌانً؛ وهذه صبية لم تبلغ الحادية عشر عامًا؛ من أولاد بنات أخواته؛ هو لهم خالًا جدًا؛ فتردُّ بنبرة خبيثة:

- أاا..؟!!.

- ماذا تقصدين؟؟.. فتصمت، فينفجر:

- أنا أطْهَرُ من ملء الأرض م مثلك.. فترجع إلى التلطف، وإن لم تزل تَشُكُ:

- .. "لا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى".. فيكاد الدم يقف في عروقه من الشّناعة.

- قاتلك الله؟ أنت امرأة سوء؟٠أنت امرأةٌ لا تستحْيا؟... هذا إن وقف الشّجار عند هذا الحد؛ ولم تدخل في قصة:

- طلقني؟؟ أنا لم أعد راغبة في العيش معك؟ .. هُنالك عَرَفَ فضل أمِّه؛ إذا أبصرته يَجْمعُ على عجل غطاء السيارة حين ذهابه للعمل؛ تترك محل البقالة الذي تفتحه من السادسة صباحًا لحاجة النساء، وتقبل تعاون دون أن يُطْلَبَ منها ذلك !.. وإن كانت بالداخل وسمعت صوت محرك السيارة بدأ يعمل؛ وجلس للقيادة، جاءت تقبله، فيسرع في إنزال زجاج الباب، ويخرج رأسه وينزل على يدها يُقَبل؛ فتقبل وجنتيه فيسألها قبل انصرافه:

- أتأمرين بشيء يا حاجَّة؟

- لا... وتتأخر لَتدْعو له؛ مع السلامة يا ابني، ربنا يفاديك؟ وتناديه:

- على مهلك؟ ما تنكرشّ ؟.. ولأن كل نواحي مصر باتت تَشْهَدُها القلاقلُ؛ إذا أبصرته، في غير وقت العمل، متجهًا نحو السيارة لشأن خطبة أو درس استفسرت كذلك:

- بالمشيئة؛ إلى أين ؟.. فإذا كانت الخطبة خارج نطاق الدقهلية، ورأته مُتَرَجّلاً بداية اليوم الحقيبة فوق كتفه:

- ذاهب بعيدًا ؟..

- نعم يا حاجة؛ محافظة كذا..

- عَليٌّ؛ ذاهب معك ؟..سائق يَكْري سيارته؛ يسافر معه للأماكن البعيدة أو المجهولة له.

- نعم يا حاجة.

- طيب يا ابني، ربنا يُفاديكم ؟.. ولا يرتاح قلبها حتى تتصل بعد الخطبة أثناء العودة:

- نعم يا حاجة؛ نحن قادمون في الطريق، لا تقلقي؟؟

- طيب يا ابني؛ بالسلامة ؟.. فيدعو لها من نياط قلبه.. ويسأله السائق، فيجيبه:

- الحاجـــة، تطمئن علينا.

- إي يا سيدي؛ طبعًا؛ قلب الأم... وكثيراً ما يَخْلُف الغطاء لدى عودته من العمل فوق ظهر السيارة دون بسطٍ؛ مهرولًا لتناول الغداء؛ ليلحق بساعة نومٍ قبل العصر، فإذا خرج إلى الصلاة بسطه، فيجد الغطاء فوق السيارة مبســـوطًا، فيبتهـــل فـــي نفســـه: لا أخـــزاك الله أبـــدًا يـــا حاجة؟

في هذه الآونة كان يُجْري ذبح القضاء من خلال تمرير قانون تعديل السلطة القضائية؛ فشهدت جمعة أمس ١٩ أبريل ٢٠١٣ مصادمات دامية بين أعضاء جماعة الإخوان وعدد من القوى الإسلامية من جانب، ومتظاهرين من قوى ثورية وجماعة " البلاك بلوك " من جانب آخر.. دعت جماعة الإخوان لمليونية تطهير القضاء بذريعة الاعتراض على قرار إخلاء سبيل الرئيس السابق" مبارك " في قضية قتل متظاهرين ٢٥ يناير؛ فتوافد أنصار الجماعة، وحزب الأصالة، والتيار السلفي العام محيط دار القضاء العالي منذ الساعات الأولى من صباح الجمعة؛ فجرت أمام دار القضاء اشتباكات بالخرطوش والحجارة بين عناصر الجماعة، وأعضاء ال " بلاك بلوك " بعد أن قامت الأخيرة بإشعال النار في ٣ أتوبيسات للإخوان بميدان عبد المنعم

رياض؛ في المقابل شهد ميدان التحرير مظاهرات للمطالبة بإسقاط النظام، ورفض هدم القضاء، ودعوة الجيش للنزول لحماية الدولة المدنية.

وفي الإسكندرية تظاهر المئات في ساحة مسجد القائد إبراهيم عقب صلاة الجمعة للمطالبة بإقالة وزير الداخلية ووزير العدل، ووقعت اشتباكات بين المتظاهرين وعناصر من الجماعة أمام مقرها في سموحة، استخدمت فيها الحجارة والخرطوش..

وبالزقازيق شرقية رشق المتظاهرون الأمن بالحجارة، فأطلقت قوات الأمن قنابل الغاز المسيل للدموع، فسقطت قنبلة داخل نافذة إحدى الشقق السكنية المواجهة لمقر الجماعة..

وفي الدقهلية احتشد العشرات بميدان الثورة بالمنصورة للتنديد بحكم مرسي والإخوان، ونشبت مناوشات خفيفة بين المتظاهرين وبين أنصار توفيق عكاشة، وشهدت محافظات دمياط، والغربية، والبحيرة مسيرات ووقفات أيضًا ضد الجماعة..

فخرجت جريدة الوطن تنبئ.. رئيس مجلس الشورى كلف اللجنة التشريعية بسرعة الانتهاء من مناقشات مشروع قانون " السلطة القضائية "..

أما المصري اليوم فقالت في صفحتها الأولى لنفس العدد ٢٠ أبريل..المستشار الزند؛ رئيس نادي القضاة: إن الذي ينادي بتطهير القضاء من الأولى به أن يطهر نفسه! وأن القضاة سيبدؤون جمعية عمومية حاشدة

للنظر في ذلك، وأن النادي بدأ في الدعوة لمؤتمر دولي لوقف الاعتداء على القضاء ...

وزير العدل: إن تخفيض سن خروج القضاة للمعاش إلى ٦٠ عامًا يُعَدُّ مَذْبحةً جديدة للقضاء؛ وأن السبب وراء إصرار الإخوان على تمرير قانون تعديل السلطة القضائية، هو استفزاز نادي القضاة لهم؛ مجددًا تهديده بالاستقالة من منصبة إذا تم تمرير هذا التعديل.. فعلق مجاهد لزوجته وقد قعدا عن التظاهر؛ من حزب الكنبة يتابعان التلفاز:

- هذا؛ يعني وزير العدل؛ عينٌ في الجنة وعين في النار يبرر للإخوان، وفي آخر لحظة سيقفز حين غرق السفينة.. وقال لزوجته دهِشًا:
- انظري؟ مصر باتت تدار بالاستفزاز؟. لكني أظن أن هذا ادعاء من أجل أخونة القضاء، وذبحه كما قال "حمدين " فقالت:

- لم أعد أرتاح إلى كل هؤلاء الذين لا يفعلون غير الكلام .. فَنظَرَ إليها آسفًا لإصرارها على ترديدها نفس الكلام.. وسألها:

- وهل بأيدي هؤلاء أن يصنعوا غيره؟!

آخر المستقيلين من مستشاري الرئيس، نائب رئيس مجلس الدولة؛ وأنبأت عين جريدة المصري اليوم؛ أن السبب الرئيسي لاستقالته من منصب مستشار رئيس الجمهورية للشئون القانونية ما شهده بنفسه من اجتماعات سرية تعقد داخل قصر الاتحادية تضم أعضاء ومحامين

بتنظيم الإخوان وشخصيات موالية لهم مع أفراد الفريق الرئاسي المعاون للرئيس، لترتيب إجراء تمرير قانون السلطة القضائية داخل مجلس الشورى، وأن الاجتماعات برعاية الرئيس؛ أبرز الأسماء التي شاركت في الاجتماعات فلان القيادي بحزب الوسط، د. فلان وزير الدولة للشئون القانونية السابق؛ وَرُصدَ تدخلًا كبيرًا من المهندس خيرت الشاطر؛ نائب المرشد العام في العديد من الأمور القانونية، بما يتداخل مع اختصاصات جاد الله؛ كمستشار للرئيس..

فشنَّ قيادي إخواني أمام مكتب الإرشاد حربًا عليه: القضاء فاسد، والفساد متفشٍ في كل مفاصله، وأنه من قام بمذبحة للشّعب، وزَوَّر لصالح أحمد شفيق؛ وإلا ما كان حصل أحمد شفيق على ١٢ مليون صوت في الانتخابات الرئاسية السابقة.. وتساءل يتحدث لوسائل الإعلام:

- لماذا لم يستقيل جاد الله من منصبه كمستشار للرئيس منذ فترة، طالما أن هناك أمورًا يعترض عليها؟! وفي زلة لسان شهد لمن تجنّى عليه.. قال:

- العلاقة بين مكتب الإرشاد والرئاسة، مثل علاقة الأب بابنه، لا يستطيع الانفصال عنه.. فدهش مجاهد لنصر الله السريع لـ جاد الله، وأثبت لزوجه مبتسمًا:

- وَلَتَعْرفَنَّهمْ في لحن القولِ، والله يعْلَمُ أَعْمالكم.. أيها الكاذبون..

وفيما دعت قيادات الدعوة " السلفية وحزب النُّور " الرئيس مرسي وجماعة الإخوان، لإعادة طرح مبادرتهم على طاولة الحوار، لإنهاء الأزمة السياسية الحالية، مرحبين بالعودة لمساندتهم في حالة قبولهم شراكة القوى السياسية، طرح أمس الأربعاء ٢٤ أبريل، المنسق العام لجبهة الإنقاذ، مبادرة جديدة لتجنب ما أسماه " الانفجار الوشيك " في تدوينة عبر حسابه الخاص على موقع التواصل الاجتماعي: إلى الرئيس محمد مرسي ومن مَّعه.. أحملك باسم جموع الشعب المسئولية الكاملة عن حالة الاستقطاب التي تمزق الوطن، اسْتَمِعوا لصوت العقل قبل فوات الأوان..البداية هي سحب مشروع تدمير السلطة القضائية، وتشكيل حكومة قادرة مستقلة، واختيار نائب عام جديد، ثم الدعوة لحوار وطني جاد.

وأضاف البرادعي: الاستقطاب في مستوى خطير، وتحطيم القطار وشيك، ومساعدو مرسي يقفزون من السفينة !..

وظل منصبا المدير العام ومدير المديرية بمديرية القوى العاملة بالدقهلية خاليين مدة ستة أشهر أو يزيد؛ لم يجهز لأحدهما وزير القوى العاملة الإخواني ؛خالد الأزهري أي عنصر من عناصرهم حتى خرج القائم بالعمل معاشًا فأصبحت المديرية تضرب تقلب، ويومًا التقى في حجرة الوكيل على غير ميعاد مدير المديرية الأسبق شاكر، و" أوباما " قبل خروج الأخير معاشًا؛ فمد الأخير يده في شياكة مُبتهجًا يصافح، فلم يمد شاكر يده له، وظل الحال هكذا فترة، حتى بَلَّلَ العرق كُلَ من بالحجرة؛ ظلوا ينظرون في بلاهة

وقد أخذتهم الدهشةُ؛ لا يصدقون أن تلك القيادات يكره بعضهم بعضًا إلى هذه الدرجة، خاصة إذا خرج أحدهم معاشًا!.. وعلى مسمعٍ من الجميع، أنَّب" أوباما " نفسه قبل أن يخرج:

- عمومًا؛ أنا استأهل لأنّي مددت يدي إليك.. وكان من عادته الحميدة أن يرد صباحًا حجرة الوكيل ليسلم قبل أن يدخل مكتبه؛ يومها زأر الوكيل في شاكر:

- لن ينفع ذلك ؟.. الرجل رئيسي الحالي كما كنت أنت رئيسي السابق، تهدأ النفوس ونجلس للتصافي؟٠ فاختفى شاكر حينًا ثمَّ جاء يبتسم في بلاهة! فرفض الوكيل مجالسته:

- لا تحرجنِ أكثر من ذلك ؟.. فخرج يطوف على الإدارات، فأقبل عليه من أقبل، وأدبر عنه من أدبر.. فنزل يَطَوفُ على الإدارات والمكاتب خارج الديوان؛ فسمعته زميلة من الاستخدام الخارجي يَهْزل رافعًا صوته، فأسرعت بتنبيه مجاهد، وكان يقرأ من ورده، وهم يتابعونه من مصاحفهم:

- يا شيخ مجاهد؟ شاكر.. فقال في ثقة:

- اطمئني؛ لن يحضر؛ ولن أدعوه؛ فليس بيننا وبينه عَمَارٌ.. ثمَّ عاد فاختفى تمامًا؛ ولم يعد يرى له مجاهد طوافًا؛ أمّا مدير المديرية قبل الأسبق؛ الذي في ذراعيه طول، صاحب العبارة الشهيرة..أقطع ذراعي وأرميه

للكلاب؛ فكان طوافه لا ينقطع عنهم؛ لدلالته عليهم منذ كان مديرًا للخبرة؛ الاستخدام الخارجي الآن.. وكان من فرط سعادته يبتدرهم:

- السلام عليكم؟ كيف الحال؟ فيحدث الحرج؛ ويهمُّ كُلُّ واحد منهم لإخلاء مكانٍ له ليجلس فيقول بذراعه الطوال؛ أن امكثوا؟ ويبتسم متعللًا:

- أسلم على الناس أولًا، ثمَّ آتيكم.. ويتردد في الصدور لحظتئذٍ عبارة واحدة:

- ليتك لا تأت؟! إذ يظل قاعدًا مثرثرًا حتى تغادر النساء، ويتَسَرَّبَ الزملاء؛ وفي الغالب، إن لم يكن عند مجاهد درس، فيسرع في رواح النساء؛ تُصَفْصَف الحجرة عليهما، فيقصص عليه من تاريخه ما سبق أن قصه مرارًا..

فجرًا، أوَّلَ ما عُيّن، يهرع ليركب أول قطار ذاهب إلى طنطا، ليستقل منها في السابعة القطار الذاهب إلى بركة السبع؛ بحيرة؛ كضريبة يدفعها كل من كان راغبًا في العمل في الحكومية، ليس كالحال الآن؛ كل يعمل تحت نافذة بيته؛ ولا يُعجبه؟! ويضحك، وفي الثانية بعد الظهر، فيأوي إلى فراشه استعدادًا لذهابٍ جديدٍ، عشر سنوات قضاها يتنقل بين المحافظات، ينفق الراتب - الذي حينئذ تسع جنيهات-، فلم يدخر شيئًا؛ ويُطْعَمُ من البيت، ويضطره السفر لوجبة سريعة في الطريق؛ وأبى بشدة أن يبيع له والده قطعةً أرض لتزويجه، وكان يعمل شيخًا للخفر، أمَّا

العمودية فكانت لخالة، ولأنه لم يدخر شيئًا؛ لم يفكر حينها في الزواج؛ وهنا يصمت عن جانبٍ من القصة.. وفق الساعون للخير بينه وبين زميلة مثله؛ فاتها قطار الزواج، أدخلوهما في جمعيات، وكانت كغيرها من العفيفات قد سبقت إلى تجهيز مطبخها كاملًا وبعض العفش، فدخلا وقد تخطى الأربعين، وتخطت هي الثلاثين.. يصمت عن هذا الجزء، ليرْوِي عن جيل يحمل هَمّه الوالِدان، ولا يحملون هم هَمَّ أنفسهم ٠؟ وضحك.. فتربص مجاهد من الحكاية؛ فسأله أن يصطحبه معه:

- حضرتك نازل السوق؟ أم ذاهب إلى البيت فآخذك في السيارة في طريقي؟ فلم يبقَ في المكان غيرنا. فسأله عن فرص السفر للخارج؟.. قال:

- الرواتب انخفضت جدًا، فالمعروض - كما تعلم حضرتك - أكثر من المطلوب؛ الأطباء والصيادلة والمهندسون، والممرضات، مطلوبون، وتظل رواتبهم معقولة، يعلم أن ليس في ذريته من هؤلاء، أما مهن المحاسبين، والعمال، والحرفيين، وما شابه، فانخفضت رواتبهم كثيرًا.. فأفصح عن سبب الزيارة:

- سافرت مع ابني إسلام، لمقابلة في شركة سفريات بالقاهرة، بناءً على إعلان بالجرائد، فعرضوا علينا لمهنة محاسب ألفي ريال راتبًا، فرفضت لأن الراتب غير مناسب.

- أعتقد أن ألفي ريالٍ مناسب لمهنة محاسب جدًا، يحرضه على القبول؛ فاستدرك مدير المديرية قبل الأسبق:

- هم يعطونه في البنك ألفين وخمسمائة جنيه لكنه يشقى بها، يخرج قبل الثامنة، ولا يرجع إلا عصرًا. ولأنه فَهِمَ فحوى الرسالة قال:

- إن جاءتنا فرصة محاسب؛ براتب أكثر من ألفي ريالٍ سأرسل لحضرتك مع فلانة؛ الزميلة الرسول إلى م/ أُمنية، وكان جارته، وفي نفسه وقع فيه؛ ابن سعادتك حديث التخرج، عينته بعلاقاتك في بنك الائتمان الزراعي، ومثله ماضٍ بالشارع، لا أعتقد أني سأتكلف البحث لك عن فرصة عمل محاسب، وفرضًا، إن جاءت، فسأمنحها لِمنْ ليس له ظهر؛ وبلغا المكان الذي ينبغي أن يُنَزل عنده فتوقف؛ إلا أن مدير المديرية قبل الأسبق مكث، وظل هو يسمع مضطرًا، حتى أذن العصر، فلاحت الفرصة؛ فجلَّى له عن رغبته:
- ألحق صلاة العصر عندنا في المسجد جماعة ؟ أتأمر سيادتك، بشيء ؟.. فقطع حديثه ونزل؛ فانطلق بالسيارة سريعًا، يفكر في الصلاة؛ وفي الزوجة، التي متى عاد إليها الآن بكتته:

- ما كان بدري؟ فشهق شهقةً عميقة؛ أنبأ انْفلَتَ إليها عُذرًا، فاستمرت تحقق:

- وأين كنت يا فاسد ؟..فقص عليها القصة؛ وفرار الجميع من مدير المديرية قبل الأسبق وتركهم له معه؛ ولم يعلق لحديثه لعله يفرغ؛ حتى أذن العصر،

وأسف لاضطراره إظهار رغبته في الانصراف، ليلحق بصلاة العصر هنا في المسجد فقالت تتشكك:

- وعاوِزني أصدقك؟؟

- اتصلي بفلان وبفلان اسأليهم ؟..وكأنه عقد بينه وبين زميليه اتفاقًا خبيثًا.

- أنا أعرف بك منهم؛ السيارة هذه تساعدك على الفساد؛ تأتي بها المصائب؛ أنت ألعبان..فغضب:

- إنّا لله، وإنا إليه راجعون؛ هذه مصيبة!!٠٠ وذات مساء اتصل على الموبايل شخص لا يعرفه، وكانت تراقبه.. فأجاب ذاهلًا:

- وعليكم السلام.. فأخذ الشخص في عتاب مباشر:

- أينفع ذلك يا شيخ مجاهد؛ أن أَحلَّ ضيفًا عليك منذ أربعة أيام؛ ولم تجيء مرحبًا بي ؟!.. فعجَّبَ:

- من معي؟

- وأيضًا لا تعرف صوتي؟!

- سامحني؛ العقل لم يعد يصّرّ.. فاستطرد الشخص يلمح:

- لقد عملنا من قبل معًا؟ فانطلق مُندهشًا من المبادرة:

- الأستاذ عادل؟!!

- نعم؛ عادل، مع حضرتك عادل خليل؛ مدير المديرية الجديد.

- أهلًا بك..قدرٌ جميل أن نعود فنلتقي.

- اتصلت بك على الأرضي منذ ساعة فلما لم أُحَصّلُ أحدًا، فطلبت من أحد الزملاء رقم الموبايل؛ محبيك كثيرٌ.. تحدث الشخص في تواضعٍ؛ فأخذَتِ الصفاء بقلبَ مجاهدَ؛ وفي رِقّةٍ بالغةٍ انجلى لهذه الحكاية:

- بالأمس فقط، كنت في حملة خارج نطاق المنصورة، فسألني السائق عن مدير المديرية الجديد؟ وأنه من القاهرة؛ وكان يعمل بالوزارة، وقادم من الشرقية؛ أتعرفه؟ فقلت صفه لي؟ فذكر؛ طويلًا؛ قمحيًّا؛ لا يزال صغيرًا جدًّا؛ مواليد أربعة وستين، أصغر من أي مدير إدارة لدينا، ولم أتأكد للاسم، سامحني؛ فأنا لا أبادر إلى أُولي الأمر حتى يتم استدعائي.. وعاد للقسم:

- والله؛ لو كنت متيقنًا أنه أنت لبادرت، واليوم كان عندي درس في المسجد؛ والزوجة كانت خارج البيت. غدًا - إن شاء الله - أجيء سيادتك؛ يسعدني رؤيتكم.. وأراد أن يتكلف له؛ ويسعدني العمل تحت رئاستكم، فلم يستطع لها؛ فَعَدَّلَ ضاحكًا بنكتة عن "مرسي" أنت هنا - كما يقول مرسي - بين الأهل والعشيرة.. قال:

- كلنا إخوانٌ.. فتوقف له:

- لا؛ أنا لست إخوانًا.

- أعرف، وأعرف أنك لن تتأخر عن المعونة.. وفي أدبٍ جمٍّ طلب منه أن ينهي هو المكالمة أولًا:

- تفضل؟ تفضل يا شيخ مجاهد؟

- جازاكم الله خيرًا؛ هذا من كرم أخلاقكم.. ورأت الزوجة السرور في وجهه فسألته في شكٍّ:

- خيــر؛ من هذا الذي أسعدك اتصاله؛ وسيادتك مُهتمٌ به إلى هذه الدرجة؟؟

- هذا مدير المديرية الجديد؛ يعاتبني لأني لم أذهب فأرحب به؛ وتكلم بأدبٍ؛ وأننا زملاء؛ شركاء القرار. وقال: جميعنا إخوانًا، فقلت له؛ لست منهم، أرجو أن تكون هذه بداية صفاء، وتعاون على الإصلاح، فأنا أكره التَّعالي، وتعبت من المجاهدة ..وحكي لها من خبر عادل خليل.. سمعت به من بعض الزميلات اللاتي يأتين من الإدارة العامة لتفتيش العمل بالوزارة للمشاركة في تعيين مقار شركات إلحاق العمالة الجديدة، وغالبًا ما يكنَّ من القوارير؛ فأجاملهنَّ: الإدارة العامة لتفتيش العمل أحب إلَيَّ من الإدارة العامة للاستخدام الخارجي؛ رئاستي المباشرة بالوزارة.. فتقفز الدماء في وجوههن سعادة:

- لأجل هذا نأتيك مباشرة دون الصعود للمديرية، بل نعتبرك رئيسنا المباشر، نحن عندما نأتي إلى الدقهلية نأتي مطمأنين لأنك هُنا؛ وأخبرْنَه من شئون الوزارة؛ ضمن ما أخبرن عن عادل خليل، الذي لم يره. مُتفرغ لملاحقة شركات إلحاق العمالة؛ يكاد يبيت عندهم٠٠ ثمَّ تقابلا؛ بعثه مكتب شئون معالي الوزير منذ عامين؛ تقريبًا، مع شخصين لملاحقة إحدى الشركات الكائنة بالدقهلية لأنها أخلت بالتعليمات؛ لم تعطِ الوزارة حصتها من خدمات الحجاج، وصلوا بعد المغرب وكان المتحدث عادل خليل:

- قادمون بتكليف مباشر من مكتب معالي الوزير بخصوص شركة الأوائل.. فأخبرهم:

- هذه الشركة خارج نطاق المدينة على بعد ٤٠ كيلو من هنا، ويستحيل الوصول إليها قبل التاسعة. أطلعوني على خطاب التكليف؟..

- المهمة سرية؛ تكليف مباشر من مكتب معالي الوزير، عادل خليل؛ فغضب عليهم جميعًا:

- نعم؟!.. وكيف أشارككم مهمة لا أطَّلِعُ ما فيها؛ نحن هنا إذًا طراطيرٌ؟؟ تفضلوا وحدكم في مهمتكم السرية؛ فلا أعرفكم؛ فما يدريني أنَّكم من الوزارة أصلًا ؟.. وَقَبلَ التحدي:

- نعم؛ قضي الأمر.. وغَضِبَ في نفسه؛ لسنا عاملين في عزب معالي الوزير؟..وكاد أن يعودوا خائبين؛ لولا تدخل أحد الزميلين المراقبين للسجال بينه وبين عادل خليل:

- نتعهد يا شيخ مجاهد أن نطلعك على التكليف عند وصولنا إلى مقر الشركة.. فسأل:

- والضمان؟

- ألا توقع معنا على تقرير الزيارة إلا أن نطلعك.. وأكدوا أنه تفتيشٌ دوريٌّ؛ فارتاب:

- تفتيش دوريّ تأتون له ليلًا؟! الشركات هنا لا ترتكب جرائم، وأنا أعلم جيدًا بما لديهم.. وتابع:

- الساعة الآن السابعة والنصف، والشركة تغلق أبوابها في التاسعة، وحتى نصل إلى هناك نحتاج ساعتين، وسنجدها مغلقة، فلا معنى لذهابنا ليلًا؟.. باتوا؛ وفي الصباح نعرض الأمر على مدير المديرية؟ فواصل الزميلان رجاءهما:

- لن نخسر شيئًا؛ إن وجدناها مغلقة بتنا، المبيت خارج المنزل مشقة يا شيخ ؟؟.. فسار معهم على شرطه. ثمَّ كان ما قَدَّر؛ وجدوا الشركةَ مُغلقة فوقفوا جميعًا حائرين:

- يا شيخ؟ نعرف شخصك القوي على الشركات هنا؛ اتصل بالشركة تفتح لنا ؟.. ولم يُرَ للشركة مخالفة تستدعى هذا السعي الحثيث ليلًا؛ والعودة بعد منتصف الليل؛ أصل الحكاية؛ أن الوزارة - كعادتها - تفرض على شركات إلحاق العمالة نسبة من فرص العمل التي تجلبها تلك الشركات من سعوديين بالرِشا ليخصوها دون سواها بفرص العمل الموسمية " خدمات الحجاج " فتقوم تلك الشركات بتحصيل المبلغ من العمالة المصرية الموسمية المسافرة لأداء فريضة الحج لنفسها؛ ولن أبدًا تعمل في خدمة أي حاج. وترتفع أسعار تلك الفرص كل سنة؛ وكانت النسبة المفروضة بعد ٢٥ يناير ٢٠ ٠/٠ ليبرهن الوزير للرئيس على فاعليته في حل مشكلة البطالة؛ تذهب تلك الفرص لأعضاء مجلسي الشعب وأعضاء الشورى؛ لكل منهم جزء مقسوم؛ يتاجر به في دائرته لإعادة انتخابه لدورة جديدة، وجزء يذهب لمكتب شئون معالي الوزير؛ كله مجانًا؛ فتضطر تلك الشركات تعويض خسارتها برفع السعر على الضعفاء الذاهبين للحج، تحت مسمى خدمات حجاج؛ لعشق المصريون هذه الفريضة؛ يدفعهم نوء قدراتهم المالية بتكلفة حج القرعة، أو خروجهم منها بسبب الأعداد الكبيرة المتقدمة؛ وبدلًا من الثمانية آلاف المقررة تسعيرة عام ٢٠١٠؛ بيعت الفرصة عام " ٢٠١١ " باثنتي عشرة ألف، وبثلاثة عشر، ولأن هذه الشركة أرجعت للوزارة أحد الجوازات دون تأشيرة، أقبل هؤلاء النفر الثلاثة إرهابًا بتكليف من معالي الوزير"د.البُرعي" ..

خلا بمجاهد نجيًا أحد النفر الثلاثة؛ يطلعه على الحقيقة؛ تَثْمينًا لشجاعته؛ قبل ركوبهم السَّيارة في طريق عودتهم٠٠ وفي ٢٠١١/١٠/٢٥ كتبت الوزارة للمديرية ماألف،:

السيد / مدير مديرية القوى العاملة والهجرة بالدقهلية

تحية طيبة؛ وبعد

قامت الإدارة العامة لشئون المديريات والإدارة العامة للتفتيش؛ بالاشتراك مع إدارة الاستخدام الخارجي لديكم، ببحث شكوى المواطن / عاطف عبد الله علي؛ والمقيدة بمكتب معالي الوزير تحت رقم ٥٤٨١ في ١١/ ١٠ / ٢٠١١ ضد شركة.. لإلحاق العمالة.. وقد أسفر البحث عن تقديم مذكرة لمعالي الوزير الدكتور البرعي؛ والمرسل لسيادتكم صورة منها، وقد أشر معاليه بالموافقة على اتخاذ الإجراءات القانونية. برجاء تنفيذ تأشيرة معاليه والإفادة.

فقص مجاهد على السيد " أوباما " الباشا الكبير؛ أصل الحكاية؛ فكتب سيادته بمعرفته شخصيًا هذا الخطاب الموجز المعجز.

الأستاذة الفاضلة/ وكيل أول الوزارة، رئيس قطاع ديوان عام الوزارة.

تحية تقدير واحترام؛ وبعـــــــد..

إيماءً إلى كتاب سيادتكم رقم.. في تاريخ.. والمتضمن موافقة معالي الأستاذ الدكتور الوزير على اتخاذ الإجراءات القانونية ضد شركة..لإلحاق العمالة..وذلك لمخالفتها لأحكام تنظيم تشغيل المصريين بالخارج، والقرار الوزاري رقم ١٣٥لسنة ٢٠٠٣ الصادر في هذا الشأن.

نتشرف بعرض الآتي: أنه قد تم تحرير محضر رقم كذا..بتاريخ كذا..للشركة المذكورة لمخالفتها للقانون.. مرسل للتفضل بالعلم.

فابتسم مجاهد دَهِشًا:

- سيادتك هذا رد مجمل، لن يحصلوا منه على شيءٍ؟! كأنما نغرقهم في اللافهم؟!.. فأكد سيادته في ثقة:

- قصدت ذلك؛ ألا تعلم أني أقدم من شغل هذا المنصب الرفيع في هذه الوزارة وأعلم الخفايا؟!

فلم يستطع مجاهد؛ إلا أن يُعْجبَ بشجاعة أوباما " في الرد بالتضليل " رغم ملاحظاته على شخصه!!..وكان قد تضمن كتابهم له هذه المخالفات كافة:

١- مخالفة الشركة لأحكام المادة ١٤ من القرار الوزاري رقم ١٣٥ لسنة ٢٠٠٣ حيث تبين عدم قيام الشركة بقيد العمال الراغبين في السفر، وكذلك عدم قيد الطلبات الواردة من الخارج بسجل قيد الطلبيات.

٢- مخالفة الشركة لأحكام المادة ١٠ من القرار الوزاري السابق حيث تبين كذا..

٣ - مخالفة الشركة المادة ١١ من القرار الوزاري السابق حيث تبين قيام الشركة بمزاولة النشاط في غير المقر المبين بالترخيص.

ولا يُدري مجاهد كيف؛ والموجودات المنصوص عليها كانت بالمقر الحاصل على الترخيص؟ إلا أن يكون قصدهم ذهاب المدير المسئول للوزارة، وتسلمه جوازات النسبة من تحت الترابيزة؛ فاعتُبر ذلك مخالفًا للقانون!.

٥- مخالفة الشركة المادة ١٦ من القرار الوزاري..حيث قامت بتحصيل مبلغ ٥٠٠ جنيه مصري من الشاكي..

وبسؤاله للمدير المسئول للشركة أفاد شفافية: والله ما حصلته الشركة فقط ١٢٠ جنيهٍ؛ عن كل حالة تخص الوزرة؛ ٢ ٠/٠مصاريف إدارية؛ نت وطابع التأشيرة؛ طبقًا للقانون؛ لكنهم يبغونها متشفية؟! لحجٍ مفروض أن نفقته من مال الحاج الخالص؟!

- وبالنسبة لموضوع الشاكي؛ والله يا شيخ مجاهد، قدمت الأوراق الخاصة بالمواطن المذكور إلى القنصلية، ورفضته لعدم وجود صفحة فارغة في الجواز لوضع الفيزا بها؛ تأشيرة الدخول/ عمالة موسمية/ خدمات حجاج لدولة السعودية، وبرهن لصدقه:

- هذه سيادتك؛ صورة من جواز سفر المواطن؛ تُبين عدم وجود صفحة واحدة خالية لِدقّ التأشيرة؛ لكثرة ما نال نفس المواطن؛ على هذا الجواز؛ نفس التأشيرة !!.

* * *

الفصل الثاني عشر

" كوم الطَّمَّاع ٌقُلَيْل "

إذ طُلِبَ من مرسي، وجماعة الإخوان تشكيل حكومة قادرة مستقلة، واختيار نائب عام جديد، وبأيديهم السلطة التنفيذية والتشريعية أبَوْا، إلا والسلطة القضائية، والجيش، والشرطة والأزهر؛ فاشتعلت الأحداث مجدّدًا ضدهم أمس الأول/ ٢٦ أبريل٢٠١٣ محيط قصر الاتحادية، وعدد من المناطق بالقاهرة بعد فترة خمول دامت ثلاثة أشهر؛ ودشّن ٦ أبريل حملة لجمع عشرة ملايين توقيع للتبكير بانتخابات رئاسية، وَشَنَّ عدد من السياسيين وفقهاء القانون هجومًا حادًا على قيادات الإخوان إثْرِ تسريب نص مكالمات بين قيادات الجماعة وحركة حماس، تكشف عن دورٍ لهم في إحداث الفوضى إبّان ٢٥ يناير ٢٠١١ وقال الفقيه الدستوري شوقي السيد:

- نَصُّ المكالمات التي تم تسريبها هو دليل إدانة لا يقبل الشك على أن جماعة الإخوان ليست وطنية، ولا تهتم بصالح الوطن، وتنظر إلى مصالحها فقط، والحوار الذي دار بين أحد قيادات الإخوان وعضو حركة حماس يؤكد أن الجماعة استخدمت الحركة لإحداث فوضى مُتَعَمَّدة في البلاد، وانفلات أمْنِي مُدبَّر؛ للسيطرة على البلاد، والتمكين من مؤسسات الدولة، وأن تهمة الخيانة العظمى يجب أن توجه إلى قيادات الإخوان،

لأنهم استعانوا بدولة أجنبية على حساب أمن الوطن، وفيما يضر بمصالحه.

وقال محامٍ وبرلماني سابق:

- التسريبات عن الاتصالات بَيْنَ الإخوان وحماس، تؤكد ما سبق أن صرحت به لهيئة المحكمة في قضية اختطاف الضباط الثلاثة؛ أن حماس وراء عملية الاختطاف، ومتورطة في أحداث رفح، وقتل الشهداء أثناء الثورة؛ ومتورطة في فتح السجون؛ واقتحام أقسام الشرطة؛ المكالمات تدعمها تصريحات فلان. القيادي الإخواني والذي قال:
- أن الجماعة موجودة في٨٠ دولة؛ وتدير ٨ دول؛ أي أن التنظيم العالمي للإخوان هو الذي يدير مصر الآن؛ وهي تصريحات تخالف القانون والدستور؛ وتؤكد أن الجماعة خطر على الأمن القومي المصري؛ وأن تهمة التخابر موجودة في قانون العقوبات؛ وتصل عقوبتها إلى الأشغال الشاقة المؤبدة؛ لو تم التخابر لصالح دولة صديقة؛ وتصل العقوبة إلى الإعدام؛ لو أن التخابر تم لصالح دولة معادية... المشكلة في وجود النائب العام الحالي الذي لم يحرّك أي دعوة قضائية ضد الإخوان.. فتحدث مجاهد لزوجته فيما يخصُّ النائب العام:
- هم مُسْتَميتُون في بقائه.. وأردف المحامي والبرلماني السابق؛ النائب العام الحالي منذ اليوم الأول لتوليه منصبه، وهو يعمل على حماية

الجماعة من العقوبات على الجرائم التي ترتكبها؛ النيابة قالت في معظم البلاغات التي قُدّمت ضد الجماعة:

- لا توجد شواهد على ارتكاب جرائم؛ ويجمد النائب العام البلاغات ضد الجماعة...

وشهد ميدان التحرير بالمنصورة أمس الأول حالة من السكون غير المعتاد في جمعة خَلت منها أي دعوات للتظاهر؛ ودار حوار بين التجمعات الشبابية حول الخطوات التصعيدية القادمة في أول مايو المقبل بمناسبة عيد العمال والملقب بيوم الغضب، وفضل البعض السفر إلى طنطا؛ للمشاركة في مليونية د. عكاشة بميدان السيد البدوي، وفي المساء تجمع العديد من المتظاهرين أمام مبنى المحافظة في وقفة احتجاجية صامتة تضامنًا مع القضاء؛ ونددوا بسوء الأحوال التي تمر بها البلاد مطالبين برحيل النظام، وسقوط حكم المرشد.

وفي ساعةٍ متأخرةٍ من الليل قام ملثمون بإلقاء زجاجات مولوتوف على مبنى المحافظة، تسبب في إشعال النار في عددٍ من المكيفات بالدور الأول أعلى مدخل " ٦ " وقام العشرات من الصبية المجهولين؛ بإلقاء الطوب والحجارة على المبنى؛ فتهشَّم بعض زجاج الواجهة؛ فتصدَّى لهم شباب الميدان وطاردوهم؛ وتدخل البعض لإطفاء الحريق..

وحتى تاريخه؛ لم يكن مجاهد وزوجته قد نزلا الميدان؛ اكتفيا فقط بمشاهدة الأحداث من التلفاز؛ حِزْبُ الكِنَبة، بالأمس تابعا رئيس الجمهورية

وهو يُثْنى على وزير الدفاع خلال افتتاح محور الفريق سعد الدين الشاذلي، وأعمال توسعة، وتطوير طريق القاهرة- السويس؛ وطريق جوزيف تيتو:

- يبدو لي أن الفريق أول السيسي؛ بالإضافة إلى تكوينه العسكري المتميز لديه تكوين هندسي متميز؛ تحدثت معه أول سبتمبر ٢٠١٢ حول ضرورة تنفيذ عدد من المشروعات الهندسية لتخفيف الاختناق المروري، فاستجاب على الفور، ومعه أولاده في القوات المسلحة بعدما أدركوا أهمية هذه الطرق والمحاور.

وفي ظُرْفٍ نافِذٍ لا يفوت المصريين؛ أخرجت جريدة الوطن في صفحتها الأولى في اليوم التالي؛ الجمعة ٣ مايو تعليقًا على الحدث بهذين العنوانين.. الصراع بين الجيش والإخوان يظهر في إيماءات "مرسي"..آخر تعليقات الرئيس"الحِتّة السّودا الضّيقة وسعتوها؟ ".

وَتنَدَّرَ محررو الوطن على عبارة الرئيس"بصفتي القائد الأعلى"التي ترددت أكثر من مرة منذ حادث استشهاد جنود رفح؛ إلا أن العبارة لكثرة ترددها دون داعٍ، عكست احتدام الصراع بين الجيش والرئاسة؛ على عكس ما يريد الرئيس.

وفي ذات الصفحة قريبًا من العنوان السابق مشفوعًا بصورة كاملة؛ بهيئة وجيهة، أنيقة، رشيقة؛ لوزير الدفاع كان هذا العنوان..الجيش يتوعد: القبض على"أبو إسماعيل"والجماعات الإسلامية لن يستغرق عشر دقائق.

كان أبو إسماعيل قد هاجم كلمة السيسي في احتفال جامعة المستقبل بِعِيدِ تحرير سيناء؛ فقال أنه يؤدي دور الممثل العاطفي ليستجلب رضا الناس أن يعولوا على الجيش.. فتوعد مصدر عسكري بردٍ عمليٍّ كبير على"أبو إسماعيل" رئيس حزب الكرامة:

- قادرون على القبض على " أبي إسماعيل " والتصدي لأي جماعات مسلحة في أقل من عشر دقائق... نحن لسنا نائمين؛ ونعلم تمامًا كل شخصٍ يسعى لتسليح نفسه من أجل مواجهة القوات المسلحة، وندرك طبيعة، وخطورة الموقف تمامًا، وَعَلَى " أبي إسماعيل " أن ينظر لنفسه ليعرف من هو الممثل الذي يتاجر باسم الدين من أجل مصالح شخصية؟!

فأنبأ مجاهد لزوجته:

- الدولة تتفكك!.. فسألته بخصوص " أبي إسماعيل":
- لمَ لمْ يقبضوا عليه ؟! قال:
- لأنه يتكلم في حُبّ مرسي؛ ويعْتقدُ أن أنصاره يمنعونه؛ فعادت إلى نغمة:
- الواحد قرف من كل أصحاب اللحى الذين يتحدثون باسم الدين.. فآلمته العبارة؛ فهو ذو لحية يتحدث بخصوص الدين.. فَردَّ:
- لو اهتممتِ بمراجعة وِرْدكِ ما قلتِ ذلك.. فوقعت فيه:
- ما أنت بتراجع! ماذا عملت؟! اعمل أنت قبل أن تأمر غيرك أن يعمل؟.. فسألها مُخلصًا:

- وما هو الذي لا أعمل به ؟؟..فشاكست:

- ها نرجع ثانــي؛ لهذا الموضوع؟! أَفْضل أن نسكت.. فواصل:

- راجعي أنتِ وردك واعملي؛ وما عليكِ بالذي لا يعمل!.. فعلمت أنه حَنِقَ عليها؛ قالت:

- أحسن؛ لا نُفتّح هذا الموضوع؟.. فتابع لعلها تُفْصِحُ؛ ولو للإدانة:

- وما هذا الموضوع الذي لا تريدين أن تُفتّحي فيه ؟.. فارْبَد وجهها:

- أنت عاوز تِتشاكل وخلاص ؟؟.. ولأنها أرادت أن تلمزه بما بات يقينًا عندها؛ أنه على علاقة غير سويّة بالصبيان.. قال:

- امرأة لا تستحْيا.. واختتم بدعائه الشديد؛ قاتلك الله ؟.. وكان إذا سمعها تُعَرّضُ بتلك التهمة الشيطانية؛ يتميّز من الغضب؛ ويتمنى من كُلّ قلبه لو قام بتسريحها!.. ومرات استطاع أن يصبر؛ ويأخذ في لوم نفسه لعلها شاهدت ما يمكن تأويله، فاستنبطت ما لا يطيق ذكره؟!.. ومرات مضي معها في مَحاجة هادئة؛ يبدأ بأخف التُّهمتين شناعة:

- تريدين أن تقولين أنــي، أعزك الله، ابتاع نسوان؟.. وأمام الابتسامة، والنبرة الهادئة تنْطلق:

- إي..

- طيب؛ اذكري لي واقعة تؤيد دعواك؛ فالدين النصيحة؟

- أنت عارف؛ والعارف لا يُعَرَّف.

- أقسم بالله؛ لا أعرف، وبحثت في تاريخي كله؛ منذ بلوغي الحلم حتى الآن فلم أجد ما يضيرني. فَتَصْمِتَ:

- تكلمي ؟.. فلا يحصل إلا على:

- بكرة يظهر المستخفي.. فيكظم غيظه:

- وحتى يظهر المستخفي؛ فيفضحني الله؛ عاملينِ بحُسْنِ الظّنّ؟

- أتهزأ.. احذر سوء عاقبة الاستهزاء؟ وتحنق.

- والله لا أهْزَأ؛ فقط أطالِبُكِ الالتزام في المعاملة بالظاهر.. وذات مرة صرَّحت بشيءٍ عندما اشتكى من النساء في الإدارة اللائي لا تقر ألسنتهن في أفواههن؛ الثرثرة عندهن كقَصْقصة الُّلبّ؟!

- أنت هـ تقل لي؟! قل هذا لغيري؛ أنا خابزاك وعاجناك.. أنت لو تركت جلسة النساء مُتَّ.. وكان إن تأخّر قليلًا عوده من درس النساء؛ طالعته شَزْرًا؛ ويُكلمها فلا ترد.. وحرّضها كثيرًا للحضور معه فتعرب:

- لا أحب سَمَاعِكَ.. ومرة صرّحت تؤكد:

- نعم؛ أنت تهوى قعدة النساء؛ بل تعشقهن.. فسألها:

- وأين النساء اللاتي أهوى قُعُودَهُنَّ؟!

- في الشُغُلِ؛ ما أنت طول النهار لا تقعد إلا في محيطهن.. فانفجر ضاحكً؛ فالأمر لا خلو من الطرافة!

- أهذه هي أصل الحكاية ؟؟٠ فقالت تستقْصِيه:

- كم رَجُل عندك في الإدارة؟

- الخلية النائمة ماهر مخيول؛ وعبد الحي؛ وعشرة نساء " فَبُهتت:

- ما شـــاء الله؟!! ولِم لمْ تطلب رِجالا ؟!.. فتفكّه لها:

- أنت تقولين بقول من قال لأبيه يومًا؛ إذا أردتني الذهاب لأتعلم؛ فانظر لي مدرسـة لا تـدرس مـادة الحسـاب؛ وكـان قـد تعـرض لضـربٍ شـديدٍ مـن مدرس المادة فيضطرب عقله في حصتها؛ ولا يُحصّل منها شيئاً.. قال:

- لـو طلبـت رجـالًا - والإدارات جميعًـا أغلبهـا الآن نسـاء- وأنـا ذو لحيـة لقالوا؛ إرهابي؟ واستُهْزِئ بي. فأجابت كذلك:

- بل أنت تطرب لهنَّ.. وأعيته معها الحيلة؛ فأسر إليهم في الإدارة؛ فأسرع ماهر مخيول في بشارة:

- هذا شيء مبهج يا مولانا؛ الزوجة تغار عليك؛ والمرأة الحسيسة أفضل من الباردة.. فابتسم لبساطة المنطق، واستحيت الزميلات؛ وأبدين موافقة صامتة؛ وتحت ثقل الهَمَّ؛ وكان النساء قد انصرفن؛ قذف بالشنيعة:

- فإن اتهمتَك بعلاقة غير سوية بالصبيان؟؟.. فبُهت الزميلين.. وقال مخيول في ارتباك:

- هنا فيه مشكلة يا مولانا.. وسأل عبد الحي عَجبًا:

- معقولة يا شيخ ؟!.. ولأنه تفوه بكلام يستقذره؛ أردف وقد أجهش إلى البكاء:

- المصيبة؛ أني خال جدٌ لهؤلاء الصبية جميعًا؛ فهم أولاد بنات أخواتي الثلاثة.. فتابع عبد الحي يتهته:

- نحن نحتمل من النساء الكثير الطائش؛ إلا أن ما قيل؛ لو قيل لغيرك ما قنيها؛ يُحمد لفضيلتك صبرك هذا. فرنا إلى الزميل في ودٍّ بالغ؛ لأنه يفهم عنصره.

* * *

امسك إخواني؟..

تنادى بها غلامٌ وجرى ليقطع الطريق ليمسك بعضده، بيد أنه لطبيعة مجاهد الجادة؛ أنزل الهزل الصبياني منزل الفَصْلِ؛ فثَبُتَ في مكانه يتصدى؛ وابتدر الغلام على الفور لمّا أقْبلَ:

- ماذا يا ولد؟؟.. ولحظ أن والد الغلام عن بعد يرقبهما، ولم يتدخل فَتجاهله، وعَنَّفَ ابنه؛ وأمام الصَّرامة انقلب الغلام يتزلَّف:

- أأنت إخوان؟!

- لا، لست إخوانًا؛ وخفف من حدته.. فدُهش الغلام؛ فعاد يردد:

- لست أخوانًا؟!

- .. ولا أحب الإخوان..فَتَحرَّى الغلام كذلك:

- يعني؛ أنت لم تنتخب مرسي؟!.

- لا، انتخبت شفيق.. فأردف الغلام:

- انتخبت شفيق ولم تنتخب مرسي؛ وأنت مرَبّي ذقنك ؟!.. ورَنَا عَجِبًا للحية الكبيرة؛ فأفاض كعادته إذا شاهد خطأً يحدث الغلام:

- أولًا؛ هذه لِحْية وليست ذقنًا؛ الذقن هذه، وتناول ذقن الصبي الجُرداء يهُزُّها؛ وأعَلَمه سبب إطلاق اللحية: النبي محمد؛ أتعرفه؟

- نعم، قال:

- كان صاحب لحية؛ والأنبياء كلهم أصحاب لِحَى؛ فاللحية من سنن الأنبياء.. ورأى الصبي شرد في أوهامه، وتخلى عن عَضُده فترك تعليمه، واستأنف داخلًا سوق الجُملة؛ يبحث عن زوجته وأمّها؛ إذ حثهما ورود السوق، وعدم انتظاره، طلبًا للوقت؛ متى فرغتا من الصلاة قبله؛ فمَشْيَة النساء لكاعة! فاستقبلتاه تضحكان لما حَصَلَ لهما حين دخولهما السوق، وانعَطافهما على الرجل القريب من الباب يسألان عن الأسعار؛ فسبق ذات الغلام أباه، رافضًا البيع لهما؛ بعلة؛ أنهما إخوان، فأنبأتاه أنهما لا تحبان الإخوان؛ فاستمر في رفضه؛ وميَّزَ بينهما:

- لا؛ أنتِ إخوان؛ وأشار إلى زوجته المنتقبة، وهيَّ ليست إخوانًا؛ إلى حماته لأنه تلف شالًا تكشف عن وجهها، فتحدثت حماته تدفع عن ابنتها التهمة:

- لا يا خُويا؛ ليست إخوانًا.. فمضى في عَزْمهٍ:

- أنتِ لستِ إخوانًا؛ هَيَ إخوان. فتركتاه لقناعته؛ يردد في إثرهما:

- يا لله يا إخوان ؟.. ومروا به خارجين من السوق، فعاد إليهم؛ وكانت السيارة تسير بطيئة؛ فالأرض رمليَّة؛ والحمل ثقيل..ثلاثة أشخاص بصحبتهم ٢٥ بطيخة من الحجم الكبير، ورجع الغلام يُمَيِّز بينهم بطريق العارف؛ فأشار إلى مجاهد وزوجته الجالسة في المقعد الأمامي إلى جواره:

- أنتم إخوان؛ وهيَ ليست إخوانًا؛ لحماته الجالسة في المقعد الخلفي يبرّئ ساحتها؛ فضحكت من شدة شُغل هذا الغلام بالإخوان!..

هذه الآونة كانت محكمة جنح مستأنف الإسماعيلية تواصل النظر في قضية تهريب مساجين وادي النطرون خلال يومي ٢٨ و٢٩ يناير ٢٠١١ واقتحام السجن، وفتح أبوابه، وهدم أسواره، وهروب عدد من المساجين الجنائيين، والمعتقلين السياسيين، بينهم الرئيس محمد مرسي الذي اعتقلته الشرطة حينها في ٢٧ يناير؛ حين اندلاع الثورة؛ ونشرت جريدة " المصري اليوم" تفاصيل التقرير المزمع تقديمه للمستشار؛ رئيس المحكمة والذي حمل (سري للغاية)..

وفي شهادة أحد ضباط تأمين السجن؛ أن الخطتين كانتا منظمتين بشكل كبير؛ دل على ذلك؛ سيارة نصف نقل على متنها سبعة أشخاص هاجموا السجن من الخلف، وفي التوقيت ذاته هاجمت قرابة ٥٥ سيارة نصف نقل السجن من الأمام.. وشهد شاهد آخر:

- قرابة خمسة من قوات التأمين ألقوا أسلحتهم، وهربوا بعد أن وجدوا أنفسهم محاصرين من قبل المسلحين، في الوقت الذي استشهد فيه سبعة من أفراد التأمين داخل السجن وخارجه.. وشهد ثالث:

- إحدى سيارات النقل التي هاجمت السجن شاهدتها تهرب من المكان بعد أن تمكن من بداخلها من تهريب ٣ مساجين بينهم مُتَّهَمٌ فلسطيني؛ عملية الهجوم استمرت ٣ ساعات، وقوات التأمين أرسلت ٣ إشارات استغاثة إلى وزارة الداخلية، ولم نتلق ردًّا إلا في المرة الثالثة: تعاملوا مع المهاجمين بالقوات الموجودة نظرًا لما تشهده البلاد من أحداث كبيرة في مناطق مختلفة.. فتحدث مجاهد لزوجته وهما يطالعان التقرير:

- أتذكرين الذي رأيناه جارًّا وراءه ماشية السجن ساعيًا بصيده الثمين؟!.. يومها ضحكنا من تلك الفوضى الغريبة**!** وملأ الإخوان الدنيا ضجيجًا؛ أن حبيب العادلي بِأمرٍ من مبارك، هو من أمر بفتح السجون عقابًا للمصريين على ثورتهم**!**.. مرسي من رأيناه يومها يتحدث للقناة العميلة في الموبايل أمام السجن بعد هروبه:

- ناس من الأهالي هم من فتحوا لنا، ولذويهم السجن، وحرَّرونا من هذا النظام المجرم؛ فتَّحوا لنا الأبواب وأخرجونا؛ قال وهو يعلم أنه كاذبَ..

وقالت الصحيفة: إن وزارة الداخلية قررت تعيين حراسة شخصية مكونة من ثلاثة أفراد للمستشار خالد محجوب؛ رئيس محكمة جنح مستأنف

الإسماعيلية، التي تنظر قضية تهريب المساجين والمعتقلين من سجن وادي النطرون بإجمالي١١ ألفاً و ١٦١ سجينًا؛ تقدم بمذكرة إلى وزير الداخلية قبل ثلاثة أسابيع؛ أثبت فيها ما تعرض له من تهديدٍ من مجهولين، على خلفية القضية التي ينظرها، ورسائل على الموبايل تطالبه بالفصل في القضية دون التطرق إلى هروب رئيس الجمهورية من السجن وقت أحداث الثورة؛ وأن وسيطًا جاءه من مكتب الإرشاد، وهدده بالإيذاء إذا ما أصر على إقحام اسم "مرسي" في القضية التي ينظرهثورة

ورفض محجوب تحرير بلاغ أو كتابة مذكرة بتلك التهديدات؛ معتبرًا أنه إذا ما فعل؛ سيدخل في خصومة مع من يهددونه، وقد يطلبون رَدَّه في القضية التي ينظرها لكونه على علاقة خصومة مع أحد أطرافها.. ومن المقرر أن يستمع القاضي في الجلسة المقبلة ٥/٩ إلى أقوال اللواء حمدي بدين؛ قائد الشرطة العسكرية وقت أحداث ثورة يناير؛ واللواء عاطف شريف؛ مساعد وزير الداخلية لقطاع السجون السابق، ورئيس الجهاز القومي للاتصالات خلال الأحداث.

كما حددت جلسة ١٢ مايو لسماع شهادة مأمور سجن ٢ وادي النَّطرون، ورئيس المباحث، بالإضافة إلى كتيبة تأمين السجن بصفتهم؛ وهو السجن الذي كان مُودعًا فيه رئيس الجمهورية سجينًا.. وقرأ مجاهد: وقال المقدم أحمد جلال شاهد في قضية اقتحام السجون لـ " المصري اليوم " في حوار للجريدة:

- أن عناصر مسلحة من حركة حماس، يساعدها عناصر من البدو، شاركوا في عمليات الاقتحام أثناء ثورة ٢٥ يناير. وأن ٢٢٩ سجينٍ هربوا من سجن أبي زعبل الذي كان موجودًا في خدمته.

- وماذا عن شهادتك أمام هيئة المحكمة التي تنظر قضية اقتحام سجن وادي النطرون، وهروب عدد من المساجين؟

- مضمون شهادتي أمام محكمة جنح؛ مستأنف الإسماعيلية التي أدليت الثلاثاء الماضي؛ تتلخص في كيفية اقتحام سجن أبي زعبل (شديد الحراسة) بصفتي ضابط التنفيذ العقابي بالسجن حينها؛ وأكدت في شهادتي أن الرواية التي جاءت على لسان اللواء " القوصي" مأمور سجن وادي النطرون عن وجود مجموعات مسلحة حضرت بسيارات، واقتحمت السجن صحيحة؛ وأن هذه العناصر كانت من حماس؛ عرفنا ذلك من السجناء الذين قاموا بتسليم أنفسهم بعد الهروب.

- هل كان هناك استدعاء رسمي من هيئة المحكمة لسماع أقوالك؟

- لم يكن هناك استدعاء رسمي بمعنى الكلمة، ولكن هيئة المحكمة ناشدت من لديه معلومات بشأن عمليات اقتحام السجون أن يتقدم إلى المحكمة للإدلاء بأقواله؛ وأنا رأيت أنها شهادة واجبة بصفتي ضابط سجن أبو زعبل وقت اقتحامه، وما شجعني على الإدلاء بأقوالي تقدم اللواء "عصام القُوصِيّ" مأمور سجن وادي النطرون بالإدلاء بشهادته؛ خاصة أنني

حررت محضر اقتحام السجن بصفتي من قيادات السجن، وحمل المحضر حينها رقم ١٠٥٠ لسنة ٢٠١١ وتم إحالة المحضر إلى نيابة (بنها) الكلية التي استكملت التحقيقات فيما بعد.

- وما روايتك عن واقعة اقتحام سجن أبي زعبل، والتي أدليت بها أمام المحكمة التي تنظر القضية؟

- الرواية أن بين الساعة الواحدة والنصف، والثانية ظهر يوم السبت ٢٩ يناير؛ اليوم التالي لجمعة الغضب؛ فوجئنا بعددٍ من الأشخاص يطلقون نيران كثيفة تجاه أبواب وأسوار السجن، وكذلك أبراج الحراسة؛ كانت عبارة عن نيران أسلحة جيرانوف يستخدمونها من فوق سيارات ربع نقل، وبدأ جنود وأفراد الحراسة في التعامل معهم إلى أن نفدت ذخيرتهم، فدفعنا بالمخزون الاستراتيجي من الأسلحة والذخيرة حتى نستطيع المواصلة في حراسة السجن، وعززنا من قوتنا؛ إلا أنه كان هناك فارقًا في الأسلحة والمعدات بيننا وبينهم؛ مما ساعد على انتهاء المواجهة لصالحهم بعد نفاد ذخيرتنا.

- ما المعلومات التي توفرت لديكم بشأن هوية المهاجمين للسجن؟

- كان المهاجمون يرتدون جلابيب بيضاء وجواكت، واشتبهنا في البداية أنهم من بدو سيناء "عرب" إلا أن السجناء الجنائيين الهاربين الذين عادوا وسلموا أنفسهم إلينا، أكدوا أن المهاجمين كانوا عناصر فلسطينية يتبعون

حركة حماس؛ معظمهم من كتائب عز الدين القَسَّام، وبصحبتهم بعض البدو؛ مستدلين على ذلك بلهجتهم وزيّهم، وبعد ذلك ردد البعض روايات حول المهاجمين بأنهم بدو من سيناء؛ وأعضاء من حزب الله وعناصر من حركة حماس؛ خاصة أن السجون التي تعرضت للهجوم كانت تضم متهمين من البدو، والتيارات الإسلامية، والسياسيين؛ وفي نفس السياق علمنا أن أجهزة سيادية حينها رصدت محادثات هاتفية بين هؤلاء المنفذين.

- هل تقصد أن المهاجمين استهدفوا السجون لتهريب السجناء السياسيين؟

- سجون أبو زعبل عبارة عن خمسة سجون؛ ليمان ١ وليمان ٢ والسجن شديد الحراسة، والسجن العسكري للمحكوم عليهم والمتهمين من أفراد الشرطة، وسجن المرج؛ وجميعها تقع في مدينة أبي زعبل، ما عدا سجن المرج فيقع بمنطقة المرج؛ ويحتوي ليمان ١على حوالي ٢٥٠٠ سجينًا، فيما يضم ليمان ٢ نفس العدد تقريبًا، ومعظم المتهمين من الجنائيين؛ أما سجن (شديد الحراسة) والذي كنت أعمل به وقت الاقتحام فيضم حينها ٢٢٩ سجينٍ سياسيٍّ، وقد عاود معظم الهاربين الجنائيين تسليم أنفسهم إلى السجن، حتى لا يتعرّضوا إلى عقوباتٍ مشددة في ضبطهم بعد ذلك، ومن لم يسلّم نفسه، تم ضبطه في الفترة من بعد الثورة حتى الآن؛ إلا القليل.

- من هم أبرز هؤلاء السجناء؟

- يسري نوفل؛ محكوم عليه بالمؤبد، لاتهامه بالتورط في اغتيال اللواء حسن أبو باشا؛ وزير الداخلية الأسبق، رمزي موافي؛ الطبيب الشخصي لزعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن، وأعضاء خلية حزب الله. وتمكن المهاجمون من تهريب ال ٢٢٩ سجينٍ، أثناء عملية الاقتحام بعد أن نفدت الذخيرة من الكتيبة المكلفة بحراسة السجن، ومن وقتها لا نعلم عنهم شيئًا.

- هل ترى أن عملية الاقتحام كان مخططًا لها، أم أن منفذيها استغلوا حالة الانفلات الأمني التي سقطت فيها البلاد بعد جمعة الغضب؟

- كان واضحًا أن عملية الاقتحام التي تعرض لها السجن (شديد الحراسة) بالأخص مخططة؛ ومنفذوها تدربوا على مثل هذه العمليات، وأعتقد أنهم كانوا جاهزين وعلى استعداد لتنفيذ العملية، مستغلين حالة الانفلات الأمني، وسقوط الجهاز الشُّرَطِي، وكانوا عارفين ماذا يفعلون، والظروف خدمتهم؛ استخدموا عدد من اللوادر في شق ٦ فتحات في جدران السجن؛ وتحت تهديد السلاح، وقدموا من ناحية الزراعات، وبدؤوا في خلق الفتحات تحت وطأة الاشتباكات.

- ماذا عن الخسائر في صفوف قوة السجن؟

- مقتل ٧ من أفراد الحراسة، وإصابة ١٨ آخرين من رجال الشرطة؛ وأثبتت نيابة بنها هذه الوفيات والإصابات، بجانب التلفيات بأسوار،

وأبواب بعض من مباني السجن، والنيابة مسئولة عن نتائج تحقيقاتها وإعلانها.

- ماذا عن محاولات تعزيز القوات، والحصول على الدعم من القاهرة لاحتواء الموقف؟

- حاولنا مرارًا طلب الدعم من القيادة المركزية في طرة، إلا أنه تعثر دفع تشكيلات إلينا؛ حيث كان خروج سيارة شرطة على هذه الطرق المؤدية إلى السجن في هذا التوقيت بمثابة انتحار، ولم يستطع أحدٌ أن يأتي إلينا؛ وأحد القيادات قال لنا هاتفيًّا: لا يكلف الله نفسًا إلا وُسْعَها.

- أين ذهبت بعد انتهاء عملية الاقتحام وتهريب السجناء؟

- جلست في بيتي لمدة ٤ أيام، وكانت حالتي النفسية سيئة جدًا بعد الذي شاهدت، وعاينت، واحتراق سيارتي الملاكي أمام السجن؛ إلَى أن اتصل بي المسئولون، وطالبوني بالعودة إلى العمل، وأعادوا توزيعي على سجن المرج الذي تعرض للاقتحام هو الآخر مرتين في أحداث الثورة.

- هل تم استعادة أحد من السجناء السياسيين الهاربين؟

- لم يتم إعادة أحد منهم حتى الآن، ومسؤولية البحث عن السجناء الهاربين على مستوى الجمهورية، وتقصي المعلومات عن السجناء الهاربين، تقع على عاتق مصلحة قطاع السجون أولًا، فمن المفترض بعد اكتشاف

هروب هذا العدد أن تبدأ مصلحة السجون في مخاطبة الجهات الأمنية المعنية، وإرسال إشارات، وتحرير نشرات بأسماء، وأوصاف الهاربين، وتوزيعها على جميع الأقسام، والمديريات، والإدارات لضبطهم.. فتفكه مُجاهد لزوجته، وهما يطالعان هذا الحوار المُدهش:

- وهل وزارة الداخلية في حاجة لنشر اسم محمد مرسي العياط، وأوصافه، وتوزيعها على جميع الأقسام والمديريات لضبطه؟! فاستفسرت الزوجة:

- وما هي تهمة مرسي؟.. قال:

- أدناها؛ الهروب من السجن، وعدم تسليمه لنفسه حتى الآن؛ وما خفي كان أعظم.. فسألته عما خفي؟ قال:

- كل شيء سينكشف ويبان؛ عبارة شهيرة للمثل مدبولي في مسرحية ريا وسكينة.

- معقولة سنرى مرسي في القفص ؟.. قال: "ليس ذلك على الله بعزيز".. قالت:

- كان الإخوان ولّعوا الدنيا.

وفي الثاني والعشرين من يونيو؛ قررت محكمة مستأنف الإسماعيلية غلق باب المرافعة في القضية، وتحديد جلسة الأحد ٢٣ يونيو للنطق بالحكم؛ فأذيعت على الهواء عبر إحدى الفضائيات الخاصة؛ بدأت الجلسة بمرافعة هيثم فاروق؛ رئيس النيابة، الذي تلا مذكرة وصفتها هيئة الدفاع بالمرافعة الجليلة؛ قال:

- قال تعالى: "ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين" المحكمة استمعت على مدار الجلسات إلى أقوال، وشهود حملت وقائع أقل ما توصف به أنها خيانة للوطن، وغدر بشعبه، وخِسَّة في الغاية؛ من فئة لا يعرفون في أعمالهم طريق الحق إلا بأقوالهم دون أفعالهم؛ ليعلم الشعب ما حاك به من مكائد، ومؤامرات، بأيدي من يدَّعُون أنهم من أبناء هذا الوطن؛ وهم عملاء خارجه، فكان لِزامًا علينا أن ندق ناقوس الخطر ليعلم الجميع أي جرمٍ وقع ؟.. إننا نعيش مأساةً حقيقية، حين يتبين أن الدواعي المحركة لتلك المؤامرة لا تنْبَعِثُ عن مجالات عقائدية، بقدر ما تنطلق من قلوب مريضة أتلفها خمر السلطة؛ فأبت أن تفيق من سكرتها، ولم يكفهم أن يمتزج خمر السلطة في كأسهم بدم آلاف الشهداء الذين سقطوا؛ بل وقفوا على أجسادهم لتمتد أيديهم إلى زمام الأمور.

وأكدت النيابة أن وقائع تلك الدعوى وما حملته ألسنة الشهود؛ أنه خلال ثورة يناير قامت مجموعات غفيرة حاملة أسلحة متنوعة على سيارات قاصدين منطقة وادي النطرون في جنح الظلام، وأمطروا القائمين على حراسة السجن بوابلٍ من الرصاص؛ لم يُجْدِ معه مقاومة

المتواجدين لتأمينه لتباين الأعداد، ونوعية التسليح؛ مستخدمين آلات أعدوها سلفًا دكوا بها أسوار السجون وعنابرها، مستهدفين أشخاصًا بعينهم لإخراجهم من داخلها، ثم اتبع ذلك تمكين عدد من السجناء من الخروج؛ لخطةٍ وُضعت مُسَبَّقًا، ولم يُكشف عنها إلا من خلال تلك المحاكمة.

وأضاف، شهادة اللواء محمود وجدي؛ وزير الداخلية الأسبق، تكمل رواية المخطط الذي حِيكَ لذلك البلد، من توافرٍ للمعلوماتُ، ورصد اتصالات لدى الجهات الأمنية تَمَّت بين عناصر تنتمي لحركة حماس؛ وحزب الله، وبين بعض الجماعات الداخلية، بعضها تسلل إلى البلاد عبر الأنفاق، وأن تلك المعلومات التي توفرت تنفي أي تواطؤ، أو مؤامرة تُنسب إلى رجال الشرطة، وأنهم مارسوا عملهم على قدر المستطاع؛ ويؤكد ذلك شهادة مأمور سجن وادي النطرون، بأنه اضطر إلى ارتداء ملابس السجناء بعد نفاد الذخيرة حتى يتمكن من النجاة.

وسرد أقوال بعض الشهود؛ المقدم/ محمد نجم؛ ضابط أمن الدولة داخل سجن وادي النطرون؛ المستقبل لـ ٣٤ قيادة اخوانية أكدوا له؛ أنهم سوف يخرجون اليوم أو غدًا.

وتابع ممثل النيابة: إن هؤلاء الذين يدَّعون الإسلام، قتلوا، وسفكوا الدماء لتولي سلطة البلاد. وجأر؛ حرام على هذا الوطن بعد اليوم أن تحملهم ذرات ترابه، أو تَرْويهم قطرات مائه، أو يطْعَموا من ثماره، وتلا

قول النبي الكريم: "لست أخاف على أمتي غَوْغاء تقتلهم؛ ولا عَدُوَ يجتاحهم ولكن أخاف على أمتي أئمَّةً مُضلّين إن أطاعوهم فتنوهم".

وتساءل عضو النيابة: إذا لم يكن من المعتاد إيداعهم بهذا السجن، وأن إيداعهم خلال تلك الفترة كان نظرًا للأحداث الجارية بالبلاد ؟.. فمن أين لهم بتلك الأقوال التي أدلى بها ذلك الشخص؟ تلك المعلومات لم تأته إلا لأنه على اتصالٍ مسبقٍ بعناصر اقتحام السجن؛ وتساءل: أَيَّ أُخْوْة يدَّعون؟! وأيَّ دين ينتمون؟! وأيَّ حق يبغون؟!. ولا يدَّعِ أحد على الإسلام أنه دعا إلى عنفٍ، أو قتلٍ، أو خراب؛ فدين الإسلام، وكافة الأديان السماوية لا تعرف منطق (الغاية تبرر الوسيلة).. إن ما سردته النيابة العامة على مسامعكم، هي وقائع حملت جنايات يعاقب عليها القانون.

وبشأن المتهم الماثل؛ السيد محمد عطية، فقد اتضح للنيابة العامة أدلة جديدة نافية لاتهامه، ظهرت في أثناء سير الدعوى أمام المحكمة؛ وتفوض النيابة العامة للمحكمة تحديد مصير المتهم الماثل. وقال: آنَ لهذا المسلسل الإجرامي، وحركاته المفزعة أن تنتهي، بعد أن خَلَّفت جراحًا تحز في النفس. واختتم ممثل النيابة حديثه أمام هيئة المحكمة: إن أنظار المجتمع تتطلع إلى منصتكم وتنتظر كلمتكم. والنيابة العامة إذ تؤكد أن حماية المجتمع من تلك المخاطر أصبحت ضرورة لا مناص من التصدي لها. فأنتم يا من حملتم أمانة الناس في أعناقكم؛ أنار الله بمصابيح عدلكم

بصائر الناس؛ وختم: "فأمَّا الزبد فيذهب جفاءً؛ وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض"..

فمضى حضور الجلسة رويدًا رويدًا يتنفسون الصعداء؛ مندهشين لشجاعة قلب هذا الرجل؛ وفاضت من الدمع عينا مجاهد:

- تظل مصر لا خوف عليها، ما بقي فيها أمثال هذا؛ هذا بيانٌ صافٍ؛ لم يخشَ صاحبه لومة لائم؛ لا الرئيس الذي في السلطة، ولا تلك الجماعة؛ فجزاه الله خيرًا؛ وثبّتنا الله وإياه.. والتفت إلى زوجته فرآها هي الأخرى تنظر إلى القاضي عبر التلفاز؛ وزمت شفتيها تبكي من فرط السعادة !!..

صبيحة اليوم التالي استفتح مجاهد الزميل معه بالإدارة بهذه المحاجة النارية:

- أرأيت يا مخيول مرافعة هيثم فاروق؛ رئيس النيابة في قضية اقتحام سجن وادي النَّطرون، وتعاون عناصر من حماس؛ وحزب الله؛ والإخوان على اقتحام السجون؛ وحرق الأقسام؛ وهروب مرسي؟؟

وكمن وُطِئ له دُمَّلُ زعق:

- القضاء مُسَيْس يا مولانا؟! هناك تواطؤ بين أجهزة الدولة.

- صدقت؛ هناك تواطؤ؛ بين منْ ومَن؟ أجِبْ؟

- بيْنَ من ومنْ يا مولانا ؟.. قال:

- بين المجلس العسكري الذي سكت عن تلك الجرائم وبين جماعتك، هابكم لمَّا هدّدتم بحرق مصر، إن لم تكن نتيجة الانتخابات لصالح مرسي؛ المشكلة يا مخيول في النائب العام الخصوصي الذي لا يحرك ساكنًا؛ وهو ما يفضح استماتتكم في بقائه، رغم مطالبة كل القوى برحيله؛ عيّنه مرسي دون الرجوع للقضاء، ليتستَّر على جرائمكم؛ وسلاحًا ضد مخالفيكم.. وفجأة أكد:

- سيعود مرسي، والمرشد، وقيادات الإخوان للسجن.

- من أين لك تلك القناعة يا مولانا؟ سمعتك كثيرًا تتحدث عن نهاية الإخوان، ولا تزال الجماعة تحكم؛ ولها أنصار.

- قلت ماذا؟ لا تزال الجماعة تحكم؟! إذًا، مرسي لا يحكم.. صدقت وأنتم الكذَّابون.

- لا تشتم يا مولانا؛ نحن نتناقش.

- والله؛ لا أقصد؛ أقصد أن مرسي راحل، وهذه الجماعة تَزُول؛ كما زال مبارك؛ حينها يرتاح هذا الشعب. فردد دَهِشًا:

- تزول جماعة الإخوان؟! لم يسبق أَحَدٌ إلى قولك هذا يا مولانا ؟.. وفي نبرةٍ أقل مشاحنة حاول في إقناعه:

- يا مولانا، السياسة شيء متغير، وسلم النزول والهبوط، وارد في كل شيء؛ وفجأة رجع إلى الصياح: لكن أن تقول عن الجماعة التي بقيت

أكثر من ثمانين عامًا، رغم ما واجهته في عهود الاستبداد من اضطهادٍ وظلمٍ؛ تزول؟ لا لا؛ أنت مخطئ يا مولانا، سامحني؟ أنت تكره جدًا جماعة الإخوان؛ وهذا شيءٌ يدهشني منك كرجل دِينٍ أكنّ له احترامًا؟ فلك قدرة، ومنطق حلو في هذا المجال؛ بل أعتبرك ليبراليًّا؛ وأحياناً شيوعيًّا، وضحك، لكن تخسر كثيرًا بحدتك؛ تحدثك في السياسة بمثل هذا القطع.. فأجابه بمثل بنبرته الهادئة:

- سألت قناعتي من أين؟ وتكلمت أن الباعث عندي هو كراهيتي لجماعة الإخوان؛ وأؤكد لك حتى لا تروج ما لم أقله؛ كَتَقَوَلك في وجهي أني شيوعي.

- أنا أقصد أن أفكارك اشتراكية، فهل أنت ناصري يا مولانا؟

- أنا أتعلم كُلَّ نافعٍ؛ وأُعَلِمُه؛ وأقصد بزوال الجماعة، ظهور الناس على ما ظلت تدندن سنينًا أنها تطلب إعلاء الدين؛ وتطبيق الشريعة، لتنال تعاطفهم، وهي تعمل من أجل الجماعة، وشهوة الحكم؛ أُبَيّنُ لك.. "ولا يَحِيقُ المَكْرُ السيئ إلا بأهله".. فالجماعة مكرت مكر السيئ، وخانت، وكذبت، وقال عز وَجَلّ في حق أصحاب النبي يوم حنينٍ؛ لمّا وقعوا في العُجب بكثرتهم واعتمدوه للنَّصْرِ.. "ويوم حنينٍ إذْ أعْجَبَتْكُمْ كثرتكم فلم تغنِ عنكم شيئًا وضاقت عليكمُ الأرضُ بما رَحُبَتْ ثم وليتم مُّدْبرين". فما بالُك بجماعة ليست على شيءٍ، اسْتخَفَّتْ بشعبٍ ظنًا أنه لا ينكشف ما يُبَيّتون ولن يؤاخذوا به٠٠"وإذا أراد الله بقومٍ سوءًا فلا مرد له".. وأنبأ

صلى الله عليه وسلم: "ليس ذنب أجدر من أن يعجل الله عقوبته في الدنيا من البَغْـيّ"؛ وهـذه الجماعـة بغـت؛ قتلـت، وحرقـت، وفتنـت النـاس بمـا روَّجت من أكاذيب٠٠"والفتنـة أشدُّ مـن القتـل"..من هذا وغيره أستنبط؛ أنهم بأسرع مما كـان يُتخيل، يسعون لتحقيق قدر الله فيهم، وبالمناسبة؛ أنا، وأهلي، ومن أعرف جميعًا، وقعّنا استمارة تَمَرُد، أحث النـاس علـى التوقيع عليها، وأنزل في٣٠ يونيو - بمشيئة الله - يوم رحيل مرسي..

فسأله عن سرّ تَغَيّر موقفه؟ وهو الذي لم يخرج في ٢٥ ينـاير ضد مبارك؛ ألم تَقُل بعدم الخروج علـى السلطان الجائر؟!.. فأكمل لـه نص الحديث:

- "إلا أن تَروا كُفْراً بَواحًا عَنْدكم من الله فيه بُرْهانٌ".. فاستخف يسأل:

- وهوَّ الدكتور محمد مرسي كفر يا مولانا؟

- لا تقوّلني ما لم أقلـه، مرسي لم يكفر؛ فأنا لا أُكفر بالكبيرة؛ لكن وُسّدَ الأمْرُ إلى غير أهله؛ وخان.. فسأله عن الرئيس السابق:

- ومبـارك؛ الظـالم، السـارق، المستبد، المُـزّور، العميـل للأمريكـان، يـا مولانا؟! فحذّره:

- إياك والصياح؛ نحن إدارة يتردد علينـا الجمهور، ونوافذنا مفتوحة علـى الطريق فاهداً.

- حاضر يا مولانا.. واستمر يسأله عن مبارك؟... فتحدث إليه:

- مبارك ظالم؟ قد يُعْلمُ، سارق؟ لا أعتقد، مستبد؟ نعم، عَلِمَ بتزوير الانتخابات؟ نعم؛ لكنه لم يكن خائنًا، ولا عميلًا؛ رفض صراحة إقامة قواعد أمريكيّة في مصر؛ وكان رجل دولة.

- مبارك كان عميلًا للأمريكان، وحليفًا استراتجيًّا لليهود يا مولانا.

- العميل مرسي، عزيزي وصديقي العظيم بيريز؟!.. يعيره بخطاب مرسي الشهير في ٢٩ شعبان/ ١٩ يوليو، لرئيس دولة إسرائيل؛ وكان قد قال في حملته الانتخابية ينعتهم؛ بـ مصاصي الدماء؛ مشعلي الحروب؛ أحفاد القردة والخنازير؛ لا حياء؟ منطقكم؛ دَارِيهِم مادمت في دارهم، ورضّيهم مادمت في أرضهم؟

- اسْمعْ، اسمعْ؛ لو كان مبارك عميلًا؛ لتركوه يحكم؛ ولمَا أعانوا عليه؛ بل اتفقوا معكم كبديل ينفذ مخططهم الشرق الأوسط الكبير! محمد مرسي هو من أنهى ما كان يناوش به الفلسطينيون المحتل الإسرائيلي، بمقاومةٍ مشروعةٍ؛ اعتبرها مرسي عُدوانًا باتفاقٍ أذهل اليهود، والأمريكان أنفسهم؛ مرسي قدَّم لليهود، والأمريكان، ما لم يقدمه مبارك؛ ربما فعله خديعة؛ وهم من قال الله فيهم .." وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظُلَّةٌ وظنوا أنه واقعٌ بهم"...؛ رفع الله الجبل فوق رؤوسهم ليرهبهم فيطيعوه؛ وتحسب جماعتك أنها تخدعهم؟!

فهدأ الزميل لما بلغ النقاش هذا الموضع الغائر.. وكان قد رأف به فضمه للإدارة لمّا سأله؛ ورغبت جميع الإدارات عنه؛ فأبدى له ترحابًا، رغم معارضة الزميلات لِما يعرفون من انفلاته والجدل؛ إلا أنه رجا أن يكون عونًا له على الالتزام، ويغير منه؛ وكان لا ينهض لصلاة الجماعة، فحثه عليها. ثُمَ بدا له فجأة حماسته الشديدة للإخوان عندما صعدوا للحكم؛ فاعتقده خلية إخوانية نائمة؛ لاستماتته في الدفاع عنهم؛ أكثر من دفاعهم عن أنفسهم. وقَدَّرَ أن مثله؛ كمثل ثَوْرِ معصوب العينين؛ يُصاح به فيمشي؛ ولا عقل له.

- يا مولانا؛ تَمَرُّدٌ، كلمة تعني العتو والعصيان وهي صفة الشياطين؟.. فزجره:

- المتاجرة بالدين هي ديدنكم.

- أنا لست إخوانًا يا مولانا؛ هذا شرف لا أدعيه.

- شرف لك؛ بل أنت أشد إخوانًا من الإخوان أنفسهِم؛ أنت من خلاياهم النائمة، فأقسم.. فاستمر يطارده:

- أعلم أنهم يحثونكم على القسم في مثل هذه الحالات، يعتبرون أن خداع الآخر بالحلف طاعة؛ اسمع؟ إن كنت لست إخوانًا، فجَمْعُ الشباب لا يعنيهم ما تقول، ولا يتاجرون بالدين؛ هم يعبرون بطريقتهم عن سخطهم

عليكم، وغضبهم، وسخط الشعب المصري، ويطالبون مرسي بالرحيل لفشله، وسأنزل ضده في ٣٠ يونيو.

ولمَّا ذهب لمنزل الوالدة لدرس النساء ذهب ومعه ٣٠ استمارة تمرد؛ تلك الفكرة التي تَلقَّفها جموع المصريين، بالقبول، وسرت في الناس سريانًا عجيبًا؛ فبمجرد عرض الاستمارة، وشرح الفكرة؛ لا يسرع الشخص فقط بالتوقيع؛ بل يبادر بتصويرها بالعشرات لعرضها على الآخرين:

- املأ هذه الاستمارة لسحب الثقة من نظام الإخوان؛ الأكثر فشلًا؛ والأشد اسْتماتةً على السلطة من نظام مبارك..
تمرّد rebel حملة (سحب الثقة من محمد مرسي العياط)

أعلن أنا........ الموقع أدناه؛ بكامل إرادتي وبصفتي عضوًا في الجمعية العمومية للشعب المصري سحب_الثقة من رئيس الجمهورية الدكتور محمد مرسي عيسى العياط. وأدعو إلى انتخابات رئاسية مبكرة. وأتعهد بالتمسك بأهداف الثورة والعمل على تحقيقها ونشر حركة تمرد بين صفوف الجماهير حتى نستطيع معًا تحقيق مجتمع الكرامة والعدل والحرية.

عشان الأمن لسه مرجعش للشارع .. مش عايزينك

عشان لسه الفقير ملوش مكان.. مش عايزينك

عشان لسه بنشحت من بره.. مش عايزينك ..

عشان حق الشهداء مجاش.. مش عايزينك

عشان مفيش كرامة لِيَّا ولبلدي.. مش عايزينك

عشان الاقتصاد انهار وبقي قاتم على الشحاتة.. مش عايزينك

عشان تابع للأمريكان.. مش عايزينك

الاســـم:

الرقم القومي:

المحافظــة:

التوقيـــــع

كانت الفكرة مثالية إلى درجة شجّعت البسيطات من جارات مجاهد، اللائي كنَّ لا يزلنَّ يتعْتِعنَّ في الجزء التاسع والعشرين من القرآن - جزء تبارك- لأنها التحقت للدَّرْسِ متأخرة، أن تنتقدها لمَّا حثهن في نهاية الدرس على التوقيع على الاستمارة، والنزول في ٣٠ يونيو:

- وتفتكر يا أستاذ الإخوان هـ يمشوا بهذه السّهولة؟! وحركت رأسها بالنفي وضحكت، فلمْ يقهرها؛ وأكد للجميع ليدفع عنهن التخاذل:

- "ليس ذنب أجدر أن يعجل الله عقوبته في الدنيا من البَغْيّ"؛ وهم بغوا.. وحرضهنَّ على التوقيع، والنزول في ٣٠ يونيو:

- الكثرة تغلب الشجاعة؛ المهم التعاون، والنزول للميدان في ٣٠ يونيو.

كانت دَارِسَةُ عملاق؛ زوج أخ شقيق لأبي سريع.. طول بعرض؛ تُفَصّلُ منه ثلاثًا، وكأن هذا الشعب لا يعرف مُستحيلاً؛ إذ لمّا توفيت زوجته - ولم تكن بالهزيلة أيضًا - بحث، وقد تخطى الستين كثيرًا عن أخرى؛ فأعجبته هذه العملاق؛ فسمعت بالدرس من سلفتها فلتزمته التزامًا؛ فكانتا اثنتان من بيتٍ واحد، وزمرة أطفال أحفاد الأولى قدموا للفرجة، وإظهار مواهبهم في حفظ القرآن أمام الكبار؛ وكانت هاتان السيدتان مجتهدين. إلا أن السيدة العملاق، كانت أشدّ تعْتعةً لألفاظ القرآن الغريبة من سلفتها؛ يقرأ لها من واجبها الأسبوعي.. "سَنَسِمُهُ على الخرطوم"..فتقرأ: سَنَسِمُّهُ.. ويجد المعنى فاسدًا؛ من السّمّ القاتل.. فيعيد عليها القراءة الصحيحة.. فتضحك؛ إذ تعاود فتفشل:

- عَذّبتني يا أستاذ؛ سأحاول مع أبي نادر في البيت.

- لا؛ ويعاود القراءة حتى تقرأ اللفظة، ولوْ لمرةٍ واحدةٍ صحيحةٍ، ويستطرد مع لفظةٍ أشد.. "ولا يَسْتَثْنُون".. فتردد: ولا يسْ تَـنُسون..

- كوليد يحاول استدعاء أمُّه صباح فيقول..بـاح فتضحك؛ فيعقب لهن:

- كأنَّكنَّ أعجميات؛ وكأن اللغة العربية ليست لَغتكُنَّ ! أتعلمنّ لِم؟ لأن آلة اللسان ظلت معطلةً عمركن، أكثرنَّ من القراءة.. ويسألهنَّ:

- كم مرة تجلسن للطعام، أو لرعاية الدجاج في اليوم؟ ويُجيب بنفسه: ثلاث مرات؛ في كل مرة ساعة؛ إن أردتنَّ الفلاح لابد من الجلوس للقراءة ثلاث ساعات كل يوم.. فتجيب تلك السيدة العملاق بظُرْفٍ:

- لم يعد عندنا دجاج يا أستاذ؛ عدمن العافية؛ أو تقول:

- أخذتهم الشُّوطة وحلول مرسي.. أو تنبئ الأخرى:

- وهو من اللي بقى عنده نفس للزاد يا أستاذ؟! فيطمئنهن:

- تتخلصُ مصر من مرسي، وجماعته كما تخَلَّصت من الحزب الوطني- بمشيئة الله -؛ فتصيح بصدق:

- يا فرج الله ؟.. ثمَّ تعاود السؤال:

- صحيح هـ نخلص من الإخوان يا أستاذ ؟!..فيحثهنَّ:

- فقط؛ وقعنَّ استمارة تمرد، وانزلن في٣٠ يونيو، ويرجعهن للدرس:

- نقرأ ؟.. فيرددن وراءه؛ حتى ينطقهنَّ الكلمة الغريبة من القرآن صحيحة تمامًا؛ فيفرح ويعبر لهن؛

- فرحتي بدعوتكن أعظم من فرحتي باعتلاء المنابر للرجال؛ نَحَّست أجسادهم من كثرة ما سمعوا؛ فلم يستجيبوا؛ أنتن أحرص على التعلم منهم..

وتحدث وزير الدفاع، في الرابع عشر من شعبان ١٤٣٤ هـ؛ الثالث والعشرين من يونيو ٢٠١٣ أمام الندوة الإستراتيجية، التي أقامتها الشئون المعنوية بالقوات المسلحة.. الجيش لن يسمح بالفوضى أو انهيار الدولة.. لدينا أسبوع يمكن خلاله تحقيق تفاهم، وتوافق، ومصالحة لحماية مصر... إن القوات المسلحة على وعيٍ كاملٍ بكل ما يدور في الشأن العام الداخلي، دون المشاركة، أو التدخل لأنها تعمل بتجردٍ وحيادٍ كامل، وأن ولاء رجالها لمصر ولشعبها العظيم.. القيادة العامة للقوات المسلحة منذ توليها المسئولية أصرت على أن تبتعد بقوتها عن الشأن السياسي؛ وتفرغت لرفع الكفاءة القتالية لأفرادها ومعداتها؛ وما تم من إنجازات في هذا الشأن خلال الأشهر الثمانية الماضية يمثل قفزة هائلة..وَحَذَرَ:

- هناك حالة من الانقسام داخل المجتمع؛ استمرارها خطر على الدولة المصرية؛ ولابد من التوافق بين الجميع، ويخطئ من يعتقد أن هذه الحالة في مصلحة المجتمع .. .. ولن نظل صامتين أمام انزلاق البلاد في صراعٍ يصعب السيطرة عليه.. علاقة الجيش والشعب، علاقة أزلية، وهي جزء من أدبيات، وأخلاق القوات المسلحة تجاه شعب مصر؛ ويخطئ من يعتقد أنه بأي

حـالٍ مـن الأحـوال يسـتطيع الالتفـاف حـول هـذه العلاقـة، أو اختراقهـا؛ إرادة الشـعب المصـري هـي التـي تحكمنـا، ونرعاهـا بشـرفٍ، ونزاهـةٍ، ونحـن مسئولون مسئولية كاملة عن حمايتها، ولا يمكن أن نسمح بالتعدّي على إرادة الشعب، أو أن يتم المساس بأحدٍ من شعب مصر في وجود جيشه.... وتابع:

- إن القوات المسلحة تدعوا الجميع دون أي مزايدات للحفاظ على الشرعية؛ وإلى إيجاد صيغة تفاهمٍ، وتواصلٍ، ومصالحة حقيقية لحماية مصر وشعبها؛ ولدينا أسبوع يمكن أن يتحقق فيه الكثير، وهي دعوة متجردة إلا من حب الوطن؛ من أجل حاضره ومستقبله..

كان الخطاب يشفي الصدور إلا عبارة؛ إن القوات المسلحة تدعو الجميع للحفاظ على الشرعية؛ فأي شرعية يعني؟ أشرعية مرسي؛ وبقاء الحال على ما هو عليه؛ أم شرعية الميدان والحشود الغاضبة التي تنوي النزول للميدان للخلاص منه ومن هؤلاء؟؟!

بات مجاهد مستوحشًا قلقًا كالكثيرين من خيبة الرجاء لو حدثت؛ ولأن محكمة جنح مستأنف الإسماعيلية بالأمس، كانت قد قضت بإحالة أوراق قضية الهروب من سجن وادي النطرون خلال أحداث يناير ٢٠١١ إلى النيابة العامة، لاستكمال التحقيق في الوقائع.

وطلبت المحكمة من النيابة اتخاذ اللازم، بشأن ما أثير بأوراق الدعوى، عن اشتراك قيادات التنظيم الإخواني، والمعتقلين الهاربين من التنظيمات

الجهادية، والجماعات التكفيرية، والسلفية في وقائع السجون. وطالبت مخاطبة الانتربول الدولي للقبض على كل من سامي شهاب؛ القيادي بحزب الله اللبناني، وأيمن نوفل، ومحمد محمد الهادي؛ من حركة حماس، ورمزي موافي؛ أمين تنظيم القاعدة في شبه جزيرة سيناء؛ الهاربين من السجون المصرية، وإحضارهم للتحقيق معهم فيما أثير بالأوراق عن اشتراكهم في الوقائع حتى يكون الجميع متساوين في الحقوق والواجبات، ولا يفلت أيٌّ منهم من جريمة ارتكبها ؟.. والتحقيق كذلك مع ٣٤ من قيادات الإخوان منهم الرئيس؛ من الهاربين الذين استفادوا من اقتحام السجون، وفتحها، واللواذ بالفرار.

فاستنبط مجاهد من شجاعة المستشار المحجوب شيئًا مطمئنًا؛ أن الناس لن تيأس.. وضحك لبراءة المتهم؛ السيد عطية محمد عطية؛ المفجر للقضية برمتها من الاتهامات المسندة إليه! كشفت مفاجآت التحقيق أنه ليس المتهم الحقيقي؛ المتهم الحقيقي صدر له عفوٌ رئاسي من مرسي بمناسبة أعياد أُكْتُوبر! إلا أن المرء لا يعدم أبدًا المحبطات؛ إذ لم تتخذ النيابة العامة أيَّ إجراء، أو توجه أيَّ اتهام، بعد مرور عامين ونصف العام، لأي من الذين ذكر اسمه؛ وثَبُت تورطه في تلك الأحداث.

وكشفت شهادة الشهود في الجلسة السرية، صحة ما جاء بالأوراق؛ وأن تحرياتهم، ومتابعتهم للتنظيمات المتطرفة، وبالأخص الإخوان؛ أكدت أنهم سوف يستغلون الأحداث لتحقيق مخططهم؛ والاستيلاء على الحكم، وتم

إعداد مذكرة من جهاز أمن الدولة السابق، وعرضها على وزير الداخلية وقتها؛ وكشفت عن أسماء ٣٤ قياديًّا من قيادات مكتب الإرشاد صدر أمر باعتقالهم، وتم القبض عليهم في الساعات الأولى من يوم ٢٧ يناير، وإيداعهم الحجز فجر ذلك اليوم.. وعند قيام الأحداث في ٢٨ يناير، وما شهدته البلاد من انهيارٍ للشرطة، صدر أمرٌ بنقلهم إلى سجن وادي النطرون، وقام باستقبالهم ضباط مباحث أمن الدولة بهذا السجن٠٠لكن المُفْرِحُ عدم انتظار الناس مجيء٣٠ يونيو؛ بل أسرعوا بالنزول في جميع الميادين؛ في جميع المحافظات خشية أن يسْتَبقها الإخوان، ثم كان النزول الكثيف يوم الثامن والعشرين؛ يوم الجمعة؛ وكانت بشائرهم قد خَفَّت إلى النزول يوم الأربعاء السادس والعشرين، كأنهم بصدد الإحْماء للمعركة الكبرى!..

ولأول مرة يخَاطِرُ مجاهد بالنزول للميدان في الثامن والعشرين؛ استنهض كُلَّ من يعَرَفه ويثق به؛ ومن باب؛ أعقلها وتوكل؛ خَلَّفَ السيارة ال ٢٧ فيورا؛ كُلَّ مِلْكه إلى جوار مسجد التوحيد، وللأمان نشر عليها الغطاء يُعَمَّي عن المُتَعَقَب للإيذاء، وسار - هو صاحب اللحية الكبيرة- من مساكن الشناوي إلى قلب الميدان. كانت المسافة تتجاوز ثلاث مائة متر، وكان الناس من بعد العصر ضُففًا تتوافد هرولة، وكلما اقترب من قلب الميدان ازدادت الكثافةً، كان في بذلة نصف كم أنيقة لونين كحلي وأزرق سماوي، وفي سيره انتبه له كل من مَرَّ به؛ ورأى الناس ينظرون إليه كأعجوبةٍ؛ يحسبونه من الجماعات السلفية الداعمة للإخوان، وأكَّد لمذهبهم بالإضافة إلى اللحية الكبيرة؛ زوجته المنتقبة التي تسير إلى جواره، فاعتصم بالثبات؛ وابتسم لكل

من نظر إليه متشككًا؛ فأمس الأول في ميدان رابعة؛ وسط القاهرة؛ في استعراضٌ للقوة من التيارات الإسلامية الداعمة للرئيس "مرسي" في مليونية (لا للعنف) كان التكفير صريحًا من شيوخ الجماعة الإسلامية لكل من يخرج على الشرعية.. أخرجوا صكوكًا للجنة والنار وزعوها: الحاضر معنا له الجنة، والغائب الذي ينوي الخروج في ٣٠ يونيو له النار؛ ومن على المنصة التي نصبوها لنبذ العنف جاءت كلماتهم تقطر دَمًا، وكست الوجوه فظاظة، ونطقت الحلوق بالثبور، وعظائم الأمور؛ وأعلن "عاصم عبد المجيد" الذي نكص على عقبيه في إحدى البرامج التي شاهدها مجاهد أخيرًا " أنه لم يعتذر عن قتل أفراد الشرطة في أسيوط عام١٩٨١ م، وأعلن البيعة لمحمد مرسي، وأعاد التذكير بمقولة الرُّعب الشهيرة للوالي الأموي "الحجاج بن يوسف": أرى رؤوسًا قد أينعت وَحانَ قطافها؛ وجأر بحديثٍ ضعَّفه أحمد، وغيره: "إنما بعثت بالسيف".. وانبرى عقبه " عبود الزمر" المحكوم عليهم في قضية قتل السادات بأعلى صوته، يشير بأصبعه، متوعدًا من يخرج في ٣٠ يونيو:

- إنكم ستسحقون بالضربة القاضية؛ وتَبِعَهما صفوت حجازي يهدد:
- من يَرُشُّ مرسي بالماء نرُشّهُ بالدمّ.. كان التهديد بالقتل؛ وبحور الدم، والسيارات المفخخة، في حالة سقوط مرسي من النابذين للعنف المنقولين إلى ميدان رابعة في أتوبيسات للنقل العام والجماعي من سائر المحافظات.

واستعرض بعضهم لمهارات قتالية أمام الكاميرات في إشارة ضمنية إلى استعدادهم لخوض حرب. وحمل آخرون لافتات التقبيح لأبرز المعارضين وللإعلاميين.. ودَعَوْا عليهم بمرض " إرييل شارون" ذلك؛ وغيره.

كان ما دعا مجاهد للنزول إلى الميدان تعضيدًا لهؤلاء المسالمين النازلين الميدان في ٣٠ يونيو. مضى وزوجه يستمعان إلى الهتاف بسقوط دولة المرشد؛ والإخوان عملاء الأمريكان، ونظر في دهشةٍ إلى صورةٍ كبيرة لوجهيْ مرسي، وأوبا ما وعلامة X الشاطبة للوجهين؛ فابتسم لشجاعة الناس، وطرحهم التهديد الذي أُطلق في مليونية؛ لا للعنف؛ وبتَمَهُّلٍ يرى إلى التجمعات، ويستمع إلى الهتاف الجريء الرافض لـ مرسي، والإخوان، والأمريكان.. وابتسم لزوجته ومشى في رصانةٍ يتفحص المشهد حتى صاح به شخصٌ مُتَهِمًا:

- يا سلفي؛ جئت عينًا للإخوان ؟!.. فأشار له بالسبابة والوسطى علامة النصر، وابتسم في ثقةٍ، واستمر يتقدَّم في سلامةِ صدرٍ؛ وكان قد أعد نفسه لمثل هذا الظرف؛ فانطلق في إثره شخص آخر يستيقن لتلك الإشارة حتى أدركه:

- صحيح يا شيخ جئت عونًا لنا؟!

- نعم، وأنا، وأهلي جميعًا؛ وقَّعنا استمارتيّ تمرد، وصحَّح له:

- ليس السلفيون طبقةً واحدة، أنا ضد هذه الجماعة الكذوب وأذنابها.. فدعا له الشخص في شدة تأثّرٍ:

- الله يشرح صدرك يا شيخ؟ وصاح للآخرين:

- الشيخ جاء عونًا لنا؛ وقال يشكو حزنه إليه:

- يا شيخ هم يكفروننا! ونحن والله، معظِّمون للإسلام؛ فليعلم هؤلاء الآن من خلال فضيلتكم أنَّا لسنا بكافرين، يا شيخُ؛ القصة كلها سياسة؛ أهلًا ومرحبًا بك في الميدان..

ولأنه يخجل التَّصدر للشهرة؛ وقف في مؤخرة قيادة هاتفة، اتخذت البسطة العليا لسلم البنك الأهلي، خلف مبنى المحافظة منصة؛ بعد أن نصح لزوجته بمكانٍ بعيدٍ آمنٍ خلَّفها به، وكلما انتبه لوجوده شخص ورنا إليه في شكٍ:

- ما بال ذو اللحية هذا بيننا؟!

اسْتخْرج يده من جيبه ليشير له بالسبابة والوسطى إشارة النصر، وإن كان جارًا له بادره بقولة:

- تلك جماعة بلا كفاءة؛ لا همَّ لهم بمصر الدولة؛ هَمُهم الجماعة، ومرسي يعمل بما يأتيه من مكتب الإرشاد؛ فيحيط الناس به؛ ينصتون إليه سعداء؛ إلى أن طلب إليه شخص الصعود للمنصة للحديث؛ وذهب يرتب له. فشمله

الخجل الشديد والقلق معًا، وهمَّ يؤلف ما يقوله خطابًا؛ فخطر له تحذير جماعة أنصار السنة من الحديث في السياسة، والتحزب إلى فئة؟ وأنهم جماعة دعوية؛ دعوتها توَجه للناس كافة؛ وأنه بظهوره هذا يفتح عليه بابًا شديدًا لعداوة الإخوان، وعقابًا من جماعة أنصار السنة برفعه من الجدول؛ فذهب إلى الزوجة يطمئن عليها أولًا، ويعْلِمْها بصعوده الداعم للمِنَصَّة.. ولمّا رجع لم يرجع الشخص إليه؟ أو رجع فلم يجده؟ فاكتفى بالثبات مكانه لعله يرجع؛ وأخذ يقوّي قلبه:

- لا تجْبُن خوفًا من الإخوان، ولا خشية الرفع من الجدول؛ حديثك ينبغي أن يكون قصدًا، عدلًا، رصينًا، جامعًا للنصح.. وواسى لنفسه؛ الحَذَرُ لا يمنع القدر، والمرء لا يزال في جهادٍ وصبرٍ ما دام حيًّا وقرأه " أم حسبتم أن تدخلوا الجنّة ولمَّا يعْلَمِ اللهُ الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين".. يثبّتُ بها فؤاده؛ حتى سُمِعَ أذان المغرب من المساجد القريبة؛ فكَفَّ المتظاهرون عن الهتاف احترامًا للأذان، وقام أحدهم برفع الأذان من الميدان؛ ثمَّ تلفت الناس لا يدرون ما يصنعون، هنا وجد له دورًا، ندبهم لصلاة الجماعة في الميدان، فيكون تأكيدًا على حرصهم على دينهم، ودرء أنهم فسقة، وناداهم بالاصطفاف، وَبَيَّنَ:

- لا يلزم خلع النّعال؛ تصح الصلاة به، فقط، تراصوا، واتجهوا إلى القبلة، وابسطوا الأعلام التي بأيديكم على الأرض لتضعوا عليها الجبهة، والأنف حال السجود؛ ونظر حوله يبحث عن شيءٍ يفرشه للإمام؛ فوجد قماشه كبيرة

فوق إحدى السيارات التي تبيع علم مصر، وصورًا لـ وزير الدفاع" السيسي "، وعبد الناصر، والسادات؛ فاستأذن صاحبها، وحمل القماشة فبسطها لمقام الإمام؛ وكان قد أمر زوجته:

- اذهبي إلى المسجد فصلِ؟ سأصل في الميدان معهم.. وتأخَّر ليدخل الصف، وابتهل في نفسه ألا يخرج دَعِيٌّ من طلاب الإمامة لا يحسن الصلاة فيفسدها عليهم. وإذا بأحدهم يناديه:

- صلّ بنا يا شيخ.. فَخَشَعَ قلبه للاستجابة السريعة؛ فتقدَّم؛ فلم يكثر من الإرشادات خشية الهرج؛ وكبَّرَ.. ولمّا فرغ من الصلاة، مشى إلى الزوجة ليأتي بها من المسجد؛ ويجدد وُضُوءه.. واستشارها في العودة إلى السيارة؛ والرجوع إلى البيت؟ فقد اطمأنًّا لنزول الناس الميدان بكثافة؟! وحثها:

- نرجع لنشاهد باقي المحافظات من التلفاز، حققنا الواجب، فأنا أكره الزحام ؟.. فرجته البقاء حتى أذان العشاء فينصرفا لها؛ فأطاع مُرغمًا!.

فشرعت كلما رأت مشهدًا مُحْدَثًا تنظر إليه؛ تبرق عيناها من السرور، وظل هو يفكر في الإخوان الذين يتخبطون؛ لا يتعامل شيوخ مكتب الإرشاد؛ على رأي إبراهيم عيسى؛ مع الحقائق على الأرض؛ إنما هو العِيشَ في الماضي؛ والفكر بالأماني والأوهام؟ أضف إلى ذلك توسيد الأمر إلى غير أهله، وغياب الخبرة والكفاءة، ثُمّ الوسائل الغير أخلاقية التي استخدموها للوصول للسلطة؟ ثُمّ إشراف مصر على الهاوية، فليلة السبتً الماضي؛ أحد يومي العطلة؛

ضاع عليه قيام الليل، فقام قيامًا غير كافٍ؛ فجلس في المسجد لإنجاز باقي ورده بعد ما صلى بالناس الفجر، وجلس معه صاحب له ليقرأ عليه، فلحظا شخصًا غريبًا في ركن المسجد لم ينصرف؛ فلمّا أنجز ورده، وأراد أن ينصرف، توجه إلى الشخص؛ فاعْتذرا له؛ لأنه يتوجب عليهما أن يغلقا المسجد صيانة له من الأشقياء الذين لا يتورعون عن سرقة أحذية المصلين، فاستجاب الشخص في كياسةٍ:

- سأترك المكان.. وتحدَّث أنه عابرُ سبيلٍ؛ من القاهرة؛ تعطلت سيارته لنفاد الوقود، فبحث في محطات الوقود في كل أرجاء المنصورة، وجوارها عن أي نوعٍ من أنواع البنزين فلم يجد، وقال:

- عِنْدنا في القاهرة أزمة، لكن ليست بهذه الحدة، وأخبر أن سعر صفيحة بنزين ٩٢ في السوق السوداء الذي عُرضَ عليه هنا ٢٠٠ جنيه فسلك بسيارته طابور بنزينه الوطنية؛ محطة وقود تابعة للجيش جوار الكوبري، قريبة من المسجد؛ وقال:

- فكرت بعد صلاة الفجر أن أظل في المسجد للراحة، فأنا الآن في المقدمة، وقالوا لنا أن شحنة البنزين الجديدة تصل المحطة التاسعة صباحًا؛ فأكون أنا أول المُمَوَّنِين، وأستأنف سيري إلى بالقاهرة، بعد انقطاع يومين عن المنزل.. وكان من الحل الناجز للرئيس أن جعل خطبة ودودًا؛ تأسّى فيها؛ لأمثال هؤلاء الصافّين طوابير لا يُعرف لهم آخرٍ، بعضهم اتخذ من سيارته مرقدًا ينام فيه، والبعضُ خَلَّفَها، والطابور، ورجع البيت يستريح؛ فمن ذا الذي يفكر

في سرقة سيارة ليس بها وقود؛ في أزمةٍ طاحنةٌٍ كتلك؟! والبعض تناوب مع جار الطابور الحراسة؛ وترك له المفتاح، وغادر، وقد تَعَرَّف عليه، على أن يعود فيناوبه حتى يجيء الفرج. إلى كل هؤلاء بعث الرئيس مرسي هذه الرسالة:

" قلبي معكم جميعا أيها الشرفاء؛ وددت مخلصًا من قلبي، ويسعدني جدًا، أن أَنْزِلَ، فألزم الطابور معكم أحبائي، فأخفف عنكم؛ أنا أعلم أن هناك أصابع تلعب في هذا البلد، لا يغرنَّ هؤلاء حلمي؛ ولا يعتقدون، ولا تسول لهؤلاء أنفسهم؛ أذناب النظام البائد، أني لأعلمهم؛ أراقب هؤلاء، وأقول لهم احذروا؟ سأقطع كل أصبع تحاول أن تعبث بمقدرات هذا البلد، من الداخل أو من الخارج".

فقال لزوجته وهما يسمعان هذا الهزل:

- يعني أن مبارك يدير حملةً ضده من داخل السجن؛ فإن كان ذلك كذلك، فإن موقعه وراء القضبان، وموقع مبارك المستحق خارجه!.

كان منظر سائقي ميكروباصات الأجرة، والعربات ربع النقل، التي تسير معلقة لجراكنٍ فارغة، - يرتطم بعضها ببعضٍ في الهواء، سوداء من أثر تخزين السولار- يتحينون أثناء سيرهم فرصة تأتيهم، بمحطة وقود جاءتها شحنة مفاجئة فيؤوبون سعداء بالسولار.

أما سيارات النقل الثقيل، فكانت تخنق الطرقات؛ تبت للسولار باصطفافها الدائم عند كل بنزينه. وتطاحن عند كل محطة شراذم يملئون جراكن يتاجرون فيها؛ وأَرْهَبَ هؤلاء التعساء من المسجلين خطرًا المواطنين بعدم اصطفافهم في الصف؛ فخاطر بنفسه، غير مرة، يمنعهم، إلا في دورهم، فكان يقع بينهم وبينه هذا الحوار:

- خربتموها؛ روح يا شيخ ربنا ينتقم منكم جميعًا ؟.. يحسبونه سلفيًّا من اللاعبين سياسة؛ فلا يترك الأمر يمر؛ بل يفاجئ الجميع:

- خربوها؟ نعم، وأقول لك، لا تنتخبهم للبرلمان القادم؛ لا الإخوان، ولا حزب النّور؟ لكن الْتَزِمِ الصف؟

- إذًا فمن أنت ؟!.. يسألونه هويته كذلك.

- أنا مواطن أحترم النظام، وألتزم الصف؛ أمَّا هؤلاء فهم أسوأ من الحزب الوطني، فشلة، اختر للشأن العام ذا الكفاءة؟ فيسَّرون لعدله؛ وترشقه نظرات الوقار، وينتظم الصف، بل سبح ضد هذا التيار ليخفف من خطره، وإحداث التوازن؛ فيتعمد عدم الحفاوة؛ أو يَرْمُق في صرامة شخص من يلقاه؛ فإن فَاجأه من يعرفه ابتسم له وحَيّاه.

كان يعتبر هذا عملًا صالحًا؛ حتى لا يُوَسَّد الأمر إلى غير أهله؛ أو تستأسد طائفة وحدها بالسلطة؛ متخذًا من قوله تعالى" ولولا دفعُ الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض"... وكان من تمام رؤيته في الإخوان،

بالإضافة إلى انعدام الخبرة، جرأتهم على الدولة، والنظام العام؛ وقد قعت السلطة في أيديهم - على رأي هيكل - بعد تربصٍ دام أكثر من ثمانين عامًا فجأة؛ فلم يعتبروها فِتْنةً؛ بل استحقاقًا.

ومن الوسائل الغير أخلاقية التي أعدها شيوخ مكتب الإرشاد للتعامل مع مظاهرات ٣٠ يونيو، غير العيش في الماضي، والتفكر بالأوهام.. أن ٣٠ يونيو سيكون يومًا عاديًا؛ يَمُرُّ؛ ككل الأيام التي نظم فيها شباب الثورة، والمعارضة المظاهرات الكثيرة، والمسيرات التي ضمت عشرات الآلاف؛ فبقيت السلطة في أيديهم؛ وأن الملايين لن تخرج على مرسي، ولن يحدث ما حدث في ١١ فبراير ٢٠١١ م٠٠وتخويفًا للمواطنين لمنعهم من المشاركة في٣٠ يونيو، نشطوا في إطلاق الشائعات؛ أن المظاهرات ستؤدي إلى العنف؛ وحروب شوارع؛ بين الفلول، وشباب القوى الإسلامية، التي ستدافع عن الاتحادية، ومنشآت الدولة ضد محاولات التخريب، وتهديدات جماعات السلفية الجهادية لشباب الثورة بالسحق؛ والقتل؛ إذا حاولوا الاعتصام أمام قصر الرئاسة، وفتوى أن المظاهرات في ٣٠ يونيو خروج على الحاكم، وتكفير المشاركين فيها، ثُمَّ الاستقواء بواشُنطن؛ وتأكيد السفيرة الأمريكية احترام بلادها لنتائج الصندوق؛ وبالتالي؛ شرعية مرسي، ومنحه مزيدًا من الوقت؛ لأن سنة واحدة لا تكفي، ورفض تدخل الجيش في السياسة، ما يعني؛ تحذير المعارضة من خيار التغيير الثوري، أو الانقلاب العسكري، وتغيير موقف الرئاسة من الأزمة السورية؛ وإعلان الرئيس مرسي دخول مصر كلاعبٌ رئيس في تنفيذ الرؤية الأمريكية للصراع في المنطقة بين السنَّة

والشيعة، ثم الربط الزائف بين استمرار مرسي في الحكم، والاستقرار، والمشروع الإسلامي، وتطبيق الشريعة؛ ناسين أن مرسي نشر الانقسام والفوضى في المجتمع؛ ولم يسعَ خلال عامٍ كامل لتطبيق الشريعة؛ بل زاد الضرائب على الخمر ضعفين، ووَهْمَ مشروعِ النَّهضة، وأخيرًا؛ الاستعراض بحشود إخوانية في الصالة المغطاة، ثم في ميداني رابعة والنهضة، بما عرف بمليونية " لا للعنف" حشد لها الإخوان جماعة السلفية الجهادية من كل المحافظات؛ فاطمأن إلى رأيه بالخروج في ٣٠ يونيو؛ وأنه لم يحف، وكان من فشل الرئيس، وحكومته، وجماعة الإخوان في إدارة شئون البلاد ارتفاعُ حِدَّةِ انقطاع التيار الكهربائي، الذي أصبح لا يعرف له أمدٌ، ولا توقيتٌ، وارتفعت للسماء أثمان الكشافات الكهربائية، والمولدات! وفي جميع الأماكن ظهرت عند الانقطاع المتكرر والمفاجئ للكهرباء، ليلًا ونهارًا دعوات، وأصبح الرئيس مادتها للتفكه: الله يخرب بيتك يا مرسي.. ؟؟ فيصيح الخلية النائمة؛ مخيول:

- يا إخوانا؟ ما للرئيس وانقطاع الكهرباء؛ هل يقوم على رأس كل موظف في الدولة العميقة ؟!٠ فلا يُلْتَفَتْ لصياحه.. وتحكي الزميلات في الإدارة:

- الأكل فسد في الثلاجة.. المشكلة أننا لم نَعدْ نعرف لانقطاعها نظامًا، ولا توقيتًا حتى نُعمِلَ حسابنا! فتجيبها أخرى:

- سمعت أن الأجهزة الكهربائية في مكان كذا كلها تلفت من الانقطاع المفاجئ؛ والمجيء المفاجئ المنخفض للتيار؛ وأنهم يُقيمون دعاوي

قضائية ضد الدولة يطالبونها بالتعويض لأجهزتهم والأطعمة التي فسدت.. فتؤازرهما ثالثة متشاكية:

- ومن يعوضنا من النكد؟! في عز مسلسل؛ حريم السلطان؛ يأتيك فجأة انقطاع التيار؟!.. وتتندر على الرئيس.. مشروع النهضة لمرسي؛ النوم المبكر؛ ومنع مشاهدة مسلسل حريم السلطان؛ ليفتح المجال لسماع خطبه؛ القرد والقرداتي؛ والحارة المزنوقة؛ والسَّحالي والثعابين..أنا شايف بعض أصابع تلعب في مكانٍ ما؛ يظنون أني لا أراهم. لا؛ أنا صاحي. يا أختي؛ لا تفهمي منه شيئًا؟! الشعب هذا مبتلى.. واحد ظل ثلاثين سنة صامت كأبي الهول؛ والثاني جاءك بإسهال كلام؛ لا تفهمي منه شيئًا.. فاستوقفهنَّ:

- تنزلين في ٣٠ يونيو يا مدام ماجدة؟

- أكيد نازلة يا شيخ..

- ومدام سوزان؟ وأنتِ يا مدام أمينة، أتنزلان في ٣٠/ ٦؟ وهذه منتقبة؟!؛ فضحكت تعتذر لانشقاق الصَّف الأسري:

- الزوج مؤيد للإخوان، أمّا أنا سأنزل، والأولاد حتى نرتاح من الإخوان؛ كما ارتحنا من مبارك.. فاستفز مخيول من هذا الإجماع:

- يا اخوانًا٣٠/٦ ما هي إلا دعوة لعودة الفلول والبلطجية.

- هؤلاء بلطجية؟ هؤلاء فلول؟ إن لم تَسْتَح فافعل ما شئت.

- أعترض على الشتم يا مولانا، نحن نتناقش؛ وأنا صاحب رأي.. كيف يكون الرئيس مسئولًا عن انقطاع التيار! كل موظفٍ يجب أن يقوم بعمله؟.. يا مولانا هذه هي الدولة العميقة التي أفسدها مبارك، وأجهزة الدولة، جميعها تتآمر جاهدة لإفشال المشروع الإسلامي.. فلم يستطع أمام هذا الكذب المتعمد إلا أن يعود فيحتد عليه:

- تعني مشروع الكذب الإخواني؛ النهضة؟! اسمعْ ما قاله وزير الاتصالات السابق، قال:

- نحن ماشيين بالبركة! والأوضاع الاقتصادية الحالية في مصر قد تنتهي بتقسيم البلاد! النظام لم ينفذ أيًّا من وعوده؛ ونحتاج لشخصية اقتصادية قوية لرئاسة الحكومة، ويستحيل تكرار قطع الاتصالات أثناء مظاهرات ٣٠ يونيو مثل ما حدث في جمعة الغضب في ٢٥ يناير، الأوضاع الحالية أكثر خطورة مما كانت عليه في النظام السابق؛ والحكومة كان يمكنها وقف العنف أمام الاتحادية لكنها لم تفعل.. فاتهم مخيول الوزيرَ:

- يا مولانا؟ الوزير يتقوَّل لأنه أقيل في التعديل الوزاري الذي أجراه الدكتور مرسي.

- أنت تكذب؛ لأنك تعلم أن مرسي لا يعيّن ولا يُقيل؛ الأمر كله لمكتب الإرشاد، وخيرت الشاطر.. واستطرد يقرأ عليه:

- اسْمعْ ما قال وزير الآثار السابق في حوارٍ له:

- أنا نازل يوم٣٠ يونيو؛ ولا بد من وضع نهاية لتلك المهاترات التي تمر بها البلاد؛ ولمَّا سُئلَ عن كواليس إقالته من الوزارة قال:

- أنا شخصيًّا الذي طلبت في أكثر من مناسبة إعفائي من استكمال العمل بالوزارة، وعندما قبلت المهمة في حكومة الدكتور.. قنديل قلت أني قبلت لأن لمصر حقٌّ عليّنا؛ إلا أن الظروف التي عملت فيها كانت غاية في الصعوبة؛ بل وصل الأمر في بعض الأحيان إلى حد المستحيل، لأن وضعنا في قطاعيْ الآثار، والسياحة كارثي بالنظر إلى الموارد المالية المطلوبة منك شهريًا لتوريدها للعاملين بالآثار؛ وهي ٥٥ مليون جنيه في حين أن الدخل لا يتجاوز ٢١ مليون جنيهٍ؛ وعليه فقد وقعت في مأزقٍ ما بين عدم القدرة على الإيفاء بالمتطلبات المالية؛ وبين الأزمة المعروفة في المواقع الأثرية.. وقتها لو كنت أخطأت لعُلقت لي المشانق؛ لذلك طلبت الرحيل أكثر مرة، وحين أبلغني الدكتور هشام قنديل بالرحيل قلت له نصًّا:

- أرجوكم توفير الإمكانيات، ومناخًا جديدًت للوزير الجديد.

- طالبت سابقًا بضرورة الفصل بين السياسة، والمسئولين عن قطاع الآثار إلا أن الوزير الجديد ينتمي سياسيًّا لحزب الوسط المعروف بتأييده لسياسات النظام الحالي.

- فهل تشعر بخطورة مستقبلية على الآثار؟

- السياسة فيها تنازلات، لكن العمل الحكومي لا يوجد فيه تنازلات، والقانون وحده هو الذي يحكم عمل الوزير، وأرى أن واجب وزير الآثار الحفاظ على الثروة الأثرية لمصر.

- هل كان الدكتور/ قنديل مهتمًّا بحقيبة الآثار داخل اجتماعات مجلس الوزراء، أو أنها كانت خارج أولوياته؟!

- لم تكن الوزارة ضمن اهتماماته الأساسية على الإطلاق؛ لكن للأمانة رئيس الحكومة كان يشاركني في افتتاح المواقع الأثرية، فضلًا عن زيارته في مناسبتين لمنطقة الأهرامات، واهتمامات رئيس الوزراء بالآثار كانت في أوقاته المتاحة.

- قطاع الآثار بالاشتراك مع السياحة من أبرز موارد الدخل القومي حيث يُدِرَّان ما يقرب من ١٤ مليار جنيه سنويٍّ، هل طبقت الحكومة الوعود الانتخابية التي جاءت في مشروع النهضة عن قطاع الآثار؟

- أما الوعود التي قال رئيس الجمهورية أنه سينفذها في ال ١٠٠ يوم الأولى من حكمه، فلم تتضمن أي شيءٌ عن الآثار والسياحة، وركزت فقط على الأمن، المرور، النظافة؛ وأؤكد أن برنامج الوزارة لم يكن يتضمن أي شيء يتعلق بمشروع النهضة.

- في الأيام الماضية ظهر خطاب يحمل توقيعك بشأن الموافقة على إعارة ٢٨٠ قطعة أثرية إلى دولة قطر لعرضها ضمن فعاليات الأسبوع الثقافي القطري؛ على أن تسلم تلك القطع للمهندس خيرت الشاطر نائب مرشد تنظيم الإخوان؟

- الخطاب مزور تمامًا؛ لأن التوقيع الموجود عليه مختلف عن توقيعي على الخطابات الرسمية.

ثانيا:ً الآثار ليست ملكي، وإنما ملك الدولة؛ وتواصلت مع الشخص الموجَّه إليه الخطاب، ونفى صلته بالأمر من الأساس؛ وحينما تطلب دولة بعينها استعارة قطع أثرية، لا بد أن يكون هناك خطاب رسمي بموافقة الحكومة.

- وماذا عن الأزمة الشهيرة في فبراير الماضي بخصوص المقترح الذي قُدِمَّ إلى وزارة المالية لتأجير بعض الأماكن الأثرية ٥ سنوات مقابل ٢٠٠ مليار دولار، ويتردد أن المجلس الأعلى للآثار كان يدير الاتفاق بالتعاون مع وزارة المالية، وكان موافقًا على التأجير؛ وأراد توريطك كوزير؟

- الخطاب خرج من مكتب وزير المالية، وعرضته على المجلس الأعلى للآثار بتاريخ ٢٣ فبراير٢٠١٢ فتم رفضه لعدم وجود أسباب قانونية

وسياسية؛ فالرقم المعروض لتأجير المواقع الأثرية أقرب إلى الخيال، وعلى أساسه تم رفض الأمر برمته.

- الفتاوى المتطرفة التي خرجت بين الحين والآخر، أثناء توليك الوزارة بوجوب تحطيم الآثار، وتغطية وجوه التماثيل، هل أثرت على نسبة الزائرين من الوفود الأجنبية، أو تسببت في الإساءة إلى السمعة المصرية على مستوى البعثات الأجنبية؟

- وقت أن خرجت تلك الفتاوى قلت: سأقطع يد أي شخص يحاول تحطيم، أو تغطية الآثار؛ فأنا رجل أصنف على أني أحافظ على شعائري الدينية.

- كيف رأيت قرار تعيين القيادي بالجماعة الإسلامية، محافظًا للأقصر، وهو ينتمي إلى جماعة متورطة في مذبحة السُّيَّاح بالدير البحري ٩٧ م؟

- القرار بالتأكيد سلبي؛ فتلك المنطقة تحديدًا تحتاج إلى شخصٍ متفهمٍ طبيعة أوضاعها، والعاملين في قطاع الآثار وأهلها، وأعتقد أن الآثار السلبية سَتُحد من أعداد الأفواج السياحية القادمة للأقصر.

- هل تسبب قرار الحكومة بفتح الباب للسياحة الإيرانية في أي متاعب لك قبل خروجك من الوزارة خصوصًا أن هناك تهديدات صدرت من التيار السلفي بمطاردة السائحين الإيرانيين داخل المتاحف والمواقع الأثرية؛ ومنعهم بالقوة من زيارتها؟

- السياحة الإيرانية مادامت وصلت إلى مصر، فلها الحرية في زيارة المواقع الأثرية؛ مع تأكيد أنني لم أسمح وقتها باستغلال المواقع الأثرية في أي مناسبات سياسية.

- هل الدكتور قنديل كان سببًا في الاقتطاع من ميزانية الوزارة بنسبة ٢٠ ٪؟.. فتحدث الوزير السابق بأريحية؛ فظهر أن رئيس الوزراء كان فعلًا يضعه مكتب الإرشاد والشاطر مع الرئيس حيث يراد لهما:

- للأمانة ليس هو؛ لكنه قرار جمهوري بسبب الأزمة الاقتصادية، جعلتهم- يعني مكتب الإرشاد وخيرت الشاطر؛ ولم يشر للرئيس -، يقتطعون من الميزانية لتعويض عجز الموازنة، ولكن الآثار حاليًا تدفع الثمن.

- هل ستشارك في تظاهرات ٣٠ يونيو الجاري؟

- بالتأكيد؛ لا شك أني نازل في ٣٠ يونيو؛ ولابد من وضع نهاية لتلك المهاترات التي تمر بها البلاد؛ ويعيشها المواطنون.

- وهل وقعت على استمارة تمرد؟

- أنا لم أقابل أحدًا من أعضاء الحملة، كي أوقع، أو أرفض التوقيع.

- إذن أنت تؤيد إجراء انتخابات رئاسية مبكرة؟

- دستوريًّا الأمر لا يجوز؛ لكن علينا مساعدة السَّاسة على إيجاد حل وسط للأزمة، لأن الأمر إذا لم ينصلح فمصر في طريقها إلى الانهيار.

* * *

الفصل الثالث عشر

ارْحَلْ، ارْحَلْ..

بهذا الهتاف المُوَحَّد والكارت الأحمر؛ ارتجَّت ميادين التحرير، والدفاع، والاتحادية، وجميع شوارع مصر؛ في يومٍ مشهودٍ؛ الأحد ٣٠ يونيو ٢٠١٢م؛ شَهَرَ تلك الإشارة للرئيس الذي لم يعطِ أذنه إلا لمكتب الإرشاد؛ ملايين الغاضبين؛ من الإسكندرية إلى أسوان؛ وأصيب الإخوان بالرُّعب؛ ليس على بقائهم في مؤسسة الرئاسة فحسب؛ بل على بقاء تنظيمهم، الذي ظل يعمل في الخفاء ثمانين عامًا معتمدًا على الإرجاف؛ وبث الشائعات دائمًا؛ وعلى القتل، أحيانًا، هم الآن مذهولون، لا تردد ألسنتهم إلا عبارة:

- ما سَبِيلُنَا إذا ما رحل الرئيس؛ مرسي؟؟ .. وكانت الإجابة التي اتفقت عليها كُلُّ القوى الثورية، والسياسية، ربما للمرة الأولى لمرحلة ما بعد مرسي خريطة طريق؛ يتولى رئيس المحكمة الدستورية، مهام رئيس الجمهورية، تشكيل حكومة تكنوقراط تترأسها شخصية وطنية، يكون حولها إجماع شعبي، تقود المرحلة الانتقالية لحين انتخاب رئيس جمهورية جديد، إسقاط الدستور الحالي، وإصدار إعلان دستوري ينصص على مبادئ أساسية، تتضمن حقوق المواطنين؛ بينما يُمْنحُ اختصاص التشريع خلال المرحلة الانتقالية

التـي اقْتُـرِحَ أن لا تزيد عن ستة أشـهر إلـى مجلـس الـوزراء، بالإضـافة إلـى النص على اختيار لجنة تأسيسية جديدة من القانونيين، والفقهاء الدستوريين بحكم مناصبهم.

وبالأمس، تحت سمع وبصر الجميع، تحدث قادة تمرد، خلال مؤتمرٍ صحفيٍّ بنقابة الصحفيين:

- إننا نعلن باسم الملايين من شعب مصر؛ أن محمد مرسي العيّاط لم يعد رئيسًا شرعيًّا لجمهورية مصر العربية، كما نعلن باسم الملايين أننا ندعو الجمعية العمومية للشعب المصري للانعقاد غدًا؛ الأحد ال ٣٠ من يونيو في ميادين التحرير، وقصر الاتحادية، وفي جميع ميادين المحافظات، لإعلان سحب الثقة من محمد مرسي؛ والدعوة لإجراء انتخابات رئاسية مبكرة؛ لتنتقل السلطة للمحكمة الدستورية بصلاحيات محددة. جمعنا - وبحمد الله - ٢٢ مليون و١٣٤ ألف و٤٦٥ استمارة تمرد موقَّعة من المصريين لسحب الثقة من الدكتور محمد مرسي كرئيسٍ للجمهورية؛ وأن يتولى الحكومة شخصية سياسية محل توافق، ويتولى مجلس الدفاع الوطني شؤون الحدود، والأمن القومي؛ بالإضافة للشؤون العسكرية.

وأكدت الحملة التزامها بالسلمية التي منها تستمد الثورة قوتها..

ورغم أن الدعوة للاحتشاد كان مقررًا لها عصر السبت؛ إلا أن المصريين عجّلوا بالتوجه إلى قصر الاتحادية مساء أمس الأول؛ الجمعة، كان المشهد

أمام القصر احتفاليًّا بشارةً بسقوط النظام، نظَّمها المعتصمون، والسائرون إليه من كل مكان؛ عازمون أن لا يرحلوا قبل رحيل الرئيس الإخواني وجماعته.

في المقابل؛ استمر الآلاف من القوى الإسلامية في حشدهم، واعتصامهم لليوم الثاني على التوالي، بميدان رابعة لتأييد شرعية الرئيس؛ انتشروا بمئات الخيام بطول طريق النصر، بمحيط مسجد رابعة العدوية؛ مُتحفزون؛ مستعدون للمواجهة، والرد على المعارضين حال الزحف وتهديد القصر؛ وتطوع أكثر من ٢٠٠ فرد في لجانِ تفتيشٍ تمركزت بمختلف المداخل المؤدية للاعتصام؛ مُجهزون بالشُّوم والمواسير الحديدية.

وأقبل اليوم المشهود؛ فخرجت الملايين إلى الميادين، وانتفضت المحافظات ترفع شعار نهاية حكم الإخوان: ارحلْ للرئيس؛ والـ كارت الأحمر؛ ومسيرات سلمية حاشدة تموج بها الشوارع رجالًا؛ وركبانًا؛ ذاهبون للميدان، وعادت الأغاني الوطنية الشهيرة.. يا أمُّ الصَّابرين على الألم عدينا، يا أمُّ الصابرين تُوهنا والتقينا؛ يا أمنا يا مصر؛ يا حبنا يا مصر؛ يا أرضنا يا مصر؛ يا، يا عشقنا؛ لشادية.. طوف وشوف بجنّة ربنا، كلنا جند في كل مكان، زيّ ما لينا حقوق مشروعة؛ نعطي وطنَّا حقوق كمان.. دُوس على كل الصعب وسير، سير سير؛ لـ كوكب الشرق.. وأحلف يسماها وبترابها، أحلف بدروبها وأبوابها؛ لـ عبد الحليم... كانت هذه الأغاني تهز المشاعر هزًا، وتشعل حماس الملايين؛ وانتشرت في كل الميادين اللجان الشعبية التأمينية،

بهدف حماية المتظاهرين، والجيش يراقب من السماء بالهليوكوبتر في مشهد مهيب، و"السيسي" داخل غرفة الأمانة العامة؛ ومسيرات حاشدة في اتجاه الاتحاديـــــــــــــــة: ارحـــــــــــلْ. ارحـــــــــــلْ. ارْحَـــــــــــلْ.. هزمت الجماهير وهتافاتها كل التوقعات؛ توقعات النُّخْبة التي أجَّلت التظاهر حتى الخامسة لضمان حشد أكبر، وهزمت توقعات الإخوان والسلفيين، الذين سخروا من المعارضة بكلمات: ليسوا رجالًا، ولا يدافعون مِثْلنا عن حقٍ، ولن يتحمّلوا حرارة الشمس؛ الأمر سينتهي إلى لا شيءٍ، فكان الخروج عظيمًا؛ وكانت المحافظات هي المُفاجئة بحقٍ، ولم تعد الأضواء قاهرية للتحرير، أو أمام وزارة الدفاع، أو للاتحادية فحسب؛ بل للإسكندرية، والدقهلية، والشرقية؛ مسقط رأس الرئيس، وطنطا، والمنوفية، ودمياط، والبحيرة، ودمنهور، ولمدن القناة الثلاث؛ حتى محافظات الصعيد التي كانت تسيطر عليها الجماعات الإسلامية، انتفضت حاشدة ضد مرسي والإخوان؛ وضد الجماعات الجهادية التكفيرية..

ومنذ ساعات الصباح الأولى؛ توافد آلاف المتظاهرين إلى مدينة المنصورة؛ ميدان الثورة؛ جوار مبنى المحافظة حاملين الأعلام، وتزايدت الأعداد مع مرور الوقت بعد انضمام المراكز، وغادر الموظفون بمختلف المصالح الحكومية مواقعهم مبكرين قبل إطباق الزحام وانغلاق الطرق عليهم، ورفضت مجموعات كبيرة العمل تحت ولاية الإخوان، وقام الأهالي في المنازل برفع علم مصر على الشرفات المطلة على شارع الجيش؛ الممتد نحو خمسة كيلو متر حتى ميدان أمّ كلثوم؛ قلب ميدان الثورة؛ كان هذا

الشارع المزدوج الرحب مزدحمًا؛ أربعون مترًا؛ عدا الأرصفة الثلاث اليمين واليسار والأوسط؛ أوسع شوارع المنصورة قاطبةً؛ متعامدًا على شارع البحر، الذاهب من وراء مبنى المحافظة إلى توريل شمال شرق الميدان، وغربًا إلى مديرية أمن الدقهلية؛ قلب المنصورة إلى الجامعة٠

ومزدحمًا كذلك شرق الميدان شارع قناة السويس المزدوج؛ ممتدًا نحوًا من اثنين كيلو متر، حيث جديلة، ورفعت منذ الصباح سيارات المارة علم مصر؛ وجرت حالة من السّلْم، والهدوء التام في حركة المارّة بالشوارع منذ ساعات الصباح الأولى.. وكانت زوجُ مجاهد قد نصحته:

- دعِ السيارة، واذهب إلى العمل ماشيًا.. ولمّا رأت عدم الاستجابة وقعت فيه:

- زمان كنت تحب المشي؟ اليوم لم تعد تطق فراق تلك المصيبة التي تعينك على الفساد؟.. فابتسم لها:

- أخشى ألا أجد مواصلات في طريق العودة؟ أخليها بعيدًا؛ إلى جوار مسجد التوحيد.. ولو اطلعت على قلبه لوجدته لهج بعبارة؛ قريبًا من منزل والدة م/ أمنية.. وأوضح:

- نحن إدارة تتعامل مع الجمهور.. أذهب فأسَيّرُ العمل، وأصلى الظهر معهم في الميدان؛ وأرجع بها إلى البيت.. قالت:

- أنا نصحت؛ وأنت حر؟!٠وسألت:

- متى يكون خروجهما للميدان؟؟

- بعد صلاة العصر؛ أرجع من العمل فأنام ساعةً، ونصلي العصر؛ ونذهب من بعد الصلاة إلى هناك ماشيين؛ فأعتقد أن الناس ستكون كثيرة؛ والذهاب بالسيارة سيكون صعبًا.. وشَدّدَ عليها:

- اتصلي بالبنات؛ وأكدي عليهن؟ أنا كلمت أزواجهن في شأن خروجهن، فقالوا: خُذهنَّ والأولاد معك، ونتقابل جميعًا ليلًا في الميدان ؟.. فذهب فسيَّر العمل؛ فأدركه أذان الظهر بالإدارة، وخرجت الزميلات يهرولن إلى بيوتهن خوف الزحام، أو قطع الطريق بحدوث اشتباكات، فأغلق وزميليه مكان العمل جيدًا، وأدركوا الصلاة بمسجد الجيَّار المجاور، وانصرف ثلاثتهم.. هو إلى السيارة؛ و " مخيول" إلى بيته مقررًا أن لا ينزل داعمًا للإخوان؛ وعبد الحي الذي اعتادوا منه أن لا يفصح عن نِيّته؛ لمّا سأله:

- أتنزل للميدان؟ .. فجعل يبتسم؛ يختبر وجهه، ودار بعينيه حيرانًا.. ثمّ ينفجر ضاحكًا يسأله:

- أخبرني أنت يا شيخ؟ أكنت تعتقد أن أهل الدين يفعلون ذلك؟ من نختاره ليحكُمنا بعد؟! وامْتنعُ عن الإجابة!..

وعلى غرار التصعيد من المتظاهرين في التحرير، وإغلاقهم مجمع المصالح الحكومية به، وتعليق على مدخله لافتة تحدث: المجمع مغلق حتى انتهاء

الثورة؛ أغلق المتظاهرون مبنى محافظة الدقهلية، ووضعوا على جميع أبوابه الجنـازير، ومنعوا دخـول المـوظفين، وأعلنـوا تأسـيس حكومـة ثـورة لإدارة شئون المحافظـة، لحـين سـقوط النظـام، وإجـراء انتخابـات رئاسـية مبكـرة، ووضع المتظاهرون لافتة: الشعب قرر إسقاط النظـام- ٣٠يونيو نهاية عهد الإخوان. فذهب عادل خليل مدير المديرية؛ إلى منطقة وسط يداوم بها، وترك موظفي الديوان - السيدات خاصـة - مُبتهجـات بتلك الفوضـى، التـي منحـتهن عطلـة إضـافية إلـى أجـلٌ غيـر مسـمىً بـإغلاق مبنـى المحافظـة، وإيصـاد أبوابه!!..

وعلـم مجاهـد كـذلك؛ أن المعارضـين للـرئيس، وللإخـوان أغلقـوا مبنـى مجلس مدينة " ميت غمر " وأجبروا الموظفين على الخروج، وأغلقوا البوابة بالجنازير معلنين العصيان المدني؛ وفي قرية كفر المقدام بمركز ميت غمر قام المعارضون بإخراج الموظفين من الوحدة المحلية؛ ونشبت مشـادة بـين المـوظفين المنتمـين للتيـار الإسـلامي، والمعارضـين للنظـام، وتَدخَّلَ مدير الوحدة للتهدئة، وأخرج الجميع وأغلق الأبـواب.. والآن هو يهتف في نفسه: يـا اللــــه؟ ما كل الحشود القادمة إلى المنصورة؟ ووقف ينتظر عبور القوافل؛ مضـى يقرأ اللافتـات؛ مركز السنبلاوين.. مركز تمـيّ الأمديد.. مركز أجـا.. مركز ميت غمر. . قريـة كذا.. قريـة كذا.. قرية كذا.. يحصي الهوية المكانية للناشطين القادمين؛ يُلَوّحُون في سعادة لمن يمرون بهم بِعَلمِ مِصْرَ بألوانـه الثلاث الزاهيـة، مع إنشـاد شـديد من مكبـرات الصـوت فـوق العربـات التـي تقلهـم للأغـاني الوطنيـة الشـهيرة

لـ..كوكب الشرق، شادية، عبد الحليم، ووديع الصافي؛ الصوت اللبناني الجميل المتيم بحب مصر ينشد "عظيمة يا مصر؛ يا أرض النعم. نيلك؛ ذا سكُر. جوك؛ معطَّر. بدرك؛ منَّور بين الأمم. " اضْطَّرّه إلى التوقف أول شارع الجيش؛ عقب الكوبري؛ أمام بنزينة الوطنية التابعة للجيش؛ زحام المركبات النصف نقل والربع نقل، وميكروباصات الجامبو الكبيرة الوافدة تقل المتظاهرين إلى المنصورة، للمشاركة في فعاليات ٣٠ يونيو؛ فوقف ينتظرهم يمرون؛ ينظر مُبْتَهِجًا بابتهاجهم؛ قبل أن يبدأ بزوجه رحلة السير على الأقدام من بداية طريق الإستاد حتى مبنى المحافظة. وكلما همَّ بِمتابعة السير سمع صوت إنشاد جديد؛ حتى لاحت مسيرة قادمة؛ فيبادرهم بالتحية، فاجأتهم مبادرته وابتسامته؛ فنادوا يحيونه:

- السلام عليكم يا شيخ.؟..يسقط، يسقط، حكم المرشد؟. طول ما الدم المصري رخيص؛ يسقط، يسقط كل رئيس؟ يسقط، يسقط كل جبان؛ مش هنسيبها للإخوان؟ فأشار بإشارة النصر؛ يُقِرّهم في رصانة. قرويات يجلسن، وصبايا حديثات السن، ورجالٌ وفتيان وغلمانٌ محيطيين للحماية، ولافتات في مقدمة المسيرة تعلن من أين جاءوا؛ فلوحت لهم زُوُجُتهُ بعلم مصر؛ فصاحوا مبتهجين بهاتين الشخصيَّتين الإسلاميتين الموغلتين في الالتزام؛ لحية طويلة اشتعلت شيبًا، وزوجة منتقبة!.. وأشرفت مسيرة في مقدمتها عجوز في لباس أبِيضٍ اعتدن نساء مصر ارتداءها إذا خرجن للحجّ؛ كانت العجوز تعلق في رقبتها صورة مُصَغَرة تتقلب في الهواء؛ حزر من الألوان الثلاثة الأحمر والأبيض والأسود أنَّها علم مصر؟

ومضت العجوز تتمايل بجسدها النحيل، معصوبة حول وَسَطَها بِعِصَابةٍ كبيرة، شارعة ذراعيها ترقص في غير احترازٍ من المحيطين بها؛ فهم في منزلة أحفادها؛ وكأنها في عرس أحدهم، أو ربحت في قرعة حج هذا العام؛ ومن ثمّ خروجها لزيارة الكعبة الشريفة، ومسجد النبي العدنان، وخطرها إلى تلك البقاع الشريفة، بما ادخرته سنينًا من زهيد مالها.. دمعت عيناه لمرأى تلك السيدة وعشق المصريين وحبهم لمصر!!.. ومر حتى بلوغه الميدان بمشاهد مبتكرة، لكن مشهد العجوز النحيلة التي لا تكاد ساقاها تحملانها؛ وهي ماضية تتمايل هَوْنًا، مُسْنِدة ظهرها إلى عريش السيارة النصف نقل التي تسير لأجلها ببطئ!.. ظل هذا المشهد حاضره حتى عندما همّ بالدخول وزوجه قلب الميدان؛ وفجأة استوقفه عند حاجز حديدي فَتيان، فتلبث للتصرف الهجين، ثمَّ أبدى لِينًا..قال:

- لقد صلَّيت معكم هنا في الميدان منذ يومين.. فحدثه فرد الحماية؛ أن لا يغضب..وأقرت زوجه؛ نعم هذا في مصلحة الجميع، وأَخْضَعَتْ نفسها للتفتيش، وقالت له: ليس فيها شيء؛ من حقهم؛ وطالعت حقيبة يدها للفتاة الرفيقة للحماية، فأَزْمع للتفتيش وأقر في نفسه؛ نعم؛ ما أجمل أن يكون الناس كلهم خاضعين لقانون واحد، وفجأة جاءهم صوت ينادي:

- انتظرا.. صاح صاحب الصوت بفردي الأمن، وهو يهرول إليهم ثمَّ تابع:

- دعا الشيخ ؟؟.. فانتظراه حتى جاء؛ فقال يلومهما:

- ما تفعلان بالرجل؟! إنّه منّا؛ وأنا أعلم به!.. تَفضّل يا شيخ.. وهوى يقبل رأسه، فخشع قلب مجاهد؛ وأبهجته تلك العناية؛ وأنه لمْ يكن نسيًا منسيًّا.. مكثا يطوفان في الميدان إلى صلاة المغرب؛ وبعد صلاة المغرب إلى قرب صلاة العِشاء، يشاهدان المشاهد حتى كلَّت أقدامهم، وامتلأ الميدان عن آخره؛ فطلبته الزوجة وقالت تنظر إليه:

- اقعد؛ تَعِبْتُ.. قال:

- والذي سمعك، وأنا أيضًا تعبت.. نصلّ العشاء في مسجد المحطة؛ وننصرف إلى البيت نشاهد التلفزيون؛ نرى ما حدث في باقي المحافظات؟ فطالبت رغم ما بها؛ أن يظلا حتى يُؤذَّنَ للعشاء؛ فينصرفا للصلاة؛ وبعدها يشتري لها " كونو " على حسابه؛ ويقعدا في مكان خَليٍّ يأكلانه؛ ويرتاحا قليلًا قبل أن يبدءا رحلة العودة.. فعجب لحرصها للفرجة رغم تعبها؛ فاشترط:

- على أن ننصرف للوضوء قبل الشروع في الأذان؟٠٠ولمّا جلسا على سور الرصيف الأيمن، وأعطيا ظهريهما للطريق؛ أسفل شجرة عملاقة مقابل مسجد التوحيد يستتران؛ أسرعت الزوجة تنزع النقاب عن وجهها، وأخذت نفسًا عميقًا، وزفرة زفرةَ استحسان؛ فاستفزَّه المشهد فزمَّ شفتيه وقال في نفسه: سبحان الله؛ ما صَدَّقتْ! وما كادت تفعل؛ إلا وجاءها الناس من كل جانبٍ وراحوا يطالعونهما في شكٍّ؛ كأنّما خرَّا من السماء! ولم يمنع الفضول الوقح أنهما، وقد أعطيا ظهريهما للطريق، يعلمان

الكافة أنهما زوجان يستتران!.. ثمَّ راح يجادل نفسه عنها؛ "إلا ما اضطررتم إليه"؛ لعل هذه؛ ولم يطق من شدة الغضب ذِكْرَ الزوجة؛ تريد المحافظة على نقابها نقيًا، ثُمَّ من حقها أن تُطْعمَ من غير مشقةٍ؛ وناجى لهما:

- اللهم اهدها واهدنا؛ واغفر لنا ولها؟ لأنها أعلنت عن كشفت وجهها وخار هو في منعها، ورجع للمارة؛ فسلط ناظريه في كُلّ متطفلٍ حتى يضطره إلى رد بصره عُنوة. وقال بأسىً:

- لو استعرضنا قارعة الطريق ما حرص كل هؤلاء أن يطالعونا كذلك ؟.. أكلا سريعًا دون أن يستلذّا بطعم الكونو؛ وحثها في حزمٍ لاستئناف السير؛ ونظر إليها في جِدٍّ؛ فأسدلت نقابها ونهضت..

وعند صينية دوران الإستاد رأيا قُبَّةً على الرصيف الأوسط مُفتَحةً الأبواب فقصداها للاستراحة؛ ثم يستأنفا السير؛ فوجدا بها ناسًا..أنثى وضيئة إلى جوارها شخص؛ زاد حجابها وعباءتُها السوداوان وجهها وضاءةً؛ عَلِم أنهما سُوريان؛ اضطرتهما الحرب الضروس بسوريا منذ أكثر من عامين إلى الفرار بطفليهما إلى مصر من القتل؛ حَزرَهما من الطلعة؛ وتأكد له من اللهجة التي صَاحت بها الأم على طفليهما أن لا يغادران ؟ أنهما سوريان.. ووجدا سيدة مصرية قديمة؛ ضخمة؛ ربّة بيت؛ من حزب الكنبة.. وعشيقين قاما فتركا مقعدهما بمجرد وُلوجُهُما للقُبَّة؛ فاحتلا مقعديهما؛ قعد هو في المقعد المقابل للشخص؛ وقعدت الزوجة قبالة المرأة الوضيئة؛ كانا قد لاحظا ناسًا

غير قليلين ساروا ينتشرون؛ مخليينَ الزحام؛ يلتقطون الأنفاس؛ ولاذ البعض كالعشيقين للنجوى، وكان البعض لا يزال يهرول طالبًا للميدان، وبدأ آخرون في الرواح المبكر كحالهما؛ واستأنف السوريان الحديث حال ابتدائهم بالسلام؛ فتحدث بصَّدر مُنْشَرِحٍ؛ كأن البيوت لم يبقَ فيها أحدٌ!.. وأنبأ أنها نهاية مرسي، وعصر الإخوان؛ ومضت المرأة الوضيئة تطلب برنّة حزينة طفليها بلكنتها الغريبة بمجرد انطلاقهما خارج القبة: تعاليا؟. لا تمضيان بعيدًا فتضيعان؟٠ واشتبك مع السيدة المصرية في حديثها عن الإخوان:

- يقولون أنهم سيدمرون مصر؛ سيعملونها كسوريا.. فأنبأ الشخص ذو اللهجة الغريبة:

- ما أظن.. نحن سوريّان من بلدة كذا.. حظكم مليح.. الجيش هنا مُنضَمٌ للشعب؛ عكس الحاصل فينا في سوريا؛ الجيش مع السلطة.. فلم يشأ أن يتَفرّع الحديث؛ وهَمّه قبل أن يعاودا السير والرجوع إلى المنزل لمتابعة أحداث باقي المحافظات التهوين من خطر الإخوان؛ وأن يبث الأمل في قلب السيدة المصرية فرحب بالضيفين:

- مرحبًا بكم في مصر.. آجلًا أو عاجلاً - إن شاء الله- ترتاحون من هذا؛ يعني بَشَّار.. وقص للسيدة المصرية عن الإخوان؛ أنَّه لن تكون هناك حرب أهلية؛ وأنهم أهون من أن يحدثوا ذلك.. تحدث الله عن هذا البلد فأنبأ تعالى "ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين".. هم يراهنون أن الناس لن

تصبر؛ وأرهبوهم عن الخروج فأعجَّ بهم الميادين والشوارع، والجيش لن يخذل الشعب.

- يا رب يا ابني تكون الحكاية بسيطة.. تعبنا من المظاهرات؟ السيدة٠٠

وكان من خطة الإخوان لإفشال تحركات القوى السياسية لـ ٣٠ يونيو؛ التي وضعها مكتب الإرشاد أثناء اجتماع أعضائه يوم السبت ١٥ يونيو - تَمّ تعميمها على محافظات الوجه البحري التي تشهد أحداث عنف بصفة مستمرة؛ بدأ تنفيذها منذ اليوم التالي للاجتماع؛ ضرورة إصدار حركة المحافظين خلال يومين؛ وكان من المفترض تأجيلها إلى ما بعد٣٠ يونيو؛ لجر القوى السياسية، والمعارضة إلى معارك جانبية مبكرة؛ فيفقد ٣٠ يونيو أهميته؛ بإشعال أحداث قبل مجيئه؛ فأصدر رئيس الجمهورية حركة المحافظين؛ وبلعت المعارضة الطعم!.. كما اعتمدوا على رهان؛ أن القوى السياسية ستستخدم ضدهم العنف؛ فتهاجم مقراتهم وتحرقها؛ وأصدر مكتب الإرشاد تعليمات لجميع المكاتب الإدارية بالتنبيه على جميع أعضاء حزب الحرية والعدالة، والإخوان بعدم التصدي لأي أعمال عنف أو بلطجة، وعدم حمل أي أسلحة في مواجهة المعارضين؛ لتصويرهم للأجهزة الأمنية، والقوات المسلحة أن المعارضة هي الطرف الذي يحمل السلاح؛ ويدفع نحو الحرب الأهلية، وإقناع المجتمع الدولي بسلمياتهم في التعامل مع المعارضين لحكمهم.. كما توقع مكتب الإرشاد أن تتسبب أعمال العنف والاعتداءات التي ستقوم بها القوى السياسية في تنفير الموطنين غير المُسَيَّسين من المشاركة في ٣٠ يونيو؛ والمطالبة

بإسقاط النظام؛ خشية وقوع مذابح، مثل التي شهدتها محافظات الوجه البحري بين المعارضين والمؤيدين..

وبدا؛ لطول فترة مبارك في الحكم؛ أن لن يزول.. قال مجاهد يومًا لزوجته متندرًا؛ حين أشْرف مبارك على الشاشة بشخصه المتين؛ رغم تعديه الثمانين: لن يموت هذا، قبل أن نزور القبور؟!.. وطال الجميع منه مطالًا؛ فعلى طريقة مبارك؛ رد محمد مرسي على معارضيه أمس في حواره مع صحيفة جارديان البريطانية؛ نشرته على موقعها؛ وقرأه مجاهد:

- لن تكون هناك ثورة ثانية في مصر.. استقالتي المبكرة ستقلل من شرعية من يأتون بعدي؛ وبالتالي تدخل البلاد في فوضى لا نهائية.. وهو بالضبط مضمون ما قاله مبارك قبل تنحيه.. وتابع مرسي:
- إذا غيرنا شخصًا تم اختياره وفقًا للشرعية؛ سيكون هناك معارضون للرئيس الجديد؛ وسيطالبونه بعد شهر أو أسبوع بالتنحي.. ومضى على طريقة مبارك:
- ليس هناك مجال للحديث ضد الشرعية، يمكن أن يكون هناك مظاهرات؛ وأشخاص يعبرون عن آرائهم؛ لكن ما هو حاسم في الأمر هو اعتماد الشرعية؛ وبسؤاله عما إذا كان واثقًا أن الجيش لن يتدخل للسيطرة؛ حال الخروج على السيطرة؛ قال في نبرة من اطَّلع الغيب:
- جدًا.. وتابعت الصحيفة؛ أن مرسي اعترف لأول مرة بأسفه لإصداره الإعلان الدستوري، الذي منحه صلاحيات واسعة؛ فبذر بذور معارضة

واسعة.. وأشارت "جارديان" أن مرسي بدأ خلال المقابلة يسير على خيطٍ رفيع بين إلقاء اللَّوم على مؤسسات الدولة في فشل إدارته، وبين احتضانهم في المستقبل. ربما لتفادي صناعة موقف أسوأ، وأنه لم يكن له سابقة علم بالتصريحات التي ألقاها الفريق أول عبد الفتاح السيسي؛ ومَنحِ السياسيين فرصة أسبوع لحل خلافاتهم.. وقال:

- نحن نتحدث باستمرار طوال الوقت، لكن لا يمكن تقييد كل كلمة يطلقها مسئولون في هذا البلد؛ وأكد على شرعيته الديمقراطية.. وردًّا على شكاوى تعيينه للنائب العام الذي يلاحق النشطاء، والشخصيات الإعلامية:
- أنا لا أقبل هذا الزعم؛ النائب العام يعمل بشكلٍ مستقلٍ.. وتوقع مرسي بثقة تامة أن يُتِمَّ فترته الرئاسية؛ كثقة مبارك تمامًا عقب الانتخابات البرلمانية ٢٠١٠ وإجابته الشهيرة في حق معارضيه " خلّيهم يتسلوا" ..

ومن مقر وزارة الدفاع شكلت القوات المسلحة غرفة عمليات لمتابعة سير المظاهرات، والحالة الأمنية في سائر المحافظات، وعلى المناطق الحدودية، وقال المُتحدث العسكري:

- إن الغرفة تعمل على مدار ٢٤ ساعة لمتابعة مختلف الميادين، وأماكن تواجد المظاهرات، وفق خطة القيادة العامة للقوات المسلحة، لحماية المنشآت الحيوية والمواطنين، وأنه إذا لم يقدّم الرئيس حلولًا ترضي الشعب؛ فإن الجيش سوف ينحاز للمطالب الشعبية؛ انطلاقًا من عقيدة القوات المسلحة بأن لا تقف ضد إرادة الشعب. وشَدَّدَ؛ أن قوات الحرس الجمهوري تتولى التأمين

داخل قصور الرئاسة؛ وأنها جزء لا يتجزأ من القوات المسلحة، وأوضح عدم وجود خلافات بين قيادة القوات المسلحة والحرس الجمهوري، وأن الحرس الجمهوري لن يطلق رصاصة واحدة على المتظاهرين؛ وأن الهدف الرئيسي من نزول الجيش للشارع هو حماية الشعب وليس الرئيس، وأن طائرات المراقبة الجوية؛ تقوم بطلعات استطلاع، وتصوير على مختلف أنحاء الجمهورية خاصة الميادين؛ لتسجيل الأحداث والمساعدة في التحرك السريع لموجهة أي عنف يهدد حياة المواطنين.. وتابع:

- إن القوات المسلحة سوف تواجه البؤر الإجرامية، والجهاديين، في حالة تهديدهم للشعب بقوات المظلات والصاعقة؛ وأن الجيش ملتزم برعاية الشعب؛ والحفاظ على أمن الوطن ولن ينحاز إلى أي فصيل سياسي على حساب المصالح العليا للوطن وأمنه القومي.

ففاضت من الدمع عينا مجاهد لسماع هذا الحديث الحاسم؛ وأنه أذانٌ برحيل مرسي.. وكانت الزوجة تهتديه في الأمور المعضلة؛ طالما كان الطارق ليس مُتعلقًا بنزاهة قلبه؛ وخَطَرُه في أمر النساء؛ فأجابها:

- نعم؛ هذا معناه أن نزول الجيش للشارع ضِدّ مرسي.. فتلهفت تسأل؛ وتكرر.. فأكد لها:

- نعم أعتقد هذا.. فانطلقت تقصص وقد سَريَ عنها: البارحة ٢ يوليو، رأيت لافتةً بالخط العريض تقول: انزل يا سيسي بقى الدنيا حر؟؟.. فأربعة أيام

والناس مرابطون؛ ينتظرونَ تدخل الجيش لحلّ الأزمة، واستمرت الحشود السلمية الهائلة في الميادين والشوارع.. وانطلقت الأغاني الوطنية.. وعلا ترديد المتظاهرين للهتافات: ثورة، ثورة في كل مكان؛ ضد الظلم والطغيان.. تسقط تسقط؛ دولة الإُخوان.. عَلّ وعَلّ وعَلّ الصوت؛ اللي بـ يهتف مش هـ يموت؟.. يا أهالينا في البيوت؛ اصحوا وفوقوا كفاية سكوت؟.. ثورتنا ثورة سلمية؛ لا إحنا فلول ولا بلطجية.. يا اللي بتسأل إحنا مين؟ إحنا شباب خمسة وعشرين.. إحنا نزلنا ومش ماشيين؛ قبل ما يمشي الكذابين؟.. لا إخوان ولا مسلمين؛ ضحكوا علينا باسم الدين.. قالوا شريعة إسلامية؛ طلعت كذبة وخيبة قوية؟!.. قالوا حُرّية وعدالة؛ طلعت غدر كمان وخيانة !.. قامت ثورة من سنتين؛ ركبوا عليها باسم الدين؟.. قالوا يكمل المشوار؛ دائر يِحْبس في الثُّوار ؟.. قالوا هـ ينمّي الاقتصاد؛ كل يوم يعمل أزمات.. شالوا مبارك؛ جابوا طرطور؛ قطع المية وقطع النور.. اصح يا مرسي وصحّ النُّوم؛ ثلاثين يونيو آخر يوم ؟.. يا الله يا سيسي خد قرارك؛ الشعب المصري في انتظارك ؟.. اقْتُلْ جابر؛ اسْحَلْ صابر؛ هي بـ تطرح بدل الثائر مليون ثائر.. أنا مش كافر؛ أنا مش ملحد؛ يسقط؛ يسقط حكم المرشد ؟..ارحل، ارحل يا أبو وشَّين؛ يا اللي قسمت الشعب اثنين ؟.. يا مصر عودي زيّ زمان؛ يسقط؛ يسقط الإخوان؟..

فخطر لمجاهد؛ أن للشعب هذا مفاتيح وأسرار؛ إذا لمس صدقًا أسرع بالتأييد؛ وإذا تخابث عليه خبيث؛ مَدّ حبل الصبر شديد !.. عَطَفَ على الإخوان لمّا تَشَكُّوا " مظلومين في سبيل الشرعة والدين "، وفجأة خرج

عليهم بالملايين؛ يرفضهم ظالمين وكذَّابين!!.. وقرأ تحقيقًا لمركز لحقوق الإنسان..عدد من قُتلوا في أحداث عنف خلال فترة حكم مرسي ٢١٧ قتيلٍ؛ آخرهم قتلى الشيعة؛ حرض عليهم داعية المنصورة في حضرة مرسي في مؤتمره لنصرة سُوريا؛ حضره الجهاديين التكفيريين؛ وأعلن مزادًا لـ ثوبٍ له ولساعة يده، وتكلم الناس أيامًا في شأن الثوب المبارك الذي بيع بثمنٍ باهظ.. فهاجم آلاف من أنصار هؤلاء، وهؤلاء، الشيعة بقرية زواية " أبو مسلَّم " وقتلوا وسحلوا؛ حسن محمد شحاتة ٧٠ عامًا، إبراهيم محمد شحاتة ٥٠ عامًا، شحتة محمد شحاتة٦٠ عامًا، وعبد القادر حسنين ٤٥ عامًا.. أذاعت الفضائيات منظر السحل بعد القتل والتعري في الشوارع؛ وبات الناس مغمومين من تلك الفوضى التي عمت في عهد الإخوان.. وكشف حقوقي: - تم رصد ١٤٣حالة قتل غير قانوني داخل السجون، وأقسام الشرطة، والمعتقلات، وعلى أيدي أنصار الرئيس محمد مرسي العياط.. وقال رئيس مصلحة الطب الشرعي السابق:

- إن نسبة عالية من الضحايا الذين سقطوا في الأحداث السياسية بعد تولي مرسي، أصيبوا بطلقات نارية في الجزء العلوي من الجسم؛ ومعظمهم أصغر من ٣٠ عامًا من النشطاء وتساءل:

- هل كانوا مستهدفين هـؤلاء؟..فكر مجاهد: لم يشهد تاريخ مصر الحديث نظامًا برع في استعداء المصريين على نفسه كالإخوان؛ ثمَّ قرأ في جريدة الوفد تعليقًا على خطاب مرسي الأخير: شكرًا للرئيس الذي عجل خطابه

بنهاية حكم الإخوان.. استمر الخطاب ١٥٦ دقيقة؛ أطول خطابات الرؤساء المصريين كافة، تخلل الخطاب ٩٨ تصفيقة، بواقع ٣ تصفيقات كل ٥ دقائق؛ يبدأ التصفيق بإشارات متفق عليها بين الذين اكتظت بهم القاعة؛ وقد جاءوا لتمثيل دور الشعب المؤيد للحاكم.. كان خطابًا بائسًا يعكس حالة الخوف، والقلق، والارتباك عند الجماعة؛ وحوا أكاذيب كثيرة.. وتحت عنوان عينة من الكذب قال الخبير الاقتصادي"النَّجار" في تدوينة له انتشرت على الفيس بوك: من أين أتى العياط برقم ال ٤٠٠ جنية التي يقول أنها تُعطى كمعاشٍ للضمان الاجتماعي للفرد ؟!.. لو دخل هذا العياط إلى موقع وزارة المالية في حكومته، وفتح مشروع الموازنة العامة للدولة ٢٠١٣/ ٢٠١٤ سيجد في صـ ٥٥ معاش الضمان الاجتماعي مبلغ ٢٢٣٤ مليون جنيه؛ يستفيد منها ١،٦ مليون أسرة.. ووجه الرئيس اللوم للصحفيين، والإعلاميين الذين لم يتحدثوا عن صناعة أول تابلت مصريٍ في عهده أو أيْ باد؛ حسبما وصفة، أو صناعة أول سيارة مصرية؛ وقال..النجار: أنا هنا أكرر للدكتور مرسي؛ أما عن صناعة أول سيارة مصرية فنُذَكِّر السيد مرسي بالستينات،. وما أدراك ما الستينات؟! حسب قوله؛ حيث بدأت في عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر تصنيع أول سيارة مصرية، لشركة النصر لصناعة السيارات تأسست سنة ١٩٦٠ فإن تنظيم الإخوان الحاكم قرر إعادة شركة النصر للعمل؛ على أن تتحمل القوات المسلحة هذا الإنتاج، وتم نقل تبعية الشركة من قطاع الأعمال العام لتصبح تابعة لوزارة الإنتاج الحربي..

وتساءل مرسي في خطابه عن المسئول عن عدم وضع اسم الفريق أحمد شفيق كمتَّهم في قضية قتل المتظاهرين؟ وأتبع: ومن المسئول عن عدم وضع اسم محمود وجدي وزير الداخلية الأسبق في القضايا؟ وفي تعريضه بالنائب العام السابق: وبعد ذلك يطالبون بعودة النائب العام؟! وهذه الفقرة تكشف عن عدم دراية شخص في موقع رئيس الدولة بما تمَّ في واحدة من أهم قضايا شهداء، ومصابي الثورة المعروفة إعلاميًّا بـ "موقعة الجمل" ولو كان الرئيس مرسي يهتم بقراءة – فقط ما تنشره الصحف- إن لم يكن قوله تدليس، وعن عمد منذ فبراير ٢٠١١ حتى الآن- لَعلِمَ أن النائب العام لا علاقة له بهذه القضية لأنها كانت مسئولية قاضي تحقيق منتدب.. وتابع النجار:

- ومن باب المساواة، يجب ضم الدكتور مرسي كمتهم في أحداث الاتحادية باعتبارها قد وقعت على بعد خطوات من مكتبه بقصر الرئاسة؛ ومحاكمته كمتهمٍ رئيسٍ في قتل شهيد الصحافة الحسيني أبو ضيف، وكمتهم في قتل شهداء رفح ؟.. وفي تصرفٍ عجيب نسب لـ شخص متوفى؛ قيادي بالحزب الوطني، وأحد أعمدة نظام مبارك أنه قال له حين كان عضوًا في مجلس الشعب: يا دكتور مرسي السياسة نجاسة وأنتم ناس أطْهار، سيبوا لنا النجاسة، وخليكم في الطهارة ؟.. ونسب لنفسه أنه نصح الشخص بالإبقاء على الأموال المسروقة داخل مصر بدلًا من تهريبها، لكن الشخص قال له - والعهدة على الراوي- أنت رجل طيب.. ولنا أن نسأل الراوي عن الحكمة من ذكر اسم شخص مُتوفى في واقعة لا شهود لها؛ لا يستطيع مرسي، ولا الإخوان إثبات صحتها؟ وغرب في

حديثه عن عاشور؛ بلطجي الشرقية، وفودة بلطجي المنصورة، وبلطجي آخر لم يتذكر اسمه؛ من المعادي..هؤلاء يقومون بتأجير البلطجية للهجوم على مؤسسات الدولة؛ لديّ معلومات عمن يتقاضى عشرين جنيهًا ليرفع سكينة الكهرباء؛ يتسبب في أزمة انقطاع التيار، وعن من يقوم بإشعال" حرب الجراكن " ليتسبب في أزمة البنزين والسولار! ومن أقواله الطريفة: أنا عارف مين؛ بيقول إيه؛ إزاي؛ عشان أيه؟!!... وأراد أن يقدم فاصلًا عن الإعلام ليصنع شماعة فشله، وفشل تنظيمه الحاكم فتناول تجريحًا لشخص كاتبٍ صحفي دون سبب معلوم: حاجات غريبة الواحد بـ يشوفها؟ ناس بـ تتكلم كأنّها من الثوار؛ " مكرم محمد أحمد " هو كان من الثوار؟!.. نقابة الصحفيين قامت عليه وطلعته؛ واختارت حد تاني، وبعد سنتين في وجود الرئيس الطَّيِّب بيقول أنا من الثوار.. والمذيع المسبسب؛ اللي ملوش شغلة إلا التدليس، وقلب الحقائق، وتهييج الشارع بالشائعات -يعني وائل- والمذيعة البنت اللي أنا قَدّ أبوها اللي بـ تهين الرئيس؛ يعني لميس الحديدي؛ وزوجها؟ وأجرى براحة يده على لحيته ليشير للحضور إلى وقاره وتابع: أنا تسامحت في الإهانات التي وجهت ضدي؛ يَنْسى أنه ذكر في موضع آخر من الخطاب: لن أتسامح؛ كفاية سنة -يعني من الإهانات- والعجب من إنجازات مُدَّعاة؛ ومغالطات اقتصادية؛ وأرقام مُضلِلة؛ واللغة المتدنّية؛ والسَّب لفئات الشعب؛ وتَوعُده لمعارضيه بكشفهم بالأسماء ومحاكمات ثورية، واضطراره لإجراء ما يشبه" عملية جراحية" واستدعاء أسماء إعلاميين.. فمضت كتائب الإخوان تتحدث عن

هــذا الخطــاب الرئاســي باعتبــاره إعجــازًا أبدعــه الــرئيس؛ فخامــة الدكتور/مهندس/ محمد مرسي العياط..

وفـي محاولـة لاسترضـائه؛ الجـيش ذكـر أن الفريـق أول عبـد الفتـاح السيسـي حقق فـي عشـرة شـهور مـا لـم يحققـه غيـره؛ يعنـي ..طنطـاوي، فـي عشـرين عامًـا، فكـان عكـس مـا أراد؛ انـتفض قـادة الجـيش غاضـبين للإسـاءة لقادتهم القدامى؛ فضـلًا مـن غضـبهم مـن إسـاءات سـابقة لقـادة الجيش، جـرت علـى لسـان مرشـد الجماعـة، وقادتهـا، وحليفهم" أبـو إسـماعيل " حتـى بـدا أن محاسـبتهم تكـون قريبـة علـى أيـدي رجـال الجـيش بالأسـلوب الـذي تـم فـي٥/ ٢٠١٢ عندما حاولوا الهجوم على وزارة الدفاع فخرجت لهم سرية صـاعقة؛ ففروا أمامها حتـى غمـرة!.. وكـان لافتًـا تكـراره الإشـارة إلـى نفسـه؛ بوصـفه القائـد الأعلـى للقـوات المسـلحة؛ وأنــه كـذلك؛ مـن يصـدر لهـا القـرارات، والتعليمات وينسق أعمالها، فـ عكس حالـة الرعـب من انقلاب الجيش عليـه؛ وكان جليًّا وجه الفريق أول؛ السيسي وحالة الجمود، وكظم الغيظ المرسومة على وجهه، وهو يتابع الخطاب؛ فزاد الخطاب الشعب تحشدًا في كافة المدن المصرية؛ مع الإصرار على استمراره حتى سقوط النظام، واستطاع أن يزيد جرعة الكراهية والغضب عند المصريين أضعافًا، لما كانت عليـه حـالهم قبل الخطاب؛ ودفع المترددين عن النزول دفعًا لحسم أمرهم بقرار النزول في ٣٠ يونيو للمناداة برحيل الرئيس؛ والتخلص من الجماعة؛ وتوحيد الصفوف تحت راية واحدة؛ واستباق٣٠ يونيـو بـالنزول للميـادين فـي جميـع المـدن المصـرية يـوم السـابع والعشـرين مـن الشـهر الماضـي، والغليـان فـي أوسـاط القضـاة،

والمنـــاداة بمقاضـــاته ممــن تطـــاول علـــيهم مــن الإعلاميــين، والسياســيين، والشخصيات العامـة؛ ووصـفت وكـالات الأنبـاء العالميـة الخطـاب بـالهزيـل، والتفتـت إلـى خطـاب الفريـق أول عبـد الفتـاح السيسـي، ووصـفته بـالخطـاب القوي، الذي يحمل أكثر من رسالة إحداها لمرسـي وجماعتـه؛ أن المصـريين مصممون على عزله وجماعته، وأن بقاءهم في الحكم أصبح مسألة وقت..

وعكف مجاهد وزوجه بعد عودتهما من الميدان علـى كل الفضـائيات الخاصة التي تقوم بتغطيـة الأحداث فـي المحافظـات؛ فـي جميـع الميـادين فـي مشهدٍ ليس له من قبل مثيل؛ حشـود هائلـة فـي الشـوارع، والسـاحات، وألعـاب ناريـة تنطلـق من الأرض لتتفتق فـي السـماء متنـاثرة بـألوان زهور عملاقـة، وطـائرات هليوكـوبتر تجـوب السـماء لتقـف فـوق رؤوس المحتشـدين هنيهـة تحييهم، وخيوط من ألوان منبثقة منها كاشـفة، فيشـرع المتظـاهرون رؤوسـهم وأذرعهم، ويصدر منهم التصفيق والهتاف ردًا للتحية.. وفي الأول من يوليـو بلغت الحفاوة بمجاهد ذروتها عندما التقي بطائفـة من شباب القريـة، واعدهم الالتقاء بميدان الثورة بالمنصورة؛ فأصروا من قلب الميدان علـى حملـه فوق الأعناق أمـام إحدى سيارات التلفاز الناقلـة للحدث٠ وافق ذلـك حمل ضـابط شرطة أعلن مشاركته ضد النظـام فـي الفعاليات ٠فخضـع حيـاءً لإصـرارهم؛ وَحُمِلَ الضـابط إلى جواره، والمدهش والمُربك معًا؛ وهو المصـنف سلفيًّا؛ أن جـيء بقسٍ محمـولًا كـذلك أمـام الكـاميرات، وأطلـق الشـباب هتـاف" الجـيش والشعب والشرطة أيد واحدة " وأمـام تكـرار الهتـاف نشـطوا، وأخـذتهم نشـوة

الحناجر، وخفة الحمل فتهوَّروا فقذفوا به عاليًا في الهواء ليتلقوه بأذرعهم مرات فصاح بهم:

- توقفوا.. توقفوا.. فأنزلوه؛ فأسى لتهورهم؛ عفا الله عنكم؛ لِمَ فعلتم هذا؛ ما ينبغي لمثلي أن يستخف به كذلك؟! فقال ابن بنت عمٍ له:

- - يا خال؛ ما أردنا إلا أن نحتفي بك.

- وحين خَلا إلى نفسه يتذكر؛ ذاب حياءً؛ وقد خطر له؛ تركيز وسائل الإعلام على ذي اللحية الكبيرة التي انخرطت مع الناس في الميدان.. وقد يوافق أن يتبدَّى لـ.. مدام/ أمنية، وهي تتابع التلفاز؛ وما يحدث في مسقط رأسها؛ فتراه، وهو يقذف به في خفَّة في الهواء؛ مظهر لم يستطبه أبدًا وأنصت لخطر لقلبه؛ فضيحتك ها تبقى بجلاجل!! عند الإخوان؛ سيقولون: انظروا إلى المشايخ كيف يبدو؟ ها قد ذهب عنهم فجأة ما ادعوه سنينًا من الالتزام.. فضرع إلى الله أن يُعمّي عنهم مشهده؛ وعن أعين محبّيه؛ فلا يُرى أبدًا وقد غادره الوقار.

وقام لاعب الكرة المجيد يتوّج للأحداث: اليوم هو نهاية حكم مرسي وعصابته؛ ٨٨ مليون مصري ضد نصف مليون إخواني.. تمرد: تعلن سقوط شرعية مرسي بأكثر من ٢٢ مليون صوت " صحيفة الدستور؛ الأحد ٣٠ يونيو.. الميادين لـ مرسي: سنة كفاية؛ كشف حساب الرئيس ٣٦٥ يوم

أزمـات، انقسـامات، انفـلات. والنهضـة تتحـول لـ "سـد أثيـوبي".. الجمـاهير تتأهــب للخـــروج الكبيــر لإســقاط حكــم الإخـــوان؛ المصــــري اليــوم. أما صحيفة التحرير فقالت في عنوانها الرئيس: يحيـا الشــــعب؛ ونقلت بالصّورة والمنشتات: الإسكندرية مدينة الثغر بدأت التمرد من منتصف الليل، وآلاف يحتشـدون فـي " القائـد إبـراهيم".. المنيـا: آلاف فـي مسـيرة تجـوب شـوارع المحافظـة، وتنـادي برحيـل الـديكتاتور.. الدقهليـة؛ الأهـالي يعلنـون العصيان المدني لإسقاط " الأهل والعشيرة ".. الفيوم؛ آلاف فـي الشـوارع: ارحل بقى يا عم خلّي عندك دم ؟.. الغربية؛ الأهالي يعلنون الاعتصام؛ توقف حركة القطارات حتـى رحيـل الفرعون.. طنطـا؛ اعتصـام فـي سـاحة الشـهداء حتى رحيل النظام. المحلة؛ العمال يتوعدون النظام والمتظاهرون يحاصرون منازل قيادات الإخوان.. دمياط؛ الآلاف في ميدان الساعة؛ والهتـاف: نقولهـا قويـة مـن دميـاط؛ يسـقط، يسـقط العيـاط.. المنوفيـة؛ إغـلاق الـديوان العـام، ومجـالس المـدن، والوحـدات المحليـة، ومجمـع المصـالح، والشـهر العقـاري، والبريـد، والموظفـون يتضـامنون مـع الثـوار.. الأقصـر؛ المعتصـمون نصـبوا مسـرحًا أمـام الـديوان، والغضـب ضـد الإخـوان.. الشـرقية؛ آلاف المعتصـمين حـول المحافظـة، ومسـيرات تجتـاح الشـوارع للميـدان.. كفـر الشـيخ؛ الثـوار يغلقون مجالس المدن، ومجمعات المصالح، ويطالبون: إسقاط النظام الفاشـي، إســقاط الدســتور، إســقاط مجلــس الشــورى، إســقاط حكــم الإخـــوان.. صحيفة الوفد؛ ٢٢ مليـون: ارحـل، في الميـاديـن؛ قول ما تخفشـي؛ مرسـي لازم يمشــي..أما صــحيفة صــوت الأمــة؛ فكانــت الأعنــف هجومًــا صــوتًا

وصورة.. زَوجٌ من البيادة فوق رأس؛ المرشد، والشاطر؛ والبلتاجي، وصفوت، والعريان، وبين النعلين؛ وجه مرسي الغضبان وعبارة: بالجزمة؛ الشعب يسحق الإخوان.

ونكات؛ كاتبة مصرية؛ لميس جابر؛ في إحدى مستشفيات لندن لإجراء جراحة؛ تنشغل بالوضع السياسي في مصر؛ تصرح لوسائل الإعلام: الغباء السياسي لـ مرسي أقوى من ذكاء الثوار.

أمجد..صحفي بجريدة الوفد: شكرًا لمرسي؛ ضرب الرقم القياسي في عدد الخطب ففاق حلقات المسلسل التركي؛ حريم السلطان.

وفجرًا - على طريق الشعب المصري في التفاؤل - أول مولود لـ ٣٠ يونيو في التحرير باسم تمرد؛ في قلب مستشفى الميدان! وُلِدتْ الطفلة، التي يشهد والداها التظاهرات فأسماها تمرد؛ فُدعي لها ولوالديه مجاهد على نهجه:

- اللهم بارك لهما في مولدهما وامنحهما بره.. وتردد بقلبه بقوةٍ هتاف الميادين: قول ما تخفشي؛ مرسي لازم يمشي.. يسقط يسقط حكم المرشد.. يا مصر عودي زى زمان؛ يسقط، يسقط الإخوان؟.


دار
الفراعنة
دار الفراعنة للنشر والتوزيع والترجمة

الفهرس

م		رقم الصفحة
١		
٢		
٣		
٤		
٥		
٦		
٧		
٨		
٩		
١٠		
١١		
١٢		
١٣		
١٤		
١٥		
١٦		
١٧		
١٨		
١٩		
٢٠		
٢١		
٢٢		
٢٣		

